

Sp.Col.
Clostr.
909.07
K1964
1903
C.4

هدية من الفنان القدير

مقدمة الطبع

بسم الله الرحمن الرحيم

الفن والفنانون

الحمد لله الذي جعل التاريخ لأولي الالباب بذكره * وبهذا المنهج الأفكار مراها
من صحفه المنشره * وقدم الباحثين فيه بالاستحقاق وان تأخرت ألامهم * واختصر بالحفظ
لأنهم طروراً أودعها الحق على شرط الوفاء اقلامهم * والصلاة والسلام على سيدنا
محمد الذي جاء بالمعجب المعجب * وأطلق أسنة السيوف بفصل الخطاب * وعلى كافة
الانبياء والمرسلين * ومن له من أتباعهم أثر في العالمين (أما بعد) فان التاريخ لسان
يخبر به الزمان عن عجائب الوقائع * بل أستاذ يقرر دروس الحوادث لبعض السامع * بل
ماشتت من محمود ممدوح * بنفس كروب النفس وبروح الروح * وله من رجاله أئمة
فضلاء * وسادة جلة نبلاء * صرّفوا فيه من نقود أعمارهم النفيس * حتى كشفوا عن
وجهه نقاب التليس * فتمسك سيده * واتضح دليله * وعلمت بجاهله * ووردت مناهله
وأصبح صراطاً للمجتاز سويّاً * فلم يخش أني سار في جادته هواً *

ولما كانت الحروب الصليبية من أكبر طوارئ الزمان * وأشد مادمي به العالم من
طوازي الحداث * توجهت إليها أفكار مستنبذة * وأنظار لم تكن لغير البحث فيها متهمة *
وكنّا بمن عني بالتدبر فيها * والتقدير عن ظواهرها وخوافيها * لأن أقل ما يستفاد من ذلك
معرفة كيف كان شأن القوم في الاختلاط * وأوربا اذ ذاك في انحطاط * والشرق منبع
المعارف * ومنتدى الفضائل والموارف * حتى انتهى الامر الى اتضاع المرتفع * وارتفاع
المتضع * ضرورة أن الزمان أدوار * والظلم نجليها الانوار * فمن عمل صالحاً فلنفسه
ومن أساء فعليها * وما ربك بظلام للعبيد ولكن يؤاخذها بجنايتها * تلك نتيجة
مساعي الاثنتين الشرقيه والغربية * ولا نقول الاسلاميه والنصرانية * فان مشاغلتهما
أصلها الاساسي * جنسي سياسي * لم يكن منظوراً فيه لدين ولا مذهب * وان زعم غير
ذلك اليوم من لم يفرق بين السبب والسبب *

وقد كنّا في أحد أسفارنا منذ نحو ثمانية أعوام قد اجتمعنا ببعض علماء طرابلس
الشام * فتجاذبنا معه أطراف الحديث * وتذاكرنا في القديم والحديث * فاذا هو في

الفضل آية بينة • غنيت بالعيان عن الشهود والبيئة • فلزمنا لطفه معاشرته • واستدنا
في مجاورته محاورته • حتى وقفنا في بعض نوادي التذاتي • على كتاب الفتح القسي •
في الفتح القدسي • لعماد الدين الكاتب الإصفهاني • فإذا فيه المعجب والمطرب • بما
يفيد المؤرخ والتأديب • وقد وصفه مؤلفه بما يفتني اذ يقول • • يأخذ الفريقان منه
على قدر القرائح والعقول • فادللنا عليه بطليه علماً برقة طبعه • فأتم على شرط نشر
طيه بطبعه • فوعدها بالوفاء • لاقران الشرط بالجزاء • ثم لم تمكن من مباشرة الطبع
حالا • لعدم تفرغنا له بالا • حتى دنا الاجل • حقق العمل • هنالك رأينا نسخة قيمة
في المكتبة اليدوية • من الممالك المولدية • وقد كتبت بعد وفاة المؤلف بأربع سنين
وعارضها بأصله بعض المصلحين • فأخذنا في الطبع مقابلين بين النسختين • ومانفله
أبو شامة عن العماد في كتاب الروضتين •

وانما عمدنا فقط الى طبع هذا الكتاب • مع تعدد سواء في هذا الباب • لاجراض
جبه • وأسباب مهمه • منها أن للعماد بين الشريطين شهرة عمت الآفاق • وكلهم -م في
فضله على اتفاق • فما من أديب منهم يحفل مقامه • أو يحرك لسانه في أدبه بعلامه • وهم
لم يروا له كتاباً أصلاً • وان شئت فقل لم يقرأوا له على التمام فصلاً • ونحن نؤد لهم
الفتح التام • كما استغنينا بما آثرناه من اسلافهم الكرام • وان جهل حقيقة الواقع • من لم
يتدبر ما جرىك الوقائع • ومنها ان العماد قد حضر تلك الملاحم • وهو لصالح الدين
أبدأ ملازم • فشهد احوالها عياناً • وحدث عنها بياناً • والعيان لاشاهد بعده • خصوصاً
من مثل العماد فانه عمده • ومنها ان هذا الكتاب قد اشتمل على حوادث سبعة أعوام •
هي أهم ما جرى في تلك الازمنة بلا كلام • ولوقوع الحرب في بعضها بين ملكين كبيرين
شهيرين بشدة البأس خطيرين • وهما السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي • صاحب مصر
والشام والحجاز واليمن • وريشد ملك انكلترا الملقب بقلب الأسد عند اهل ذلك
الزمن • فقد امتازا بالشجاعة التي لم يصل اليها أحد من القادة • حتى كادت تمتد من
خوارق العادة • وطالما ضرب بينهما المصاف • ولم يتصف أحدهما من الآخر كل الانتصاف
ومنها تأدية المهدد الوفاء بالوعد • فالمرء أسير لفظه • والحر من راعي وداد لحظه

ونحن نعلم ان مؤرخي العرب في تلك الايام لم يتبذوا الحق ظهرياً • ولم يأتوا فيما
دونوه أسراً فرياً • فيجب علينا التصديق بما قالوا • والميل عما عنه مالوا • ثم لا بأس بعد

ذلك بالطلاق * رعاية لتمام التحقيق * ومع ذلك فكلنا بتقدم الشرق اذ ذاك مسلم * عالم
ان الفضل للمتقدم * فالمرجو امن اخواننا الشرقيين ان ينهوا همهم * ويوجهوا الى التعاون
كلهم * ويساعدونا بما يصل اليه امكانهم * ويقوم به بيانهم جزاءهم الله كل خير * ودفع
عنهم كل ضرر * ماتعاقب الليل والنهار * وابدت حكمها الادوار * آمين



﴿ فهرست كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي ﴾

﴿ على حسب ترتيب المؤلف ﴾

مخيفة

- ٠٢ مقدمة الكتاب
- ١٠ دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسة
- ١٣ ذكر ما كان بين ملك الافرنج وبين القومص من الخلف
- ١٤ ذكر دخول صلاح الدين بالسكر الى ديار الفرنج
- ١٧ ذكر فتح طبرية
- ٢١ ذكر الصليب الاعظم والاستيلاء عليه يوم المصاف
- ٢٢ ذكر فتح حصن طبرية ٢٢ ذكر ما اعتمد في الاساري المداوية والاستبارية من ضرب رقابهم واعطاء بشر الوجوه باعطائهم
- ٢٣ ذكر فتح عكا
- ٢٥ ذكر فتح عدة من البلاد ٢٥ فتح الناصرة وصفورية
- ٢٦ فتح قيساريه ٢٦ فتح نابلس
- ٢٧ فتح القولة وغيرها ٢٧ فتح تبين
- ٢٩ فتح صيداء
- ٣٠ فتح بيروت
- ٣٢ فتح جبيل
- ٣٣ ذكر هلاك القومص ودخول المركيس الى صور
- ٣٤ ذكر فتح عسقلان وغزة والداروم والمعاقل التي يأتي ذكرها
- ٣٦ فتح بيت الله المقدس
- ٣٧ ذكر كنيسة قامة
- ٣٩ وصف البيت المقدس
- ٤٤ ذكر يوم الفتح وهو سابع عشري رجب

- ٤٥ ذكر حالي في العود الى الخدمة
- ٤٦ ذكر ماجرت عليه حال الفرغ في خروجهم من القدس
- ٤٨ ذكر ما أظهره السلطان في القدس من الحسنات وعما من السيئات
- ٥٠ وصف الصخرة العظيمة عمرها الله
- ٥٣ ذكر محراب داود عليه السلام وغيره من المشاهد السكرام وتبجيل الكنائس
وانشاء المدارس
- ٥٤ ومما كتبه الى الديوان العزيز مجده الله للبشارة بفتح القدس مع الرسول ضياء
الدين الشهرزوري من رسالة
- ٥٦ عاد الحديث الى ماجري بعد فتح القدس
- ٥٧ ذكر رحيل السلطان عن القدس على قصد حصار صور
- ٦١ ذكر ما تم على الاسطول
- ٦٤ ذكر خروج الفرغ للقتال
- ٦٦ ذكر ما دبروه من الرأي ورأوه من التدبير
- ٦٧ ذكر فتح حصن هونين
- ٧١ ذكر الحادثة التي تمت على محمود أخي جاولي حتى استشهد هو وأصحابه
- ٧٢ ذكر ماجري بعد نزول السلطان على عكا بعد عوده من صور
- ٧٣ ذكر وصل وردوا في هذا التاريخ
- ٧٤ ذكر وصول أخي تاج الدين أبي بكر حامد من دار الخلافة للرسالة في المتب على
احداث ثقلت الخ وذکر السبب في ذلك
- ٧٨ وفي هذه السنة استشهد الامير شمس الدين بن المقدم بالموقف في عرفة
- ٧٩ نسخة كتاب جامع للفتح القدسي الاين الشأها الى سيف الاسلام أخي السلطان بالين
- ٨٧ ودخلت سنة أربع وثمانين وخمسة
- ٨٨ ذكر حال السكرك من أول الفتح
- ٩٠ ذكر ما دبره في عمارة عكا
- ٩٠ ذكر وصول بهاء الدين قراقوش لتولي عمارة عكا

محمية

- ٩١ ذكر وصول رسول سلطان الروم قليج ارسلان وغيره من الرسل
 ٩٢ ووصل في تلك المدة أيضا الصلاح قنغ ايه
 ٩٣ ذكر رحيل السلطان صوب دمشق
 ٩٥ ووصل الخبر بوصول عسكر الشرق
 ٩٦ ذكر وصول عماد الدين صاحب سنجار والاجتاع به
 ١٠٤ ذكر فتح جبلة
 ١٠٥ ذكر فتح اللاذقية
 ١٠٩ ذكر فتح صهيون
 ١١١ ذكر فتح الحصون المذكورة والرحيل ١١١ ذكر فتح حصن بكاس والشفر
 ١١٣ ذكر فتح حصن برزة
 ١١٦ وفيها كتبت
 ١١٧ ذكر فتح حصن دربساك ١١٧ ذكر فتح حصن بقراس
 ١١٩ ذكر عقد الهدنة مع انطاكية
 ١٢٠ ذكر وداع عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي وعساكر البلاد وعود السلطان
 الى دمشق بنجح المراد
 ١٢٢ ذكر فتح السرك وحصونه ١٢٢ وكتبت عن السلطان في بعض البشار
 ١٢٣ ذكر محاصرة صفد وفتحها وادراك السبي فيه ونجحه
 ١٢٤ ذكر ما دبره الفرنج في تقوية قلعة كوكب فانعكس عليهم التدبير
 ١٢٥ ذكر حصار كوكب وفتحها
 ١٢٧ ودخلت سنة خمس وثمانين وخمسائه
 ١٢٨ ذكر وصول رسول دار الخلافة والخطبة لولى العهد عدة الدين أبي نصر محمد ابن
 الامام الناصر لدين الله أبي العباس احمد أمير المؤمنين
 ١٣٠ فصل مما كتبت في المنى عن السلطان الى الديوان العزيز مع الرسول
 ١٣٣ ذكر خروج السلطان من دمشق لاجل شقيف ارنون وما جرى له مع صاحبه
 ١٣٥ ذكر ما تجدد للسلطان مدة المقام بمرج عيون من الاحوال

صحيفة

- ١٣٨ ذكر ماتم من استشهاده عدة من امراء العرب
 ١٤٠ ذكر سير الفرنج الى عكا والنزول عليها ورحيل السلطان قبا لهم اليها
 ١٤٥ ذكر وقعة تحت يوم الاربعاء سادس شعبان ١٤٥ ذكر وفاة حسام الدين طمان
 ١٤٦ ذكر وقعة للعرب اربت ثانيا بالأرب ١٤٦ ومن نوادر ماجري
 ١٤٧ ومن الاتفاقات النادرة ١٤٧ ذكر الواقعة الكبرى
 ١٤٩ ذكر حصة الثمرة بعد محبة الكفرة وكيف أداها الله الاسلام وأذاك الكفر
 بتلك الكفرة
 ١٥٠ ذكر مكاتبة أنشأتها الى بعض الاطراف بشرح ما سمره الله في هذه الوقعة من الألفاف
 ١٥٣ ذكر ما عرض للمسكر بعد ذلك من المذرفصد عن قصد المباكرة لتناجزة أهل الكفر
 ١٥٥ ذكر ما اعتمده السلطان في استرجاع ما نهب من الثقل واستدراك ما حارب من الجلل
 ١٥٥ ذكر مجلس عقد ورأى عليه اعتمد وصواب افتقد وقد فقد
 ١٥٧ ذكر الرحيل الى الحرة عند خيم الاقال المضروبة
 ١٥٨ ذكر رأي رائب * عن النظر في الغاي فائب * أسفر عن داء دائم * وأبان
 عن فساد بهرائب
 ١٥٩ ذكر ماجري بعد ذلك من الحوادث وتجدد للهمم من البواعث
 ١٦٠ ذكر وصول ملك الالمان ١٦١ ذكر رسالة دار الخلافة
 ١٦٣ ذكر وصول الملك العادل سيف الدين أخي السلطان والاستظهار بمجموعه والاجتماع
 بظهوره لنصرة الايمان
 ١٦٤ ذكر فصل الى الديوان العزيز اشتمل على مجاري الاحوال
 ١٦٦ ذكر وصول الاسطول المنصور من مصر
 ١٦٧ ذكر فصول أنشأتها فيها منها فصل ١٦٧ فصل من كتاب
 ١٦٧ فصل من مكاتبة أخرى
 ١٦٨ ذكر ما اعتمده السلطان من تقوية البلد وتقل الرجال والذخائر والعدد
 ١٦٩ ذكر حال لساء الفرنج
 ١٧١ ذكر ما أهدها عن الدين مسعود بن مودود بن زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل

- من النفط الأبيض والرماح والتراس ١٧١ وكتبنا في شكره
 ١٧٢ ذكر عماد الدين صاحب سنجار وما عنهم عليه من تمييز ولده
 ١٧٢ فكتب إليه السلطان من مكاتبة
 ١٧٣ وفي آخر هذه السنة نذب السلطان الرسل الى الاقطار والامصار
 ١٧٣ ذكر وصول سلطان المعجم ١٧٤ وتوفي الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري
 ١٧٤ وفاة الامير عز الدين موسك
 ١٧٤ ودخلت سنة ست وثمانين ١٧٥ ذكر وقعة الرمل
 ١٧٦ ومن نوادر هذه الوقعة ١٧٦ ذكر فتح شقيف ارنون
 ١٧٦ ذكر حال عكا ودخول العوامين اليها ووصول الكتب على أجنحة الطير منها
 ١٧٧ ذكر ما دبره السلطان عند انحسار الشتاء وانكسار البرد في الانتهاء
 ١٧٩ ذكر وصول رسول دار الخلافة مع ضياء الدين الشهرزوري في جواب رساله
 ١٧٩ ذكر مقاتلة الفرنج عكا بالابراج والعجاز بها والازواج
 ١٨٠ واتفق في هذا اليوم وصول عماد الدين صاحب دارا
 ١٨١ ووصل في صبيحة يوم الخميس السادس والعشرين عوام بخبر بقوة المشرقيين المحاصرين
 ١٨١ وقدم في هذا اليوم مظفر الدين بن علي كوجك
 ١٨١ ذكر وقوع النار في أبراج الفرنج الثلاثة واحتراقها وتلف كل ما كان ومن كان
 في طباقها
 ١٨٣ ذكر فصول أنشأتها من كتب البشار بالثار
 ١٨٣ فصل ١٨٤ فصل ١٨٤ فصل الى الديوان العزيز
 ١٨٥ فصل من كتاب الى اليمن في وصف الابراج واحراقها
 ١٨٦ فصل
 ١٨٦ ذكر تاريخ وصول الاكابر في هذه السنة (وأولهم عماد الدين زنكي)
 ١٨٧ ثم وصل من بعده ابن أخيه معز الدين سنجر شاه صاحب الجزيرة
 ١٨٧ ثم وصل للملك السعيد علاء الدين خرم شاه ابن صاحب الموصل
 ١٨٨ فصل من كتاب الى صاحب الموصل في شكره على تسيير ولده

صحيحة

- ١٨٨ ثم وصل زين الدين يوسف بن زين الدين على كوجك صاحب اربل
 ١٨٨ ذكر وصول الاسطول من مصر
 ١٨٩ ووصفت هذه الحالة في مكتبة كتبها التعرف منها الصورة وتكشف القضية المستورة
 ١٩٠ فصل آخر ١٩٠ فصل
 ١٩١ ذكر قصة ملك الالماني وحنة الخبر المتواتر بوصوله
 ١٩٤ ماد الحديث الى ملك الالماني
 ١٩٦ وكتبت الى الديوان العزيز فصلا بخبر ملك الالماني عند ارباب الاوجاف به
 ١٩٧ فصل فيه في جواب أمير ١٩٧ فصل من كتاب الاستغفار
 ١٩٨ فصل من كتاب ١٩٨ فصل فيه
 ١٩٩ ذكر الوقعة العادلة
 ٢٠٢ فصل في ذكر حالهم ٢٠٢ فصل فيه
 ٢٠٢ فصل ٢٠٣ فصل
 ٢٠٤ وفي يوم الخميس الحادي والعشرين من جمادي الآخرة ورد في عصره نجات من حلب
 ٢٠٤ ذكر ما يجدد الفرنج من الانتعاش بوصول الكندهرى بلال والرياش وما اعتمد
 السلطان من الاحتياط اشفاقا من التفريط والافراط
 ٢٠٥ ذكر حريق المنجنيقات ٢٠٦ ذكر وصول بطسة بيروت
 ٢٠٧ ذكر وصول بطس الفلة من مصر الى عكا
 ٢٠٨ فصل من كتاب الى سيف الاسلام في هذا المعنى
 ٢٠٩ ذكر عيسى العوام وما تم عليه في الشر الآخر من وجب
 ٢٠٩ ذكر وصول ولد ملك الالماني الذي قام مقام أبيه الى الفرنج بمكة
 ٢١١ ذكر برج النبان
 ٢١٢ فصل مشبع في المعنى من حصار برج النبان مرة بعد أخرى من كتاب الى
 سيف الاسلام باليمن
 ٢١٣ فصل في المعنى
 ٢١٣ ذكر الكبش وحرقه بعد تعب العدو في احكامه وتسوية طريقه

مجيئه

٢١٥ وفي هذا اليوم وهو يوم الاثنين قدمت عساكر الشمال يقدمهم الملك الظاهر

صاحب حلب

٢١٥ وقدم الملك الأحمدي مجد الدين بهرامشاه

٢١٥ واتفق في يوم الاثنين هنا من الددو على البلدة الزحف الشديد

٢١٥ ذكر حوادث تجمدت ومتجددات حدثت

٢١٥ وفي هذا التاريخ القيت الرمح الى ساحل الزيب بطستين

٢١٥ وفي عشية الاثنين تاسع عشر رمضان رحلنا الى منزل يعرف بشفرعم

٢١٧ ذكر وفاة زين الدين صاحب اربل

٢١٨ وغلت الاسعار عند الفرنج

٢١٩ ذكر نوبة رأس الماء وخروجهم بعزم اللقاء

٢٢٠ وسار الفرنج شرقى النهر ٢٢٢ فصل من كتاب في المعنى

٢٢٣ ذكر وقعة الكمين

٢٢٤ فصل من كتاب يشرح الحال ووصف المقام مع الاعتلال

٢٢٥ ذكر هجوم الشتاء ومقام السلطان على الجهاد وعود من سار من العساكر الى البلاد

على رسم الاستراحة والاستعداد

٢٢٦ فصل من كتاب الى صاحب الموصل عند عود ولده اليه وينعت بالملك السعيد علاء الدين

٢٢٧ ذكر ما تجدد بعد ذلك في هذه السنة

٢٢٩ وبتاريخ يوم الاثنين ثاني ذى الحجة وصلت من مصر بالقلعة بطس سبع

٢٣٠ وفي ليلة السبت سابع ذى الحجة وقعت قطعة عظيمة من سور عكا

٢٣٠ وفي ثاني عشر ذى الحجة هلك ابن ملك الالمسان بمرض الجوف

٢٣٠ وفي يوم الاثنين ثاني عشر ذى الحجة عاد المستأمنون من الفرنج

٢٣١ وفي الرابع والعشرين من ذى الحجة أخذ من الفرنج بر كوسان

٢٣١ وفي الخامس والعشرين منه أخذ أيضاً بر كوس

٢٣١ وفي هذا الشهر كان قدوم القاضي الاجل الفاضل

٢٣٢ ذكر جماعة من المستشهدين في هذه السنة

صحيفة

- ٢٣٢ وخرج أسطولنا في هذه السنة ٥٠٠ ليكبس شوائى الفرنج
 ٢٣٣ واستشهد أيضاً في ذلك اليوم الامير نصير الحميدي
 ٢٣٤ واستشهد يوم تاسع جمادى الاولى القاضي المرتضى ابن قريش الكاتب
 ٢٣٣ ودخلت سنة سبع وثمانين
 ٢٣٤ ذكر ما تجدد من الحوادث وتكرر للفرانج من البواعث
 ٢٣٥ وفي يوم السبت رابع صفر وصل كتاب الملك المجاهد ٥٠٠٠ أسد الدين شيركوه
 ٢٣٦ وفي أول ليلة من شهر ربيع الاول خرج اصحابنا من البلد على العدو
 ٢٣٦ وفي الاحد ثالث هذا الشهر شهر سلاح الحرب اهل الكفر ٢٣٦ ووصل
 اليه (السلطان) من بيروت خمسة وأربعين أسيراً من الفرنج
 ٢٣٧ ذكر جماعة وصولهم عسكر الاسلام (وأولهم علم الدين سليمان بن جندر)
 ٢٣٧ وقدم في ذلك التاريخ بقوده الملك الامجد مجد الدين بهرام شاه
 ٢٣٧ وقدم بدر الدين مودود والى دمشق بعد ذلك
 ٢٣٨ ذكر وصول ملك افرايس لتجدة الفرنج على عكا واسمه فيليب ٢٣٨ نادرة
 ٢٣٨ خبر نادرة في غنمة وافرة
 ٢٣٩ وفي سادس عشر شهر ربيع الآخر هجم جماعة من المسكرية الخ
 ٢٣٩ خبر وصول ملك الانكتير واسمه ليجرت الى قبرس واستيلائه عليها
 ٢٤٠ وبتاريخ انسلاخ شهر ربيع الآخر ٥٠٠ وصلت من مفر بيروت كتب مبشرة بالنجح
 ٢٤٠ وفي يوم الخميس رابع جمادى الاولى زحف العدو الى البلد
 ٢٤١ قصة الرضيع
 ٣٤٢ ذكر انتقال السلطان الى تل البياضية
 ٢٤٣ ذكر وصول ملك الانكتير
 ٢٤٥ ذكر حرق البطسة ٢٤٥ ذكر حريق الدياب
 ٢٤٦ ذكر وقعت في هذا الشهر
 ٢٤٧ وقعة أخرى ٢٤٧ وقعة أخرى
 ٢٤٨ وقعة أخرى

محيطة

٢٤٩ ذكر المراكيس ومفارقه القوم ووصف السبب في ذلك ٢٤٩ ذكر من وصل

في هذا التاريخ من المسافر الاسلامي (واولهم عسكر سنجار

٢٥٠ وفي يوم الاربعاء ثاني جمادى الآخرة وصل جماعة من عسكر مصر والقاهرة

٢٥٠ وفي عصر هذا اليوم وصل علاء الدين ابن صاحب الموصل

٢٥٠ وفي يوم الجمعة رابع جمادى الآخرة وردت من مصر كتيبة ثمانية

٢٥٠ ذكر ضعف البلد

٢٥١ فصل من كتاب الي صاحب الموصل في شكر وصول ولده ووصف الحال في

ضعف البلد

٢٥٢ فصل في وصف عسكر عماد الدين

٢٥٢ فصل في الاستفار ٢٥٣ ذكر خروج رسل الافرليج

٢٥٤ ذكر ضعف الثمر من قوة الحصر

٢٥٥ وفي هذا اليوم وصلت من البلد مطالعة ٢٥٥ ذكر خروج سيف الدين على

المشغوب الى ملك الافرليس

٢٥٦ ذكر حرب جماعة من الاسراء والاجناد من البلد ٢٥٦ فصل من كتاب مظفر

الدين صاحب اربل في المعني ووصف الحال

٢٥٧ ذكر ماجري من الحال

٢٥٩ ذكر جماعة من العسكرية وصلوا ٢٥٩ ذكر ما طلبه الفرنج في المصالحة على البلد

٢٥٩ ذكر استيلاء الفرنج على عكا وكيفية دخولها

٢٦٠ والاشأت في استيلاء الفرنج على عكا هذه الرسالة وسيرت بها كتباً

٢٦١ فصل من كتاب الي قطب الدين بن نور الدين بن قرا أرسلان

٢٦٢ ومن رسالة اخرى في استدعاء مظفر الذين من اربل تشتمل على حادثة عكا ووصف

الحال الجارية فيها

٢٦٧ ذكر لطف من الله في حق خفي ٢٦٧ ذكر ماجرت عليه الحال بعد استيلاء

الفرنج على عكا من الوقائع

٢٦٨ وفي يوم الجمعة ثامن رجب جاءت الرسل في تقرير القطيعة المقررة

مصحفة

- ٢٦٩ ذكر غدر ملك الانكتير وقتل المسلمين المأخوذين بكا
 ٢٧٠ وفي يوم الخميس الثامن والعشرين من رجب قوضت الفرنج خيمها الخ
 ٢٧١ ذكر رحيل الفرنج صوب عسقلان ورحيلنا للقلم
 ٢٧٣ فصل من كتاب الي مظفر الدين بذكر ما جرى بعد الرحيل من عكا الى هذه
 الغاية لاستدعائه
 ٢٧٤ وقعة قيسارية
 ٢٧٥ مقتل اياز الطويل
 ٢٧٦ وقعة لمز الدين بن المقدم ٢٧٦ ذكر اجتماع الملك العادل وملك الانكتير
 ٢٧٧ وقعة أرسوف
 ٢٧٨ فصل من كتاب السلطان الي الديوان العزيز يشتمل على ذكر الوقائع المذكورة
 بعد الرحيل من عكا
 ٢٨١ ذكر ما عتمده السلطان بعد دخول الفرنج الي يافا ٢٨١ ذكر خراب عسقلان
 ٢٨٢ وفي يوم الاثنين ثامن شهر رمضان وصل صاحب ملطية ٢٨٢ وفي هذا التاريخ
 وهو الاثنين خرج ملك الانكتير في خيائه متكرراً
 ٢٨٣ وجرت ايضاً يوم الجمعة ثاني عشر الشهر حرب بين البزكية واهل الكفر
 ٢٨٣ فصل من كتاب الي الديوان العزيز في وصف مطاولة الحروب والجراح وقناه
 الحيل والعدد والصلاح
 ٢٨٤ ذكر ما تجدد ملك الانكتير من المراسلة والرغبة في المواصله
 ٢٨٥ وفي يوم العيد وهو الثلاثاء أعد السلطان من الليل خلع الاكابر
 ٢٨٦ ذكر نزول السلطان جريدة بالرملة ليقترب من العدو ومواقفه له في كل يوم
 ٢٨٦ ذكر وقعة الكمين
 ٢٨٧ ذكر اجتماع العادل بملك الانكتير ٢٨٧ وفي يوم الاحد سابع عشرين شوال
 عاد السلطان الي الخيم بالنظرون
 ٢٨٧ وفي يوم الخميس مستهل ذي القعدة سار ابن قليج أرسلان ٢٨٧ ورحل الفرنج
 يوم السبت ثالث ذي القعدة

صحيفة

٢٨٨ ذكر الرحيل الى القدس ٢٨٨ وفي يوم الاحد ثالث ذى الحجة وصل حسام الدين أبو الميحاء من مصر ٢٨٨ يوم عيد الاضحى بالقدس
٢٨٩ وقصة ٢٨٩ ذكر ما اعتمد السطان في عمارة القدس وحفر حندقه وتجهيد
سوره واعادة رونقه

٢٩٠ ذكر من توفي من الاكابر والمعروفين في هذه السنة ٢٩٠ وفاة تقي الدين
٢٩٣ وتوفي في هذه السنة حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين ابن أخت السلطان
٢٩٤ وتوفي في هذه السنة علم الدين سليمان بن جندر ٢٩٤ وفي هذه السنة قتل
باتالك مظفر الدين قزل ارسلان بن يلدكز في همدان
٢٩٦ وتوفي في هذه السنة بدمشق من المعروفين من اصحاب السلطان صفى الدين أبو
الفتح بن القايبض

٢٩٧ وفي هذه السنة في شهر ربيع الاول توفي الحكيم الموفق ابن مطران ٢٩٧ وفي
آخر هذه السنة توفي الفقيه ٥٠٠ نجم الدين الجبوشاني بمصر ٢٩٧ فصل كتب
الى بعض الاكابر في الدخول الى القدس

٢٩٨ فصل في شكر صاحب الموصل على انقاذ الجصاصين لحفر الحندق ٢٩٨ وفي
شهر ربيع الآخر من هذه السنة كتبت منشور حسام الدين سياروخ النجوى
بولاية القدس

٣٠٠ ومخلت سنة ثمان وثمانين وخمسة

٣٠١ ذكر الحوادث مع الفرنج في هذه السنة

٣٠٢ وبتاريخ الثلاثاء ماطر الحرم ركب السلطان على طادته في نقل الحجارة

٣ ٢ ذكر ثلاث سرايا سرت وبرت وبرت ٣٠٢ وفي يوم الثلاثاء ثاني صفر افارت

السرية وفيها جرديك ٥٠٠ على ظامر عسقلان ٣٠٢ سرية فارس الدين ميمون

التصري

٣٠٢ ذكر خروج سيف الدين على بن احمد المروفي بالمشغوب من الاسر

٣٠٣ نكتة ٣٠٣ هلاك الركبىس بصور

٣٠٤ ذكر استيلاء الفرنج على قلعة الداروم

تحفة

- ٣٠٦ ذكر كبسة الفرنج عسكر مصر والواصل
 ٣٠٧ ذكر سبب غيبة العادل والأفضل وما جرى لهما من الاول
 ٣٠٩ ذكر رحيل ملك الانكثير صوب عكا مظهرا انه على قصد ثغر بيروت
 ٣٠٩ ذكر نزول السلطان على مدينة يافا وقتحها
 ٣١١ فصل في وصف الحال من الكتاب الى الديوان العزيز
 ٣١٢ ذكر الهدية العامة
 ٣١٤ فصل من كتاب الى الديوان العزيز في شرح نوبة يافا ثم افضاء الامر الى عقد الهدية
 ٣١٧ ذكر ماجري بعد الصلح ٣١٧ ذكر ما عزم عليه السلطان
 ٣١٨ ذكر خروج السلطان على عزم دمشق من القدس وعبوره على الحصون
 ٣٢٠ ذكر وصول السلطان الى بيروت ودخول بيمند الابرس صاحب انطاكية عليه والاستجارة به وذكر أسامة ٣٢٠ ذكر وصول الابرس بيمند ودخوله على السلطان
 ٣٢١ ذكر وصول السلطان الى دمشق
 ٣٢٢ وفي هذا الشهر (شوال) خلع بهاء الدين قراقوش من الاضر وخرجت السنة
 ٣٢٤ ومن توفي في هذه السنة من الملوك سلطان الروم قليج ارسلان
 ٣٢٥ وتوفي في هذه السنة القاضي شمس الدين محمد بن محمد بن موسى المعروف بابن الفرائش ٣٢٥ ودخلت سنة تسع وثمانين وخمسمائة
 ٣٢٦ ذكر وفاة السلطان رحمه الله بدمشق
 ٣٢٧ ذكر الملوك من أولاد السلطان وذويه بعده
 ٣٢٨ ذكر من تولى ممالكه بعده من اهل
 ٣٢٩ ذكر دمشق وما يجري معها من تولاها
 ٣٣٠ ذكر حلب وما يجري معها
 ٣٣١ ذكر الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب أخي السلطان وما جرى له بعد وفاة أخيه

محيطة

٣٣٢ ذكر اهل الثبات وما قدر الله لجمعهم من الشئات ٣٣٣ وأول بادي بالخروج
متولى ماردين ٣٣٤ ثم تحرك عن الدين أتاك مسعود بن مودود بن زندي

صاحب الموصل

٣٣٤ فصل في المعنى أنشأه الى الديوان العزيز في آخر رجب عن الملك الافضل

٣٣٥ ذكر سيف الاسلام باليمن

٣٣٦ وهذا كتاب يشتمل على سيرته (السلطان)

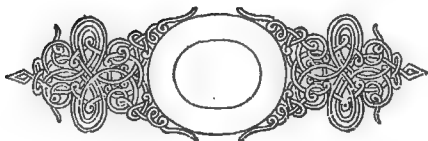
٣٣٩ ذكر ما افترضه الافضل من خدمة دار الخلافة المعظمة وافتاد رسوله بعدة والده

مع هدايا ونجف سنابا

٣٤٠ فصل من الكتاب الى الديوان العزيز

٣٤٣ ذكر مناقب السلطان رحمه الله

﴿ تمت ﴾



كتاب

الفتح القُسي في الفتح القدسي

تأليف

الوزير المنشي البليغ

أبي عبد الله محمد بن محمد الشهير

بعماد الدين الكاتب الاصفهاني

طبع على ذمة

مصطفى فحفي الكتبي بجوار الازهر

طبع بمطبعة الموسوعات بشارع باب الحلق بمصر

لصاحبها اسماعيل حافظ الخير بالحاكم الاهلية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نَسْأَلُ اللَّهَ مِنَ الْحَمْدِ مَا يَبْلُغُ قَضَاءَ حَقِّهِ وَإِنْ حَقُّهُ الْعَظِيمُ * وَمَنِ ارْتَدَّ مَا يَكْتُبُ
 سَلَامَةً نَبَاتًا فِي الطَّرِيقِ إِلَى كَرَمِهِ وَإِلَى لَكَرِيمٍ * وَنُشْكِرُ بِسْمِ الْقَلْبِ وَجْهَ اللِّسَانِ
 إِحْسَانِيَّهِ إِلَيْنَا بِأَمْرٍ جَدِيدٍ * وَلَسْتَ زَيْدُهُ وَنَسْتَدِيمُهُ لَعَنَهُ وَلَنْ يُجِيبَ عَلَى
 الشُّكْرِ وَالرَّضَا مُتَزِيدٌ مُتَزِيدٍ * وَنَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى الدَّهْرِ وَقَدْ فَعَلَ قَادًا وَهُوَ الَّذِي يَبْنِي
 وَيُنْهِي عِدَاوَةً كَأَنَّهُ وَلِيُّ حَمِيمٍ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَدَأَ بِنِعْمِهِ مَطْوُولا * وَبَزِيدُهُ مُنْقَضًا *
 وَعَلِمْنَا شُكْرَ فَضْلِهِ الْمَوْفُورِ * وَقَبِلْ مِنَّا عَفْوَ خَوَاطِرِنَا الْمُنْزُورِ * فَلَا يَكْلِفُنَا مِنْ
 الشُّكْرِ فَوْقَ الْعَاقَةِ * وَلَا يَطْلُعُ مِنَ الزَّيْمِ الطَّلَبَةُ إِلَّا وَرَاءَهَا مِنَ الْمَزِيدِ السَّاقَةُ * وَقَدْ
 وَصَفَ الْمَشْكُورُ مِنْهُ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ شَاكِرٌ عَلِيمٌ * قَرِيبٌ غَافِلٌ مُنَاعٍ عَنِ الشُّكْرِ مَا غَفَلَ عَنْهُ فَضْلُهُ
 الْعَظِيمُ * فَلَا عَدَمًا يَتَابُ مَتَابَهُ رَاحِيًا وَدَاعِيًا * وَمُسْتَقْظَا وَسَاهِيًا * وَصَانِتًا وَمُقَاضِيًا *
 ثَنَا مِنْهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ كُلِّ حَالٍ مِنْ * وَهَابٍ رِبْعًا عَطَّلَ عَنْهَا * لِسَانَ شُكْرِنَا وَضَمِيرَ ذِكْرِنَا
 وَبَاتَتْ سَارِيَةُ الْيَنَّا لِاطِّفَاءِ حَقِيقَةِ عَلَى نَوْمٍ فَكْرِنَا * ثُمَّ إِنْ اللَّهَ سَاحِنًا فِي حَقِّهِ مِنْ
 الشُّكْرِ قَبْلَهُ مِنْ عَيْنِنَا وَبَلِيغِنَا * وَمَتَجَرِّعِنَا وَمُسَيِّغِنَا * فَارَةً يَقْبَلُهُ ضَمِيرًا بِجَمْعٍ *
 وَتَارَةً يَحِيطُ بِهِ قَوْلًا مُتَرَجِّمًا * وَحَمْرَةً يَعْلَمُهُ نَظْرًا مِنْ قَلْبٍ يَنْفُذُ نُورَ الذِّكْرِ مِنْ
 ظُلُمَاتِ ضُلُوعِهِ * وَحَمْرَةً يَسْمَعُهُ مَهْمَسًا مِنْ لِسَانٍ يَنَاجِي * هَلْكَةً بِنِعْمَاتٍ مَسْمُوعَةٍ *
 وَكَيْفَ لَا يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى مِنْ بَيْنِهِ مَسَارِحَهُ * وَكَيْفَ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ مِنْ عِنْدِهِ مَفَاتِحَهُ *
 وَنَرْغَبُ إِلَيْهِ فِي أَنْ يَحْمِلَ عَنَّا حَقَّ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَأَنَا لَا تَرْضَى بِعَفْوِ
 اسْتِحْقَاقِهِ مِنَ الْوَصْفِ جَهْدَنَا * فَضَّلَ إِلَيْهِ صِلَاتِنَا وَتَوَدَّى إِلَيْهِ وَدَّانَا * وَاعْظَمَ مَوْقِعَهُ
 حِينَ كَانَ مِنْهُ كَقَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * وَنُشْكِرُهُ عَلَى أَنْ فَتَحَ عَلَيْنَا الدَّارَ الَّتِي كَانَتْ إِلَى
 اللَّهِ طَرِيقَهُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ * فَاتَّبَعْتُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَهْمًا فَكَانَ كَقَابِ قَوْسَيْنِ
 فِي اقْتِرَابِهِ * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ * وَلَا خَابَ الْمُرَادُ * وَلَا بَدَقَ الْمُرَادُ * وَأَبْنَى مِنْ أَخْبَرِ
 عَنْهُ أَنَّهُ رَأَى بِالْأَنْفِ الْأَعْلَى مِنْ أَمْنٍ عَلَيْهِ بِأَنَّكَ بِالْوَادِ * فَمَنْ كَانَ فِي رَوْضِ الْقُرْآنِ يَسْرَحُ *
 فَرَقَ بَيْنَ الْمَنْزِلَيْنِ مِنْ رَبِّهِ أَشْرَحَ * وَأَلْمَ نَشْرَحَ * وَنَصَلَى عَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَقُّ وَرِضَا
 الْحَقِّ * وَرَقَّةُ الْفَتْقِ * وَغَرَرُ السَّبْقِ * وَالسَّنَةُ الْفَرَقِ * وَفَتْحَةُ الْفَرْقِ وَالشَّرْقِ *

منه من رد ردة العرب عن اسلامها • ومنهم من استنزل أرجل المعجم عن أسرتهما
وتجانيها عن هامها • وأخذ عبدة نيرانه ان يطعموها حطباً ولو وصلت اليهم لا كلمهم •
وأخذ عبدة أولاته عن ان يقوموا لها سجداً ولو وقتت عليهم لقتلهم • ومنهم من أففق في
سبيل الله وجهز • ومنهم من قتل اعداء الله فأجهز • ومنهم الاشداء على الكفار •
ومنهم الاسداء اذا زاغت الابصار • ومنهم الساجدون الراكون • ومنهم السابقون ومنهم
التابعون • ومنهم نحن أهل الزمن الآخر • وقد سلم علينا سلام الله عليه في ذمته
الحاضر • وسمانا اخوانا • واشتاق الى ان يلقانا • فحنن الآن انما نرد عليه بحبته
والبادئ أكرم • وانما نرجو شفاعته بالودة التي قدمها والفضل للآدم ،

هذا كتاب أسهمت فيه بين الأدباء الذين يتطلمعون الى الفرر المتجلية • وبين
المستخبرين الذين يستشفون الى السير المتجلية • يأخذ الفرعان منه على قدر القرائح
والعقول • ويكون حظ المستخبر أن يسمع والاديب ان يقول • فان فيه من الالفاظ
ما صار معدناً من معادن الجواهر التي نولدها • ومن غرائب الوقائع ما صار به لسانا من
أسنة المعجائب التي نوردها • وانما بدأنا بالتاريخ به لاستقبال سنة ثلث وثمانين وخمسة
لأن التواريخ معتادها إما ان تكون مستفحة من بدء نشأة البشر الاولى • وإمامة مستفحة
يمعقب من الدول الاخرى • فلا أمة من الأمم ذوات الملل • وذوات الدول • الا ولهم
تاريخ يرجعون اليه • ويعولون عليه • ينقله خلفها عن سلفها وحاضرها عن غابرها
تقيد به شوارد الايام • وتنبص به معالم الاعلام • ولولا ذلك لانقطعت الوصل •
وجھلت الدول • ومات في أيام الآخر ذكر الاول • ولم يعلم الناس انهم لعرق الثرى •
وانهم نطف في ظلمات الاصلاص طوية السرى • وان أعمارهم مبتدأة من العهد الذي
تقادم • لا آدم • وقد أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم • ذرياتهم • لما أراد من
ظهورهم • فليعلم المسرء قبل انقضاء عمره • وقبل نزول قبره • ما استبد به أهل الطي
من حقيقة النشء • وقبل في واحدة من الاطوار شهادة عشر • فقد قطع عمرا بعد عمر •
وسار دهرأ بعد دهر • ونوى وانشر في ألف قبر • وانما كان من الظهور في ليل
الى ان وصل من العيون الى فجر • ولولا التاريخ لضاعت مساعي أهل السياسات الفاضله
• ولم تكن المدايح بينهم وبين المذام هي الفاضله • ونقل الاعتبار بمسألة العواقب وعقوبتها
• وجهل ما وراء صعوبة الايام من سهولتها وما وراء سهولتها من صعوبتها • فأرخ بنو

آدم بيومه • وكان أول من اشترى الموت نفسه وقام النزاع مقام سومه • ثم أرخ الاولون بالملوك الذين بلل الارض وأعرقها • ثم بالعام الذي بلبل اللسن وفرقها • وأرخت الفرس أربعة تواريخ لاربعة طبقات من ملوكها أولهم كلشاه ومعنى هذا الاسم ملك الطين فاليه ترجع الفرس بأنسابها • وعليه ينسق عقد حسابها • وهي الآن تؤرخ بيزدجرد آخر ملوكها وهو الذي بزى الاسلام تاج ابوانه • واطفأ نور الله بيت نيرانه • • وأرخ اليونان من فيلبس أبي الاسكندر والى قلو بطره آخرهم وهؤلاء المسمون بالخلفاء وهم الصابئون • وأرخ الروم بالاسكندر لعظم خطره • وشهرة أثره • وأرخ النبط بالعراق والقيط بمصر بتواريخ موجودة في الكتب التي خلدوها • والازياج التي رصدوها • • وأرخ اليهود بأنبيائهم وخلفائهم • وبعمارة البيت المقدس وبخرابه على ما اقتضاء قتل أوائلهم وآبائهم • وكانت العرب قبل ظهور الاسلام تؤرخ بتواريخ كثيرة فكانت حبر تؤرخ بالتبابعة ممن يلقب بذو ويسمي بهيل • وكانت غسان تؤرخ بعام السد حين أرسل الله حرم السيل • وأرخت العرب البائية بظهور الحبشة على اليمن ثم بقلبة الفرس عليه • وأرخت معبد بقلبة جرحم للبعاليق واخراجهم عن الحرم • ثم أرخوا بعام الفساد وهو عام وقع فيه بين قبائل العرب تنازع في الديار فقتلوا منها • وأفترقوا عنها • • ثم أرخوا بحرب بكر وتغلب ابني وائل وهي حرب البسوس • ثم أرخوا بحرب عيسى وذيان ابني بغيض وهي حرب داحس والغبراء وكانت قبل المبعث بستين سنة • ثم أرخوا بعام الحنان قال النابتة القدياني

فمن يك سائلا عني فاني من الفتيان في عام الحنان

وأرخوا بعده من مشاهير أيامهم وأعوامهم بعام الحناني وعام الذناب ويوم ذي قار وبحرب الفجار وهي أربع حروب ذكرها المؤرخون • وأسندها الراوون • وأدنى ما أرخوا به قبل الاسلام بحلف الفضول منصرف قريش من الفجار الرابع وبحلف المطيين وهو قبل حلف الفضول • ثم بعام الفيل وهو الجار ذو القربي لتاريخ الاسلام • • وبعدة خرج امام الجمعة فطويت الصحف وجفت الاقلام • وأظهر الله على الاديان الدين القيم • ونسخ تاريخ الهجرة كل تاريخ متقدم • فأمن وقوع الحلف الواقع في تواريخ الامم • • وجبت الهجرة ما قبلها من الاتوار للظلم • ودفع الله الناس بمضهم ببغض • واستدار بالزمان كهيأته يوم خالق الله السموات والارض • وسأل الله عباده على يد وكيل حقه من

الاموال والآنفس مايعيده اليهم مضاعفاً من القرض * ووقت هذه الهجرة الوقت الذي أمر به أمر الاسلام * ويومها اليوم الذي مولدت الليالي مثله من بنيا الايام * وعامها الحاس بالنضل وكل مايعده يعد من عوام الاعوام

وأنا أرخت بهجرة ثانية تشهد للهجرة الاولى بأن أمدها بالقيامة معذوق * وبأن موعدها الموعد الصحيح غير المدفوع والصريح غير الممذوق * وهذه الهجرة هي هجرة الاسلام الى البيت المقدس وقائمها السلطان صلاح الدين أبوالمظفر يوسف بن أيوب وعلى عامها يحسن أن يبنى التاريخ وينسق * وتسفر عن أهلها دادي المداد وتتشق * وهي وان كانت هجرة الاسلام الى القدس ثانية * فقد كان اثني عن وطنه منها لما نته يد الكفر ثانية * وهذه الهجرة أبقي الهجرتين * وهذه الكرة بقوة الله أبقي الكرتين * فان العرب كانت اذا تناهت في وصف الرجل بالقوة قالت كأنه كسر ثم جبر * والحق أن تقول إن أطول الحياتين حياة المرء اذا مات ثم نثر * واليمان يشهد ان أمنع السورين ماعمر بمد ان نثر * والفرق بين قنوح الشام في هذا العصر وبين فتوحه في أول الامر * فرق يتبين تين الحيط الابيض من الحيط الاسود من الفجر * فان الشام فتح أول والعهد بالرسول صلى الله عليه وسلم فقير بعيد * والوحي ما كاد يتطلل في طريقه من السماء الى الأرض ريد * والعيون التي شاهدت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم نسل سيوفها من أحفانها * والقلوب التي شهدت مواقف معجزاته أوثق بخبره في الفتح منها بعينها * ورسل عالم الغيب الى عالم الشهادة بالآيات المؤتلفة مختلفة * ونجدات السماء الى الأرض متصلة بالملائكة منزلة ومسومة ومردفة * وقد أخبرهم سيدنا وسيدهم ان الأرض زويت له مشارقها ومغاربها * وأنه سيباغ ملك أمته المثوبة المرحومة ماضت عليه جوائنها * والروم حينئذ بذات ما استفسر * والفرس يومئذ رخم ما استبصر * والحديد ما تنوعت أشكاله الرائحة * ولا طبعت سيوفه هذه القاطمة * ولا نسجت ثيابه هذه اللامنة والبروج لا تعرف الا مشيدة لاجلدة * والمتجنقات لا يتوهم ما يتوهم اليوم من خشبها المسندة * والاقران لا تترجم بالثيران المذكاة * والاسوار لا تتطاح بالكباش المشلاه * وإصائر السلف الصالح رضوان الله عليهم يقاتل بها لو كانوا عزلا * والواحد منهم يسوق العشرة كما يساقون الى الموقف حفاة عزلا * وكانوا أحرص على الموت منا على البقاء * وكان شوقهم الى لقاء الله باغهم على لقاء الاعداء بذلك اللقاء * والشام الآن قد فتح

حيث الاسلام قد وهن العظم منه واشتعل الرأس شيباً * وهريق شبابه واستشن اديمه
وقد عاد غريباً كما بدأ غريباً * وقد أطلع شرف السماء وهي للملك الممترك * وكثرت
معانره بما نصب الشرك من الشرك * وأخلق الجديدان ثوبه وكان القشيب * وذوى
غضنه وكان الرطيب * ونصلت كفه وكانت الخضب * وطال الامل على القلوب فقست
ورانت الفتن على البصائر فطمست * وعرض هذا الادني قد أعمى وأصم حبه * ومتاع
هذه الحياة القليل قد شغل عن الخط الجزيل في الآخرة كسبه * والكفار قد خشدت
عرائكهم * واستعت ممالكهم * واستبصروا في الضلال * واستبضعوا للقتال * وخرجوا
من ديارهم يخطبون غاشية الموت * وقروا من وراء البحر يطالبون أمامهم من البر
ناشئة الصوت * وقاتلوا جنداً ورعيه * واستباحوا الانفس متورعين فلا ترى أعجب من
أن تري استباحة ورعيه * وزن لهم الشيطان ما كانوا يملكون * وأمدهم في طغيانهم
بعمهون * ورفعوا التكيفات فلا يزع الحديد لوضوء ولا مسح ، واستشعروا لبوس
البوس فلم يلبسوا وجهاً الا مزور الشفاء على القلوب بلا بشر ولا مزح * شقرا كأنما
لفحت النار وجوههم وهم فيها كالخون * زرقا كأنما عيونهم من حديد هم فهم بقلوبهم
وعيونهم يكافون * قد نزع الله الرقة من قلوبهم * ونقلها الى غروبهم * وعذب بهم لما
يريد من تعذيبهم * واشتعلت نار جهلهم في فحم ذنوبهم * تستعذ المردة من مردتهم
ويدعي للنار بالعمون على الاطلاع على أئدتهم * فقطظ غلاظ * جهنميون كلامهم شرر
وأنفاسهم شواظ * لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون
بها أولئك كالانعام بل هم اضل أولئك هم الغافلون . خلق الله الخلق من طين وخلقههم
من حجارة فهم المكفي عنهم بوقود جهنم حين قال وقودها الناس والحجارة والا
فالحجارة لا تستحق الوقود . الا أن يراد بها القلوب التي هي كالجلمود في الجلود .
ومضت ملوك الاسلام * ومضت أيامهم كالبارق وان لم تخلع الانظام * وزارات أيامهم
الايام خيالاً فتنازع الناس طرائف الاحلام * وحاربوا هذا العدو الكافر فما أروا
فيهم وكانوا عارين كسالمين * وبذلوا جهدهم فلا نقول انهم مظلومون بالمعجز وما
نسميهم ظالمين * اللهم غفرأ لكل أجل كتاب وكل يوم هو في شأن ولكل مقدور أجل
ولكل ما خلق له تفسير * ولكل ما تقدم الكتاب الموقوت تأخير * والايام تمخض وتطل
بالزبد * والسور تنلى الى أن تأتي بالمنجده * والناس يريدون الخروج ولكن ما أعدوا .

له عده * والمندر على كل لسان لكل قوم مده *

إذا عجزوا قالوا مقادير قدرت وما العجز الا ما نجر المقادير
وأبى الله من يقبل عنراً صحيحاً * وكفى بلفظة النبوة لوماً صريحاً ، * فلما أراد
الله الساعة التي جلها لوقتها * وأظهر الآية التي لا أخت لها فتقول هي أكبر من أختها
أنقضت الليلة الماطلة الى فجرها * ووصلت الدنيا الحامل الى تمام شهرها * وجاءت
بواحدتها الذي تضاف اليه الاعداد * وما لكها الذي له السماء خيمة والحبك أطناب والارض
بساط والخيال أوتاد * والشمس دينار والقطر دراهم والافلاك خدم والنجوم أولاد *
صلاح الدنيا والدين ومهما دعونا له فان الله قد سبق اليه كوناً * ورأينا بين منانا وبين
كرمه يونا * فهو سبحانه أكرم بالنوال * منا بالسؤال * والتكريم بكرم الله مجزي *
والسأكت عن الدماء مكفي * فان قلنا أحسن الله اليه فقد قال (انا لا نضيع أجر من
أحسن عملاً) وان قلنا جزاه الله بالاحسان فقد قال (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) وان
قلنا هداه الله سبيله فقد قال (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وان قلنا لا ضيع الله عمله
فقد قال (فاستجاب لهم ربهم أي لا أضيع عمل عامل) وان قلنا لا جمل الله لدمر عليه سيلا
فقد قال ماعلى الحسين من سيل وان قلنا زاده الله هدى فقد قال (والذين اهتدوا
زادهم هدى)

كل مسؤول سائل في معاليه قد كل
لا يسأل فيه سائل سبق الجود ما سأل
وليصحح تأملا يمجده الله قد فعل

ونعود الى ذكره اعز الله ذكره فجاد الى ان لم يبق مال ولا امل * وجاهد الى ان لم
يبق سيف ولا قلل * فلا كفتح على يديه فتح وما هو فتح واحد ما هو الا فتحة فتح
والدم ذائب وفتح والذهب جامد * فإلا البلاد التي جمعها فاتها * بأغرب من البلاد التي
غرقها ما غاب * فقد استوعب بأسه أكثر مما ولدت المعادن جديدة وزاد لانه ضرب
بالسيوف التي كسرها ثم ضربها * واستوعب جوده ما ولدت المعادن ذبا وزاد لانه قتل
الى الاعداء ثم سلع ثم نهبا فوهبها * فكل معادى معادى الا هذا المعادى * وكل مداد
يكتب به اسود الا هذا المداد * (أفدح هذا أم أنتم لاتبصرون) أما يرى الناس ماعلى
وجه الصديق من قبول القرائح * وما على يد الجود من قبل المدايح *

(الناس أ كس من ان يمدحو ملكا * ولم يروا عنده آثار احسان)

واتا لترجوا ان نكون قد كتبنا بمدحه مع الصادقين الذين أمر الذين آمنوا ان يكونوا معهم • وان نكون قد كتبنا مع المحسنين لانا أحسنا وصف احسان الله الى عبادهم ولم يقطع بنا ما قطعهم • وانا وان كنا رعاياه لنرى انفسنا ملوكا ونرى الملوك وهم له سوقة • وان القلم في أيدينا لم يترطرا لذكره كانه جان وكان السيف يشنع بانه فروقه • ولسنا نسميه قصيرا وان جدد انفه • ولسنا نركبه كما ركب قصير العسا الى وصف هذا السلطان ليدرك وصفه * ونقول للقلم اذا فاخره السيف ان شاتك هو الابتر * وزيد اذا أوردناه وصف مولانا بانا اعطيناك الكوثر * على ان هذا القلم يلزم الادب لذكره اعلاء الله فينكس رأسه * ويقبل بين يديه كما يقبل حامله الارض قرطاسه * ولست ببعيد في تقييد هذه المفاهيم • وتشيد هذه المأثر * من رجال الطعن والضرب الذين فتحوا بين يديه • واوجبوا الحق عليه * بل حق من حقوقهم اوجه واوجب * وقامى من سيوفهم اخرى واضرب * ومن رماحهم اخطى واخطب * ومن سهامهم انجى وانجى * ومن قسيهم اكسى واكسب * ومن حياهم أسرى واسرب * ومدادى من قههم اغلى واغاب * وقرطاسى من رايهم اجلى واجلب * وسيوفهم قد أغمدت وجردت منه مالا يقمدا ولا يعمد * وآثار السيف من الجراح قد رقنا دهما وآثارى من الذكر لا نخل ولا نحمد *

وما السيف اسوي ضربة من لسانيا

فكل أثر خبّر به غيرى يموت الحسب بموته ويتقطع صيت الأثر باقطاع صوته * والذي اخبرنا به عنه روض يزهر اذا اقلعت الايام سحبا * ونجم يبدو اذا افاض الشفق على فضاء النجوم ذهابا • فهو قول يذكر وينسى كل فعل وقاعله • لا قول يؤثر مهما طاش اليوم عالمه ثم لا ياتي في غد الا جاهله فهذه الكتب تهب الاعمار الثانية • وتفاخر اللسان الثالثة بها الايدى الكتابة البانية • فانظروا الى ايوان كسرى وسيفه البحرى في وصفه تجددوا الايوان قد خرت شمعاته • وعفرت شرفاته • وتجددوا سيفه البحرى قد بقى به اسم كسرى في ديوانه • اضحاف مابق شخصه في ايوانه • وانما تراوح بين الاوصاف النادية • ونواب بين السبات السامية • للإشارة الى من ينه على مساه • وينوه بسياه • فاما من يقول الله لاسمه أنت من معقبات حمدى • ويقول الدهر لذكره انت الباقي من بصدى فاما يلزم الادب بوصف فضله العظيم • ويرفع قدر القول بفضل وصفه الكريم

ويسر الله هذه الفتوح • وأنزل بها الملائكة والروح • في أيام سيدنا ومولانا الامام
 الناصر لدين الله أمير المؤمنين أبي العباس أحمد ابن الامام المستضيء بالله أبي محمد الحسن
 ابن الامام المستجد بالله أبي المظفر يوسف ابن الامام المقتنى لامر الله أبي عبد الله محمد
 ابن الامام المستظهر بالله أبي العباس أحمد بن الامام المقتدي بالله عبد الله ابن الذخيرة
 محمد ابن الامام القائم بامر الله عبد الله ابن الامام القادر بالله أبي العباس أحمد بن الأمير
 اسحق ابن الامام المقتدر بالله أبي الفضل جعفر ابن الامام المتضد بالله أبي العباس أحمد ابن
 الموفق بالله أبي أحمد طلحة ابن الامام المتوكل على الله أبي الفضل جعفر ابن الامام المعتمد
 بالله أبي اسحق محمد ابن الامام الرشيد بالله أبي جعفر هرون ابن الامام المهدي بالله أبي
 عبد الله محمد ابن الامام المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس
 صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين والخلفاء الراشدين * وهي الايام التي زواها أيامها
 ذواها مضارها للقضاء مضاه * فاجلها فضلا وأفضلها جلالا * وأقبلها جدا
 واجدها قبلا وأقربها ندى ونوالا * وأبمدعها مدى ومنالا * وما أعلى سني مجدها *
 وأحلى حنى رفدها * وأفهم رياها فضائلها * وأنم حيا حياض فواضلها * واسع
 سماء سباحها امطارا * وأصح جناح نجاحها مطارا * والسلطان صلاح الدنيا والدين
 ابوالمظفر يوسف بن ابوبناصر دعوته * وداعي لصرته * وولي الطائع * وسيفه القاطع والمحكم
 بامر * والمؤتمر بحكمه * فرائت ابداء ميامن هذه الايام الفر على الآباد بفرر الآداب *
 وقيدت شوارد ممانها وسيرت محامد معاليها بهذا الكتاب * وادعته من فوائد الكلام
 والفرائد الفذ والتوأم درالسحاب ودر السحاب * وسميته الفتح القدسي تنبها على جلالة
 قدره * وتنوينا بدلالة غفره * وعرضته على القاضي الاجل الفاضل * وهو الذي في سوق
 فضله تعرض بضائع الفضائل * فقال لي سمع (الفتح القسي في الفتح القدسي) فقد فتح الله
 عليك فيه بفساحة قس وبلاغته * وصاغت صيغة بيانك فيه ما يعجز ذور القدرة في
 البيان عن صياغته * ولما كان هذا الفتح في سنة ثلث وثمانين وخمسمائة بدأت بها *
 وأنشأت رياضي بسجها * وما شهدت الا بما شاهده وشهده * وما استعطرت
 الاعهاد المهد الذي عهدته * وما عنيت الا بإيراد ما عاينته ولا بفت القاعدة الا على أس ما عينته
 فييته وما توخيت الا الصدق وما انتهيت الا الحق * ولا ذكرت كلة تسقط * ولا
 اعتمدت الا ما يرضي الله ولا يسخط * وبالله التوفيق والمصمة * وله الحمد ومنه التعمه

دخلت سنة ثلث وثمانين وخمسمائة وكتب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى الأقطار والبلاد * يستدعي من جميع الجهات جموع الجهاد * وأهل للاستدعاء أهل الاستعداد * واستحضر الفوز * من الحضرة البدو * وبرز من دمشق يوم السبت مستهل المحرم قبل أسبوعين جاد الجنود * واستحشد الحشود * وأهمل الأسرود * واحضار البيض والأسود * مضى العزم ماضى العزم * صائب السهم نائب الفهم * ثابت السعود * كابت الحشود * وخيم على قصر سلامة من بصرى وكفت يد رعبه الطولى من الفرنج اليد القصري * وأقام على ارتقاب اقتراب الحجاج * وقد رتب الفرنج من الارصاد افواجاً على تلك الفجاج * لاسيا أبرنس الكرك * فانه كان حريصاً على الدرك * ناصباً شر الشرك نصب الشرك * فلما شم ذلك الذئب رائحة الأسد * طود دخول حصنه حذار خروج روحه من الجسد * ووصل الحاج في أول صفر * وقد قضوا حاجهم * ورضوا منهاجهم * وخرجوا عن فرضهم * ودخلوا إلى أرضهم * وفرغ القلب من شغلهم * وخف ما زهم من قتلهم * وانتظر السلطان وصول المعسكر المصري المستدعي * ورعي منه حصول العدد المسترعي * فأبطأ عليه ورود * واختلفت في الاسراع وعوده * فأمر ولده الأكبر الملك الأفضل نور الدين علياً * ولم يزل مكانه عنده علياً * أن يقيم على رأس الامراء برأس الماء * وتجتمع المساكن الواصلة منه تحت اللواء * وتقدم السلطان في اتباعه وأشياءه * إلى الكرك وضياءه * فأقام عليها يرهق ويزهق * ويحرب * ويحرق * ويرعد بصاعقة بأسه ويبرق حتى ألحق الموجود بالمدوم * وأتى بالقطع على البسائين والكروم * ورعي الزروع وعمرى الضروع * واستأصل الأصول والفروع * حتى أقوت من الأقوات * واستمرت الغلة بفلاء سمر الغلات * وحلت آجال الارزاق * وانحل عرا الارماق * واقفر بلد الشرك * وامتلأ من الكرد والترك * وسار إلى الشوبك فأسار به شوباً * وألحقه من عصبه نوباً * وأخلاه من زرع ونبات * وفرغه من أقوات وقوات * وأذهب ضياء تلك الضياع * وأزال بقاء تلك البقاع * وجاس الحلال * وداس الفلال * وقشر الثرى وبشره * وحشر الردى ونشره * وسلب قرار القرى وسكون مسكونها * ونجح الفرنج بكرمها وزيتونها * فقد عدم ليلها المصباح * وصباحها الاصباح * ووصل عسكر مصر فلقاهم بالقرتين * وفرقه على أعمال القلعتين * وأقام على هذه الحالة في ذلك الجانب شهرين * والملك الأفضل ولده مقيم برأس الماء * في جمع عظيم من العظماء * وعند

الجحافل الخافله • والحواصل الواصلة والساكر الكاسره • والقساور القاسره • والبواتر
الواتره • والحضرم الضرم • والمرهم المرم • والهمام الماتم • والحيش الجائش •
والترك والا كادش • والجنود البنود • والاسود السود • والقبالق المواثق • واليارق
البوارق • وبنات الاغماد قد برزن من خدورها جاكاً لمعاقة المدى • ظلمات الى ورد
الوريد وما أحسن حلي نجيح الكفر على عرائس الهدى • والنزم يستنهض والعز
يحرضه • والدين يستبطيه • والنصر يستبطيه • والقدر يحركه • والظفر يدركه • والكفر
قد مات من ذممه • والاسلام قد مت بمنزله • وهو ينظر امرأته ياأبيه ياأبيه
ويكتب اليه ويقتضيه من رأيه بما رأيه يقتضيه • ولما استمر تأخر الامر استمر التأخير •
وقدم في الاقدام التكيير والتكبير • وانتهز الفرصة واحرز الحصه • وانتخب وانتخب
الاجناد الانجاد • وجرد الجرد واستجاد الجياد • وسرى السرية السرية • وأمرها
بالغارة على الفرقة باعمال طبريه • ومظفر الدين بن زين الدين على كوكبك المقدم
المقدم • والهمام الهمام • والاسد الاسد • والارشاد الاشده • وعلى عنكر دمشق قايمآز
سلطنة على عسكر حلب دلدزم الياروقي فساروا مدججين • وسروا مدلجين •
وصبحوا صفورية وساء صباح المنذرين • فخرج اليهم الفرنج في جمع شك • وجر
ذاك • وقطاريات طائرات • وساريات سافيات وللدواى دوى • وللاستبارى هوى •
والباروني يقدم على البوار والتكبولي ياقى نفسه على النار • وقد ناروا والشارق قد
والنجو قد عقد • وقد الصدع زجاج الزجاج • وارنجز عجاج • وانقض القضاء
وانقض القضاء • وكادوا يفلون الجمع ويجمعون الفل • ويحلون المقد • ويمقدون ما تحل •
خبت قايمآز اتجى في صدورهم • واشرع الاسنة الى نحوهم • وروى اللهاذم من
تامورهم • وعطف مظفر الدين يشلهم ويغلهم • ولا يكثر بكثرتهم ويستقلهم • ولقيم
دلدم بالوجه الابيض • والنزم الانهض • والجد الاجد • والحد الاحد • وانجلي
الغبار • وقد عم الفرنج القتل والاسار • ونجح يقتل مقدمهم الاستار • وافلت مقدم
الداوية وله حصاص • ووقع الباقون ولم يكن لهم من الهلاك محاص • واخلفت رنة
السراية الاسراء • وكانت هذه النبوة بلا نبوة • والهبة بلا هبة • وسكنت لقلوبهم هذه
الحركة • وركبت النفوس الى هذه البركة • وسارت البشري وسرت • ودارت النعمى
ودرت • وعد ذلك من اقبال الملك الافضل • وفضل الملك المقبل • وحسنت السنة بالنصر

وأحدثت الالسة في الشكر • هذا والساكر في كل يوم يفدون ويفيدون • وفيما يجدون الطريق إليه من التكاية في العدو يجدون ويحيدون • وجاءتنا البشارة ونحن بالكرك • فاقبنت الآمال بالنجح والدرك • وسار سلطاننا الملك الناصر صلاح الدين ووصل السير بالسرى وخيم بمشرا فقصت بسول الحبول الوهاد والذرى • واجتمع به ولده • وقر عيناً بشبل العرين أسده وما رأيت عسكرياً أبرك منه ولا أكبر • ولا أكرث للكفر ولا أكثر • وكان يوم عرضة مذكراً بيوم العرض • وما شاهدناه الا من تلا (ولله جنود السموات والارض) • في ألوبة كأنما عقدتها حور الجنان بخمرها • وبيارق كأنما جبتها أنف الرياض يزمها • ويوم كالليل عجاجة • وليل كالיום ابتلاجة • ومناصل بالني صلت • وقساطل بالقسى طلت • وفيلق لهام اللهم يفاقي • وقلوب يمانية رفاق في صدور الاغمار تغلق • وطيور سهام من أنوار الحنايا الى أوكار المنيا تفرق • وسوايح مفاضه • وسوابق مرتاضه • وهضاب رأسيات • وهواضب ساريات • ولما تم العرض • حم القرص • وتمين الجهاد • وتبين الاجتهاد • واضطربت السهول والوعوث • وانبتت الهمم وهمت البعوث • وسمع الفرج بكثرة الجمع الجم • وزخرة اليم الحضم • وبرز التوحيد الى التثليث • وانتهاض الطيب لادحاض الخيث • تخافوا وخابوا • وهبوا وهابوا • وعرفوا ان حزمهم مخذول • وان غريمهم مغلول • وان حدمهم ملوم • وان جندهم مهزوم • وانه قد جاءهم ما لا عهد لهم بمثله • وان الايمان كله برز الى الشرك كله • وقد كان بينهم حينئذ خلف منبث • وحلف متكت • ووقع نفار بين الانصار • ووقود شرار بين الشرار • ولما استندوا حين حينهم • سعوا في اصلاح ذات بينهم • ودخل الملك على القومص • ليتقص له بالود الاخلاص • ورعى عليه بنفسه • واستبدك وحشته بالناسه • فاصطحبا بعد ما اصطلحا • وأحجبا بعد ما جمحا • وتزاور الفرج وتوازروا • وتآمروا ما بينهم وتشاؤروا • وقالوا هذا دين متى دنا منه الوها هوى • وعود اذا عادته الاذى ذوي • فالمسيح لنا • والصليب معنا • والممودية عمدتنا • واتصراية نصرتنا • ورماحتنا مراحننا • وصحافتنا صفحننا • وفي لواننا اللاؤاء • ومع أودائنا الداوية الأدواء • وطوارقنا الطوارق • وبيارقنا البوائق • وسيف الاستبار يتار • ولقرن الباروني من مقارنته يوار • ومعنا الدلاص والصلاد • والصواب والصادم • وفي كل قطارى قطار • ولكل سابرى من استتنا مسار • وقد عم بحرنا الساحل •

وشددنا به المعاهد والمعاقل • وهذه الأرض تسعاً نيفاً وتسعين سنة وما تضيّق بنا في هذه السنة • وارماحنا الى هذه الغاية من الاسواء اسوار هذه البقاع والامكنة • وسلاطين الاسلام ما صدقوا أن يسلموا اليّنا ويسلمونا • ويبذلوا لنا القطائع ويقاطعونا • وطالما ناصفونا وما صافونا • وهادونا وهادنونا • وفي جمنا قريتهم • وفي وقتنا قوميتهم • فقال القومص وكان محرباً مجرباً • متدبر متدرباً • هذا صلاح الدين لا يقاس باحد من السلاطين لتسلطه • واقدامه على المخاوف وتورطه • وان كسرهم مرة فلا يصح لكم الجبر • وليس الا المروغة والمغاورة والصبر • والصواب أن لا تخالطه ولا نباسطه • ولا تخالقه وتقبل شرائطه • فقال له الملك انت قد قلبت الآفة • وفي قلبك الخفاف • وانت لاخوز رخو • ولاخشية حشو • وانا لا بد أن أصدمه وأصده • وأكدمه وأكده • وأرأده حتى أرده • وأقيم صليب الصليوت فلا يقعد عنه من أهل الاحد أحد • وأمد يد الايد لجمي فلا تمتد لاهل الجمعة يد فقبل القومص قوله على مضض وصبح ظاهره سمع على ما كان في الباطن من مرض • ولما أحس منه الملك بالوفاء والوفاق • وعدم الشقاء ما وجدوه بينهم من الشقاق • اشتغلوا بالحشد والحشر والطلي والنشر

ذكر ما كان بين ملك الافرنج وبين القومص من الخلف

لما هلك الملك أماري بن فلك في آخر سنة تسع وتسعين وخمسمائة خلف ولداً مجذوماً وكان مع الوجود معدوماً • قد أعضل دأؤه • وأيس شفاؤه • وسقطت أعضاؤه • وطال بلاؤه • فوضع الفرنج التاج على رأسه • ونمسكوا مع أمرأته بأمراسه • ونفخوا في ضمره • وتسمنوا يورمه • ومحووا بقمه • وورقوا في سلمه • ورضوا بتقدمه • وأكبروه وأركبوه • وأقدموا به وقدموه • وهم يكرتون بجندا ملكهم هذا ولا يكترون بجنداه • ويحمون حماه ان يحم حلول حماه • وبقي بينهم زهاء عشرين ملكاً مطاعاً • معاراً من أشفاقهم واتفاقهم مراعى • فلما أحس بهلاكه • وسكون حراكه • أحضر البعرك والقسوس • والمقدمين والرؤوس • وكان لها ابن اخت صغير • عن التناول الى الملك قصير • وقال لهم الملك في هذا ولكن القومص يكفله مدة حتى صفوه • وهو يستقل به بعد كبره • فهو الآن لا يستبد • ومن أمر القومص يستمد فقبل القومص الوصيه • وجمع اليه الاطراف • الدانية والقصية • وسكن بطبرية

فان صاحبها كانت تزوجت به . وطمعت في قوته وقربه . وهلك الملك المجنوم . رظهر السر المكتوم . وطمع القومص في الملك استقلالاً فقدم موافقة الداوية . وقالوا يلزمك العمل بشرط الوصية فكفل بالامر وهو مغلوب وتفقد اختياره فاذا هو مغلوب ورغب في مقاربة السلطان صلاح الدين والدين ليقوي بحاجته . ويحظى من مواهبه . فاشتد أزره واستدأمره واستقل بنفسه واستولى على جنسه * حتى مات الملك الصغير فاشتغل الملك منه الى أمه * وبطل ما كان في عزم القومص برغمه * وانتقل الملك اليها * واجتمع الفرنج عليها * فقالت لهم زوجي اقدر * وهو احق بالملك واجدر * وأخذت التاج من رأسها فوضته على رأسه * وعاش رجاءه بعد بأسه * وراش غناه بعد افلاسه * وانتاش إياسه بعد ابلاسه . وقالت قيامة القومص باجلاسه * وطالبه الملك الجديد بحساب ما تولاه * فما أجاب دعوته ولا لباه * واستصر عليه بسلطاننا الملك الناصر * وأقام بطبرية في زى المتناول المتقاصر * وضم اليه من الافرنجية من استرغبه * بما استباحه من سلطاننا واستوهبه * وحث العزم السلطاني على قصدهم ليرد اليه الملك * ويجد له في نظم أمره السلك * فلما اجتمعت الساكر الاسلامية * وتألفت منها الجزيرة والديار بكربة والمصرية والشامية * جاء الملك الى القومص بنفسه وفتح له ما وجدته من وحشته وعدمه من أنسه * وقال أمحباب القومص له ان لم تنصره فتحن مناخذل الدين * ولا نكون بأيدينا مسلمين الى المسلمين * وتمت بينهم ليوم المصاف المصافاه * وزالت المنافرة والمنافاه *

﴿ ذكر دخول السلطان صلاح الدين بالمسكر الى ديار الفرنج ﴾

أصبح بالخيم طارحاً من المعسكر لما راض شجاع * وبحر بالمعجاج عجاج * وخضم بالصواهل السواح والمناصل والصفايح ذى أمواج * وقد رتب ابطاله وأطلاه * وسحب على وجه الارض سحابه * ونقل به من الثري الى الثريا ترابه * وأطار الى النسر الواقع من القبار غرابه * وقد فض القضاء ختام القتام * وشدت للشدائد كتب الكبت علي حم الحمام . وحث ضلوع الحنايا على أجنة السهام . وتكفلت العوجاء بالمتسدة . وضمت المنقلة الى المنقلة . ووفت الاوتار بالاوزار . وثار كل طلب لطلب الثار . ووقف السلطان يوم العرض برتب المعسكر ترتيباً . ويوبه تبويماً . ويميه بميداً وقريباً وقرر لكل أمير أمراً . ولكل مقدم مقاماً . ولكل موفق موقفاً . ولكل كمين

مكاناً . ولكل قرن قرناً . ولكل حجر مطلقاً . ولكل جمع مكفئاً . ولكل زند مورياً . ولكل حد ممها . ولكل قضية حكماً . ولكل خيبة سهماً . ولكل يمين مقضياً . ولكل يمان مقبضاً . ولكل ضامر مضماراً . ولكل مغوار مغاراً . ولكل رام مرتعى . ولكل نام منتعى . ولكل سام مسمى . ولكل اسم مسمى . وعين لكل أمير موقفاً في المينة بالميسرة لا يثقل عنه . ولا ينيب جمعه ولا يبرح أحد منه . واخرج الجاليشية الرماة السكاة من كل طلب . ووضى كل حزب بما يقربه من حزب . وقال اذا دخلنا بلد العدو فهذه هياة عساكرنا . وصورة مواردنا ومصادرنا . ومواضع أطلالنا . ومطالع أبطالنا . ومصارع استتيا . وشوارع اغتيا . وميادين جردنا . وبساتين وردنا . ومواقف صروفنا . ومصارف وقوفنا . ومراعى مراننا . وبحالى بحالنا . وقوى الآمال بما بذله من الاموال . وحقق فى انجاز المواعد وانجاح المقاصد رجاء الرجال . وجمع العدد . وفرق العدد . وهب الجياد وأجاد المواهب . ورغب فى العطايا واعطى الرغائب . ونثر الخزائن . وتل السكتان . وافق الذخائر . واستنفذ كرائها والاخبار وقسم أهل النشاب * ففرق الناس منه بأكثر من ملء الجباب * وأجرى الجرد وأجنى الاجناد * وأذكى المذاكي وأشهد الاشهاد * وأزال . مناقب المقانب * واستمال . معاطف المعاطب * وقوى القواطع * وروى الروائع . وعاد الى الخيم مسروراً محبوراً مقبولا مبروراً * وفورا مشكورا * وقد رتب وربت . وكتب وثبت وثبت . وقد بر عمله وأبر أمهله . وفاح لشره ولاح بشره . وتأرج رياه وتبلج حياه . وأيقن بالظفر وظفر باليقين وأمن الى الدعوة المستدعية للتأمين وتبين بأوضح اعرايه الميامين وايضاح اعرايه فى اقتضاء دين الدين وأنس ببهجة الخيل ولهجة الخير * وسر سره بما سرى له من وجه السير . وشد حزم الحزم وجد فى العزم الجزم . وقدم الاسراج للاسراء . وألجم العراب للعراء . ورحل يوم الجمعة سابع عشر شهر ربيع الآخر . والتوفيق مسايره والتأييد موازيره . والتكئين مضافره . والسعد مظاهره . والجد مكافره . والين محاضره . والزم مسامره . والظفر مجاوره . والاسلام شاكره . واقه عز وجل ناصره . وسار على الهبأة التي قدمننا ذكرها من المقانب المنقبة . والكتائب المكتبة . والمسرانبة المرتبة . والمذاهب المهذبة . والслаهه المحبنة . والصوائب المحبسة . والقواضب المقربة . والثالب المذربة . واللاهاذم الهاذمه . والصلادم اللازمه . والضراغم الضاغمة . وخيم على

خسفين وقد أدنى الله الخسف بالعدو وخسوفه وكسف الكفر وكسوفه وبات والوجوه
 سافره واليون في سيل الله ساهره والايدى لسيوف الأيد شاهره والالسن لانم الله
 شاكره والقلوب بالاخلاص عامره والانفس للانس مساهمه والاقدام بالاقدار
 متضافرة مظاهره ثم أصبح سائراً ونزل على الاردن بنثر الافحوانة بمزم الصيال وعز
 الصيانة وأحاط ببحيرة طبرية بحره المحيط وضاق ببسائط خيامه ذلك البسيط وبرزت
 الارض في قشب أثوابها وتفتحت السماء لتنزل الملائكة من أبوابها ورست سفن المضارب
 على تلك الانباج وطمت الاطلاب امواجاً على امواج وانعدت سماء المعجاج وطلعت
 فيها انجم الخرصان والزجاج واعاد الافحوانة رياضاً لنصرة وحدائق مزهرة من فرس
 رد وفارس كالاسد اللورد ومشريات كطائرات الرياحين ويزنيات كاشجار البساتين
 ورايات صفر تخفق بمذاببات الياسين وألوية حق كشقائق النعمان وموضونة زغف
 كالقدردان ومصقولة بيض كالخلجان ومريشة زرق كالاطيار ومخية عوج كالافنان
 وببيض تلمع ككنوز الافحوان وحجب ترائك على بحور الدارين وعقبان صواهل
 تروق وتروع الناظرين والسامعين والفرنج قد صفوا راياتهم بصفوريه ولولوا الألوية
 ومدوا على مدود الضواصر الزواخر قناطر القنطاريات وأوقدوا في ظلام القتام الاثر سروج
 السريحيات وصوبوا الى صوب قرا الاقران نيات اليزنيات وأحاطوا حول مرا كزهم
 بدوائهم وحاطوا بوأترهم بوأترهم وجمعوا الاوشاب والاباش ورتبوا الجيش وثبتوا الجاش
 وحشدوا الفارس والراجل والراح والتابل ونشروا ذوائب الدوابل وحشروا
 ابطال الباطل ورفعوا صليب الصليوت فاجتمع اليه عباد الطاغوت وضلال الناسوت
 واللاهوت ونادوا في نوادي اقاليم اهل الاقاليم وصلبوا الصليب الاعظم بالتعظيم
 وماعصاهم من له عصا وخرجوا عن العدو والاحصا وكانوا عدد الحصى وصاروا
 في زهاء خمسين ألفاً أو يزيدون ويكيدون مايكيدون قد توافوا على صعيد ووافوا
 من قريب وبعيد وهم هناك مقيمون لا يرومون حركة ولا يرمعون والسلطان صلاح
 الدين في كل صباح يسير اليهم ويشرف عليهم ورامهم ويشكى فيهم ويتعرض لهم
 ليتعرضوا له ويردوا عن رقابهم سيوفه وعن شعابهم سيوله فريضا وما نبضوا وقعدوا
 وما نهضوا فلو برزوا لبرز اليهم القتل في مضاجعهم وعابثوا مقام صارعهم في سوقهم
 الى مصارعهم وفزعوا مما فيه وقموا وجينوا عما له تشجوا فرأى السلطان ان

يطيب ربه * من طبرية ويشرف على خطتها بالخطية والمشرقية * ويحوز حوزتها
ويعلك مملكته * فجر على الأردن أردان الردينيات * وأطلع التقع التار من البحر بمخاثر
الاعوجيات * واستسهل علمها ولم يستوصر بيات المربيات * قامر عساكره * وامراء
حيشه وأكابره * أن يقيموا قبلة لفرنج * ويضيقوا عليهم واسع التهج * فان خرجوا الامصاف
بادروا الى الانتقام منهم والانتصاف * وان تحركوا الى بعض الجوانب * وشبوا بهم وتب
الاسود بالارانب * وان قصدوا طبرية لصوتها وان يكونوا في عونها * عجّلوا الاعلام
ليمجل عليهم الاقدام

﴿ ذكر فتح طبرية ﴾

ونزل على طبرية في خواصه * وذوي استخلاصه * واحضر الجاندارية والنفارين *
والخراسانية * والحجارين * واطاف بسورها * وشرع في هدم مسمورها * وصدها
القتال * وما صدف عنها الزل * وكان ذلك يوم الخميس * وهو يوم الخميس * واخذ
النقابون القتب في برج فهدوه وهدموه * وتسلقوا فيه وتسلموه * ودخل الليل وصباح
الفتح مسفر * وليل الوبل على العدو متكر * وامتعت القلعة عن قها * من القومصة
ست طبرية وبنيها * ولما سمع القومص بفتح طبرية واخذ بلده * سقط في يده *
وخرج عن جلد جلد * وسمح للفرنج بسبده ولبده * وقال لهم لا قومود بمداليوم *
ولا بد لنا من وقم القوم * واذا اخذت طبرية اخذت البلاد * وذهبت الطراف والبلاد *
وما بقي لي صبر * وما بعد هذا الكسر لي جبر * وكان الملك قد حالفه * فحالفه *
ووافقه * فافاقه * وما حاضه فاماذقه * ووادده فامادده * وواعده فاعاوده *
ورحل بجمعه * وبصره وسمعه * وثعابنه وشياطينه * وسراحيه وسراحيه * وانباغ
غيه * واشباغ بفيه * فسادت الارض بحركته * وغامت السماء من غبرته * ووصل
الخبر بان الفرنج ركبوا * وثابوا عن ثبات ثباتهم ووثبوا * وعبوا وعبوا * ودبوا
حتى يدبوا * وشبوا النار * ولبو النار * وقدموا للنزول بالدار البدار * وذلك في
يوم الجمعة رابع عشرين شهر ربيع الآخر فاكذب السلطان الخير حتى صدق عزمه *
بما سبق به حكمه * وسرحين احاط بمسيرهم علمه * وقال قد حصل المطلوب *
وكمل المخطوب * وجاءنا ما نريد * ولنا بحمد الله التجد الجديد * والحد الحديد

والبأس الشديد * والعصر العتيد * وإذا سحت كسرتهم * وقتلت واسرت اسرتهم *
قطرية وجميع الساحل مادونها مانع * ولا عن فتحها وازع * واستخار الله رسار *
وعدم القرار * وجاء يوم الجمعة رابع عشرين شهر ربيع الآخر والفرنج سائرون الى
طبرية بقضهم وقضيضهم * وكأنهم على اليفاع في حضيضهم * وقد ماجت خضارهمهم *
وهاجت ضراغهمهم * وطارت قشاعهمهم * وتارت غماغمهم وسدت الآفاق غماغمهم *
وشاقت ضاربها حجاجهمهم * وهم كالجبال السائرة * وكالبحار الزاخرة * أمواجهها
ملتطمة * وافواجها مزدحمة * ونجاجها محتدمة * واعلاجها مصطلمة * وقد جوى الجوى
وضوى البض * ودوى الدوى * والقضاء منقض * والقضاء منقض * والثرى قد استزار
الثرى * وجر ذيل الخيل قد برى البرى * والحوافر الحوافز للارض حوافر *
والفوارس اللوايس في البيض سوافر * وذئاب الذباد واجلاد الجلاذ قد حملوا كل عُدّه *
وكلوا كل عُدّه فرتب السلطان في مقاباتهم اطلابه * وقصر على مقاتلتهم آرايه * وحصل
يسكره قدامهم * ورقب على الحلة إقدامهم * وحجز بينهم وبين الماء * ومنع ذمامهم على
الذماء * وحلّاهم عن الورد * وصدعهم بالصنّ * ذلك واليوم قيظ * وللقوم غيظ * وقد
وقدت الهاجرة * فوقدتها غير هاجره * وشربت ما كان في إداوتها فهي على الظما
غير صابره * وحجز الليل بين الفريقين * وحجرت الحيل على الفريقين * وبات
الاسلام للكفر مقابلا * وانتوحيد للتثليث مقاتلا * والهدى للضلال مراقبا * والايمان
للاشرك محاربا * وهبّت دركات التيران * وهبّت درجات الجنان * وانتظر مالك
واستبشر رضوان * حتى اذا أسفر الصباح * وسفر الصباح * وفجّر الفجر انهار النهار *
ونفّر الغير غراب الغبار * وانتهت في الجفون الصوارم * وانتهت في الضواصر الضواري *
وتيقظت الاوتار * وتغيظت النار * وسلّ الغرار * وسلّ الغرار * وخرج الجاليشية
تخرج بنيران النصال أهل النار * ورنّت القسي وغنت الاوتار * ورقصت مران المراد *
لجلاء عرائس الجلاذ * وبرزت البيض من سلاها في الملاء عاربه * ورتت السمير
لكلّها من الكلى راعيه * فرجا الفرنج فرجا * وطلب طلبهم المخرج مخرجا * فكلما
خرجوا جرحوا * وبرح بهم حر الحرب فما برخوا * وحملوا وهم ظملاء * وما لهم
سوى ما بأيديهم من ماء الفرداء * فثوتهم نار السهام وأشوتهم * وصممت عليهم
قلوب القسي القاسية وأصممتهم * وأعجزوا وأزعجزوا * وأخرجوا وأخرجوا * وكلما حملوا

ردوا وأردوا • وكلا ساروا • وشدوا أسروا • وشدوا • وما دبت منهم غله • ولا ذبت
عنه حمله • واضطرموا واضطربوا • والتهفوا والتهبوا • وناشبهم النشاب فمادت أسودهم
قتافذ • وضايقتهم السهام فوسعت فيهم الحرق النافذ • فأووا الى جبل حطين يمصهم
من طوفان الدمار • فأحاطت بحطين يوارق البوار • ورشقتهم الظيا • وفرشتهم على
الربا • ورشقتهم الحنايا • وقشرتهم المنايا • وقشرتهم البلايا • ورقشتهم الرزايا • وصاروا
للردى درايا • وللقضاي رمايا • ولما أحس القومص بالكسرة • حسر عن ذراع الحسرة •
واتال من الهزيمة • واحتال في الهزيمة • وكان ذلك قبل اضطراب الجمع واضطرام
الجر • واحتداد الحرب واحتدام الحر • فخرج بطله يطلب الحروج • واعوج الى
الودى وما ودان يعوج • ومضى كومةض البريق • ووسع خطا خرقة قنبل اتساع
الحرق • واقلت في عدة معدودة • ولم يلتفت الى ردة مردوده • وقاب حالة حضور
الوغي • ونابه الرعب الذى نوى الهزيمة به • وما ونى • ثم استجرت الحرب •
واشجرت العنن والضرب • وأحيط بالفرنج من حوالهم بما حووا اليهم • ودارت دائرة
الدوائر عليهم • وشرعوا فى ضرب خيامهم • وضم نظامهم • فخطوا على حطين مضاربهم
• وفلت حدود الرماة السكاكة مضاربهم • وأنمجلوا عن نصب الخيم ورفعها • وشغلوا عن
أصل الحياة وفرعها • وترجوا خيراً فترجلوا عن الخيل • ونجلدوا ونجلدوا فجرفهم
السيف جرف السيل • وأحاط بهم السكرا احاطة النار بأهلها • ولجأوا الى حزم الارض
فبلغ حزامهم الطييين من سهلها • وأسر الشيطان وجنوده • وملك الملك وكنوده •
وجلس السلطان لمرض أكبر الاسارى • وهم يتهادون في القيد تهادى السكارى •
فقدم بدائه مقدم الدوايه • ومعه عدة كثيرة منهم ومن الاسبتارية • واحضر الملك كى
وأخوه جفرى • وأوك صاحب جليل وهنفرى • والابرئ ارناط صاحب الكرك •
وهو أول من وقع في الشرك • وكان السلطان نذر دمه • وقال لا عجلان عند وجدانه
عدمه • فلما حضر بين يديه أجلسه الى جنب الملك والملك يجنبه • وقرعه على صدره
وذكره بذنبه • وقال له كم تحلف وتحنن • وتمهد وتنك • وتسبم الميثاق وتسقض •
وتقبل على الوقاق • ثم تعرض • فقال الترجان عنه ان يقول قد جرت بذلك عادة
الملوك • وما سلك غير السنن المملوك • وكان الملك يلهث ظمياً • ويميل من سكرة
الرعب منتشياً • فألسه السلطان وحاوره • وقتنا سورة الرجل الذى ساوره • وسكن

رعبه * وأمن قلبه * وأتي بحله مشلوج أزال له * وأزاح من العطش ما كرهه *
 وناوله الابرئس ليخمد أيضاً لهبه * فأخذه من يده وشربه * فقال السلطان للملك لم
 تأخذ مني في سقيه أذنأ * فلا يوجب ذلك له مني أمناً * فمركب وخلاهما * وبنار الوهل
 اصلاهما * ولم ينزل الى ان ضرب سرادقه * وركرت أعلامه ويارقه * وعادت عن
 الحومة الى الحمي فيلقه * فلما دخل سرادقه * استحضر الابرئس فقام اليه وتلقاه
 بالسيف فخل عاتقه * وحين صرع * أمر برأسه فقطع * وجر برجله قدام الملك حين
 أخرج * فارتاع وانزعج * فمرف السلطان انه خامره الفزع . وساوره الملح وسامره
 الجزع * فاستدفاه واستدناه وأمنه وطمنه * ومكنه من قربه وسكنه * وقال له ذاك
 زداة أودته * وغدرته كما تراه غادرته . وقد هلك بغيته وبغيه * وبنازند حياته
 ووردها عن وريه ووريه * وصحت هذه الكسرة وتمت هذه الثمرة يوم السبت وضربت
 ذلة أهل الببت على أهل الاحد * وكانوا اسودا فعادوا من التقذ * فبأفلت من
 تلك الآلاف الا آحاد * وما نجمان أولئك الاعداء الأعداد * وامتلأ المال بالأسرى
 والقتلى * وانجلى الغبار عنهم بالنصر الذي نجلى * وقيدت الاسارى في الجبال واجبة
 القلوب * وفرشت القتلى في الوهاد والجبال واجبة الجنوب * وحطت حطين تلك الجيف
 عن متنها * وطاب نشر الثمر بئتها * وعبرت بها فلقبت أشلاء المشوليين في الملتقى
 . لقاء * بالعراء عراء * ممزقة بالمسازق * مفصلة للمفاصل مفرقة المرافق * مفلقة
 المفارق * محذوفة الرقاب * مقصوفة الاصلاب * مقطعة الهام * موزعة الاقدام *
 مجدوعة الآناف * منزوعة الاطراف * معضاة الاعضاء * مجزأة الاجزاء * مفقوعة
 العيون * مبعوجة البطون * مخضوبة الضفائر * معضوبة المرائر * مبرية البنان * مفرية
 اللبان * مقصومة الاضالع * مقصومة الاشاجع * مرضوضة الصدور * مقضوضة
 التحور * منصفة الاجساد * مقصفة الاعضاء * مقلصة الشفاء * مخلصة الجباه * قانية
 الدواب * دامية الترائب * مشكوكة الاضلع * مفكوكة الاذرع * مكسورة العظام *
 محسورة اللثام * بأداة الوجوه * بادية المكروه * مبشورة الابشار * معشورة الاعشار *
 منشورة الشعور * مقشورة الظهور * مهدومة البنيان * مهتومة الاسنان * مهركة الدماء *
 مرهقة الدماء * هاوية الذرى * واهية العرى * سائلة الاحداق * مائلة الاعناق *
 مقتوة الافلاذ * مبنوة الاخفاذ * مشدوخة الهامات * مسلوخة اللبسات * عديمة

الارواح . هشيعة الاشباح * كلاحجار بين الاحجار * عبرة لاولي الابصار * وصارت تلك المعركة بالدماء أدماء * وعادت القبرة حراء وجرت انهباء الدم المنهر * وسفر بتلك الحباث المظلمة وجه الدين المطهر . فما اطيب ففحات الظفر من ذلك الحبث * وما الهب عذابات العذاب في تلك الحبث * وما احسن عمارات القلوب بفتح ذلك الشعث * وما اجزأ صلوات البشار بوقوع ذلك الحدث * هذا حساب من قتل فقد محصرت السنة الائم عن حصره وعده * وأما من اسر فلم تكف اطناب الحزم لقبده وشده * ولقد رأيت في جبل واحد ثلاثين وأربعين يقومهم فارس * وفي بقعة واحدة مائة ومائتين يحميم حارس * وهناك العتاة عشاء * والمعدة حراء * وذوو الإبرة أسرى واولوا الأثرة عثري * والقوامص قناص * والفوارس فرائس وغوالي الأرواح رخائص * ووجوه الداوية الداوية عيابس * والرؤوس تحت الاخابص * ومطالع الاجسام ذوات المقاطع والخلائص فكم أصهد صيد * وقائد قيد وقيد * ومشرك مكشر وكافر مفكر * ومثلث منصف * ومكيف مكثف * وجارح مجروح * وقارح مقروح * وملك مملوك وهاتك مهتوك * ومتبر مبتور * ومحسر محسور * وكاب في الكبول * ومقتال في الغلول * وحر في الرق * ومبطل في يد الحق *

﴿ ذكر الصليب الاعظم والاستيلاء عليه يوم المصاف ﴾

ولم يؤسر الملك حتى أخذ صليب الصليوت * وأهلك دونه أهل الطاغوت * وهو الذي إذا نصب وأقيم ورفع * سجد له كل نصراني وركع * وهم يزعمون انه من الحشبة التي يزعمون انه صلب عليها معبودهم . فهو معبودهم ومسجودهم . وقد غلقوه بالذهب الاحمر * وكللوه بالدر والجوهر . واعدوه ليوم الروح المشهود . ولموسم عيدهم الموعود فاذا أخرجه القسوس . وحلته الرؤوس . تبادروا اليه . وانثالوا عليه ولايسع لاحدهم عنه التخلف ولايسوغ للمتخلف عن اتباعه في نفسه التصرف . واخذة أعظم عندهم من اسر الملك وهو أشد مصاب لهم في ذلك المترك فان الصليب السليب ماله عوض . ولا لهم في سواه غرض . والتأله له عليهم مفترض . فهو الههم وتعز له جباههم . وآسبح له فواهم . يتفashion عند احضاره . ويتماشون لابعاره . ويتلاشون لآظهاره . ويتفاضون اذا شاهدوه . ويتواجدون اذا وجدوه . ويبذلون دونه المهج . ويطلبون به الفرج

بل صاغوا على مثاله صاباً تايميدونها • ويخشمون لها في بيوتهم ويشهدونها • فلما أخذ هذا الصليب الأعظم عظم مصابهم • ووهت أصلاهم • وكان الجمع المكسور عظيماً • والموقف التصور كريماً • فكانهم لما عرفوا اخراج هذا الصليب • لم يتخلف أحد من يومهم المصيب • فهلكوا قتلاً واسراً • وملكوا قهراً وقسراً • ونزل السلطان على صحراء طبرية كالاسد المصحر • والقمر المبدر •

﴿ ذكر فتح حصن طبرية ﴾

ونذب الي حصنها من تسلمه أماناً • واسكنه بعد الكفر إيماناً • وكانت الست صاحبة طبرية قد حتمت • ونقلت اليه كل مملكته وحوته • فأمنها على أصحابها وأموالها • وخرجت بنسائها ورجالها ورحالها • وسارت الي طرابلس بلد زوجها القومص بما لها وحالها • وفادت طبرية أهلة آمنة باهل الايمان • وعين لولايتها صارم الدين قايمز النجمي وهو من الاكابر الاعيان • هذا والملك الناصر نازل ظاهر طبرية • وقد طب البرية وعسكره طبق البرية •

﴿ ذكر ما اعتدته في الاسارى الداوية والاستبارية من ضرب رقابهم ﴾

واعطاء بشر الوجوه باعطائهم ﴿

فلما اصبح يوم الاثنين سابع عشر ربيع الآخر بعد الفتح بيومين • طلب الاسارى من الداوية والاستبارية وقال انا اطهر الارض من الجنسين التجسين • وجعل لكل من يحضر منهما اسيراً خمسين • فاحضر العسكر في الحال مئين • وأمر بضرب اغناقهم • واختار قتلهم على استرقاقهم • وكان عنده جماعة من اهل العلم والتصوف • وعدة من ذوي التعفف والتعفف • فسأل كل واحد في قتل واحد • وسل سيفه • وحسر عن ساعده • والسلطان جالس • ووجهه باشر والكفر طابس • والمساكر صفوف • والامراء في السباطين وقوف • فقام من فري وبرى وشكر • ومنهم من أبى ونبا وعذر • ومنهم من يضحك منه • وينوب سواء عنه • وشاهدت هناك المتحجوك القتال • ورأيت منه القوال للفعال • فكم وعد انجزه • وحمد احرزه • وأجر استدامه بدم اجراء وبر أعنى اليه يعنى براه • ونسل خضبه • لنصر خطبه • وأسل اعتقاله • لاسد عقله • وداء داواه • لداوى أدواه • وقوة أهداها لمداة قواها • ولواء نشره للواء طواها • وكفر أماته لاسلام احياء • وشرك هدمه لتوحيد بناء • وعزيمة مضاهها • لامة ارضاها • وعدو قصمه • لولى عصمه • وسير

ملك الفرنج وأخاه وهنرى وصاحب جيل ومقدم الداوية وجميع اكابرهم المأسورين
الى دمشق ليودعوا السجن وتستبدل حركاتهم السكون . وتفرقت المساكن بما حوته
أيديهم من السيى ايدى سبا . وخد جرجع الكفر وخبا

﴿ ذكر فتح عكا ﴾

ورحل السلطان ظهر يوم الثلاثاء ظاهرا على اهل التلث مسديلا للطيب مزينا
للخشب . وسار عسكره . وثار عثيره . وظهرت راياته . وهرت آياته . ولعنت كوساته .
وصاحت بوقاته . وجالت خيوله . وسالت سيوله . وطلعت في سماع المعجاج نجوم خرصانه
وقلمت قلائع تلك الحبال جبال فرسانه . وحفرت حوافر الصلادم اصلااب الضلاد
الصلاب . وفصحت باعراب الحاحم صواهل الحياذ العراب . والاسنة مشرعه . والاعنة
مسرعه . ومحور السوايح متموجه . وغدران السوايح مترججه . ويوارق اليارق
متبوجه . وأوضاع الجرد وغررها كاوضاع التصروغرره متبلجه . ونزل عشية بأرض
نوبية لداعي الفتح مليا . ولحيش النصر معيا . ولمولود الملك العقيم بتلقيح الحرب العوان
حربيا . وبات بها معرسا بانبا على صروس الظفر البكر . جانباً غمار الاماني من غروس
اليض والسم . وأصبح وقد أحجب جراح الدهر . وصح مجاح الامر . وحص جناح
الكفر . واسفر فجر الفرج . وسفر وجه البهج . وسار ساراً سره . بارا بأرباب الدين
بره . زائرة أسوده . طائرة بنوده . ظاهرة جنوده . زاهرة جدوده . سامية أضواؤه .
هامية أنواؤه . رائحة مواكبه . رائقة مرابكه . مجنبة عتاقه . مذربة رفاقه . وكان أمير
المدينة النبوية صلوات الله على ساكنها في موكبه . فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
سير للفقير الي نصرته من يثرى به . من يثر به . وهذا الامير عز الدين أبو فليحة القاسم بن
المهفي الحسيني قد وفد في تلك السنة او ان عود الحاج . وهو ذو شبة قد كلسراج .
وما برح مع الملك الناصر . ماثور المآثر . ميمون الصحبة . مأمون الحجة . مبارك الطلبة .
مشاركا في الوقعة . فقام فتح في تلك السنين الا بحضوره . ولا أشرق مطلع من النصر
الابنوره . فرأيت ذلك اليوم لسلطان مسيرا . ورأيت السلطان له مشاورا ومحاورا . وأنا
أسير معهم . وقد دنوت منهما ليسمعاني وأسمعهما . ولاحت أعلام عكا . وكان ييارق
الفرنج المركوزة عليها ألسنة من الخوف تشكي . وكان عذبات الثيران تصاعدت لاذاب

أهلها • وقد توافرت عساكر الاسلام اليها من وعمرها وسهلها • فلما قرب منها خيم
وراء تالها • وأذنت عروش معاشر الشرك بثلها • وعقود معاقدي الكفر بجلها • وأصبح
يوم الخميس وركب في خمسه • ووقف كالاسد في عريسه • فخرج أهل البلد يطلبون
الامان • ويبذلون الاذعان • فامتهم وخيرهم بين المقام والاستقال • ووهب لهم عصمة
الانفس والاموال • وكان في ظنهم انه يستريح دماءهم • ويسبي ذريتهم ونساءهم •
وأمهلهم أياما حتى يشغل من يختار النقلة • واغتموا تلك المهلة • وفتح الباب للخاصه •
واستغنى بالدخول الى البلد جماعة من ذوى الخصاصه • فان القوم ماصدقوا من الخوف
الزعيج • والفرج المخرج • كيف يتركون دورهم بما فيها ويسلمون • وعندهم
انهم اذا نجوا بأنفسهم انهم يغمون • فترك معظمهم المدينة • وعندهم انه ما كسب السكنه
• الا من ركب السفينه • وذلك ان الجند لما دخلوها • استولوا على الدور وتزلوها •
وركز كل منهم يرقه على دار • وقال صاحبها كيف يصح المقام مع الاسد في غابة ولا
مقام على زار • وكان السلطان جميل للفقير عيسى الهكاري كل ما يتعلق بالادوية من
منازل وضياع • ومواضع ورباع • فأخذها بما فيها من غلال ومتاع • ووهب عكاه
لولده الملك الافضل • فأجراها من نظره على الاحسن الاجل • ودخلها يوم الجمعة
مسهل جمادى الاولى فاقناها الجمعه • ووصلنا فريضتها المتقطعه • وأعدنا الكنيسة
العظمى مسجدا جامعا • وعاد نور الهدى الخافي بالضلالة لامعا وحضر القاضي الاجل
الفاضل فامر بترتيب القبلة والنبر • وتبسم بيمانه للاسلام بعد الاظلام سفي الصبح المسفر •
وخطب جمال الدين عبد اللطيف بن الشيخ أبي النجيب السهروردي فانه تولى بها
القضاء والخطابه • ولأنا بعد الذئاب سادات تلك الغابه • وخلي سكان البلد دورهم •
ومخزونهم ومذخورهم • وتركوها لمن أخذها • ونبذوا ما حووه لمن حواها وما نبذها •
واقتر من الفرج أغنياء • واستغنى من أجنادنا فقراء • ولودخرت تلك الحواصل وحصصت
تلك الذخائر • وجمع ليت المال ذلك المال المجموع الوافر • لكان عدة ليوم الشدايد •
وعنده لنجح المقاصد • فرمت في خضرائها بل صفرائها وبيضائها سروح الاطماع • وطال
لمستجلبها ومستحلبها الامتاع بذلك المتاع • وأقام السلطان بباب عكاه على التل فخما • وعلى
فتح سائر بلاد الساحل مصمما • ولملكها متمما • وكان قد كتب الى أخيه الملك العادل
سيف الدين أبي بكر وهو بمصر • بما أتاحه الله من النصر • وقيضه له من اقتضاض الفتح

البكر • فوصلت البشرى بوصوله بأشراً • وللاواء الحمد بأشراً • ولاستفتاح ما في طريقه من الحصون مباشرة • وأنه فتح حصن مجدل بإيا ومدينة يافا عنوه • واغتمها غزوة • وتسلمها حظوه • فقصده من عساکرنا القصاد • ووفد اليه من عندنا الرقاد • فبأهم الجباء من السبايا • وآتاهم المرباع والصفایا • وخصهم من الحاصل بالثقود ووعدهم مما سيحصل بالنسایا • وشرع يستضيف حصناً لخصنا • ويستفيض حصني وحسنا • ويستزید بلدًا • ويستزیر مدداً • ويستزیر من الکفر يداً • ويستميل الى الهدي هدى • والدين بسيف سيفه منصور والاسلام بنصر نصره • مسرور • والملك العادل مالك بملده • سالک نهج التهج بفضلہ • فأنز العزمه • حاز الغنيمه • ماضى الضريبه • قاضي الكتبيه • ميمون النقيبه • مامول الرغبه

﴿ذكر فتح عدة من البلاد﴾

وأقام السلطان بمخيمه • ظافراً بمخيمه ظاهراً بكرمه • شاكراً صرام صرامه • ملهبا ضرام مخيمه • مرويا أوام لهذمه • وأمر أمراءه بقصد البلاد المجاوره • وأمدهم بالضرارم المراوغه المفاور

﴿فتح الناصرة وصفورية﴾

فسار مظفر الدين كوكبوري الى الناصرة فاستباح حماها • واستبي دماها • وحلها واستحلها • وأزالها وأزلها • وحف البها واستخفها • واستشفها وشفها • وشافها بشفار البوار • فشفه منها موارد الدخار • واجتلى عرائسها • واجتبي مفارسها • وجمع نفائسها ونزع ملايسها • واستدرطيسها • واسترد سبيها • واستقل منها بما استقله من كل غانية عاتية ورقية رقيقة ومصابة مصبيه • ومسبية مصبيه • ومجلوة مجلوبة • وسالبة مسالوبة • ودمية دامية • وجارية لطيفة بالغنف جارية • وأسيرة من أسره • وحامرة عن حصره • وناكلة لواحدها • وآكلة لساعدها • وعاضة على يديها • وفاضة ختم الدمع على خنثيا • وناهدة منتهدة • وفريدة منفردة • وناعمة شقية • وقينة نقيه • وعذراء مقترعة • وحسنة منترعة • ومخططة مختطفة • وقوية مستضعفة • وعززة ذليلة • ومحجحة عليلة • وساحية عبرى • وصاحبة سكرى • وغريرة غراء • وظلية ظلياء • وغضبية غضة • وفضة منفضة • وخارة مخجورة • وسحارة مسحورة • ومخدرة مهتوكة وموقرة منهوكة • وجاؤا بالأسارى بين يديه مقرنين في الاصفا • مقودين في الاقياد • مسوقين الى السوق • والحديد منهم في الاعناق والسوق

وصفرت صفرية من سكانها فلم يوجد بها صافر • وكان بها من الذخائر مبلغ وافر •

﴿ فتح قيسارية ﴾

وتوجه بدر الدين طردم وغرس الدين قليج وجماعة من الامراء الى قيسارية فالتحقوها بالسيف • وسلطوا على الانفس والنفائس بها حاكماً الخنف والحيف • وسبوا • وحبوا • وسلبوا • وجلبوا • وجالوا • ونالوا • ووقدوا • وأخذوا • وختوا واورتوا • وربطوا • وضبطوا واستفادوا • واستقادوا • وفرسوا الفوارس • وكنسوا الكنائس • واستبوا الابكار المرانس • والعمون الموانس • وتسلمت بمدنها حيفا وارسوف • واستولى على تلك الشموس والاقار الكسوف والخسوف •

﴿ فتح نابلس ﴾

وسار حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين على سمت نابلس حاسماً بحسامه داء الشرك • مائلاً بسهام الفتك جماب الترك • تالياً آى الفتح • جالياً رأى النجاح • ووصل الى سمسطية فتسلمها • وتمجّل مضمها • ووجدته شهدز كريا عليه السلام قد اتخذ هذه القسوس كنيسة • وأعادوها بالصور والآلات النفيسة أنيسه • فاستخرج المصونات والمصوغات • واستوعب العدد والآلات • وأعاده • شهداً • وردّه مسجداً • ووضع فيه من بره بالاسلام منبراً • وأصبح الدين به ثريا والكفر مقترأ • ثم أناخ على نابلس وناب حده غير ناب • وطرف جده غير كاب • وحد بأسه طرير • وناظر الدولة به قرير • وكان من قبل سلب ساكنوها من الفرنج والنصارى السكون • وأيقنوا أنهم أن أقاموا إلا بأمنون المنون • فان المسلمين بها وباعمالها نهضوا اليهم في مواطنهم • فأجفلوا من مساكنهم • وانتقلوا من أماكنهم • وخلوا دورهم وأخلوها • وتسللوا منها وسلوها • ونحول الاقوياء الى قلعتها • وعحصنوا بتلعتها • ونازلها حسام الدين وحاصرها • وطال عليه حصرها وصايرها • ولم يزل عليها مقبياً • ولقتالها مديماً • الى أن تقوا بأمانه • وعلقوا بأحسانه • وسلموا وسلموا • واستأنوا وأمنوا • وخلصت له نابلس وأعمالها • وحلّت به أحوالها • ولكون معظم أهلها وجميع سكان نواحيها مسلمين • لم يسع الفرنج المتحصنين عند مضائقهم إلا أن يكونوا لحصنهم مسلمين • فاجمعى بالسعود رسم الخسوس • ونزعنا عنها لبوس البوس • واستبشرت وجوه أهلها بمد البوس • وقام جيه الاذان

﴿ فتح القولة وغيرها ﴾

وكانت القولة أحسن قلعة وأحصنها . وأملأها بالرجال والعمد وأذبحها . وهي للداوية حصن حصين . وكان مكين وركن ركين . ولهم بها منبع منيع . ومرجع مرير ومسند مشيد . ومهاد مهيد . وفيها مشاهم وهصيفهم . ومقراهم وهصيفهم . ومرابط خيولهم . ومجر ذبولهم . ومجرى سيولهم . ومجمع اخواتهم . ومشرع شيطانهم . ووضع صلبانهم . ومورد جثثهم . وموقد جرثوم . فلما اتفق يوم المصاف خرجوا بأجمعهم الى مصرعهم . واتقن بأن الكدر لا يمكن من صفو مشرعهم . فلما كسروا وأسروا وخسروا وتحسروا . خلت طول القولة . بمحدود أهلها المقلولة . ودماء داويتها المقلولة . ولم يجتمع شمل غمودها بالسيف المسالولة . ولم يبق بها إلا رعايا رعا . وغلمان وأتباع . واشياع شماع . فعدموا امكان حماية المكان . ووجدوا أمنهم في الاستئمان . فسلموا الحصن بما فيه الى السلطان * وكانت فيه أخاير الذخائر * ونفائس الاعلاق . فوثقوا بما أحكموه من الميثاق . وخرجوا ناجين . ودخلوا في الزمام لاجين . وللسلامة راجين . وكسمل جميع ما كان في تلك الناحية من البلاد مثل دبورية وجنين وزرعين والطور والدجون . ويسان والقيصون . وجميع ما للطبرية وعكا من الولايات . والزيب ومعليا والبغلة واسكندرونة ومنوات .

﴿ فتح تبين ﴾

ولما خلصت تلك الممالك والاعمال . وقاصت من الضلال تلك الظلال . وصفت الممالك * ووقت المدارك * وأعرض السلطان الى ابن أخيه الملك المظفر عمر بن شاهنشاه تقي الدين بقصد حصن تبين * وان يتوكل على الله فيه ويستعين * فالقي عليه جران باس * ولقي بالتذليل حران ناسه * وأخذ في مضايقته بأنفاسه * ولمح مالمع من قبس فتحه فشعب باقتباسه * وسنحله قصة فاشرب باقتناسه واقتراسه * وكتب الى السلطان يبعثه على الوصول اليه بمسكروه * والهوض نحوه بأبيضه وأسمره * فضر بالكوس * وسمت النفوس * وأنارت في ظلام القتام من الترك والترائك الاقار والشموس * واشتعلت من شيب اليارق في شماع تلك البوارق الرؤوس * وتحرك السواد كهيل النقا * واشتبك على الآساد غيل القتاء * وسالت

الودية بالسباحات العتيق * وطالت على السير أعتاق الاعناق * ومالت الى الرقاب الفلاظ من
 أهل الكفر رقاب الرقاق * وجرت الفجاج * وتموجت الافواج * وتوجت الامواج * ومحركت
 غدران السوايح * من رياح النوايق * وتدركت ضوا من الضوا سر بالارقاد في أرداف الحق
 اللاحق وأسفر من يريق البيض والبيض فلق الفيالق * وترنمت الصواهل * وترنمت الذوايل
 وساح الساحل * وراح الراحل * ووصلنا الى تبين في ثلاث مراحل * فرمينا أهل
 التلث فيها بثلاثة الاثافي * وأوطانهم بشفاء الشفار على حدود الاشافي * ونزلنا عليها
 بالوازل * وبسطنا من المجانيق عليها أيدي الفوائل * قبلدوا من الرعب * وتجلسدوا
 على الحرب * ثم خاروا وحاروا * وجأروا وجاروا * ورغبوا ورهبوا * ومحووا من
 سكر الجلاح واصحبوا * وعجزوا فجزعوا * وفزهم الحصر وفزعوا * وشكوا الندوب
 ونذبوا فدانوا ودنوا * وأذعنوا اذعنوا * واعتذروا عما جنوا * وراسلوا السلطان *
 وسألوا الامان * واستمهلوا خمسة أيام لينزلوا بأموالهم فامهلوا * وبذلوا رهائن من
 مقدمهم ووفوا بما بذلوا * واقطع من بالقلمة عن الجهلة * وتعلق لبث الملق بالمهلة *
 وقرنوا باطسلاق الاسارى المسلمين * وترقبوا انقضاء المهلة لسلامة المسلمين * فخرج
 المأسورون مسرورين * واصبح الصبح المكسورون مجبورين * محبورين بالفرج بعد
 الشدة محبورين * وسر بهم السلطان وسر بهم * وأقرهم وقربهم * وكساهم وحباهم *
 وآتاهم بعد ردمهم الى مغائبهم غناهم * وهذا دأبه في كل بلد يفتحها وملك يربحها * انه
 يبدأ بالاسارى فيفك قيودها * ويميد بعد عدمها وجودها * ويحيي بعد اليأس آمالها *
 ويوسع أرزاقها بعد ما أجال عليها ضيق الاسر آجالها * نخاف تلك السنة من الاسر أكثر
 من عشرين ألف أسير للقيود ألف * ووقع في أسرنا من الكفار مائة ألف * ولما خلوا
 القلعة * واخلاوا البقعة * سيرهم ومعهم من العسكر المنصور * من أوصلهم الى صور *
 ورتب في الموضع مملوكه سنقر الدوى * فأرشد به ذلك الصقع القوى * فان أعمال
 جبل عاملة مجبولة على الشر * وأهلها وان كانوا مسلمين كانوا أعوانا لاهل الكفر *
 فوصى سنقر بتأنيس النافر * وتمكيس الكافر * وتأليف الجافل * وتعريف الجاهل *
 وقال له تبني تبنيين ماهدم بالتمضييق * ونجد لسورها وخذقها كل ما يمكن من التوسيق
 والتعميق * ورحل ومعه رفيق التوفيق * وكان النزول على تبين يوم الاحد حادى عشر
 جمادى الاولى وتسلمها يوم الاحد الثامن عشر منه .

﴿ فتح صيداء ﴾

يوم الاربعاء الحادى والعشرين من جمادى الاولى يوم النزول عليها
وسنحت له صيداء قصدى لصيدها • وكانت مهمته في قيدها • وبادرها اشفاقاً من
مكر العداة وكيدها • وسرناوسرنا مرناح • ونصرنا متاح • والجد جديده والمزاح مزاح
والعزم جزى • والحكم حتم • ونفحات الفتوح لمناشق أهل الهدى تفوح • ونفحات
الردى لأعين العدى تلوح • ونص النصير قد تنزل • وقصد الصدق قد تعدل • وفكر
الكفر قد توزع • وشرك الشريك قد تقطع وتقلع • وظل الظفر ضاف • وسر السرور
غير خاف • والقدر عون والمعين قادر • والظفر سعيد والسعد ناظر • وأوجهنا وأوجه
البشائر بأشهر • ونيوب التوائب في أوجه المشركين كاشره • والالسن لحديث الفتح
الحديث بأشهر • وقد جفت أحفانها البوائر الوائره • وجلت دياجير التقع من لمعان
الحديد السواقر الوافره • وأصلت للملاك من الملائك أمداد النصرة المتواتره •
ووصلنا في يومين الى صيداء الى منهل فتحها صادين • وعن حمى الحق دونها لاهل الباطل
صادين • ولما نزلنا من الوعر الى السهل سهل ما نوعر • وصفا من الامر ما ظن أنه
تكدر • فصرفنا الاعنة الى صرفند • وأسعنا في مسارحها الجند • وهي مدينة لطيفة
على الساحل • مورودة المناهل • ذات بساتين • وأزهار ورياحين • وأشجار النارج
والأترنج • نمرب مسراتها لجنتها عن أشجان الفرج فجبنا خلاها • وكل قلب مشغول
خلاها • وراقنا وشاقتنا تلك الحلة والحليه • وقرتنا بما اشتبهنا من فواكهها تلك
القرية • ولم نرجع عليها حتى خيمنا على صيداء وقد حصلنا على صيدها • وخلصنا من
كيدها • وانطلقت هممنا من قيدها • فقد جاءت رسل صاحبها بمفاتيحها • واذهبنا
ظلماتها من العزائم الفرب بمفاتيحها • وطلعت الراية الصفراء باليد البيضاء على سورها •
وجللت غياها تلك المذاهب بنورها • وقطعت أبوابها • وأنبجت آرابها • وعن
مسلموها • وذلل مشركوها • وسكن ساكنوها • وهلك أهلوها • وعادت معالمها
مأهولة • بعد ان كانت مقفرة مجهولة • وصدح منبرها • وصدق مفخرها • وريح
متجرها • ووضح منظرها • وأقيمت بها الجملة والجماعه • واستديعت بها إمد العصيان
لله الطاعة •

﴿فتح بيروت﴾

وكان النزول عليها يوم الخميس ثاني عشرى جمادى الاولى وتسلمها يوم
الخميس التاسع والعشرين منه

ولما فرغ من شغل صيداء وتبين - وجمع لهما التحصين والتحصين - قال لمصممة
الله شيدى ما بصيداء وتبين تبين - والحفيهما رداء الحباية فما يضيع ما تحفظين ولا يطرقة
ماتحمين - ثم صرف عنه - وارهدف سنامه - وورحل على سمت بيروت - مالتاً بمسكرو
الآكام والمروت - وسار على الساحل - بتلك الحجاقل - يجر على البحر مانج - ويجر بحر
الى الهياج هائج - وقد من عقد الجدد رائج - وعزم على صدق القصد عائج - ووصل اليها
ونزل عليها - وبنت القباب - وطفا على خضم المسكر من الحبح الحباب - وزحف الى
الاعداء الاحباب - وضويق البلد - وفورق الجبل - وأحاط الرجال بأرجائه - ورجعت
بشهب النصال شياطين الضلال في سباه - وانقضت - نجوم السهام من ابراجه - وتلاطم
عباب ذلك الجمع الجلم بأمواج أفواجه - وترجل دونه الناس - وتعجل نحوه الباس
- واسطفت الزاس - واشتد المراس - واحتد القتال - واحتدم النزال - وامتد
المصاع والمصال - واتصل خروج الجروح للجروح - ودام احتراق الروح على
اقتراح القروح - ومدت الجفاتي - كأنها أعناق البخافي - وأقي العاتي وعنا
الآتي - وأحمد النصر للمواقي للمواقي - ودارت كؤس المنايا للارواح بخذى وهاتي
- وطارت القوارير - وتارت المساعير - واشتعل النفط - واشتعل الرهط - والنهم
الزراق والتهب الحراق - ومرق الشهم الكمي - مروق السهم من الرمي - وأقي
الوادى فعلم على القرى - ودبت الديابة بليوث الرجال - وصيت الصباية غيوث التبال -
وارتمزت رواعد الابطال - واتجزت مواعد الآجال - وجالت في الضمائر ضوامر
الاولال - وهالت بالنوازل نوازي الاهوال - ورعدت بنوارق البوار - وأسعدت الاقدار -
بالاقدار - وشتت الرقاب - قواضى القواضب - وحملت العدد التواكب على المتساكب -
وخفت للانتقال اكتاف القتاك - وهتكت ستار السور فوهت أشراك الاشراك - ودام
القتال أياماً - يتضاعف اصطلاء واصطلاماً - ويتظاهر اضطرابا واضطراباً - وينات
الحنايا هائج - وأمات المنايا تأججه - ورجعت بشهب التفاطات شياطين الداوية المردة -

وتعادت الاسود العادية . على أولئك القردة . حتى خرق الخندق وطرق . وعلق
التقاب بالسور فقب وعلق . وكاد الثقب يتسع . والبرج يقع . والجدار ينقض .
والحجار بالحجار تنفض وترفض . وسوار السور ينكسر . وقاع النقع لا يخسر .
خرج من البلد رجال . الى الموت محمل . وقفوا دون الباشورة مباشرين . ولما شر
أحبابنا بمطاطة كؤوس المتون معاشرين . فسلاموا بسلام السلام . وكلام الكلام .
وتصافحوا بالصفايح . ونجأوا بالجراح . وتواصلوا بالقواطع . وتماقوا بالمقامع .
وتصارعوا على المصارع . ومجلدوا ومجلدوا . وتواقفوا وتماقروا وتقارعوا .
والبيض يقد . والبيض تقد . والباسل يرد . والباسل يرد . والصقيل الصادي يصدأ
بالدم ويروي . وحزب الكفر يضعف وحزب الاسلام يقوى . ثم انحصروا في البلد .
وانحسروا على اللدد . وضاقهم الرعب . وضاق بهم الرعب . وذلوا وخاروا . وضلوا
وحاروا . ولما خام المقاتلة وخذلوا . ظن أهل بيروت إن المسلمين دخلوا . فاجنلوا
الى البحر اذ عدموا سكينتهم . ابركوا سفينتهم . ويخلوا مدينتهم . فخرج أحد المقدمين
يستدعي الامان . ويستمدى الایمان . ويطلب مثالا يصممهم . وذماما يحرمهم . وعهداً
يسلمون به ويسلمهم . وعقداً في عقد الامن ينظمهم . وكنت يومئذ في مرض قد
ازعجني واعجزني . ومضض اخفائي ولبيون المواد ابرزني . وانقطعت عن الحضور عند
السلطان . وضعفت عن تحرير كتاب الابان . فطلب السلطان كل كاتب في ذبوانه . وكل
من يمسك قلماً من افاضل الملك وأعيانه . فلم ير ضه ما كتبوه . ولم يكفه ما كتبوه فجاءني
في تلك الحالة من استملاء . في مرضت اذهان الاصحاء ولم يمرض ذهني . فسلم بيروت
بخطي وأصبحوا وأنا الآخذ والممطي . وكان الناس قد أنسوا بما أسطره وأزبره .
وأنسوا سوى ما ذكره واحبره . وألفوا الصحة فيه فالفوه . ولقوا السقم في غيره
فأنفوه . فلم يكن في ذلك التوقيع تعويق . بل كله بتوفيق من الله توثيق . فافتح
فتح الاقتاح . ولا رتق فتق الا باصلاحه . ولا جلي ظلام الا باصباحه . ولا وري
زند الا باقتداحه . وكانت يومئذ جرة الحر متوجهه . ووقدة القبط متأججه . وضم
مرضى ملتهباً . وروح روجي منهباً . وبقيت مضطرامضطرباً . ولقيت من ذلك الوصب
نصباً . وحصلت من الاقامة أو السفر . على الخطر أو الحذر . وتعدت المقام لعذر السقام .
واشتغلت عن آلاء شغلي بالآلام . وحلني اختلالني بنصي . على إخلالي بنصي . وعزبت

عليّ مفارقة السلطان . وهو باعزازي على مواصلة الاحسان . قضيت على مريض .
وانصرفت بمضرة ومريض . وحملت الى دمشق في محفة . وحصلت بفضل الله من طيب
هوائها بعد الثقل بمحفة . ففضل الله بالشفاء . وبذل الكدر بالشفاء . وعدت الى السلطان
يوم فتح القدس . وانتهت الرحلة الى الانس . وتسلم السلطان بيروت يوم الخميس
التاسع والعشرين من جمادى الاولى مطع الامر . مشاع النصر . مداع السر في نضوع
النشر وتوضيح البشر . مستفيض السياده . مستضيف الزيادة . ناجح الارادة . راجح
المبادء . راجح المتجر . واضح المفخر . قد شب غرب الهندي . وجب غارب العدي .
واستجدي من من الله منجاً . واستجد باستقناحه فتحاً . واستفاد ملكاً . واستزاد
ملكاً . وبر بيروت اذ برت . وانبرى لبري قوسها فأبرت . وقرر مصالحها ومناجحها
فاستقرت . وحفلت له أخلاف الفتوحات فدرت . واستمري صوب الصواب من عزائم
وصرائه فاستمرت

﴿ فتح جبيل ﴾

يوم الثلاثاء سابع عشرين جمادى الاولى

ووصل كتاب الصفي ابن القابض . وهو يومئذ قد فوضت منه دمشق الى الكافي
الناض . يتضمن ان أولك صاحب جبيل أمر اليه في أسره . واستشاره في أمره . وقال
له ان تقع في تسليم جبيل سلمت وسلمت . وأبجتها لكم ونحرت . وأخرجتها من عصمتي
وخربت واعتصمت . فأنا أطلقها ان أطاقت . وأزيلها من وثاقي اذا وثقت . فأجيب
باحترازه من كيد . واحضاره في قيد . فأحضر في صفده وسمع بيلده . فخلص ناجياً
وخلص راجياً . وملك مدينة جبيل . وجرت عليها الفتوح الذيل . ونحن يومئذ على
بيروت حاضرون حاضرون . ولاعداء الله مضاربون مكابرون . وكان معظم اهل صيدا
وبيروت وجبيل مسلمين . مساكن لما كنه الفرغ مستسلمين . فذافوا العزة بعد الذلة
وقافوا الكثرة بعد القلة . وصدقوا البشائر . وصدقوا المنابر . وترنمت الحاريب . وترنحت
الطاريب . وتليت الآيات . وجلت الغيايات . وخربت الكنائس . وعمرت المدارس .
وظهر عيب البيع . وشهر جمع الجمع . وقرئ القرآن . واستشاط الشيطان . ونطفت
الاعواد . وحقت الاعياد . وخرست النواقيس . وبطلت التواميس . ورفع المسلمون

رؤسهم * وصرفوا نفوسهم * وانتشوا من شكاة عثارهم * وانتقشوا من شوكة عارهم *
 وقروا في ديارهم * وقروا أبصارا بالنصارهم * وكان كل من استأمن من الكفار *
 غصى الى صور يحى الذمار * وصارت صور عث غشهم * ووكر مكرهم * وملجأ
 طريدهم * ومنعجا شريدهم * ومامن خاشيهم * ومكن حاشيهم * وهى التي فر القومص
 اليها يوم كسرهم * بل يوم حسرتهم *

﴿ ذكر هلاك القومص ودخول المركيس الى صور ﴾

ولما صرف القومص قرب السلطان منها اخلاها وخلصها * وآوى الى طرابلس
 ونواها * فما متع بما ملك * وكان بما قيل
 راح بيني نخوة من هلاك فهلاك

فا أنجاه الفرار من القضاء * وفر من البلاء الى بلاده فوقع في البلاء * وظن ان
 صور خلث * وان مجانها حلت * وان جاحها أذعن * وان كفاحها أمكن * وان
 فرصها اتمزت * وان حصنها أحرزت * وان قيادها أطاع * وان مرئادها استطاع *
 لكنها تموضت عن القومص بالمركيس * كما يتعوض عن الشيطان بابليل * فادرك ذماء
 الكفر بعد ما أشقى * وأيقظ روع الروح بعد ما أغفى * وضبط صور بمن فيها * من
 مهزومي الفرنج وبقيها * وكان المركيس من اكبر طواغيت الكفر وأغوى شياطينه *
 واضرى سراحينه * وأخبت ذنابه * وأنجس كلابه * وأهمش صلاله * وأخس ضلاله *
 وأغوى اعوانه * وأخون اخوانه * وأبني بقاته * وأجفى جفاته * وأرعى حانه * واحمى
 رطانه * وشر شراره * وانكر نكاره * وأخبر فجاره * وأروغ ثماله * وألسب عقاربته *
 وأحنت معاهديه * وانكث معاقديه * وهو الطاغية الداهية * الذي خلقت له ولا مثاله
 الهاوية * ولم يكن وصل الى بلاد الساحل قبل هذا المام * ولا خلف مقدمى الكفر
 غيره في الاقدام على خلاف الاسلام * واتفق وصوله الى مينا عكا وهو بفتحها جاهل *
 وعمن فيها من المسلمين ذاهل * فعزم على ارساء الشني بلينا * ثم تعجب وقال ما ترى
 أحدا من أهلها يلتقينا * ورأى زى الناس غسر الزى الذى يعرفه * فارتاب وارتاع
 وحدث عن الدخول توقفه * وبأن تندمه * وتأخر تقدمه * وسأل عن الحال فأخبر
 بها * ففكر في التجاة وكيف يتعلق بسببها * ثم وقف بالقرب * فابث على الرعب *

والهواء راكد * والتقاء عنه راقد * فانه لو خرج اليه مركب لأخذه * ولو وقف له
 قاصد لوقذه * فاحتمل كيف يخرج بسفينته * ولا يدخل مع فقد سكينته * وانتظر
 هبوب الريح الموافقة له فلم تهب * وما تم له الافلات على مأحب * فسأل عن البلد ومن
 اليه أمره * ومن بيده فعه وضره * فقيل هو الملاك الافضل * والملاك الاكل *
 فقال خذوا لي منه امانا حتى أدخل * وأرفع اليكم ما يمي من المتاع واقل * فجيء اليه
 بالامان * وقيل هذا بعلامة السلطان * فقال مائق الابطح يده * ولا تزل الا بمهمه
 الى بلده * فما زال يردد الرسل * ويدبر الحيل * حتى وافقته الريح فاقطع * واقلت من
 الشرك بعد ما وقع * وصار في صور * فزم الامور واجم الجمهور * وجراً الكفر بعد
 خوره * وبصر الشيطان بعد عماء وعوره * فاستعل بالخرى * واستولى بالني والني *
 وأرسل رسله الى الجزائر * وذوى الجرائر * يستعدي ويستدعي * ويستودع ملة
 الصليب عباده ويستععى * ويستير * ويستزير * ويستفر * ويستصر * وثبت في صور
 وتبت * وجمع اليه من الفرنج من تشنت * وما فتح بلد بالامان * الاسار أهله في حفظ
 السلطان * حتى يصيروا في صور * ويأمنوا المحدث * فاجتمع اليها أهل البلاد المفتوحة *
 بالقلوب المغفلة المفلتة * فامتلات وكانت خاليه * وانتشأت وكانت باليه * وتملأت
 وكانت معله * وتمقدت وكانت منحلّه * وتسددت وكانت محتلّه * ولم يحتفل بها فأخر
 فتحها * وما ظن بها الضن حتى علم شحها * فاستجدت رمة بالمهله * وتصعبت بعد
 مقادتها السهله * فقضى امها لها باها لها * وعادت عيونها الى الاغفاء باغفالها * وألهم عن
 طلبها طلب ما هو أشرف * والعزم بفتحها اشعب * وهو البيت المقدس * فان فتحه من
 كل فتح أنفس * والمركب في أثناء ذلك يحفر الخندق ويحكمه * ويمدق الموقفه ويرمه *
 ويجمع المفرق وينظمه * وسنذكر ما تجدد منه في أوقاته * وما فات من فرصة الامكان
 في دفع آفاته .

﴿ ذكر فتح عسقلان وغزة والداروم والمماقل التي يأتي ذكرها ﴾

وكان النزول على عسقلان يوم الاحد السادس عشر من جمادى الآخرة ولما فرغ
 السلطان من فتح بيروت وجبل * ثنى عنانه يجر ويمجى من المعسكر والعشير على السماء
 والارض الذيل والسيل * وعاد عابراً على صيدا وصرفد * وقد أورد فيهما باقتداح

اقتراحه الزند • وجاء الى صور ناظرا اليها وعارا عليها • غير مكثرت بأمرها • ولا
متحدث في حصرها • ولا متفقد في تمقدها • ولا متشد في توردها • وعلم أيضاً انها
ممتعة • وعن سوما مرتفعه • فعمل بالحزم • وعمد الى العزم • ودلته الفراسة على ان
محاولتها تصعب • ومزاولتها تنعب • وليس بالساحل بلد منها أحسن • فعتطف الاعنة
الى ماهو منها أهون • وكان قد استحضرت ملك الفرنج ومقدم الداوية • وشرط معهما
واستوثق منهما انه يطلقهما من الاسر والبلية • متى تمكن باغانهما من البلاد البقية •
وعبر واليون صور الى صور • والمركب ماشك انه بها محصور محصور • فلما أرخى
من وثاقه • واتسع ضيق ختانه • حاق في مطار أوطاره • وحرك لغواته اوتار أوتاره •
واجتمع السلطان بأخيه الملك المادل • واتفقا على طي المراحل ونشر القساطل • وحل
معاهد الماقل • وسئل قواصم القواصل • ونزل على عسقلان • وشديدها قد لان •
وقد آتاها الله الخذلان • فتجلد من بها على الحصار • وتحوفت أسودها الخادرة من
الإلحاح • وتربصوا وتصبروا • وتترسوا وتسترأوا • وحاصروا وصاحوا • وحانوا وناحوا •
وأبلسوا واسبلوا • وأعولوا بما عليه عولوا • وشبوا وشابوا • وخبوا وخابوا • لكنهم استقبلوا
الموت واستقبلوا • وتصدقوا على الفتح وما محللوا • وأحزنوا في الآله وما أسهلوا •
وجهدوا وجهلوا • فأقام السلطان عليها بجانب عتقها • وفرجت بالحجارة طريقها •
ورجت بلنريق فرقيها • ووسعت بالتضييق ضيقها • وأضعفت بالتوشيق وثوقها •
وجمت شمل الحجارة بالنار التي وقودها الناس والحجارة • ولفحتهم نيرانها وتوالت
عليهم بعد الشرارة الشرارة • وخربت منهم العماره • ووجبت بالحجارة منا لهم العساره •
وتهدمت الصخور بالصخور • ولزم عتب بورهم بالبور • وجسر الثقاب فخر الثقاب •
وباشر الباشورة فرفع الحجاب • واشتد القتال • واحتد المصال • ورأسهم عند ذلك الملك
المأسوز • وقال قديان عذركم حين نقب السور • وجرت حالات • وتكررت حوالات • وترددت
رسالات • وقال لهم الملك الأسير • لا تخالفوا ما به أشير • واطيعوني ما استطعتم • واسمعوا • في
أذاسمهم • واحفظوا رأسي فهو رأس مالكم • وحلية حالكم • ولا تخطروا غيري ببالكم •
فاني اذا تخلصت خلصت • واذا استغذت استغذت • وخرج مقدمون وشاوروا الملك •
ونهجوا في التسليم نهجا سلك • وسلموا عسقلان على خروجهم بأموالهم سالمين •
واستوفوا بذلك الميثاق واليمين • وذلك يوم السبت لانسلاخ جادى الآخر • وتلاأت

السمود في أوجها بالأوجه السافره * وعن استشهد على عسقلان من الامراء الكبراء
 ابراهيم بن حسين المهراني وهو أول أمير اقتح بالشهادة * واختتم بالسعادة * وكان
 السلطان قد أخذ في طريقه اليها الرملة وبنى بيت لحم والخليل * واقام بها حتى تسلم
 حصون الداوية غزة والطورون وبيت جبريل * وكان قد استصحب معه مقدم الداوية
 وشرط معه انه متى سلم معاقلم أطلقه * فسلم هذه المواضع الوثيقة لما أخذ موقعه *
 واجتمع بالسلطان ولده صاحب مصر الملك العزيز عثمان * على عسقلان * بشاره وبشاره *
 وراية وآية * وهياة وهويه * وثرة وثروه * وهزة وعزه * وعدة وعده * وجنة وجده *
 وشد وشده * وحد وحده * وضوغة * وروعة * ونحوه * وسطوه * وصوت وصيت *
 ومصاعيب ومصاليت * ومساخير * ومفاوير * ودمم * ودمم * وشهب وكمت وصلاب
 وصلاد * وانجاب وانجاد * وجلب ولجب * وبيض ويلب * وبيض وسود * وأساود
 وأسود * وجزد * ومرد * وكهول * وغول * ورقاق * وعقاق * وقود * وقودود *
 واطلاب واطال * وفوارس ورجال * وخفاف وثقال * وعراب واطارب * وسراحين
 وسراحيب * وحد لا يكل * وجد لا يعمل * وجريتي * وجمع لا يلتقي * ومعه زمة
 الاحداق كماء الاتراك * وهداة التوحيد عداة الاشرار * فقرت عينه بولده * واعتضد
 بعضده * ووضع يده بتأييد الله * في يده * وكان قد استدعى الاساطيل للتصورية فوافقت
 كالفتخ الكواسر * بالفلك المواخر * وجاءت كلها أمواجا تلاطم أمواجا * وافواج تراحم
 افواجا * تدب على البحر عقاربها * وتخب كقطع الليل سحائبها * وتجر بالدوايل ذوائبها *
 وتزاحم مناكب الاطواد مناصبها * والحاجب لؤلؤ مقدمها ومقدمها * وضرم غامها
 ومهامها * فطفق بكسر ويكسب ويسلب * ويقطع الطريق على سفن المدومرها كبه *
 ويقف له في جزائر البحر على مذابه * وسيأتي ذكر ذلك في موضعه * ويظهر في
 وقائمه حسن موقعه *

فتح بيت الله المقدس

ثم رحل من عسقلان للقدس طالبا * وبالمزم غائبا * وللتصر مصاحبا * ولذيل المز
 ساحبا * قد انجذب ريش مناه * واخضب روض غناه * واصبح رائح الرجاء * أرج
 الارحاء * سيب العرف * طيب العرف * ظاهر اليد * قاهر الايد * سني عسكره قد فاض

بالفضاء فضاء . وملاً الملاء فافاض الآلاء . وقد بسط غير فيلقه ملائمه على الفلق وكانما
 اعاد المعجاج رأد الضحي جنح الفسق . فالارض شاكية من اجحاف الجحافل . والسماء
 حاذية باقساط القساطل . وسار سارا بالاحوال الحوالي . مروية احاديث فتوجه العوالي
 من العوالي . مطوية مدارج مناجحه على ما تشره الآمال من الامالي . وقد حلت
 وعلت من مقارس النصر ومطالمة المجاني والمجالي . والاسلام يخطب من القدس عروسا .
 ويبدل لها في المهر نفوسا ويحمل اليها نعي ليحمل عنها بوسى . ويهدى بشرى ليذهب
 عبوسا . ويسمع صرخة الصخرة للمستدعية المستدعية لاعدائها على اعدائها . واجابة
 دعائها . وتلبية نداءها . وإطلاع زهر المصابيح في سماءها . واعادة الايمان الغريب منها
 الى وطنه . ورده الى سكونه وسكنه . وإقصاء الذين افصاهم الله بلمته من الاقصى .
 وجذب قياد فتحه الذي استعصى . وإسكات الناقوس منه بانطلاق الاذان . وكف كف
 الكفر عنه بإيمان الايمان . وتطهيره من انجاس تلك الاجناس . وادناس أدني الناس .
 واغمام الافهام باخراس الاجراس . وطار الخبر الى القدس فطارت قلوب من به رعباً
 وطاشت . وحفقت اثنتهم خوفاً من جيش الاسلام وجاشت . ونمت الفرج لما شاعت
 الاخبار انها ما عشت . وكان به من مقدمي الافرنج باليان بن بارزان والبطرك الاعظم .
 ومن كلا الطائفتين الاستبارية والداوية المقدم . فاشتغل بال باليان . واشتعل بالثيران .
 وخدمت نار بطر البطرك . وضاعت بالقوم منازلهم فكأن كل دار منها شرك للمشرك .
 وقاموا بالتيدير في مقام الادبار . وتقسمت افكار الكفار . وأيس الفرج من الفرج .
 واجمعوا على بذل المهج .

﴿ ذكر كنيسة قامة ﴾

وقالوا ههنا طرح الرؤوس . ونسبك النفوس . ونسفك السماء . ونهلك السماء .
 ونصبر على اقتراح القروح واجترأ الجروح . ونسمع بالارواح شحاً بمحل الروح .
 فهذه قامة فيها مقامتنا . ومنها تقوم قيامتنا . وتصيح هامتنا . ونصيح ندامتنا . وتسيح
 علائمتنا . وتسبح غمامتنا . ويهاجر امننا . وعليها غرامتنا . وبأكرامها كرامتنا . وبسلامتها
 سلامتنا . وباستقامتها استقامتنا . وفي استدامتها استدامتنا . وان تخلينا عنها لزمنا لآمتنا .
 ووجبت ملامتنا . ففيها المصلب والمطلب . والمذبح والمقرب . والجمع والمبعد . والمبطل

والمصعد . والمرقي والمرقب . والمشرّب والملعب . والمموء والمذهب . والمطلع والمقطع .
 والمربي والربيع . والمرخم والمخرم . والمحال والمحرم . والصور والاشكال . والانظار
 والامثال . والاساد والاشبال . والاشباه والاشباح . والاعمدة والالواح . والاجسام
 والارواح . وفيها صور الحواريين في حوارهم . والاحبار في اخبارهم . والرهابيين
 في صوامعهم . والاقباء في مجامعهم . والسحرة وحبالها . والكهنة وخيالها . وشمال
 السيدة والسيد . والهيكل والمولد . والمائدة والحوت . وللمتوت والمتحوت . والتلميذ
 والمسلم . والمهر والصبي المتكلم . وصورة الكباش والحمار . والجنة النار .
 والتواقيس . والتواميس . قالوا وفيها صلب المسيح . وقرب التبسيخ . وتجسد اللاهوت .
 وتأله الناسوت . واستقام الترياق . وقام الصليب . ونزل النور . وزل الديجور .
 وازدوجت الطيعة بالاقنوم . وامزج الموجود بالمعدوم . وعمدت ممدودة المعبود .
 ومخضت البتول بالمولود . وأضافوا الى متعبدهم من هذه الضلالات . ماضلوا فيه بالشبه
 عن نيج الدلالات . وقالوا دون مقبرة ربنا تموت . وعلى خوف فوسها منا نفوت .
 وعنها ندافع . وعليها نقارع . وما لنا لا نقاتل . وكيف لانتازع ولا ننازل . ولاى معنى
 نتركهم حتى يأخذوا . ندعهم حتى يستخلصوا ما استخلصناه منهم . ويستقذوا .
 وتأهبوا وتباهوا . وما اتهاوا بل تناهوا . ونصبوا المجانيق أمات الاسواء على الاسوار .
 وستروا بظلمات الستار وجوه الانوار . واستشاطت شياطينهم . ومرحت سراحيهم .
 وطفت طواغيتهم . وأسلت مصاليتهم . ونشرت طواويرهم . وتسمرت مساعيرهم . وهاج
 هائجهم . وماج مانجهم . ودعت دواعيهم . وعدت عواذيرهم . وسيت افاعيم . وحضتهم
 قسوسهم . وحرضتهم رؤوسهم . وحركتهم نفوسهم . وجاءتهم بجوي السوء جواسيسهم
 واخبرتهم باقبال المساكين الناصرية منصوره الجنود . منشورة البنود . موصولة القواطع
 بالاشاجع . مهجورة الغمود . مشهورة القواضب . مشهودة الكتائب . مقودة الضوامر
 الى نار المدى . موقدة الضمائر بنار الهدى . مشبوبة المزائم . مجنوبة الصلادم .
 مسلولة الظبا . مطالولة الربا . مجنونة أجنة اغمادها . مسنونة أسنة صمادها . مطلقة
 أغنة حيادها . محقة مظنة طرادها . قد سالت الوهاد باسكانها . وجالت الاعلام في
 أعلاها . وسدت الفجاج افواجاها . ومدت المتجاج امواجاها . وحجبت الفزاة
 عقبانها . والهبت الذبابة خرساتها . وجرت بالخيال رايحها . وجرت كالخيال رماحها

واشتمل على الضراغم غيلها * وأقبل بالمظالم قيلها * ووافي كل واف بمهد ربه * كاف
 لكف خطبه * شاف لم قلبه * ضاف بفيض شربه * خاف في لبوسه * ناف لبوسه *
 باسل بباسه * عاسل بأمراسه * ناسل بنت الغمد من جفته * غاسل بنت الحد بدم قرنه *
 واصل بيض الهند بسواعده * فاصل خطاب الخطوب بيوارقه ورواعده حاد بمجده *
 جاد بمجده * وكل شاب لنار الحرب شاب * ورب دين لدين الرب راب * وكل جيش
 كالبحر عباب * وكل سال ذى ذباب عن الهندى ذاب * وكل قاتل بالآخرة للحياة
 الدنيا قال * سائل من الله الشهادة عن حب البقاء سال * مائل في سيل الله الي اتفاق
 حال * وأقبل السلطان باقبال سلطانه * وإبطال شجاعته * وأقبال أولاده واخوانه * وأشباه
 عماليكه وغلمانه * وكرام امرائه * وعظام اوليائه * في مقاب المناقب مقبته * وكتائب
 بالمواكب مكتبه * وذوابل بالكواكب منصله * وجحافل بمضاء المضارب محفله * وألوية
 صفير للآواء بني الاصفر * وبيض وسمر ترزق زرق المدى من الموت الاحمر * وقبابه
 وقبائل * وقناوق قابل * وصوافن وصواهل * وعوامل وعواسل * وفوارس وفوارس *
 وكل من يبذل للشح بدينه النفوس والنفائس * وأصبح يسأل عن الاقصى وطريقه الاذني
 وفريقه الاسني * وبذكر مافتح الله عليه بحسن فتحه من الحسنى *

﴿ وصف البيت المقدس ﴾

وقال ان اسمعنا من الله على اخراج اعدائه من بيته المقدس فما اسمعنا * وأى
 يده عندنا اذا أيدنا * فانه ميك في يد الكفر احدى وتسعين سنة * لم يتقبل الله فيه
 من مايد حسنه * ودامت هم الملوك دونه متوسنه * وخلت القرون عنه متخليه * وحات
 الفرنج به متولي * فما ادخر الله فضيلة فتحه الا لآل ايوب * ليجمع لهم بالقبول القلوب
 وخص به عصر الامام الناصر لدين الله ليفضله به على الاعصار * ولتفخر به مصر
 وعسكرها على سائر الامصار * وكيف لايهم بافتتاح البيت المقدس الاقوي * والمسجد
 الاقصي المؤسس على التقوى * وهو مقام الانبياء * وموقف الاولياء * ومعبد الاقياء
 ومزار ابدال الارض وملائكة السماء * ومنه الحشر والمنشر * ويتوافد اليه من اولياء
 الله بعد المعشر المعشر * وفيه الصخرة التي صينت جنة ابهاجها من الاتهاج * ومنها
 منهاج المعراج * ولها القبة النماء التي على رأسها كالتاج * وفيه وميض البارق وميض البراق

وأضاءت ليلته الاسراء بحلول السراج المثير فيه الاتفاق * ومن أبوابه باب الرحمة الذي يستوجب داخله الى الجنة بالدخول الخلود * وفيه كرسي سليمان وعمراب داود * وله عين سلوان التي تمثل لواردها من الكوثر الحوض المورود * وهو أول القبلتين * وثانيه اليئتين * وثالث الحرمين وهو أحد المساجد الثلاثة التي جاء في الخبر النبوي أنها تشد إليها الرحال * ويعقد الرجاء بها الرجال * ولعل الله يعيده بنا الى أحسن صوره * كما شرفه بذكره مع اشرف خلقه في أول سورة * وقال عز من قائل سبحانه الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى * وله فضائل ومناقب لا تحصى * واليه ومنه كان الاسراء * ولارضه فتحت السماء * وعنه تؤثر أنباء الانبياء وآلاء الاولياء * ومشاهد الشهداء * وكرامات الكرماء * وعلامات العلماء * وفيه مبارك المبار * ومسارح المسار * وصخرته الطولي * القبة الاولى * ومنها تعالت القدم الثبوية * وتوالت البركة العلوية * وعندها صلى نبينا صلى الله عليه وسلم بالثبنيين * ومحب الروح الامين * وصعد منها الى اعلى عليين * وفيه محراب مريم عليها السلام الذي قال الله فيه كما دخل عليها زكريا * ولها اله التمسيد وليلة الحيا * وهو الذي أسسه داود وأوصى ببنائه سليمان * ولاجل اجلاله ازل الله سبحانه * وهو الذي افتتحه الفاروق وافتتحت به سورة من الفرقان * فاجله وأعظمه * وأشرفه وأغفمه * وأعلاه وأجلاه * واسماه واسناه * وأمين بركاته وأبرك ميامنه * وأحسن حاله واحلى محاسنه * وأزين مباحجه وأبهج مزايئه * وقد أظهر الله طوله وطوله * بقوله الذي باركنا حوله * وكف فيه من الآيات التي أراها الله نبيه * وجعل مسموعنا من فضائله مهنيه * ووصف السلطان من خصائصه ومزايئه * ما وثق على استعادة آلائه موافقه والاياه * وأقسم لا يبرح حتى يبر قسمه * ويرفع بأعلاه علمه * وتخطو الى زيارة موضع القدم الثبوية قدمه * ويصنى الى صرخة الصخرة * ويبني بالبرشي بشر أسرة الاسراء * وسار وانقلا بكمال الصرة وزوال العسر * وحسر الفرخ قناع الحسر * ونزل على غربي القدس يوم الاحد خامس عشر رجب * وقلب الكفر قدوجب * وحزب الشرك قد شارف الشجب والشجب * والقدر قد أظهر العجب * وكان في القدس حينئذ من الفرخ ستون ألف مقاتل * من سائق ونابل * وعلل للباطل * وطاس عاسل بالماسل * قد وقفوا دون البلد يبارزون ويحازون * ويماحزون ويناجزون * ويرمون ويدمون * ويحمون

ويحمون • ويحتدون ويحسدون • يضطربون ويضطربون • يذودون ويذوبون •
ويشبون ويسبون • يصرخون ويحرضون • يلهثون ويتغوثن • ويلوذون ويلوبون
ويجولون ويجوبون • يقدمون ويحجمون • يتلملون ويألمون • يتعاون • ويتضاعون
• ويحترقون للابايا • ويقترحون المنايا • وقاتلوا أشد قتال • وناضلوا أحد نضال • ونازلوا
أجد نزال • وطافوا بصحاف الصفاح • لارواء الظبا الظماء من ماء الارواح • وجالوا
بالأوجال • وأجالوا قذاح الآجال • وصالوا لقطع الاوصال • والهمسوا • والتهبوا •
وتأشبوا ولشبوا • واستهدفوا للسهام • واستوقفوا للحمام • وقالوا كل واحد منا
بشرين • وكل عشرة بمئين • ودون القمامة تقوم القيامة • ولحب سلامتها تقي السلامة
ودامت الحرب • واستمر الطعن والضرب • فانتقل السلطان يوم الجمعة العشرين من
رجب الى الجانب الشمالي وخيم هناك • وضيق على الفرنج المسالك • ووسع عليهم للمالكة
ونصب المجانيق • ومري من آفاتنا الافاويق • وأصرخ الصخرة بالصخور • وحشر
حشر السوء منهم وراء السور • فسادوا يخرجون من السور الرؤوس • واليلقون
البوس • واليوم المبوس • ويلقون على الردى النفوس • فللداوية دوي • والبارونية
من البوار في الهاوية هوي • وللاستار تبار • وما للقريرة من الموت فرار • وما بين
الحجار المحلقة وبين المرمي اليهم حجاب • وفي كل قلب من الفتئين من نار حرصه التهاب •
اذ الوجوه لقبل التصال مكشوفة • والقلوب للوجد بالقتال ملهوفه • والايدي على قوائم
السيوف المفتوحة مضومة • والنفوس لاستبطاء الهمم في الاهتمام مهمومه • وقواعد
السور ونواجز شراريفه بالاحجار الخارجة من الكففات مهدومة مهتومة • فكان
المجانيق مجانين يرامون • ومناجيد ليرامون • وحيال تجنبا حبال • ورجال تجدها
رجال • وأمات الدوامي والمنايا • وحوامل تلد البلايا • لاحجر عليها في حجر • ولأمن
عندها من حذر • ولا تخطر سهامها الا بالخطر • ولا خطر مرورها الا ممرات ذوي
الفطر • فكمن نجم من سهاها ينقض • وصخر من أرضها يرفض • وجمر من شرارها
ينفض • وله شي كآفات كفاتها • وآيات نكاياتها • ودركات ادراكاتها • ولفئات فلتاتها
وجذبات عذبتها • فما زالت تلع بمقالها • وتقرع بمقارعها وتمتج بأشطانها • وتمرح
في أرسائها • وتصدم • وتهدم • وتصرع • وتصدع • وتهز بدلائها • وتجهز ببلائها •
وتحل تركيب الجلاميد بأفراد جلاميدها • وتقل شمل اللبائي بتفرعها وتبديدها • وتقوض

القواعد بضربها من أساسها . وتنقض المقاد بجذبيها في أمراسها . وتشفه الموارد بشربها
 من كأسها * حتى تركت السور سورا * وجملت الذاب عنه محسورا . وعاد العدو من
 نظمه المبتور متبورا * وخرق الخندق وحفر الزحف . ونظهر للإسلام الفتح وللکفر
 الخنف * وأخذ الثقب . وسهل الصعب * وبذل المجهود * وحصل المقصود * وكل
 المراد * وكلم المراد . وثغر الثغر . وأمر الأمر . وأرى الأرب * واستتب السبب وخاف
 القوم الرقم . واستماضوا من الصحة السقم . وأسلم البلد وقطع زنا حنقه * وبرزابن
 بارزان ليأمن من السلطان بموته . وطلب الأمان لقومه . وتمتع السلطان وتسامى في
 سومه . وقال لا أمن لكم ولا أمان . وما هو الا أن نديم لكم الهوان . وغدا نملككم
 قسرا * ونوسمكم قتلا وأسرا . ونسفك من الرجال الدماء . ونسلط على الذرية والنساء
 الساء * وأبى في تأمئهم الا الأباء * فترضوا للتضرع . ونخوفوا وخوفوا عاقبة التضرع
 وقالوا اذا آيسنا من أمانكم . وحقنا من سلطانكم . وخبنا من احسانكم . وأيقنأنه
 لانجاة ولا نجاح . ولا صاح ولا صلاح . ولا سلم ولا سلامة . ولا نعمة ولا كرامة .
 فانا نستقل فتقاتل قتال الدم . وتقابل الوجود بالعدم . ونقدم لإقدام المستشري بالشر .
 ونفتحم اقتحام المستضري . من الضر . ونأق أنفسنا على النار . ولا نلقى بأيدينا الى
 التهلكة والمار . ولا يجرح واحد منا حتى يجرح عشرة . ولا نضمن يد الفتك حتى ترى
 أيدينا بالفتك منشرة . وانا نحرق الدور ونحرب القبة . ونترك عليكم في سينا السبه .
 ونقلع الصخرة . ونوجدكم عليها الحسرة . ونقتل كل من عندنا من أسارى المسلمين
 وهم ألوف . وقد عرف ان كلا منا من الذل عزوف والاعز ألوف * وأما الاموال فانا
 نعطيها ولا نعطها . واما الثرارى فانا نسارع الى اعدامها ولا نستطيعها . فأية فائدة لكم
 في هذا الشح وكل خسر لكم في هذا الربح . ورب خيبة جاءت من رجاء النجح . ولا
 يصاح البوء سوي الصلح . ورب مدح أضله ظلام الليل قبل أسفار الصبح فمقد السلطان
 محضراً للمشورة . وأحضر كبراء عساكره المنصورة . وشاورهم في الأمر . وحاوهم
 في السر والظهر . واستطلع خبايا ضمائرهم . واستكشف خفايا سرائرهم . واستورى
 زندهم * واستعلم ما عندهم * وراوهم على المصلحة المترجحة . وقاوضهم في المصلحة
 المربحة * وقال ان الفرصة قد أمكنت فتحرس في انتهازها * وان الحصنة قد حصلت
 ولستخير الله في احرازها * وان قانت لستدرك * وان افلتت لاتملك * فقواقد

خصلك الله بالسعادة * وأخلصك لهذه العبادة * ورأيك راشد * وعزمك لضالة النصر
 ناشد * وأمرك لاشتات المتاع وأسباب المتاحج حاشد * وكلنا لك في اغتنام فتح هذا
 الموضع الشريف مناشد * واستقر بعد مرادوات ومعاودات * ومفاوضات وتقويضات
 وضراعات من القوم وشقاعات * على قطعة تكمل بها النقطة * وتحصل منها الحوطة *
 اشتروا بها منا أنفسهم وأموالهم وخلصوا بها رجالهم ونساءهم وأطفالهم * على أنه من
 عجز بعد أربعين يوماً عما لزمه * أو امتنع منه وما سلمه * ضرب عليه الرق * ونبت في
 نخله لنا الحق * وهو عن كل رجل عشرة دنانير وكل امرأة خمسة وكل صغير أو صغيرة
 ديناران * ودخل ابن بارزان والبطرك ومقدما الداوية والاستبار في الضمان * وبذل ابن
 بارزان ثلاثين ألف دينار عن الفقراء * وقام بالأداء ولم يشكل عن الوفاء * فمن سلم
 خرج من بيته آمناً * ولم يعد إليه ساكناً * وسلموا البلد يوم الجمعة السابع والعشرين من
 رجب على هذه القطعية * وردوه بالرغم رد الفصب لا الوديمة * وكان فيه أكثر من
 مائة ألف إنسان * من رجال ونساء وضيان * فأغلقت دونهن الأبواب * ورتب لمرضهم
 واستخراج ما يلزمهم الثواب * وكل بكل باب أمير * ومقدم كبير * يحصر الخارجين ويحصي
 الوالجبين فمن استخرج منه خرج * ومن لم يحم بما عليه قدم في الحبس وعدم الفرج *
 ولوحفظ هذا المال حق حفظه * فإذ منه بيت المال بأوفر حفظه * لكنهم التفریط *
 وعم التخليط * فكل من رشا مشى وتكبب الامناء نهج الرشد بالرشا * فهم من أدلى
 من السور بالحبال * ومنهم من حمل مخفياً في الرحال * ومنهم من غيرت لبسته فخرج
 بزي الجند * ومنهم من وقعت فيه شفاعة مطاعة لم تقابل بالرد * وكانت في القدس ملكة
 رومية مترهبة * في عبادة الصليب متصلة * وعلى مصابها به متلوية * وفي التمسك بملابها
 متصعبة متعصبة * اتفاسها متساعدة للحزن * وعبراتها متجددة تنحدر القطرات من المزن
 ولها حال ومال وأشياء وأشیاع ومتاع وأتباع * فن عليها السلطان وعلى كل من معها
 يالافراج * وإذن في اخراج كل مالها في الاكياس والاخراج * فراحت فرحى * وإن
 كانت من شجنها قرحى * وكانت زوجة الملك المأسور ابنة الملك امارنى * مقيمة في
 جوار القدس مع ما لها من الخدم والحوال والجوارى * نفلت هي بمن معها ومن
 تبعها * ومن ادعى أنه بمن معها وشيعها * وكذلك الابن لسانة ابنة قليب أم هنفرى
 أعفيت من الوزن * وتوفر مالها عليها في الحزن * واستطاع صاحب البيرة زهاء خمسمائة

أردني ذكر أنهم من بلده • وإن الواصل منهم إلى القدس لاجل متعبده • وطلب مظفر الدين بن علي كوجك زهاء ألف أرمني ادعى أنهم من الرها • فاجراء السلطان من اطلاعهم له على ما اشتهى • وكان السلطان قد رتب عدة دواوين • في كل ديوان منها عدة من الثواب من المصريين ومنهم من الشاميين • فن أخذ من أحداً دواوين خطاً بالاداء انطلق مع الطلقاء • بمد عرض خطا على من بالباب من الامناء والوكلاء • فذكر لي من لا اشك في مقاله • أنه كان يحضر في الدواوين ويطلع على حاله • فربما كتبوا خطاً لمن تقدمه في كيسهم • ويلبس امر تليسهم • فكانوا شركاء بيت المال لا امناء • وغاؤه على ما حصل لكل من الغنى والنفع وما أضر غناه • ومع ذلك حصل لبيت المال ما يقارب مائة ألف دينار • وبقي من بقي تحت رق واسار • ينتظر به انقضاء المدة المضروبه • والعجز عن الوفاء بالقطيعة المطلوبة •

﴿ ذكر يوم الفتح وهو سابع عشر رجب ﴾

واتفق فتح البيت المقدس في يوم كان في مثل ليلته منه المراج • وتم بما وضع من منهاج النصر الانهاج • وزاد من الالسنه بالدعاء والابتهال الاتهاج • وجلس السلطان لاهناء • لقاء الاكابر والامراء والمتصوفة واللماء • وهو جالس على هيئة التواضع وهيبة الوقار • بين الفقهاء وأهل العلم جلساته الابرار • ووجهه بتور البشر سافر • وأمله بمنز التبحر طافر • وبابه مفتوح ورفده بمنوح • وججابه مرفوع • وخطابه مسموع • ولشاطه مقبل • وبساطه مقبل • ومجياه يلوح • ورياه يفوح • ومحبته تروق ومهابته ترع • وأفاقه قضى وأخلاقه تقضوع • ويده لفيض أمواء السخاء • وفض أفواه العطاء • ظاهرها قبلة القبل • وباطنها كعبة الامل • قد حلت له حالة الظفر • وكان دسبه بهالة القمر • والقراء جلوس يقرأون ويرشدون • والشمرء وقوف ينشدون وينشدون • والاعلام تبرز لتنشر • والاقلام تزر لتبشر • واليون من فرط المسرة تدمع • والقلوب للفرح بالتصرة تخشع • والالسنه بالابتهال إلى الله تضرع • والكاتب ينشي ويوشى ويوشع • والبلغ يسهب ويوجز ويضيق ويوسع • فله شبهت قلبي الا بشأرك أزي البشار • ولا وجهت كلمي الا لطائف وحي الطائف • وما ارسلت يراعي الا ليراعي الرسائل • ويشيع الفواضل • ويشيع القول • ويسبح الطول

ويطول بالحجة وان كان في حجه قصر * ويصول باللهجة وان كان في هججه حصر
ويسمي الملك به وهو خفيف * ويقل الجيش به وهو خفيف * ويبدى بياض الفرة من
سواد الدمه * ويجلو بهجة الضياء من حجة الظلمه * ويجري بالآجال والارزاق * والمنع
والاطلاق * والخلف والوقاق * والارقاق والاعتاق * والعدة والانجاز * والحدة والاعواز
والفتق والراقي * والرقع والخرق * وهو الذي يجمع الحيوش * ويرفع العروش * ويوحش
المستأنس ويؤنس المستوحش * وينتش العار ويغتمش المتعش * يجري بالاعداء على الاعداء
وبالايلاء للايلاء * فبشرت باقلامى اقليم البشر * وعبرت باطاجبي عن عجائب العبر *
وملأت البروج بالدرارى والدروج بالدرر * ورويت تلك البشري حتى أطابت ربا
الرى وسمر سمر قند * وأطربت وحلت حتى فاقت القنديد والقند * وعلقت بفتح
بالقدس بلاد الاسلام وزينت * وشيرحت فضياتها وينت * وأديت فريضة زيارتها وتمينت

﴿ ذكر حالى فى العمود الى الخدمة ﴾

وكنت قد انقطعت من الصحبه * لما عرض لى فى المرض من الندوبه * فاقت
يدمشق اداوى مزاجى * وأدارى مناهجى * وأعالج تديري وأهبر علاجى * الى ان
وصل الخبر بار السلطان نزل على القدس * فوجدت خفة فى النفس * وأنست بالبالى بعض
الانس * وأمنت لو توفى بالصحة والاستقامة من النكس * فأوجهت الى تلك الجهة *
وسرت بطاعة النفس المنزهة * وعصيان الطبيعة المتكرهه * واجترت تعب السفر على
راحة الاقامة * ورأيت فى ركوب طريق المعطب وجه السلامة * ووصلت بكرة السبت
ثانى يوم الفتح * بالسعد واليمن والتجج * فوصاني السلطان عند وصولي بأجلى بشاشة
وأحلى هشاشه * وسرى عنه سر * وأبرور * وقال أين كنت ولم أبطأت * وحيث
أنصبت فى الحجي فأخطأت * وقد كنا فى انتقارك * والسؤال عن اخبارك * وهذا
اوان احسانك * فأين احسان أوانك * فأجر بنانك بجرأة ينانك * وأجر فى ميدانك *
وما للبشار الا واصفها * ولا لفراند الا راصفها * ولا لفصاحة الا اقسها * وللحصافة الا قيسها
• وكان قد جمع أميس كتاب دواوينه على انشاء كتب ما ارتضاها • واقتضاب معان
ما اقتضاها • وكانوا سألوه فى كتاب الديوان العزيز فقال لهذا من هو اقوم به وعناني
فلما رأي ناداني واستداني فصرقت الى امثال امره عناني • وسلم الى الكتب التى

كتبوها . بالالفاظ التي رتبوها . وقال
غيرها . ولا تسيرها . ورضه اني أعدل معوجها . وأبدل مشجها . وأفترع للمعني
البكر للفتح البكر . وأوشع ذكر آياته بآيات الذكر . فاستجدتها فاستجدتها .
واستلمحتها فاستلمحتها . وشممتها وبها سهك . وكشفها وسترها هتك . وكانوا قد
تعاونوا عليها وفيها لهم شرك . فشرعت في اقتضاض الابكار . واقتضاء الافكار .
واقتراح القريحة . واقتراء رحاب الكلم الفصيحة الفسيحة . واقتحت في بشرى الفتح
بكتاب الديوان العزيز . وأوردت المعني البليغ في اللفظ الوجيز . ووشعت ووشعت .
وشعبت وأشعبت . وأطلت وأطببت . وصبت وأصبحت . وأعجزت وأعجبت . وأطريت
وأطرزيت . وأنهدت وأنهدت . وصرعت وصرعت . وطابقت وجالست . ووافقت وانست
وبيئت فضل عصر الامام الناصر على الاعصار السابقة . بالابصار الصادقة . وان هذا الفتح
ادخره الله لزمانه . ويمكن منه لمكانه . وسلط عليه بسلطانه وحسنه لنا باحسانه . فقد
عبرت القرون الماضية على حسرته وظفر وهو وأشياءه بمسرته وما حصل لنا الا ببركة
أيامه وحركة اعترافه . وذكرت من هذا كل ماراق وشاق ونور الآفاق . وان هذه
الفتوح تفوح بأرجئ نشره ونحيي بحيا بره . فإعين أيماننا بأيامه . وما أسعد آمالنا بانعامه
وكتبت الى كل ذي طرف بمدني طريف . ولفظ فصيح حصيف . وسهرت تلك الليالي
حتى نظمت اللآلي . وحليت المعالي وقرحت المعادي وفرحت الموالي . وسارت شواردي
الى المشرق والمغرب . مرية عن هذا الفتح المعرب عن النصر المذهب . وبشرت المسجد
الحرام بخلاص المسجد الأقصى . وتلوت شرع لكم من الدين ما وصي . وهنأت الحجير
الاسود بالصخرة البيضاء . ومنزل الوحي بمحل الامراء . ومقر سيد المرسلين وخاتم
النبيين بمقر الرسل والانبياء . ومقام ابراهيم بموضع قدم محمد المصطفى صلى الله عليه وعلى آله
وأدام أهل الاسلام بشرف بيتيه مستمتعين . وتسامع الناس بهذا النصر الكريم والفتح
المظلم فوفدوا لزيارة من كل فج عميق وسلوكوا اليه في كل طريق وأحرموا من البيت
المقدس الى البيت العتيق . وتزهوا من ازهار كراماته في الروض الابيق

﴿ ذكر ما جرت عليه حال الفرنج في خروجهم من القدس ﴾

وشرع الافرنج في بيع الامتعة واستخراج ذخائرهم المودعة . وباعوا بالبحان في

سوق الهوان • وتعاقد الناس بهم فابتاعوها بأرخص الاعيان • وباعوا بأقل من دينار كل مايساوى اكثر من عشرة • وجدوا في ضم ما وجدوا من أمور لهم منشرة • وكسبوا كنائسهم • وأخذوا منها نقائسهم • ونقلوا منها الذهبيات والفضيات • من الأواني والقناديل والحريبات والمذهبات • من السطور والتناديل • ونقصوا من الكنائس الكنائس • واستخرجوا من الخزائن الدفائن • وجمع البطاركة الكبير كل ما كان على القبر • من صفائح التبر ومصوفات المسجد ومصنوعات اللجين • وجمع ما كان في قسامة من الجنسين والنسجين • فقلت للسلطان هذه اموال وافرة • وأحوال ظاهرة • تبلغ مائتي ألف دينار • والامان على أموالهم لا أموال الكنائس والأديار • فلا تتركها في أيدي هؤلاء الفجار فقال اذا تأولنا عليهم نسبونا الى القديروهم جاهلون بسر هذا الامر فنحن نجربهم على ظاهر الامان ولا نتركهم يرمون أهل الايمان بنكث الايمان بل يتحدثون بما افضناه من الاحسان فتركوا ما نقل وحملوا ما خف ونقصوا من تراب ترابهم وقسامة قسامة الكف وانتقل معظمهم الى صور • وكفوا بالديجور والديجور وبقي منهم زهاء خمسة عشر ألفا امتنعوا من مشروع الحق فاحتصوا بمشروط الرق فأما الرجال وكانوا في تقدير سبعة آلاف فاتهم الفوا ذلالم يكونوا له بالآف • فافقتسهم أيدي السبي أيدي سبا • وتفرق الغامون بجمعهم في الوهاد والربا • وأحصيت النساء والصبيان ثمانية آلاف نسمة • عادت بيتنا مقتسمه • وأصبحت بيكاتها وجوه الدولة مبتمسه • فكلم مخجوبة هتكت • ومالكة ملكت • وعزباء تكحت • وعزيرة منحت • وبخيلة تسمحت • وخيبة توفحت • ومجدة مزحت • ومصونة ابتذلت • وفارغة شغلت • وعقيلة امهنت • وجيلة امتحنت • وعذراء افتحنت • وشياء فرعت • ولباء رشت • وظمياء فرشت • وريضة أحمجت • ورضية أحمجت • فكلم تسمى منهن مسمى • وتجبراً عليهن جرى • وقضى وطره عزب • ونفى نهمه سغب • وقأسورته شغب • وكم غاية استخلصت • وغالية استرخصت • ووالية اعتزلت • وغالية استزلت • ووحشية صيدت • وعمرشية قيدت • ولما تقدس القدس من رجس الفرنج أهل الرجز • وخلع لباس الذل ولبس خلع المز • أبى النصارى بعد أداء القطيعة ان يخرجوا • وتضرعوا في ان يسكنوا ولا يزعمجوا • وبذلوا خدما وخدموا ببذل • وقابلوا كل ما أئزموا به بالآزام وقبول • وأعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون • وشحت أفواههم بما شجاهم فزاد شجاهم وهم فاعزون • ودخلوا في الذمة • وخرجوا الى

العصمة . وشغلوا بالخدمة . واستعملوا في المهنة . وعدوا المنحة في تلك المهنة .

﴿ ذكر ما أظهره السلطان في القدس من الحسنات ومحامد السيئات ﴾

ولما تسلم السلطان القدس أمر بإظهار المحراب . وحتم به أمر الإيجاب . وكان الداوية قد بنوا في وجهه جداراً وتركوه للغة هرباً . وقيل كانوا اتخذوه مستراحاً وعدوا أن يبنوا . وكانوا قد بنوا من ضربتي القبلة داراً وسيعه . وكنيسة رفيعة . فأوعز برفع ذلك الحجاب . وكشف الثقب . عن عروس المحراب . وهدم ما قدّمه من الابنية . وتنظيف ما حوله من الأقبية . بحيث يجتمع الناس في الجمعه . في العرصة المتسعة . ونصب المنبر وأظهر المحراب المطهر * وقضى ما أحدثوه بين السوارى . وفرشوا تلك البسيطة بالبطريرقية عوض الحصن والبوارى . وعلقت القناديل . وتلى التنزيل . وحق الحق وبطلت الأباطيل . وتولى الفرقان وعزل الأنجيل . وصفت السجادات . وصفت العبادات . وأقيمت الصلوات . وأديمت الدعوات . ونجحت البركات . وانجحت الكربات * وانجحت الغيابات . واتبأت الهدايات . وتليت الآيات . وأعلت الرايات . ونطق الأذان وخرس الناقوس . وحضر المؤذنون وغاب القسوس . وزال العبوس والبوس . وطابت النفوس . وأقبلت السمود وأدبرت النحوس . وعاد الإيمان الغريب منه إلى موطنه . وطلب الفضل من مسدنه . وورد القراء وقرئ الأوراد . واجتمع الزهاد والعباد والأبدال والأوتاد . وعبد الواحد ووحد العابد . وتوافد الراكع والساجد . والخاشع والواجد . والزاهي والراهد . والحاكم والشاهد . والجاهد والمجاهد . والقائم والقاعد . والمتجعد الساهد . والزائر والوافد . وصدق الثبر وصدق المذكر . وأنبعث المعشر . وذكر الميت والمحشر . وأمل الحفاظ . وأسلم الوعظ . وتذاكر العلماء وتناظر الفقهاء . ونحدث الرواة . وروى المحدثون . وتحنف الهداة وهدى المتحنفون . وأخلص الداعون ودعا الخلقون . وأخذ بالزينة المترخصون . ولخص المفسرون . وفسر الملتصقون . وأتشد الفضلاء . وأتدب الخطباء . وكثر المترشحون للخطابة . المتوشحون بالأصابع . المعروفون بالفصاحة . الموصوفون بالحصافة . فما فهم إلا من خطب الرتبة ورتب الخطبة . وأنشأ معنى شائعاً . ووشى لفظاً رائعاً . وسوى كلاماً بالموضع لأنشأ . وروى مبتكراً من البلاغة فأشأ . وفيهم من عرض على خطبته . وطلب في نصبته

وتنفي ان ترجح فضيلته • وتشجع وسيلته • وتسبق منيته فيها أمنيته • وكلهم طامح الى
الانتهاء بها عنقه • وسال من الالتهاب عليها عرقه • وما منهم الا من يتأهب ويتربح •
ويتوسل ويتقرب • وفيهم من يتعرض ويتضرع • ويتشوف ويتشفع • وكل قد لبس
وقاره ووقر لباسه • وضرب في أخماسه أسداسه • ورفع لهذه الرياسة راسه • والسلطان
الايمن • ولا يمين • ولا يخلص • ولا ينص • ومنهم من يقول ليتني خطبت في الجمعة
الاولى • وفزت باليد الطولى • واذا ظفرت بطالع سعدي • فإبلي بمن يخطب
بعدي • فلما دخل يوم الجمعة رابع شعبان • أصبح الناس يسألون في تعيين الخطيب
السلطان • وامتلأ الجامع • واحتفلت المجامع • وتوجست الابصار والمسامع • وقاضت
لرقة القلوب المدامع • وراعت لحلية تلك الحالة وبهاء تلك البهجة الروائع • وشاعت من
سر السرور بلبس حبر الجبور الشوائع • وغصت بالسائقين اليها المواضع • وتوسمت
العيون • وتسمت الظنون • وقال الناس هذا يوم كريم • وفضل عظيم • وموسم عظيم •
هذا يوم يحجب فيه الدعوات • وتصب البركات • وتسال المبرات • وتقال العثرات •
ويتقطظ الناقلون • ويتعظ العاملون • وطوبى لمن عاش • معق حضر هذا اليوم الذي فيه
اتعش الاسلام وارثاش • وما أفضل هذه الطائفة الحاضرة • والعصبة الطاهرة • والامة
الظاهرة • وما أكرم هذه النصرة الناصرية • والاسرة الامامية • والدعوة العباسية •
والمملكة الايوبية • والدولة الصلاحية • وهل في بلاد الاسلام أشرف من هذه الجماعة •
التي شرفها الله تعالى بالتوفيق لهذه الطاعة • وتكلموا فيمن يخطب • ولمن يكون
المنصب • وتفاوضوا في التفويض • وتحدثوا بالنصريح والتبريض • والاعلام تلى •
والنبر يركى ويحلى • والاصوات ترتفع • والجلجات تجتمع • والافواج تزدحم •
والامواج تلتطم • وللمعارفين من الضجيج • مافي عرفات للجبجيج • حتى حان الزوال •
وزال الاعتدال • وخيل الداعي • اعجل الساعي • فنصب السلطان الخطيب بنصه •
وابان عن اختياره بعد خضه • وأوعز الى القاضي محيي الدين أبي المعالي محمد بن زكي
الدين على القرشي بأن يرقى ذلك المرقى • وترك حياه الباقيين بتدبعه عرقى • فأعزته
من عندي أهبة سوداء من تشريف الخلافة • حتى تكمل له شرف الافاضة والاضافة •
فبرقي العود • ولقي السعود • واهزت اعطاف المنبر • واعتزت اطراف المعشر • وخطب
وانصتوا • ونطق وسكتوا • وانصح واعرب • وابدع واغرب • واعجز واعجب •

واوجز واسهب • ووعظ في خطبتيه • وخطب بموعظتيه • وأبان عن فضل البيت
 المقدس وتقديسه • والمسجد الأقصى من أول تأسيسه • وتطهيره بمسد تحييه •
 واخراس ناقوسه واخراج قسيسه • ودعا للخليفة والسلطان • وختم بقوله تعالى ان
 افة يأمر بالعدل والاحسان • ونزل وصلى في المحراب • وافتتح باسم الله من أم الكتاب •
 فاثم بتلك الامة • وثم نزول الرحمه • وكل وصول النعمه • ولما قضيت الصلاة انتشر
 الناس • واشهر اليتاس • والنقد الاجماع واطرد القياس • وكان قد نصب للوعظ
 تجاه القبلة سرير • ليفرعه كبير • فجلس عليه زين الدين أبو الحسن علي بن نجبا •
 فذكر من خاف ومن رجا • ومن سمد ومن شقي ومن هلك • ومن نجبا • وخوف
 بالحجة ذوى الحجا • وجل بنور عظامه من ظلمات الشبهات مادجا • وأتى بكل عظه •
 للراقيدين موقظه • وللظالمين محفظه • ولأولياء الله مرقة ولأعداء الله مغلفه • وضع
 للتباكون • وعج الملتشاكون • ورقت القلوب • وخفت الكروب • وتصاعدت
 الثعرات • ومحدت العبرات • وناب المذنبون • واناب المتحوبون • وصاح التوابون •
 وناح الاوابون • وجرت خالات جلت • وجلوات حلت • ودعوات علت • وضرامات
 قبلت • وفرص من الولاية الالهية انتهزت • وحصص من العناية الربانية أحرزت •
 وصلى السلطان في قبة الصخرة والصفوف على سعة الصحن بها متصله • والامة الى الله
 بدوام نصره مبتهله • والوجوه الموجهة الى القبلة عليه مقبله • والايدي الى الله مرفوعة •
 والدعوات له مسموعة • ثم رتب في المسجد الأقصى خطيبا استمرت خطبته
 واستقرت نصيته •

﴿ وصف الصخرة المعظمة عمرها الله ﴾

وأما الصخرة فقد كان الفرنج قدبنوا عليها كنيسة ومذبحاً • ولم يتركوا فيها للايدي
 المتبركة • ولا لاعميون المدركة ماساً ولا مطعماً • وقد زينوها بالصور والتماثيل • وعينوا
 بها مواضع الرهبان ومحط الانجيل • وكلوا بها أسباب التعظيم والتبجيل • وأفردوا فيها
 لموضع القدم قبة صغيرة مذهبه • بأعمدة الرخام منصبة • وقالوا محل قدم المسيح • وهو
 مقام التقديس والتسييح • وكانت فيها صور الانعام • مثبتة في الرخام • ورأت في تلك
 التصاوير • أشباه الخنازير • والصخرة المقصودة المزروعه • بما عليها من الابنية مستورة •

وبتلك الكنيسة المعمورة مغمورة • قاصر السلطان بكشف نقابها • ورفع حجابها • وحسر لثامها • وقشر رخامها • وكسر رجامها ونقض بنائها • وفض غطائها • وابرأها للزائرين • واظهارها للناظرين • ونزع لبوسها • وزفاف عروسها • واخراج درها من الصدف • واطلاع بدرها من السدف • وهدم سجنها • وفك رهنها • وارة حسنها • وضاءة بنها • وابداء وجهها الصبيح • وجلاء شرفها الصريح • وردها الى الحالة الحالية • والقيمة الغالية • والرتبة العاليه • وهي التي حليها عطل وعطلها حلى • وعريها بكسوة وكسوتها عري • فعادت كما كانت في الزمن القديم • وشهدت حين شوهدت بحسبها الكريم • وسيم بهاء حسننها الوسيم • وما كان يظهر منها قبل الفتح الا قطعة من نحتها • قد أساء أهل الكفر في نحتها • وظهرت الآن أحسن ظهور • وسفرت ايمن سفور • وأشرقت القناديل من فوقها نورا على نور • وعملت عليها حظيرة من شبابيك احديد • والاعتناء بها الى الآن كل يوم في مزيد • ورتب السلطان في قبة الصخرة اماما من أحسن القراء تلاوه • وأزبنهم طلاوه • وانداهم صوتا • وأساهم في الديانة صيتا • وأصرفهم بالقرآت السبع بل العشر • وأطيبهم في العرف والنشر • وأغناه وأقناه • وأولاه لما ولاه • ووقف عليه دارا وأرضا وبستانا • وأسدى اليه معروفا دارا واحسانا • وحمل اليها والى محراب المسجد الأقصى مصاحف وحنات • ووريات معظلمات • لاتزال بين أيدي الزائرين على كراسيها مرفوعة • وعلى اسرتها موضوعه • ورتب لهذه القبة خاصة والليت المقدس عامه • قومة لشمع مصالحها ضامه • فا ترتب الا العارفون الماكفون • القائمون بالعبادة الواقفون • فابهج ليها وقصد حضرت الجموع • وزهرت الشموع • وبان الخشوع • ودان الخضوع • ودرت من المتقين الدموع • واستمرت من العارفين الضلوع • فهناك كل ولي يعبد ربه ويأمل بره • وكل اشعث أغبر لا يوبى له لو أقسم على الله لأبره • وهناك كل من يحى الليل ويقومه • ويسمو بالحق ويسومه • وهناك كل من يختم القرآن ويرتبه • ويطرد الشيطان ويبطله • ومن عرقته لمقرته الاسحار • ومن ألفته لهجده الاوراد والاذكار • وما أسعد نهارها • حين تستقبل الملائكة زوارها • وتلحف الشمس أنوارها أنوارها • وتحمل القلوب اليها أسرارها • وتضع الحنات عندها أوزارها • وتسبدي صبيحة كل يوم منها اسفارها • وما أظهر من تولى اطهارها • واظهر من بانر إظهارها • وكان الفرغ قد قطعوا من الصخرة قطعاً وحلوا منها الى

قسطنطينيه • ونقلوا منها الى صقلية • وقيل باعوها بوزنها ذهباً • واتخذوا ذلك مكسباً •
 ولما ظهرت ظهرت مواضعها • وقطعت القلوب لما باتت مقاطعها • ففي الآن مبرزة
 للميون بحرها • باقية على الايام بجزها • مصونة للإسلام في خدرها وحرزها • وهذا
 كله ثم بعد انفصال السلطان • والنروع في العمران • وأمر بترخيم محراب الأقصى •
 وإن يبالغ فيه ويستقصى • وتنافس ملوك بني أيوب فيها يؤثر بها من الآثار الحسنه •
 وفيما يجمع لهم ود القلوب وشكر الالسنه • فسا منهم الا من أجمل وأحسن • وفعل
 ما أمكن • وجلى وبين وحلى وزين • وأشفق وأفق • وأغنى وأقنى • واعتني وابتني •
 ووفي وأوفي • وأصنى وأضنى • وأتى الملك العادل سيف الدين أبو بكر • بكل صنع بكر •
 موجب لكل شكر • وكل فعل جميل • ورفد جزيل • ومن جلى ومنح جليل • ومكرمة
 حميده • ومحمدة كريمة • وفضيلة بها ترجح • ووسيلة بها تنجح • وأتى الملك المظفر تقي
 الدين عمر • بكل ما هم به العرف وغمر • ونهى وأمر • وبني وعمر • ومن جملة أفعاله
 المشكوره • ومكرماته المشهوره • انه حضريوما في قبة الصخرة • مع جماعة من السراء
 الاسره • ومعه من ماء الورد اجمال • ولأجل الصدقة والرفد مال • فأنهز فرصة هذه
 الفضيلة التي ابتكرها بالافتراض • وتولى بيده كنس تلك الساحات والعراس • ثم غسلها
 بالماء مرارا حتى تطهرت • ثم أتبع الماء بماء الورد صبا حتى تعطرت • وكذلك طهر
 حيطانها • وغسل جدرانها • ثم أتى بمجامير الطيب فتبخرت • وتضوعت وتعرفت •
 وفغمت مناشق أهل الهدى • وأرغمت آناف العدى • وما زال مع قومه • في
 تطهير البقعة المباركة طول يومه • حتى تيقنت طهارتها • وبيئت عمارتها • وراقت
 فضايرها • ووقفت عليها الاستحسان نظارتها • ثم فسر ذلك المال فيها على ذوي
 الاستحقاق • وأقحضر بان فاق الكرام بالانفاق • وجاء الملك الأفضل نور الدين على •
 بكل نور جلى • وكرم ملى • واحسان سقى • وانعام هني • وعرف زكى • وعرف
 ذكى • وعطاء مبتدع • وسخاء مخترع • وجود مبتكر • ورفد معتبر • وأتى بكل ما
 خلد الأثر الحسن • والطق بحمده الالسن • وبسط بها الصنيعة • وفرش فيها البسط
 الرفيع • وهدي وأهدى • وأعاد بعد ما أبدى • وأثار وأسدى • وأفاض الندى •
 وفنض الجدا • وفنض الاكياس • حتى خلنا به الافاض والافلاس • وسأني ذكر
 ما اعتمده من بناء اسوار القدس وحفر خنادقه • وأعجز بما أعجب من سوابق

معروفه ولواحقه * مالم يشق أحد فيه غباره * ولا ملك سابق فيه مضماره * وأما الملك العزيز عثمان * فانه أتى بالاحسان الذي استظهر به الإيمان * وذلك انه لما عاد الى مصر * وقد شاهد الفتح والنصر * ترك خزانة سلاحه بالقدس كلها * ولم يربعد حصولها به قلها * وكانت احمالاً بأموال * وانحلالاً كخيال * وذخائر وافيه * وعدداً وافية * ودروعاً سوابغ * ونصولاً دوامغ * وخوداً وترائك * ورماحات ونيازك * وقتاً وقابل * وصواقل وذوابل * وجروحاً وقسيا * وعماياً وهندياً ورزانيا * وردنيا ومشرفياً * وجفاتي وجنويات * وطوارق وقطاريات * ورانات حديد وزانات * وآلات وزيارات وزرافات * ونفاطات وقطامات * وعدد الثقوب * وجميع أدوات الحروب * فاستظهرت بها المدينة * وتوثقت بها عراها المتينة . وكان من جملة ما شرط على الفرنج ان يتركوا لنا خيلهم وعدتهم . ويخرجوا قبل ان يستوفي الباقون في أداء القطعية مدتهم . فتوفرت بذلك عدد البلد . واستغنى بذلك عما يصل من المدد .

ذكر محراب داود عليه السلام . وغيره من المشاهد الكرام

وتبديل الكنائس . وانشاء المدارس

وأما محراب داود عليه السلام خارج المسجد الأقصى فانه في حصن عند باب المدينة منيع . وموضع عال رفيع . وهو الحصن الذي يقيم به الوالى . فاعتنى السلطان بأحواله الحوالى . ورتب له اماماً . ومؤذنين وقواماً . وهو مثابة الصالحين . ومزار القاديين والراشدين . فاحياه وجده . ونهجه لقاصديه جده . وأمر بمسيرة جميع المساجد . وصون المشاهد وانجاح المقاصد . واصفاء الموارد للقاصد والوارد . وكان موضع هذه القلعة دار داود وسليمان عليهما السلام . وكان ينتا بهما فيها الانام . وكان الملك العادل نازلاً في كنيسة صهيون . وأجناده على بابها مخيمون . وفاوض السلطان جلساؤه من العلماء الابرار . والاقياء الاختيار . في مدرسة للفقهاء الشافعية . ورباط للصالحاء الصوفية . فمين للمدرسة الكنيسة المعروفة بصندحة عند باب أسباط . وعين دار البطرك وهى بقرب كنيسة قامة للرباط . ووقف عليهما وقوفاً . واسدى بذلك الى الطائفتين معروفاً . وارناد أيضاً مدارس للطوائف . ليضيفها الى ما اولاه من الموارف . وأمر بغلق ابواب كنيسة قامة . وحرّم على التصارى زيارتها ولا الاسامه . وتفاوض الناس عنده فيها .

فهم من أشار بهدم مبانيها • وتعمية آثارها • وتعمية نهج مزارها • وإزالة تماثيلها • وإزالة أباطيلها • وإطفاء قناديلها • وإعفاء أنجليها • وإذهاب تساويلها • وإكذاب أقاويلها • وقالوا إذا هدمت مبانيها • وألحقت بأسافلها أعاليها • وبُنشت المقبرة وعقيت • وأخذت نيرانها وأطفيت • وحيث رسوها ونفيت • وحرثت أرضها • ودمر طولها وعرضها • انقطعت عنها إمداد الزوار • وانحسرت عن قصد ما اطماع أهل النار • ومهما استمرت العماره • استمرت الزياره • وقال أكثر الناس لاقائده في هدمها ولا هدمها • ولا يؤذن بصد أبواب الزيارة عن الكفرة وسدها • فإن متبدهم موضع الصليب والقبر لاما يشاهد من البناء • ولا ينقطع عنها قصد اجناس النصرانية ولولسفت أرضها في السماء • ولما فتح أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه القدس في صدر الاسلام أقرم على هذا المكان • ولم يأمرهم بهدم البيان •

ومما كتبه الى الديوان المزيّر مجده الله للبشارة بفتح القدس

مع الرسول ضياء الدين الشهرزوري من رسالة

• قد سبقت البشار بما من الله به من الفتح العظيم • والتصر العظيم • والعرف الجسيم • والفضل الوسيم • واليوم الآخر الاعز الكريم • والشرف الذي ذخره الله لهذا العصر لفضله • على الأعصار • وأراد تأخير فخاره الى هذه الايام ليكون بها تاريخ الفخار • فقد أعجز الملوك عن اقتضاء نصرته • واقتضاض عذرتة • وخص من اجراء على يده بسمو قدره ونمو قدرته • وأعاد به القدس الى قدسه • وأظهره وطهره من رجز الكفر ورجسه • وقد رجح الاسلام الغريب منه الدار • وخرج قر الهدى به من سراره • وذعبت ظلم الضلالة بأنواره • وعادت الارض المقدسة الى ما كانت موصوفة به من التقديس • وأمنت المحارف فيها وبها فصارت صباح السرى ومناخ التمريس • وقد أقصى عن المسجد الأقصى الأقصون من الله الابددون • وتوافد اليه المصفون الأقربون • والملائكة المقربون • وخرس الناقوس بزلج المسيحين • وخرج المفسدون بدخول المصلحين • وقال المحراب لاهله مرحبا واهلا • وشمل جماعة المسلمين من اقامة الجمعة والجماعة ما جمع للإسلام فيه شملا • ورفعت الاعلام المباسية على منبره • فأخذت من بره اوفي نصيب • وتلت بألسنة عذبا نصر من الله وفتح قريب • وغسلت الصخرة المباركة بدموع المتقين من دنس المشركين • وبعد أهل

الاحد من قربها بقرب الموحدين • فذكر بها ما كاد ينسي من عهد المعراج النبوي •
 وقامت بدلائها براهين العجايز المحمدى • وصاغت الايدي منها موضع القدم • وتجدد
 لها من البهجة والرسالة ما كان لها في القدم • فهو نافي للمسجدين • بل ثالث الحرمين •
 فليهن اليك الحرام خلاص اخيه البيت المقدس من الاسر • واسفار صبح الاسلام بعد
 طول اعتكار ليل الكفر • وتطهير مواقف الانبياء صلوات الله عليهم من ادناس الارجاس •
 وتوضوع ارج الرجاء في ارجائه بعد الياس • فالحمد لله الذي ابدل الايماش بالاناس • وكرع
 عنه بافاضته خلع الرحمة عليه لباس الياس • ونجل عصر مولانا مبر المؤمنين صلوات الله
 عليه علي العصر مفضلا • وكل بهذا الفتح الشريف شرف زمانه فأصبح نضر الدين
 والدنيا به مكلا • ويسر ببركات ايامه فتح البلاد الساحلية بأسرها • وعجل هلاك هذه
 الطائفة الطاغية من الفرنج بقتلها واسرها • ولقد حل الكفر حمرة صروه • وهذ ذروة
 ذروه • وعادت حباله راناً • وعقوده أنكناً • ومساكنه اجداناً • وصار حديثاً بعد ان
 شهد أهل الذمة أجداناً • قال تاج مستفتح • والرجاء مستجيب • والبلاد مستخرجة • والقيم
 الفوالى منها يسوم العوالي مسترخصة • والمقاتل مقتضة • والمعاقل متفضة • ومناهل
 المني بمياه النجاج مرفضة • ونجوم الرجوم على شياطين الكفر بسيوف أهل الايمان
 منقضة • والثغور مبتسمة • والامور منتظمة • والحصون متسلمة • والخصوم مذعنة
 مستسلمة • وأرض الكفر بنقصها الاسلام كل يوم من اطرافها • بل يستولى على
 أوساطها واكنافها ويعد الى الطاعة كرها مذهب خلافها • ولقد ائتمن زرعها ونمراها
 من رؤس المشركين وهذا اوان حصادها وقطافها • والمنة بحمد الله عظيمه • والموهبه
 وان خست هذا الاقليم فهي في جميع اقاليم المسلمين عيمه • ولو شرح ما لهذا الفتح
 من جلالة العظمة ودلالة المكرمه لكبا قلم البليغ في مضار البيان ولم يبلغ مدى • قل لو
 كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بحمله
 مدداً • والقاضي ضياء الدين القسّم الشهرزورى قد توجه لهذه المنمة واصفا • وعند ما يأمر
 به من انتهاء البشرى بها واقفا • واولي من وصف العرف من كان باوصافه عارفاً • واحق
 من شرح الحق والحقيقة من تقي بشرح الصدور مصادر شرحه • ويشفع على الاسلام
 أبواب الهناء بانهاء ماتسني من فتحه • ويحدث وهو الضياء بأسفار صبحه

﴿ عاد الحديث الى ماجرى بعدفتح القدس ﴾

واقام السلطان على القدس حتى تسلم ما بقربها من حصون • واستباح كل مال الكفر بها • من مصون • ورحل ولده الملك الأفضل قبله الى عكا • ثابدا • وعن حوزتها ببأسه وجوده ذاتدا • ثم تبعه الملك المظفر فرحل • وسار الى عكا وبها نزل • ثم عمدا السلطان الى ماجعه ففرقه • وأخرجه في ذوى الاستحقاق وأنفقه • وفرضه بموارفه • وفرضه في مصارفه • فسد خلة الميل • واسهم منه ابن السيلح • ورحل به عن القارم • واحيي به سنن المكارم • ووضع في أهله • وأحله في محله • وصرفه في حله • وقدم التوسعة على ذوى الاضافة • والاتفاق في أهل الفاقه • واحيي الاجناد منه مقاطف • وجعل للمجاهدين منه وظائف • وإبقاء باقائه زخرا للآخره • وكسبا للمجاهد الفاخره • فأكثروا عدله على بذله • واستكثروا مافضه بفضله • فقال كيف أمتع الحق مستحقه • وهذا الذى أنفقه هو الذى إبقه • وإذا قبله • في المستحق قائلة له على فيه • فانه يخلصني من الامانة ويطلقني من وثاقها • فان الذى في يدى وديعة احفظها لذوى استحقاقها • فما حاد الوفد الا بوفر ودر • والافاضة في نظم من حمده ونثر • وحاز كل ذى فضيلة منه فضلا • وقبأ كل فئة من فيه ظلا • وكثر السائلون بالفضائل والقائلون بالسائل • والقاصدون بالقصائد • والوافدون بالفوائد • والواردون بالفوارد • والسابقون بالشوافع والشافعون بالسوابق • والسالكون للطرائق • والمالكون للحقائق • فأتى الاقارئا بالسلطان الفصيح • وراويا للكتاب الصحيح • ومتكلميا في مسأله • ومتفحفا عن مشكله وموردا لحديث نبوى • وذاكرا لحكم مذهبي • وسائلا عن لفظ لغوى • ومعني نحوى • أو مقرضا بقرئض • أو معرضا بتصریح أو مصرحا بتعريض أو جالبا لمده • أو طالبا لمنحه • أو مستضمفا بفاقه • أو مستسغفا بفاقه • أو نشدا بنشيد • أو مسما بتقريب وتفريد • وما فهم الا من أحظى بسهم • أو أراضى بقسم • وأصيب بنصيب وأجيب • واجيز بتقرير وتقريب • فقيل له لو ذخرت هذا المبال للمال • لشفيت به مايقع من الاعتلال • وكفيت بالحقيقة ما يسع من الاختلال • فقال املئ قوي من الله الكافل بنجح الامال وجمع الاسراء للطلقين • وكانوا الوفا • من المسلمين • فكساهم وأسامهم • وواساهم • واذهب أساهم • فانطلق كل منهم الى وطنه ووطره • ناجيا من ضرره

ووضره ومكث السلطان عليه مقبياً • للنظر في مصالحه مستديماً • فقبل ما يعودك عن صور • فانهض اليها عسكري المنصور • وأنت تدخلها يوم وصولك وتحظي منها بمرادك وسؤلك • فأثرو السير • واحو الخير • واحصر الخير • واحظر الأخير • وفي تمجيد النهضة • تحصيلها في القبة • وفي بدار الامام بدارها • بشري أهلة الفتوح المقرة بإدراكها • فأسر بالمسكر وأسرع • واقطع عن الكفر تلك الاعمال واقطع • وأكثر من كان يستحقه • وعلى النهوض يبعثه • الامير على ابو أحمد المعروف بالمشطوب • وكان من اكبر الامراء الكافين • للخطوب • الكافين في الحروب • وكانت معه سيدها وبيروت • وهما بقرب صور وقد اشفق ان فتحها يفوت • فرأى الحظ في الحضر • وحرص على الفرض • ولم يفكر في قوتها بانقال رجال الساحل اليها • وانه يشق في هذا الوقت النزول عليها • وكان المراكس عند اشتغالنا بالقدس بأحكام صور مشتغلاً • وعلى الاستمرار بتحصينها مشتغلاً • وقد استجد قدامها من البحر الى البحر خندقاً • وجعل الطريق اليها مضيقاً • واحكم أسباب الاحكام • وأخذ بالحزم في الاهتمام.

﴿ ذكر رحيل السلطان عن القدس على قصد حصار صور ﴾

ورحل السلطان عن القدس يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان • وقد عنا لامره كل قاص ودان ودان • وودعه ولده عزيز مصر في أول منزله • وسار له لكرامية فراقه مقدار مرحله • ثم اوصاه وشيعه واستصحب اخاه الملك العادل معه • مستظها بأخائه • مشتبها بالآله • مستبصراً بأرائه • مستصبراً بمضائه مستغنياً بقائه • موفياً بوفائه • وهو بعقد يعقد وبحله يحل • ويشده يشد ومحلوله يحل • والمساكر بالفضاء قائمه • وللخطوب الرضا رائضه • الى استنهاض النصر لاصارها ناهضة • ومن هواها انها في دأماء الدماء من أهل الكفر خائضه • فوصل الى عكا في أول شهر رمضان غنيم بظواهرها ظاهراً بنجيمه • باهراً بتأخير • وتقديمه • قاهراً بشباه المير • زاهراً بسناه الكثير • جاهراً بسره • ظاهراً في بحر • واقام اياماً يتفكر ويندبر • ويستشير ويستخبر • والمشطوب يستحله • ولا يمهله • ويحضر بالبيت • ويحذر من المكث • ويقول الفرصة تدرك بالحث • وتفوت باللبث • فسار لندائه ملياً • ولجيش النصر معيماً • ولرأيه مقلداً • وبالله عز وجل متأيداً • فوصل الى صور تاسع شهر رمضان يوم الجمعة • بالبحافل المحتفلة والجويع.

المجتمع * فنزل بمبدأ من سورها * سعيداً في ترتيب أمورها * مضروبة قباها * مجنوبة
 حراها * محجوبة بالبنود والجنود أرضه وسماؤه * منشورة راياته منصوره آراؤه *
 خافقة على الاعداء عذبات عذابه * دافقة في ثرى النجع في الأنحاء تراث صوب صوابه
 قد كست خيامه صري العراء * وفشت أشعة بيضه وسمره الفضة بالقضاء * واحتوت
 مضاربه المضينة بآلآه وآرائه على مضارب المضاء * وباحت استباحة حمى المشركين
 للموحدين بسر السراء * فككت أياما حتى تواصل المدد * وتكامل العدد * واستحضر
 آلات الحصار * واستكثر من المجانيق الصغار والكبار * ثم تقدم إليها وخيم عليها الثاني
 والعشرين من الشهر يوم الخميس * في خميس يسير في الوشيج كالاسد في الخبس * ونزلت
 النوازل المركبة من نزوله ونزاله بالركبس * فوقع في الدردريس * والعذاب البئيس *
 فكأنما نفخ في صور صور * فخر أهل جهنم وملوا السور * واتصلت زيارة
 الزيارات للجروح بالجروح * وتوافت مناجاة المجانيق بالحدوش والشدوخ * وأرسلت
 الحجارات حاضرة حاجزه * وألست أهل الرجب والرجز بالفحشاء واجزه * وكانت
 صور على السوء مستويه * وعلى كل من خرج من القدس وبلاد الساحل محتويه *
 فضجوا وارتجوا * وطاجوا وعجوا * ولجؤا ولجوا * ونصبوا على كل نيق منجنيقا *
 وشدوا من كل جانب ركننا وثيقا * وشدوا في الحيايل * ومدوا في الجبال * ورموا من
 الشرافات * بالشرور والآفات * وسلب الحجار حجاها * وأمت الامة وجاها وجاها
 فككم من رؤس اطارت * ونفوس ابارت * وبر خسفت * وبدر كسفت * وبحر نزلت *
 وطود نسفت * فحول السلطان الى قربها له خيمة صغيره * وأنهض بنات الحنايا بالبنايا
 عليها مفيره * وصف الجفائي * فصدف أثنها الآتي * وعارض بحرها بمرض بحره * ورد
 كيد الكفر من المنجنيق بما نصبه من المنجنيق في نحره * فأحبط أعمالهم بأعماله *
 وأهبط رجالهم برجاله * وقابل الأبراج بالأبراج * وحاول بالردى علاج الاعلاج *
 ووالها حجارات وصخورا حتى جعلت سور صور سورا * وجد في أمرها * وأجاد
 في حصرها * ووصل اليه في تلك الايام * من قوى به ظهر الاسلام * ولده الملك الظاهر
 غياث الدين غازي * وهو الذي حل في سماحته وحماسته عن الموازن والموازي * فقدم
 مبارك القدم * متدارك النعم * على الهمم * غالي القيم * ومعه عسكر بحر لجب جلبه من
 حلب * قد استصحب البيض والسمر والبيض واليلب * فظهر من الملك الظاهر ما ملك

به قبول القلوب . واغرى سيفه بسفك دم الكفر المطلول المطلوب . ورأى نصب خيمته
 وراء خيمة آية المنصوبه . وجد في استرجاع مدينة الاسلام المنصوبه . وقدم بين يديه
 كل حجار راجح . وكل تقاب ناجح . لصم الصفاح مصانح . وكل جاندار جان در
 الردى للكفار . وكل زراق رزق الجسارة على أهل النار بالنار . وكل منجنيق من جنانه
 تقتبس ذبالة البساله . وكل جرخي رخي البال بالهدى لاصباء أهل الضلاله . وكل رام رام
 النجم في الافق فراماه . وكل همام هم بالخطب النازل فتحاماه . وكل مقدم قرنه دام .
 وكل ضرغام صربه في رغام * وكل ققام ضارب بصمصام . وكل حام شارب بكاش
 حمام . وكل ذمر مشيح * لذمار الكفر مبيع . ولروح الجدم مريح . ولذماء المزاح
 حزيع * وكل فائق لحبل الوريد باتك . ولستر الحياه هاتك . ولدم العداة سافك *
 وكل شجاع الى الموت داع . والى المجد سباع . والاسلام راع . وللأشرار ناع * وكل
 فارس للفوارس فارس . وللذوايل في التحور غارس . وفي اليوم العابس غير طابس
 وكل راجل لقهر العدو راج * وبسر البأس مناج . ومن شر الناس يشجاعته ناج *
 وبباعت المنون لمن يلاقه شاج . وكل عتال عات . ونجار ونشار ونحات * وحدادوقين
 * وكل زائر لعدى بحين * فاجتمعوا وزحفوا * وجفوا على القوم ورحفوا . وأصموا
 وصمموا * وأوقدوا نارا وأضرموا * وأطاروا من اعشاش الاقواس الى أوكار الاحداق
 أفرأخا . واستصرخوا الافدار لافدارهم فخبهم حين أحبتهم اصراخا . وغلفوا على
 الرقاب الغلاظ بالرقاق . وأولوا الشقاء لاولى الشقاق . وتساعدوا وتناصروا . وتطاولوا
 وما تقاصروا . وما فهم الا من أبان عن جد . وأبان بجد . والان الشديد * وأبان
 بالسديد . وأفلح ففلح الحديد بالحديد * وجد الجديد . ومد المديد . وصور مرصحة
 أبوابها . مرتجة أربابها . مقصدة جوانبها . مرتصة عصابها . مشحونة أبراجها .
 مسحونه أعلاجه . محصورة كلاها * محسورة ذئابها . محشودة ثمالها . محشودة كتابها
 والمركس بها متجههم * وابليس عليه متحكم * وقد سقط في يده * وسخط لبلده *
 واربط بجلده . واختلط بكبد . وغلت مراحل غلوائه . وعدت غوائل عدوائه *
 وطاش وجاش . وأوخش الأوباش والاوخاش . وتوشح بالشر وتوحش * وترشح
 للردى وتحرش * واشتمل بجمره * وبعل بأمره . وضرى بضره . وحال بوجهه في مكر
 حكره * وكر في وكره . وعشا

عشه * وغشى غشه * وثبت على لجابه * ونبت في أجابه * وتسعر وتسعر * وتربص
وتصبر * والسلطان مصيب حكمه * صائب سهمه * ماض عزمه * قاض حزمه * بار
حده * جار جده * وار زنده * سار وفده * بآك ضربه * فآك ضربه * قاطع شبا
باسه * ساطع سني لبناسه * قد انسقت أسبابه * واتسعت رحابه * واجتمع أصحابه *
قازدحم على يابه وحول قبايه كل مبارز بار * وكل ضارب ضار * وكل حجار جار *
وكل راح ورام * وكل حامل سلاح وحام * وكل سائف حائف * وكل عاصف قاصف
* وكل آكل للحرب شارب * وكل طالع بالضرب غارب * وكل هاجم هائج * وكل راجم
رائج * وكل معقل متقلز * وكل مجرب مجرد * وكل ذكر مذكور * وكل غضنفر
مشكور * وكل لث ملاث * وكل غيث غياث * وكل سفاك لدم الكفر سفاح * وكل
جراد لسيف الفتك جراح * وكل مكتم في درعه * مكتمن في نغمه * ملثم بزغفه *
ملثم بحرفه * مقنع بلامه * ملغع بهتاه * سابح في بحر الموت بسابحه * سامع في الصباح
صوت صافحه * فجمع اليه أمراءه * واستحضر عظماء ملكه وكبراءه * وقالوا هذا بلد
حصين * ومكانه من الارض مكين * في البحر ثلاثة أرباعه * وفي السماء ارتفاع يقاعه *
وطريقه الذي يسلك من البر اليه * قد أحاط به البحر من جانبيه * وقد قطعوه بجندق
في عرضة * وعمقوه ونزلوا في أرضه * وكان من احكام الحزم * واتمام العزم *
تكميل الآلات وتعيمها * وتحصيل المنجنيقات وتقديمها * وتركيب الابراج والديابات
وتأليفها * وتقريب الجفاني والجنويات وتصنيفها * وتسوية مناصب المجانيق وتسقيفها *
وتحية أنفال المسكر وتخفيفها * ونخبة نخب الرجال وتصريفها * وتسنية الاسباب *
وتهئية الاخشاب * واستحضار كل مايراد للحصار * واستفغار كل من يرام من الانصار *
فاذا حضرت هذه الاشياء والاشياع * وتيسرت وتوفرت الاصول والاتباع * وحب
الذرع في الحصر والمضايقة وطال الباع * واذا حالت الاحوال وضاعت الاوضاع *
احتل واعتل التزل والتزاع * وأمر السلطان بإزاحة الليل * وإزالة الخلل * وشغل
الصناع بالعمل * ونقل الامل الى طريق الاجل * وتقديم قطع أشجار الفياض * وحمل
ماينلك التواحي من الاتقاض * فاجتمع هناك كل آل وآله * وذباب وذباله * وقضيب
ومقضب * ومجرب ومجرب * وسهم وشهم * وشهب ودهم * وأحمال * وأنقال *
ونظمت الستائر من القضيب * وصفت من سور صور بلمكان القريب * وكث من

ورائها الكاه * واستترت بالجفائي قدماها الرماه * واشتغل كل صانع بصنعه * وكل جامع بجمعه * وكل دافع مانع بمنه ودفعه * فن جان بمنجنيق * ودان الى نيق * وداب بدياه * وذاب بذياه * ونازع في حنيه * وناز بمنيه * وقاذف بشراره * وحاذف بحجاره * وهالك من ستاره * وفالك بحجاره * وجاذب في حبال * وجالب لوبال * ومروفي قلع ومسو لمقلع * ومدبر يايحاف ومدمر يايحاج * ولم نزل المتجنقات ترمى * والحجارات تدمر وتدمى * والدبابات تطير من أوكارها عقبان الجروح * وأطباق البرج تبنى وتنفطى بالسلوخ * حتى امتد الزمان * واشتد الحران * وضاق الحصر * واعتاق النصر * وكان المسكر قد ألف تيسر الفتح * وتسرع النجح * فصعب عليه حين صعب * وتبع هواه لما تعب * ولم يألف الناس الا ارواء ظمائهم بنهله * والحصول على أكساب سهله * وقبح ما قصدونه من البلاد بغير مهله * فلما توقف هذا الفتح توقفوا * وملوا وخيروا وتأنفوا * والساطان مع ذلك يزداد في حده حده * وفي شدة شدة * وفي جده جده * يبتهم بجنه ويحتم على الثبات * ويقويه بجوده ويوجد لهم القوات * ويقول ان الله أمر بالمصابرة ولا مصابة الا بالثابرة * فاصبروا تفلحوا * وصابروا تفتحوا *

﴿ ذكر ما تم على الاسطول ﴾

وكان السلطان قد نفذ من صور * واحضر اليها من عكا ما كان بها من مراكب الاسطول المنصور * فوصلت منها عشر شوان * على العدى جوان ولاردى لهم جوان * فحمرها بالرجال * ونجهزها للقتال * واتصلت بها مراكب لنا من بيروت وجبل * فاستشمر المراكيس وأشياعه منها الوليل * وعمرها لهم مراكب * ورفعوا بها مناكب * وسفتنا بالساحل عندنا مربوطه * ومحفظنا مضبوطة محوطة * ودامت تدب عقاربها * جتذب سواربها * ونجربى سواربها وتسري جواربها * وتطير للقتنص بزائها * وتغير للفرس غنائها * وتكسر بكواسرها * وتدور بدوائرها * وتلاطم الامواج بأمواجها * وتزاحم الابراج بأبوابها * وترفع شرع الهداة بشرائعها * وتقلع عرش الغواة باقلاعها * وتنقض على شياطين الكفر شهبا * وترفض بشايب الذمر سحبا * فكأنها الاسود السود * وركبتها الاسود * من كل افعوان يحمله افعوان * وشجاع امتطته شجمان : وغراب يشنت العدى ناغق * وسحاب يوميض الهدي بارق * فيالها من اغربة دارت بعقبان

واجنحة طارت بظلمان . ورواس سوار . وغواز بغوار . وقد ملئت برمات الحدق .
وحماة الخلق . وزراقى الثار . وطراقى الثار * والحاطفين بالحطاطيف . والقاذفين
بالمقاذيف . والكالمين بالكلايب . والسالبين بالاساليب . والحارين بالمحاريب .
والراجسين بالرجام . وللملمين على الاعلام . فانشقت مراراً الفرنج . وأزاحت سفنها
عن النهج . وقرصت بزاة اليزانية . وقلصت جناة الجنويه * وكرئت أدواء الداويه .
وكرئت اسواء الاسبتاريه . وزادت آلام الالمانيه . وعادت اسقام الافرانيسيه .
وصارت مراكبهم في المينا لاتيين . وشدتهم بشد شوانينا تكاد تلين . وقدر بطوا عندهم
السفن . فلو خرجت كانت جبالا لسفن . وأنس امحبنا بملو الامر . وخلو البحر .
وأمنوا من الخوف . وأدمنوا على الطوف . ودام تطوافهم . واستقام ابحافهم . واغتروا
بالسلامة . وسروا بالاستقامة . وبات لنا شوان خمس . لها يزوال الوحشة أنس .
وربطت بقرب مينا صور راصده * ولاخذ ما يخرج من شوانيا قاصده * والدياجي
مدلهه . والدواهي ملته . وعيون الزهر راقده . وعيون الكفر ساهده . وللمكايد
. صايد . وللعوادي عوائد . وللقوائل طوائل . وللمسائل دلائل . وللمقادير مقاد .
ولاولئك المراد مراد . فحفظ امحبنا الى السحر الحرم . وسهروا الى ان شارفوا الفللس
وكل منهم لما استأنس لنس . وغاص في النوم وما تنفس . فما انتهوا الا وسفن
الفرنج بهم محدقه . ونيرانهم محرقه . فولجوا في البحر والتجوا . وتطافروا الى الماء
لينجوا . وعدت العداة . وأخذت تلك الشواني الشناء . وأسروا منها عدة . ولقي الباقون
شده . فاغتم السلطان بسبب هذه التكة . وفرح الكفار بتلك الضربة . وكانت تلك
أولى حادثة كرت . وكارثة حدثت . ونائية رابت . ورأية ثابت . فضافت القلوب .
وضافت الكروب . وحصلت تجربة الفارين . واتصلت حركة القارين . واستيقظ الناعس
واستوحش الآس . وهب الراقد . ودب الراكد . وذاب الجامد . وشب الخامد .
وهاج الزائر . وماج الزائر . ونحرك الساكن . وتورك الراكن . وعقل من غفل .
وفطن من ذهل . وتيقظ من غفا . وحفظ من هفا . وتقبض من انبسط . وتقيد
من نشط . وهم من عف . وألم من كف . ورجفت الأفاق بالمرجنفين . وطالت
السنة المغنبن . فتهم من يؤنب ويذنب . ومنهم من يقول ويظن . والعاقل يجنب
ويقم العذر لمن يذنب . ويقول هذه من الله موعله . وآية لنا موقظه . وأشار

الناس بأفاد الشواني البواقي . وقطعوا بان هذه القطع لانكفي الملاقاة من يلاقي . فجهزوها
 نهاراً . وصبروا سرها جهاراً . وأمروا بتسييرها الى بيروت . ورجوا ان تسبق وتقتوت .
 وركب العسكر في الساحل بباريها . وهي بالقرب بحارية في البحر . وهو في البر بحارياها
 قابصر ملاحوها شواني الفرج لمبارزتها مبرزه . وللأجهاز وراءها مجهزه . وكانوا رجالا
 من بحرية مصر مجحه . وأصبحت قلوبهم بما جرى على انظارهم مرقّعة . وقواقوا
 الى المساء . وخافوا على دماهم في السماء . وخرجوا الى البر على وجوههم . وخافوا
 مكرهم في مكرهم . وفروا وفاروا . وطاروا وناروا . ولم يلفت أحد منهم لبنا .
 ولم يزددهم دعاؤهم الى التجمع الا تشيتا . فظهر بهذه الثوبة الواقعة . والنبوة الرائحة .
 ان نواب مصر لم يحجر منهم بالاسطول احتفال . ولم يرتب فيه على ما يراد رجال . وانما
 حشدوا اليها جمعة مجهولة غير عارفة ولا معروفة . ومستعجلة غير آلفة ولا مألوقة .
 فلا جرم لما شاهدوا الروح ارتاعوا . ولما الزموا بالطاعة ما استطاعوا . وكان في جملة
 شوانينا قطعة يتولاها رئيس جيبيل كلها جيبيل . وفيها بحرية من ذوى التجربة والتجربى
 والتجربة ما لها جيبين ولا ميل . فطال بأسلحة الدفاع . وطار بأجنحة الشراع . وقاز
 بالسبق وفات . وهبات ان يدرك هبات . فتجا التجباء . وآب بهم الآباء . فبقيت
 المراكب الباقية . وقد أخلاها حمانها الواقية . فرفقناها الى البر . ورأينا الصحة منها في
 الكسر . وفرغنا من شغل المراكب في البحر . هذا والمنجنيقات ترميهم . والمفوقات
 الموقفات تعميمهم وتصميمهم . والقتال قائم . والنزال دائم . والصخور تغلق . والصدور
 تفاق . والاحجار تفلقل . والاسوار تحلحل . والاطواد تضعضع . والابراج القيام
 تسجد وتركم . والاصلاذ قدح . والاجلاذ قرح . والالواح تصدع . والارواح
 تودع . والحدود يشفاه الشفار ملتومة . والحدود بضراب الاضرب ملتومة . والجروح
 بين أكفاء الكفاح مقسومة . والقروح بها قوارح القوارع موسومة . والحنايا وآرة
 موزة . والمنايا مأثورة مؤثرة . وظمان الضمان تحدى بصليل البواتر . وصهيل الضواصر
 وحقوق الحقوق تقتضى بألسنة الاسنة وعنث الاعنة من الترم الكافر . والادواح شاخبة
 كالعيون البواكي . والابشار دامية من الزنبوركات والثاوكات التواكي . وهناك العقل
 ممزول بالهور . والرأى مشغول عن التدبر . والعلم والحلم خالطهما الجهل والسفاه
 والجرحى يتسدى بسم الله . والمنجنيقي يختم بلاله الا الله . والزراق بالبار يطيب

القاروره • ويحرق الساتوره • والسباق الى المضار يساور السور ويباشر الباشوره •

﴿ ذكر خروج الفرنج للقتال ﴾

ولما عثر الفرنج على تلك العثرة • ظنوا فينا الفتور لاجل تلك الفسترة • وقالوا
مراكبهم انحل تركيبها • وكتائبهم احتل ترتيبها • وستجري بها عنا الندامة التي يحدها
تجربها • وهم الآن على صوت لهم مخيف • وفوت بهم مطيف • فلا معنى لتقاعدنا
عنهم • ولا وجه لتباعدنا منهم • فلو خرجنا صدهناهم • وأقدمنا عليهم وهزمناهم •
وخرجوا يوماً قبل مصر • في عدة كالليل خارجة عن الحصر • قد التأموا واستلماوا
والضموا وانظموا وقدموا • وأقدموا للطوارق جاملين • وللجمالات مطرقين • وعلى
الفرق مجتمعين وللجماعات مفرقين • وبالرهق جادين • وبالجد مرهقين • وللعقود
حالين • ومن القمود سالين • وللمناصل متبذين • وللطوائل مقتضين • وللسيوف
مجردين • وللسيول مجرين • وبازغف ملتئين • وفي الحنف مقتحمين • وبالقطاريات
طائرین • وبالزيارات زائرین • من كل مغوار وار • ومحضار ضار • وفجار جار • وجار
بار • وعدو عنود • وكند كنود • وداوى ذى دوى • وباروني غوي • ومن كل مصمم
إذا وتر • مصمم إذا أوتر • مصمم إذا نمر • مصر إذا ذمر • هاشج إذا استمر • مائج إذا ذخر •
متنمر إذا زار • متذمر إذا زحر • قتاوبوا وتواثبوا • ونجاولوا ونجاوبوا • ودنوا
من منارس المنجنيقات • وجنوا من مقارس الخنويات • وبنوا أمرهم على ان الناس
ناسون غارون • وان اهل البأس في خيمهم هاجون قارون • فلقاهم منا كل ضارب
للهام • ضار بالهام • جار الى الاقدام • ملب للصوت • محب للموت • مشتهر
بالغناء • مشته للقاء • مشتهر بالبلاء • ماض بالمواضي • متقاض بالقواضب القواضي وكل
أبيض بالبيض ضراب • ولبيض رصاص • وأغلب المغلب قضاض • والى الحرب نهاض •
وكل معتقل رماحه • معتقد مرآحه • مهتر لطرب الشهادة • معتز بأرب
السعادة • متمن للمنون • متجن على الخنون • مضرم نار الحديد في ماء الوريد •
مفرم في فريق الهدى بجمع العديد • مفرغ ماء الطباء على نار التجميع • مبالغ تلبية الهدى
الى الصريح السريع • قد تلهم باللام • وتلفع باللاثام • وتقعع بالزرد • وتدرع بالجلد •
وتجوشن بالصبر • وتخشن بالزير • وصال بالفضب • وجال بالهضب • وطال بالهندي

على الفرنجي • وخاض من دم الشرك في البحر اللحي • فلم يسمع إلا أنين الحنيه • لحين
النيه • ورنين الاوتار • من كنين الاوتار • وهفيف السهام • لذيف اللهام • وصليل
ينات التمود • من غليل أبناء الحقود • وهممة الابطال • وغنمة الأقتال • وزفير
الضرام • وزفير الضرام • وقرع الغلبا بالغلبا • ووقع الشبا على الشيا • ونخية الحديد
من الحديد • ونخية الشديد من الشديد • وجعجة رحي الحرب • وقعقة أداة الطعن
والضرب • وجرجرة الفحول • وزجرجة النحول • وهديل حمام الحمام • وهدير
خروم الاقدام • ووعوعة ذئاب الوغي • ومعمعة ألهاب اللغلي • ودعدعة صاع المصابع •
وجلجلة سباع القراع • وصلصلة الزير • ولولة الزمر • وجعلة دابة النصر • وهضلة
رعاة الكفر • ورفرة المريشات الراشقة • وهسهة الطنات الفاهقه • رهزمنة أعطاف
المران • وزهزة أصوات الشجمان • ونسير الغالين • وصخب السالين • ولجب
الجالين • وزحير الطالين • ونهيت الأسود • وقصيف الرعود • وهدة الأركان •
ودهدمة الرعان • وقهقهة الأقران • وقرقرة كوم السماء • وصرصرة بزاة الغزام •
وكثيش صلال الضلال • ونشيش مراحل الرجال • وهزير ربح الباس • وهزيم رعد
المراس • وارنان المعاجس • وارزام القناعس • وهيمة الصارخ • وصيحة التافخ •
وزعقة المستفزع • ولعقة المستزع • وشعمة الخرصان • وزهزمة النيران • وهيمة
الاجل • وجعمة الزجل • وتكير المؤمنين • وتهليل المؤمنين • وصرير أبواب الجنان
للشهداء • وصرير أبواب الجنان للاعداء • والدعاء الى اللقاء • والتداء الى الراء
• وارتمت الاصوات • واشتبهت الاحياء والاموات • ووقع أمحابتا فيهم وقوع النار
في الحطب • وأروهم في مرايا البيض وجوه المطب • ولولا مدبرين • بمد ما تولوا
مدبرين • وجنودنا تشلهم • وحدودنا تغلهم • ولتوتنا ترضهم • ولتوتنا تقضهم •
وعادوا الى البلد • عادى الجلد • وفيهم ندوب وعلهم نوادب • وأيدي الردي بهم
لواعب ومنهم لواعب • ودخل الليل • وعهم الويل • وأسرنا منهم مقدمين • بتوا على
الموت مقدمين • ومن أسر نخسر قومص عظيم • بل شيطان رحيم • فترك في قيسد
الاسار • ليكشف عن حاله بالهار • وكان الملك الظاهر غازي • لم يحضر فيما تقدم من
الغازي • فرأى أن يحقق اسمه بقتله • فضرب عنقه بحد نصله • وكان للمركيس شبيهاً
• وفي الفرنج وجيهاً • فظنوا أنه هو للشبه • وبات أهل الكفر بالامى والعمه • ثم

صرف أن الرئيس في نفسه لم ينكأ ولم ينكب * ولما عطب أشياءه لم يعطب * وندم على عدمه * ومن تقدم على غيرة نندم

﴿ ذكر ما دبروه من الرأي ورأوه من التدبير ﴾

ولما امتنع البلد * وارتنع الجلد * وارتنج المدوولج * فخير السكر وضع * واجتمع أمراء يحبون الافلات * ولا يكرهون القوات * وقالوا مطاولة ما تقصر عنه * تنب * ومزاولة ما لا يزول تصعب * ومحاولة الممتنع محال * ومطال غريم هذا الفتح * مطال * وما يتسع لنا في هذه الحلبة الضيقة محال * وهذا السلطان جلد على المصاره * مجد في المكابر * لا يكثر بالكارت * ولا يدخل سمعه حديث الحادث * ولا يبالي بمن بلى * ولا يفكر فيمن ولي أو ولي * ولا راحة له الا في التسب * ولا يعلم له نصيب سلامة الا من النصب * وكل ما جرى الى اليوم منا ومن القوم لم يرعه ولم يردعه * وقد قيل اذا لم تسطيع شيئاً فدعه * فكيف السيل الى استعفاءه * وما التدبير في استعفاءه * وبم تنوسل وتنوصل * واذا عرفناه ان الداء يعضل والخطب يشكل لله يحتوى الاقامة ويرحل * فاطلع على ما أسروه * ومر به ما أسروه * وهمه ما به هموا * وآله ما به ألوا * فرأسهم بالهيات * وواصلهم بالصلات * ورغبهم فيما عند الله من الزلفى * ووعدهم بكل ما على أملهم أوفى * وقال لهم كيف نخلى هذا المكان * وما استفرغنا في شغله الامكان * وما استفدنا في مضايقة الوسع * ولا أحسنا بعد في محاصرة الصنع * ولا زحف اليه الجمع * ولا حفز منه المنع * ولا أصابنا من مكر أهله مكروه * ولا ورد الصبر منه بشفاء شفاهه مشفوه * وكيف تجرى بنا الحيل عنه قبل التجريب * وهذا الارب ما يخطر بخاطر الارب * وما عذرنا الى الله والى المسلمين اذا تركناه * وكيف نقول قاتنا هذا القنص وما أدركناه * والفرصة اذا فانت لاندرك * والنية اذا وأنت خفيها تملك * ونواظر الناس الى ما سيكون منا في صور صور * وهذه الظلمة المدهمة لا يجلوها الا نور * ومن لا يتعب لا يسترح * ومن لا يحترق من الوجد لا يقترح * وان تجددوا تجددوا * وان تردوا عن التهل العسدى تردوا * وان تصبروا تصبوا فارجموا الى الله وأنيبوا * وهذا الراجل متواصل * والفرض به حاصل * ونحن نقسمه على الحقائق ونوبها * ونلزم كلا منهم ملازمة البقعة التي هو بها * وهذا البرج قد ارتفع *

والوسع قد اتسع • وقد امتلأت بالرجال طبقاته • وتوالت منها في الكفر رشقاته • والنصر
قد آن أن تطيب نشقاته • والمركيس أبعد الله قد قرب أن تخونه ثقاته • ورأينا طول
الارواح • لا التناول الى الروح • وفي التثبت على المقام • التوكل على المرام • ثم
أخرج المال وصبه من أكياسه • وفرقه على ناسه • وانفق في أهل بابه • وواصل
الذل • وهجر العذل • وملأ الأيدي بالفي • وروج للرجاء نجيح المني • وأمر قاتل
وقال نقبل • ونادى فسمع • وحشر لجمع • وعادت عادة الحصار • وأسعدت سعادة
الانصار

﴿ ذكر فتح حصن هونين ﴾

وورد الخبر عن هونين أنها هانت • ودنا أمرها ودانت • وان طريق فتحها بان
وأنها عنت فان الطاف الله أعانت • وأنها بذلت ماصات • ولم تبق للكفر على ما كانت
وان شدتها لانت • وكان السلطان قد وكل بها بعض أمرائه • وأمدّه بمعدى جنده
وعطاه • فلبث الي هذه الغاية • يصعبها بسهام السكايه • حتى طلب أهلها الامان على
الوفاء بما يشترطون • ويشطون منها ولا يشترطون • فأول ما قالوا أهلونا حتى نعلم ما
يكون من صور • ونكشف هذه الامور • فان أخذتموها اخذتم هذه • وشفنا أمر
السلطان بنفاذه • وان خليتموها فياهوان هونين • ونحن نجعل على هذا عدة من الاصحاب
مرهونين • فندب السلطان بدر الدين دلهرم الياروي وهو من أكابر عظمائه • وأكابر
أمرائه • وأمره باستزالمه واستزلالهم • والامان لنسائهم ورجالهم • فضى ورغبهم في
الامن والسلامه • وخوفهم عقي الحسرة والتداهيه • وقال لهم أتم بين حصنين هما تبنين
وبانياس • وماذا تصنعون اذا خاب رجاءكم وبان الياس • واذا أتيتم التسليم عدتم سلامتكم • وأقم
قيامتكم • واستباحكم السلطان واستباحكم • وكرهكم وأباحكم • وحصل بالقتل حياكم •
وفل شياكم • فما زال يرغب ويرغب حتى رغبوا ورهبوا • وأخذوا الامان على ان
يذهبوا • • ووصل الخبر الى السلطان وهو على محاصرة صور مقيم • ولقائته أهلها
مستديم • والى ما عند الله من نصرة مستديم • وتسلمت هونين بما فيها من عدة وذخيره •
وقوة وميره • وآلات وأدوات كثيره • وتسلمها يرم أخو صاحب بانياس • واستنصر
الفرنج منها الياس • وكانت قد بقيت من الحصون التي تعمر فتحها • وبرح بالقلوب برحها

من عمل صيداء قلعة أبي الحسن وشقيف أرنون • ومن عمل طبرية والغور صفد
وكوكب • وهما من أحكم الحصون • وقد وكل بهما أميرين • من خواصه كبيرين • وقد
ضيقا على من بهما من العلوج • ومنما من الدخول والخروج • وأقام السلطان على صور
محاصرا • وللادين الخفيف ناصرا • وليد الشرك بمطاولته قاصرا • يقاتلها بكل سلاح •
ويطالبها بكل كفاح • حتى كادت تستكين • وشدها تلين • وأيدها تدين • وسريرها
يبين • وكان قد دخل كانون • وظهر من سر الشتاء المكثون • وقبض البرد الايدي
عن الانبساط • واعدت الهمم دواعي النشاط • وعادت النزائم التوهجة تبرد • والصرائم
المتأججة تخدم • والنخوات المتحركة تجمد • والحميات المتبقطة ترقد • والضرام المحتدم
يخبو • والحسام المحتدم ينبو • والعلبائع تنكر • والسباع تتأوه • ومناوبة القتال تختل •
ومماقدة النزاع تمل • فلهامهم السلطان على ملاح • وعرفهم ان في الصبر الفلاح •
وأمرهم بالمقام والاستقامة على الامر • وانه لاظفر الا مع الصبر • وان الظلم يحل عند
تحلي الفجر • وكان في الامراء جماعة مستخون منتخون • أبت أماناتهم في حية الدين
ان يخون • مقيمون على الكريمة ولا كراهة منهم للمقام • ويحبون ان تقدم وظيفة الانتقام
ويؤثرون بأنفسهم في طاعة الله وموافقة السلطان • وعصيان الشيطان في مفارقة المكان •
فاذا أرحف بالرحيل رجفوا • وسخفوا رأي المشير به وضمفوا • واضطربوا واضطربوا
وبذموا وتلوموا • وقالوا كيف نترك ما حوينا • ونعوج ما سويناه • وننشر كفرا طويناه
ونهبنا خيرأ نويناه • وندوى توحيداً شفيناه • ونشفي اشرا كأدويناه • وما للراحة
اليوم طالب • الا وهو غدا بالتعب مطلوب • ومن أمسى وهو الآن غالب • يوشك اذا
ولي ان يصبح وهو مغلوب • وهذه صورة صور قد تشوهت • وموارد قوتها سفهت •
واذا تخليتها عنها وخليتها ترهت واستفهرت • واذا حللنا عنها سفهت • وهبت من
غشية خشيها وتنهت • وتارك المصاربة مصاب • والآخذ بالمثابرة مثاب • فثم الامير
طمان بن غازي ما طمان يوماً في الغزو ولا سكن • وعز الدين جريدك التوري كم
جرد على اعناق المشركين سيفه الذي به تمكن • وهما همامان مقدمان مقدمان • من
عادت هما الوثبات على ثبات العداة يرومان الثبات ولا يريمان • وجماعة أخرهما يتشبهون •
وبالكريمة لا يتكروهون • وأما الباكون فلهم أحبوا البقاء • وابقضوا اللقاء • واتقوا
الانقاء • وأبو الا ابناء • وقالوا قد اغتنا • وما بلغنا • وجرحنا • وما رجحنا • فلورحنا

استرحنا . ثم عجبنا ورجعنا . وما نحن بأول واضع للاصر . راجع عن الحصر . معتف
للعقل . مستف من انقل . عامل بمحض الحزم . عالم بوقت الزم . هذا وقد علم ماصراً
من ضرور الكروب . وتلم ما يرى من غروب الحروب . ويقدر ما هدم من مباني البلد
هدم أكثر منه من مباني الجلد . فقال السلطان بل نجد في القتال أياماً . ونقدم بأساً
واقدام . ونزحف بجميع رجالنا . ونصدقهم في نزالتنا . ونقاتلهم من جميع النواحي .
فان تمذر لاح العذر للآحي . واصبح المسكر وقد استعد . وامتد قبالة البلد من البحر
الى البحر والنصر استمد . وركب الامراء باجنادهم ووقفوا . وأثمر لهم ورق الحديد
الاخضر قطعوا . وتناوبوا في الزحف . وتماقبا على الخنف . وكلما رجبت طائفة
قاتلت ثم رجعت . وجاءت الطائفة الاخرى فصدقت وصدعت . وقارعت وقرعت .
وصارعت وصرعت . فلم ير أشد من ذلك اليوم . في وقم القوم . واجتراً أصحابنا . وراض
جراحهم . إصحابنا . وخاضت خيلنا في البحر خائف منهزمين . وأقدم من أحجم منا لاحتجام
مقدمهم . فخيذ طارت للحين من السهام زنايرها . وأسمرت الحرب بضرام الضراب
مساخيرها . وامتلات السعير بقلاهم وقالت هل من مزيد . وفتحت الجنة لمن باع نفسه بها
فقاتل هل من شهيد . واقتضى ذلك اليوم وقد كلت الاسلحة . وملت الاجنحة . وانهاضت
قوادم الانهاض . وانفضت الجموع من اقواء القوى والانفاض . وبات الناس على فخير
وضجاج . ولجب والجاج . فلو عارونا البلد بمنزل ذلك اليوم أياماً . لنلنا من فتحه مراما
لكنهم أصبحوا على سام . وألماوا بابداء ألم . وقالوا قلت كثرتنا . فلو أقيمت عثرتنا
لانجبرت كثرتنا . وفيما الجربج والطليح . وحتى متى لانستريح . وقد توات الامطار
فلا مطار . وعلينا هذا الحصار صار . وكانت الجراحات كثيرة . والاجتياحات بها
مثيرة . ومنع البرد من العمل . وامتنع سد الحلة وتسديد الخلال . وما زالوا يرسلون
السلطان ويشيرون بالرحيل . ويقولون لا تنسب على تحصيل المستحيل . ولا تذهب
الايام في ابرام السحيل . ودعنا نستجد دعه . ونسترد قوى عند لطف الله مودعه .
ونشتغل بفتح الابر وهو أكثر . ونؤخر التشاغل بما لعله يتمسر . وكان السلطان
في تلك المدة . أتفق أموا لا كثيرة على تلك الالة والمدة . وما أمكن قتلها . ولا يمكن
من قتلها ثقلها . ولو أبقاها لقوى بها الكفر . واشتغل بسببها الفكر . فرأى نقضها .
وفك بعضها . وأحرق منها ما تمذر حملها . وشئت بعد التجمع شملها . وحمل بعضها

الى صيداء وبعضها الي عكا . وجرت أعاجيب ماتكاد تحكي . وسر ذلك الرجل قوماً
وساء قوماً فأضحك وأبكي . وتأخر السلطان وتباعد عن قرب صور الى المنزلة الاولى .
ويد أبداه على جميع الاحوال طولي . فشرع العسكر في الانصراف . وتزود للانفكاك
والانكفاف . وأخذ الجمع في الافتراق . وانتشر في الآفاق . وذهب من ذهب على
مواعدة في المعاوذة . ومسارة في الرجوع الي المساعدة . وودع الملك المظفر تقي
الدين من هناك . وأوعد بوعد عوده الاشراك . وسار على طريق هونين الى دمشق
هكذا . وفارق الفزو وكان له ذلك المفزى مفزى . وسارت معه عساكر الموصل
وسنجار وديار بكر . وكل طير منهم اشتد الى وكر * وما عرفوا ان هذه الراحة القليلة
تعمهم تعباً كثيراً * وان هذا الهدو الذي مالوا اليه يصير لحيث حركتهم متبرأ *
وبقي السلطان يتلهف على ما تركه * ويتأسف على الفتح الذي ما أدركه * والذين اشاروا
بهذا الرأي يسهلون الصب * ويهوانون الخطب * ويقولون تمضى ونمود * وتساعدنا
السعود * وتجردنا الجنود * وتجرد الجردود * ويورق العود * وتصدق الوعود * واذا
أقبل الريح * أقبل الجمع * وطاب الزمان * وفي الضمان * وأمكن الاسعاد وساعد
الامكان * وما زالوا بنا حتى رحلنا * وعلى الرأي الرائب منهم أكلنا * ولو أفتنا لقنا *
وقنا العدو ووقنا * لكن الله قدر وقدره محتوم * وسر غيبه المكتوب في اللوح المحفوظ
مكتوم * وأراد ولا مرد لمراذه * وقضى ولا محيد لما قضاء في عبادته * ان تبقى صور
في تلك الحالة للكفر وكرا * وللمكر مكر * وللشرك شرك * ولما جهنم دركا * وقدمنا
عن صور الارتحال * آخر شوال * غرة كانون الثاني وعم البرد في القاصي والداني *
وتوحت السماء من حوامل السحاب * وتوحت الارض من سوائل المذائب * والنكب
الرياح عواصف عواصف * قواصم قواصف * والسحب الدلاح هوامل هوامل
رواعد رواعف * والبرد قارص قارس * والماء جامد جامس * والشتاء شتات شتات *
وما مع مقامه وثباته مقام وثبات * وسرنا عباديد في لبائيد * وبين جليد وجلايد *
على الناقورة وطريقها * والاثقال قد ازدهت في مضيقها * والاحمال تنافس في الاجال
تنفطع * والسبل تنسد * والسبالة ترد * وسلكت الحيل الحيل * وقطع العسكر طريقه
الى الخيم ووصل * وتأخر الثقل الى ان تخلص * وتقدم من سبق وتخلص * ووصلنا الى
عكا في ثلث مراحل * وقد غطي بحر عسكرنا الساحل * وخيم السلطان على باب

البلد بجانب النيل * ساهى المحل * نامى الفضل * دأى الفكر في تدبير الامر وتدمير الكفر * واتقأ من الله بانجاز عدة النصر *

﴿ ذكر الحادثة التي تمت على محمود أخى جاولى حتى استشهد هو وأصحابه ﴾

ويوم رحيلنا من صور نبي محمود أخو جاولى * وكان من جملة الامراء اغف
ولى * ولى * وعاش مجاهداً زاهداً وعيشه زهيد * وقضى صابراً مصابراً وهو سعيد
شديد * وسبب ذلك ان السلطان لعلمه بديانته وأمانته * وبأسه وبسالته * وقطعته ونهضته
وحزانه * وكله بمحسن كوكب الذى على القور * وكانت فيها حجرة الاستبارية القريبة
الجور البعيدة القور * وقد تمنعوا بشدتهم * واشتدوا بمنهم * وهو حصن لا يرام *
وركن لا يضام * ومقل لا يسامى ولا يسام * وذروة لا تفرع * ومروة لا تفرغ * وعقيلة
لا تفرغ * وبكر لا تخطب * وقلمة لا تطلب * ولما ملك الساحل * وهلك الباطل *
ونظمت الحصون فى سلك الحصول * وظفر الاسلام بالفتح للمؤمن المأمول * واقتحت
طبرية وأعمالها * وتملكت أغوار تلك البلاد وجبالها * تمنعت قلعتها صفد بالداوہ
وكوكب بالاستبارية * وتمذر فتحهما * وتعرس منحهما * ووقف أمرهما * وأعدى
البلاد ضرهما * فرتب على صفد جماعة يعرفون بالناصرية * من أهل الابية والبخوة
والحمية * ومقدمهم مسعود الصائى أصلت سعادته منه سيفاً إصلياً * لا يلفت عن لقاء
العدو ليتا * ورتب على كوكب هذا محمودا * وكان بهما أمر الحفظ محمودا * وذلك بعد
الكسرة * وصحة الثصره * فأحاطا بالحصنين واحتاطا * وظهرت كفاية كليهما بما
تعاطيا * وكان الحفظ مستمرا * والاحتياط مستقرا * حتى أنس محمود بضعف أهل
الحصن * وظن أنهم فى غاية الوهن * وسكن الى سكونهم * وأغضت عينه لثوهم
انغماض عيونهم * واسترسل فيما حارب * واستسهل ماصعب * وأخل بالجزم * وخلا
من الغزم * واحقر عدوه * وحسب من العجز هدوه * وكان مقامه بمحسن قريبه
من كوكب يقال له غفر بلا * قد أقام به جاماً جاماً فيه مأمر وحلا * وكان ذا دين
متين * ومكان من النسل مكين * وهو يسهر أكثر ليله متهجداً * وقد جعل منزله
مسجداً * وأصحابه من حوله * يحفظونه بقوة الله وحوله * فلما كان آخر ليلة من
شوال * وهى ليلة ذات أهوال * مظلمة مدلهمة كافرة مكفهرة * ليلا قباء باردة

مقشمره * أنوارها بآئده * وأنوارها جائده * وهزبع جنبها دجوجى * وهزيم
ودقها لحي * وسحبها سحرم * وأقطارها دهم * وصيرها صيب * وصنبرها مشيب *
لايفرق فيها السماء من الارض * ظلمات بعضها فوق بعض * خرج أهل كوكب وقت
السحر * ومضوا اليه وقد رقد بعد طول السهر * والثاس رقاد * والحراس هجود *
والجنود جود * والانفاس خود * والمهم ركود * والسيف أسرار * أضمرها القمود *
والدم قد دنا منه الوجود * فإ أحسن محمود الممود * وأحياه الممود * إلا بالفرنج
وقد سلكوا اليهم * وبركوا عليهم * فقصروا عن الاتباع * ولم يقدروا على الدفاع *
فجأتهم السعاده * وفجأتهم الشهاده * وبقي الأمير حتى استشهد محصورا * وكان أمر
الله قدراً مقدورا * ونقلوا الى القلعة ما وجدوه من سلاح ومتاع * وخيل وكراع *
فلما عرف السلطان ما أصابهم * احتسب عند الله مصابهم * وأحده الى الجنة ما بهم *
فتدب الي كوكب صارم الدين قائما زالتجني الصارم المخدم * والحازم المقدم * والمضب
البنار * والتدب للفوار * والاسد الاسد * والاحمى الاحمد * في خمسينة فارس من ذوي
التجده * والبأس والشده * فسد الطريق مضائقها عنها * ومنع من الدخول اليها والخروج
منها * ولم يزل عليها مقبياً * ولحصرها مستديماً * الى ان يسر الله فتحها * وسهل للأماله
فيها نحبها * وسندكر ذلك في موضعه * وكيف أشرق صبح البصر من مطلعه .

﴿ ذكر ماجرى بعد نزول السلطان على عكا بعد عودته من صور ﴾

استأذن الملك الظاهر والده في العود الى حلب فأذن له وودعه . بعدما أمره بكل
ما يجب تقديمه من الاستعداد فامتثل واتبه . وودع الملك العادل وأوجه الى مصر .
مستقبل الظفر والنصر . وأقام الملك الأفضل بمكا . مستقلاً بالآراء . مستهلاً بالآلاء .
مستبداً بتدبير أسباب الهدى . مستعداً لتدمير أحزاب العدى . وأقنا بالخيم لحمة
السلطان ملازمين . ولاقامة شرائطها مداومين . وكل يطلب إذنا في الانصراف .
ويستقيم على نهج الانحراف . حتى خف من عندنا من الجند . وثقل علينا عب البرد
وتناوحت الهوج . وتراوحت السلوج . ورجت الدروج . ونجت التوج . وارتجز
عجاج الودق . وارتجس نبح البرق . وجفت الحرجف . وطفح الاوطف . وقطعت
الحيام وتقلت الاوتاد . وتجلت بأبرآد الجليد من البرد الاكام والوهاد . وبالب وقع

عمود السراذق • ودام تواصل النوارح والبوارق • ودخل السلطان الى المدينة • وسكن بها في كنف السكينة • مستقيماً على المحجة المستقيمة • مقبلاً للحجة المثينة • وشرع في اعداد العدد • واستمداد المدد • وإبرام معاهد الحل والمقد • واحكام قواعد الدين والمحد • واحياء سنة السباح والفضل • واعلاء سناء الاحسان والعدل • واقادة الكرام واکرام الوفود • واعادة مابداً به من افادنة الجود • واجازة الراحين • واجارة اللاجئين • واسعاف العافين • وايماد المادين • وادناء أهل العلم • واغناء ذوى المدم • وانجاح المقاصد • وانجاز المواعد •

﴿ ذكر رسل وردوا في هذا التاريخ ﴾

وكانت رسل الآفاق • من الروم وخراسان والمراق • عاكفين على بابه • قاطفين جني جنباه • واقفين لرفع حجابہ • مستسقيين لنمائہ • مستعطفين لآبائہ • مترضين لثوابہ • متضرعين في خطابه • وكلهم يهتئ بما أفردہ الله فضيلته • وخصه بنجح وسيلته • وأفردہ عليه وقد عجز عنه الملوك • وهداه الي سبيله وقد تمذر بهم اليه السلوك • وهو فتح القدس الذي درج على حصرته القرون الاولى • وتفاضرت عنه أيديهم المتطاولة وتمكنت منه يده الطولي • فاما منهم الا من يعترف بيمينه ويعترف من يمه • ويقر بحكم التنزيل له وينزل على حكمه • ويخطب الصداقة ويخاطب في الصدق • ويحقق المظاهرة لانظهار الحق • ويتقرب بالوفاء والوفاق • ويتباعد عن الشقاء والنشاق • ومن جلتهم رسول صاحب الرى قتلىج آيتانج بن بهلوان • ورسول قزل أرسلان المستولي على ممالك همذان وأذربيجان وأران • وهو عز الدين الطالبى الطالب للآز • الراغب في الفوز • فاما من يوم يمضى • وشهر ينقضى • إلا ويصل منهم رسول • ويتصل به سول • وتحلي غمه • وتحلي نفسه • وتجو بشرى وتستبشر وجوه • ويكف مكر ويكفي مكروه • ونظر في أحوال عكاه فرتبها • وفي أمورها فهذبها • وفي مضارها فأنهزها • وفي منافعها ففقرها • وولي عز الدين جرديك بها واليا • وأعاد عطيلها بفضل ولده الملك الانضلل حاليا • ووقف بها وقوفاً • وأجنى المستحقين منها قطوفاً • وأسدى معروفاً • وأعطى أوفاً • وأرغم من الاعداء أنوفاً • وكانت فتوحه لهم حقوقاً • ووقف نصف دار الاستبار رباطاً للمتصوفة • ولوا فدين من أهل الطريقه والمعرقه • ونصفها مدرسة للمفتقه • وللطلبة

التمتعة المتزهره . فجمع بين العلم والعمل . والنجاح والامل . وكتب الرزق لهم الي
كتاب الاجل . واتخذ لطلب مرضاة الله دار الاسقف بيارستان المرضي . وأتي بكل
ما يحبه الله وبه يرضى * فلم يبق سنة الا خلدها * ولا مئة الا قلدها * ولا أجرا الا
أجراه * ولا هدي الا أهدها * ولا أمرا الا أمره * ولا درا الا أدره * ولا فريضة
الا أداما * ولا فضيلة الا أتاها * ولا فرصة صواب الا انتهزها * ولا حصه ثواب الا
أحرزها * ولا ربح فواضل الا أنشرها ونشرها * ولا أتم فضائل الا حشدها وحشرها .
ومترك قارئنا الا قراء * ولا راويا الا أشبهه وأرواه * ولا حافظ حديث الا حفظه من
الحدنان * ولا محسن صنعة الا اصطنعه بالاحسان * ولا ناظم مدائح * الا نظم له
المناج * ولا موافيا بقريض الا وفي قروضه * وأعجز عن القيام بحمل حمده فهوذه *
وتقدم الى الوالي بالتزدد في الاعمال * وتفقد الاحوال * وسد الخلة وتسد
الاحتلال * وتعليل السقيم وتسقيم الممثل * وتحليل المسند وتمعيد المتحلل * فاستقرت
بولايته الولاية . واستمرت لرعيته الرماية . ودرت أفاريق الآفاق . ودارت
أسواق الارزاق .

✽ ذكر وصول أخي تاج الدين أبي بكر حامد من دار الخلافة لارسالة

في العتب على احداث قتل * وأحاديث نقلت * ووشايات أثرت

وأرثت * وسعايات في السلطان عثت * في الاحوال وشعثت

وذلك في شوال * ونحن على حصار صور ونزاع ونزال

✽ ذكر السبب في ذلك *

لما تم الفتح الأكبر . وخص وعم النجج الاظهر . وقطع دابر المشركين .
وحط اقبال المسلمين أوزار إدبار الكفر بخطين . أمرني السلطان بإنشاء كتب البشائر
الى الآفاق . وتقديم البشرى به الى العراق . فقلت هذا فتح كريم . ومنح من الله عظيم .
وملك عظيم . وسمو وسيم . فلا يجب ان يكون مبشر دار الخلافة . بما أنزله الله لنا
الرحمة والرفاه . الا من هو عندنا أجل وأجلى . وأعلم وأعلى . وأجمع لفنون الفضائل .
وأعرف بأداء الرسائل . فلا توجه بهذه الكرامة الا الكرم الوحيه . ولا يتبه لهذه

المقامة الا القوم النبیه • ولا ترفع العظیم الا بالعظیم الرفیع • فان الشریف يتضع شرفه بمقارنته الوضیع • فقال هذه نصرة مبتكرة بكرت • وموهبة ميسرة بدرت • وندرت • فتحن لمجل بها بشيرا • ونؤخر للاجلال كما ذكرت سفيرا • وكان في الخدمة شاب بغدادي من الاجناد • قد هاجر للاسترقاد • وتوجه بمد وصوله • ونبه بمد حموله • فسأل في البشارة الى بغداد • وزعم انه يداوم اليها الاغذاذ • وشفع له جماعة من الاكابر حتي خص بأشرف البشار • فقلت هذا لا يحصل له وقع • ولا يصل اليه نفع • والواجب ان يسير في هذا الخطير خطير • وفي هذه النصرة الكبرى كبير • فان الرسول من يندب للتفهم والتفخيم • ويرتب في الامر العظیم للتعظيم • ثم سار المندوب • وشملت عن ارسال سواء الفتوح والحروب • ولما فتح اليت المقدس أرسل ببشارته نجوب • وفنذها كتاب • ووصل البشير الجندي • فلم يحل به على كفو الجلالة من الهدى الهدى • وحقروه • وما قروه • فانه كان عندهم بمن فتنزروه بتلك العين وحبوه بما يليق به من الرقة والعين • ونقم على السلطان ارسال مثله • وانه لم يعصب المنصب في تلك الرسالة بأحله • وتسمح التدوب بكلام أخذ عليه • ودرت منه أحاديث لسبت اليه • وقال في سكره • وحالة نكره • ما يمرض عن ذكره • نخيل وموه • وتذكر وتكره • وظن ان لكلامه أصلا • ولقطعه منا وصلا • وأنهيت الى العرض الاشرف مقالته • وعلمت جهالاته • ونجحت على السلطان بإرساله • وطرق الى هدا ما أنكره من مقال المذكور وضلاله • ووجد الاعداء حينئذ الى السعاية طريقاً • وطلبوا لشمل استمعاذه بالخدمة تفرقاً • واحتلقوا أذليل • ولفقوا أباطيل • وقالوا هذا يزعم انه يقلب الدولة • ويقلب الصولة • وانه بنت بالملك الناصر نعمت الامام الناصر • ويدل بما له من القوة والاساكر • فاشفق الديوان العزيز على السلطان من هذه • وبرز الامر المطاع بإرسال أخي واقذه • وقالوا هذا تاج الدين أخو العماد • يكفل لنا في كشف سر الامر بالمراد فان أخاه هناك • مطلع على الاسرار • وهو متعظم في سلك الاولياء الابرار • وعول عليه الديوان العزيز في السفاره • ورد معه جواب البشارة • وكتبت له تذكرة بموحيات مقاصد العتب • ومكدرات • واراد القرب • والمحاطبة فيها • وان كانت حسنة خشنه • والمعاتبة مع شدتها للمواطف الامامية لئنه • ونشر الاعتاب في طي العتاب • وروح الارضاء في شخص الاغضاب • وبرد الموهبة في برد المهابة • يرد ظن الخطي الى يقين

الاصابه . وشرف من الديوان الاخ . فسار وهو يبذخ . وقد أحجب خيلا . وأسحب
من التشریف والامام ذيلًا . والحلف من نور الالهة العباسية نهاراً وليلاً . فوصل
السير بالسرى . وقطع الوهاد والذرا . وجاء الى دمشق بشارة رائقة وبشارة رائمة .
واشارة رادعة . وشعار مهيب . وشرع مصيب . وهيبة روعة اماميه . وهياة عصمة
عصاميه . وقرند نبوى لاينبو . وزند وري لايكبو . ولسان في الصرامة جرى . وجنان
بالشهامة حرى . وبلاغة بابلاغ . مالىس بلاغ . وثئة وافي . وصيفة بصياغة كل غريبة .
قول . ورغية طول . كافلة كافيه . وسفي نور وقار يستعير منه سنير . وثبات خلق
يتخاق به ثير . وكان قد عاد المتدوب نادبا عاديا . جاحداً للنعمة شاكياً . ذاكرًا انه عدم
الحفاظ . ووجد الحفاظ . وأكثر الكلام . فسا حرك شمام . وقال أخو العماد قد
وصل بكل عتب ممض . وخطب مقض . وغضب ممض . ولفظ فقط . وحض على غير
حظ . ومعه الملامات المؤلمات . والظلامات المظلمات . فقلت له اسكت واصمت . وبمالك
من وسم الوسم مت . ولا تدخل هذا الباب واخرج . وليس هذا بعشك قادرج .
وقلت لسلطان سبعا وطاعة لاسر الديوان . فان اظهار سر السب لك . من غاية الاحسان .
فقال نعم ماقلت . وقد طلعت بارسال أخيت وطلت . وما أسعدني اذا شرفت بالعتاب .
وأسعدت بالخطاب . والمملوك ينفعه التأديب . ويزعه التهذيب . على اننا لم نأت الا بكل
ماقوى الهدى . وأضعف الهدى . وكف الكفر وأدني الدين . وما زلنا في طاعة أمير
المؤمنين مجدين . أما فتحنا مصر وقد باضت بها دعوة الدعي وفرخت . أما استأفنا بها
تاريخ الدولة العباسية بمد ان كانت سنين بسواها أرخت . اما استخلصت اليمن وللدعي بها
داع . وللهدى فيها ناع وللضلال منها راع . أما أرحت من رق الشرك الساحل . اما
أزحت عن حق الملك الباطل . اما فتحت البيت المقدس والحقته بالبيت الحرام . وألحقته
رداء الاكرام . وأعدت الى الوطن منه غريب الاسلام . اما رعت القرب بقرب عزيمى .
ووزعت الشرق بشرع حكى . وما تميدت الا بالعبودية للدار العزيزة . وهذه الفطرة
متمكنة . في في التريزة . فأهلا وسهلا بالرسول وبالسوك . وجباً ومرحبا بالاقبال
والقبول . وما أتى الا بالحلب والجبور . ولامرار الامور ولاظهار سر السرور . والبارق
يشام اذا رعد . والصادق يرام اذا وعد . وما أسرنا بالواصل وأوصلنا بالممره . وأبرنا
بالجبد واجدنا بالمجرة . وسمنت منه كل ماهدى سمي . وابدى لمى وجمع شملي وشمل

بالزججى • ولما قرب أخى • أصبحت لقدومه انخى • فأمر السلطان الامراء على
مراتبهم باستقباله • وتقدم لحلافة قدومه باجلاله • ثم ركب وتلقاه بنفسه • وخصه من
تقريبه بأنسه • ولم يزل حتى أراه مواضع الحصار • وهيار السكفار • ومواطئ أقدام
خزى الأقدام • ومواطن بسالة أهل الاسلام • ثم نزل وانزله بالقرب • وعقد له الجلاء
حبى الحب • وسفر وجهه لوجهة السفير • وأحل محل التوقير والتوفير • وتباح له صبح
التبجيل • وتأمل منه نحيب التأمل • ثم حضر عنده • وقد أخلى مجلسه لى وله وحده
قأدى الامانة في مشافهته • ووجه مقاصده في مواجهته • واحضر التذكرة • وقد جمعت
المعرفة والتسكرة • فقرأها عليه بفصولها وفصولها • وألزمته حكى عمومها وخصوصها
ووقفته على ظواهرها ونصوصها • وكانت في الكتب غلظة عدت من السكاتب غلظة •
وخيلت سقطه • وجلبت سخطه • وقال إن الامام أجل ان يأمر بهذه الالفاظ الففاظ
والاسجاع الففاظ • فقد أمكن ايداع هذه المعاني في أرق منها لفظاً وارفق • وأوفى منها
فضلاً ووفق • ومعاذ الله ان يحبط عملى • ويهبط أسمى • واستضى وارتضى • ثم أعرض
عما عرض • ورجع الى الاستعفاف والتجبع بارق الاستمفاف • وقال اما متمعن له الاعداء
وعدا به المتحلون • وتنفق به المتقولون وتسوق البطولون • فما عرف منى الا الاعتراف
بالمعارفه • وما هزرت منذ اعترزت أعطاف العز الا لما يميزني من الماطفة • وان شرفى
بإئتمة السالفة • يوجب أنى من هذه الآففة • وأما أئمت الذى أنكر • ونبه على موضع
الخطأ فيه وذكرك • فهذا من عهد الامام المستضى رضوان الله عليه وجري لتحقيقه منى
على اللسنة • ومضى عدى سيئة ماعد من الحسنه • والآن كل ما يشرفني به أمير المؤمنين
من السمة فانه أسمي الذى هو أسمي وأشرف • وأطراً وأطرف • وأرفع وأعرف •
وما زاده ذلك العتب الاخلاص ولأه • وخصوص اعزاز واعتراف • ثم قال كل ما اعتمده
من نصرة الدين وقهر اعداء امير المؤمنين • قائما طلبت به وجه الله ورضاه ما تصدبت به
سواء • فاني أفترض الطاعة الامامية للدين لا للدنيا • وما أهوى فيها الا بالقوى • وما
في صرعى الا استكمال الفتوح لأمير المؤمنين • وقطع دابر المنافقين والمشركين • واذا
عادت عواطفه عطفت على في الحسن الموائد • وقطعت الفوائد • وصفت الموارد •
ووفت المقاصد • وبعد الأبعد • وبعد الحامد الحامد • وهجر هجر الساعي • وأجرى
أجر الداعي وعلم جهل الواشى • وعذر ذعر الخائى وجرب غش الغاشى وخرب عين

المانى وذوت هموم ذوى الهمم • واوليت كرامة اولى الكرم • ومازال السلطان مدة
مقام أخى عنده • بورى في اعظامه زنده • ويأمر بأكرامه جنده • فكنت اشفق من
تكدر ذات البين • بعدو الانس والوصلة الى الوحشة والبين • وان جماعة من الاكابر
اجتمعوا بالسلطان • وقالوا له قد نسب حقك الى البطلان • ورميت بالهتان • ولمحت
طاعتك بين المعيان • فكيف خفت وما عفت • والفت وما انفت • ورغت وما غرت •
وسبرت وما سبرت • واغضيت لما اغضبت • واعتبت لما عوتبت • وراقبت وما روقيت •
فقال تذلى للديوان المميز تمززه ادين • وتوسلى الي مرضاته توصل بالله فيه استعين •
فتواضي ترفع • وتخشي تورع • وجبل حيي متين • ومكان قربي مكين • وما قلت له
واوضحت له سبله • انا كنا بطاعة امير المؤمنين لطول ونصول • ونزاول بها المنوك
وعنها لانزول • وهذه فضيلتنا التي رجحت • ووسيلتنا التي نجحت • وكنا بها معودين •
وعليها محسودين • وقد شملت بها بركاتها • وكلت حسناتها • وصفت مشارع يمنها • وضفت
مدارع حسنها • فلا تلتفت الى من يلفتك • ولا تثبت لمن لا يثبتك • واعرض عن
تعرض لمذهب الخلاف • وانفض لمن ينهضك للاشلاف • فقال هذا ديني وديني •
وبه اعني واعتني • ولثوره ولثوره اجتلي واجتني • ثم نذب مع اخي من سار في خدمته
لزيارة القدس • وامر بان يقف به على مواقف الطهر التي طهرت من اهل الرجز
والرجس • ثم ودعه واودعه من شفاهه كل مافي النفس • وبالع في ابداء التضرع والتذرع
واظهار التخشى والتخشع • وانشأت عنه الى الديوان كتباً ممة وبمده ضمنها كل ما حلا
وجلا جدة وجده • وكل ما يبطل سوق المتفقين • ويعمل نفق المتسوقين • ويهجن
خلق الخناقين • ويزيل تافيق الساعين ويزيح سعاية الملققين • ويتعرف الي الموارف
الفرز بالشكر • ويستعطف المواقف الفربالعدر • ويجهت في استقراغ المجهود للاستغفار •
وينفض عن وجه البشر ما عليه من الفبار • وظهرت بمد ذلك بالقبول آثار الرضا • ومضى
مامضى • وقضى القدر من اعزاز الديوان قدر السلطان بما قضى •

وفي هذه السنة استشهد الامير شمس الدين بن المقدم بالوقف في عرفة لابعاده رسماً
ما عرفه • فذهب غلطاً • وعطب فرطاً • وذلك ان امير الحاج طاشكين • انكر عليه
ضرب الطبل قامت مع • فندب اليه من به وبأصحابه اوقع • فتمت من هذه الفتنة فترة •
ونمت نقره • ولما نفي الخبر الى السلطان • لم يبد منه سوى الاذعان • وقال لاشك ان

طاشتكين طاش ، وقصد بعد الايناس الابحاش ، وعد الديوان العزز هذا من ذنوب طاشتكين ، حتى عزله واعتقله بجرائعه بعد سنين ،

❦ نسخة كتاب جامع للفتح القدسي الايمن أنشأها الى سيف

الاسلام آخى السلطان باليمن ❦

صدرت هذه المكتبة الى المجلس السامي ضاعف الله علاه • وظاهر آلاه ، وضافر نعماده ، وأظفر بالنتج رجائه ، وأضغف حساده واحز أوليائه ، وأذل أعدائه ، ولا زالت أيامه بالايمان مسفرة ، ولياليه بالمحاضن مقمرة • ومكارمه بالمحامد مشمرة ، وعهود مواليه بشكر النعم محكمة ومعاهد معاديه بقهر النقم مقفرة • دالة على البشرى بالفتح الاكبر ، والنتج الازهر ، والنصر الاشهر ، والعصر الابر ، والفصل الاكثر ، والافصال الاوفر ، واليوم الانور ، واليمن الانضر ، والفجر الاسفر ، والفخر الاظهر والجد الاشيم الاشخ ، والمجد الابليج الابليخ ، والعز الاسحق الاسقى ، والنور الانم الانمى ، والظفر الاجل الاجلى ، والوطر الاحل الاحلى • والشرف الاسمم الاسمى ، والعزم الاغثم الاغنى ، والسعد الاجد الاجدى ، والصيت الابدى الابدى ، وهو الفتح الذي تفوح بمحابه مهاب الفتوح ، وتبوح بسر روحه وملكه سرأر الملائكة والروح ، وتروح وتغدو غوادى النعم وروائعها الى روض الهدى المروح ، وتلوح تبشير بشرام في لوح الدهر لكل مؤمن يلقاها بالوجه السافر والصدر المشروح ، وتسوح ناعية الكفر في كل ناحية ولكل نادبة للامى على قبيلها وأسيرها ندوب في القلب المقروح ، وهو فتح بيت الله المقدس الذى غلق نيفاً وتسعين سنة مع الكفر رهنه ، وطال في أسره سجنه واستحكم رهنه ، وتقوى نكره وضعف ركنه ، وزاد حزنه ، وزال حسنه ، وأجذبت من الهدى أرضه ، وأخلف زنه ، وواصله خوفه وفارقه آمنه ، واشتغل خاطر الاسلام السبيه وساء ظنه ، وذكر فيه الواحد الاحد ، الذى تعالى عن الولد ، أن المسيح ابنه ، وأربع فيه التثليث فمز صليبه وصلبه ، وأفرد عنه التوحيد فكاد يهي منته • ودرج الملوك الاقدمون على نيمي استنقاذه • فأبى الشيطان غير استيلائه واستحواده ، وكان في يقيب الالهى أن معاده في الآخرة الى معاده ، وان تقاديل الشرك بأسفار صبح أمرنا واشراق مطالع نفاذه • وذكر الله هذه الفضيلة لأول هذا العصر • وأزل على فصلنا نص.

التصر واطلع الليل عزنا فجر الفخر . وفقنا لوصول أسباب الاسلام وقطع دابر الكفر ،
وذلك انا استفتحنا سنة ثلاث وثمانين بقمع أهل التلث ، وأصرختنا الاسلام بالجد المتجد
والعزم المقيث ، وخرجنا من دمشق في الحرم ، في العزم المصمم ، والرعب المجهر الى
الكفر والبأس المقدم ، وكنا أنشفنا على طريق الحج ، من قصد الفرج ، فشفلناهم عن
القصد بقصدهم ! وتصدينا لجهادهم بردهم عن المراد وصددهم ، وأقنا بظاهر بصري
مخمين على سمت الكرك ؟ وقدمنا الطلائع الى المناهل ونظمتنا سلك امدادهم في ذلك
المسلك ، حتى وصل إلحاج سالماً ، وذل الكفر عن قصده راغماً ، ولما فرغ القلب من
شفله ، وفاز كل بجمع شمله بأهله ، سرنا الى الكرك في الاسراء والمفردين الخواص .
وشفنا للجهاد في سبيل الله الفاتحة بالاخلاص ، وقد كنا استدعينا المساك والجوع
للجهاد من جميع الجهات ، وترقبنا توافيهم للميقات . وأمرنا ولدا الملك الافضل أن
يقيم برأس الماء ، ويكون في خدمته جميع الاسراء ، وسرنا الى الكرك والشوبك فاخر
بنا عماراتها ، وأحرقنا غلاتها ، وقطعنا نمراتها ، وأزعجنا ساكنيها ، وأخفنا آمنها .
وأجلينا عنها فلاحها ، وأقنا التواضع عليها في نواحيها ، ووصل الينا ونحن بالقربين لسكر
المستدعى من الديار المصرية ، فقويت به قلوب الامة المحمدية . واجتمع بالحجم الافضل
برأس الماء من وصل من المساك الشامية والقراية ، والجزيرة والموصلية والديار
بكريه ، فانهز ولدا هناك فرصة الامكان ، وانفض الى الكفر سرية سرية من
أهل الايمان ، فساووا سارين ، وأغاروا غارين ، وأخذوا ونهبوا ، وسبوا وسلبوا
فلم يشعروا الا وجوع الكفر قد سدت عليهم الطريق ، وأخذت دون خروجهم الى
السعة المضيق ، فنبتوا ثبوت الجبال للرياح العواصف ، وشرعوا الى عرابين الكفر
أسنة الرماح القواصف ، وكان مقدم عسكرينا مظفر الدين بن زين الدين ومعه مملوكنا
قائمناز التججي ضارم الدين فلقيا بصديريهما صدور العواصف ، وحملنا في عسكرينا على
الفارس والراجل ، وحصل الفرج منهم في دائرة الردي ، وخذل الضلال ونصر الهدى
وكثر من الفرج القتلى والاسرى ، وعاد المسلمون بالمسرة العظمي والمسيرة الكبرى ،
واتصلت بنا ونحن في بلاد الكرك البشري ، وشكرنا الله على نصرته الاولى وقتلنا هذه
مقدمة الاخرى ولما قضينا الوطر من تلك البلاد . ووفينا بأجراق اقوات أهل النار
بالتار حق الجهاد . فاجتمعنا بأصحابنا القادمين من مصر . وتناصرت لدينا دلائل الظهور

وتظاهرت أمارات النصر • عدنا الى الشام • وقد تكاملت به جموع الاسلام • وزخر
بحر الفضاء بأمواج الاعلام، وطفا على اتباع لجه حجاب الحيام وقد فاض الغضاء ختام
القتام * وعلق بالفلق من ذلك الفيلق غرام الرغام • نفيمنا بمشتراشهرا • وقد أعدنا
بشهر بنات الغمود سرها جهرا • وخطبنا من الله الكريم فتح بكر جعلنا بذل المهج
لها مهرا • وقد سمع الفرنج مجيئنا فجمعوا • ونادوا في بلادهم فاسمعوا • واجتمعوا
على صفورية من صفر * وحشروا في تلك الاشهر من جمعهم في المحشر جموع سقر *
وأخرجوا صليب الصلبوت • وقاد أهل الجبروت ، قهافت الى شعلة ناره فراشهم *
وتوفي الى ظلة ضلاله خشايشهم • وقاموا وقيامه رعيهم قائمه • وسواج جردهم في بحر
المعراج طائمه • وطلاتهم سارية وسرايهم طالعه • ومقدمات رعيهم منا السائرة لجنوبهم
وقلوبهم مقضة خالعة ، فلما تكامل منا الجمع ، وأخذ بمجاجه وعيجه على الآفاق البصر
والسمع • عرضنا عسا كرنا في يوم يذ كر بيوم العرض • ويتلو مشاهده لتزل للملائكة
ولله جنود السوات والارض • في رايات خافقة كقلوب الاعداء • عالية كههم الاولياء
وسرنا في جموع ضاق بها واسع الفضاء • وسار في كتابها نازل الفضاء • وسحب ذيل
الارض بثار نفعها • على السماء • وقطعنا إلى الأرْدُن • وتأيد الله مواصل • وقدره باقدارنا
على الاعداء كافل • فآلمنا بطيرية حتى فتحناها بالسيف * ودخلناها دخول المفسر لا
دخول الضيف • وتسلمنا المسدين • ونازلنا قلعتها البكر الحصينة • وذلك يوم الخميس
الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر والخميس يوم الخميس • وأسد الوغي قد اتخذت
من وشيحتها العريس • هذا والملك العادل عنا غائب • ووجهه ايضا بمصر كئيب • وتوفيق
الله له مصاحب • وكنا عزنا قبل قصد طبرية • ان تلاقي الفرنج على صفورية • في
مركزهم ومجتمعهم • ونلايهم في مخيمهم • فحين نزلنا من التمر بالاخوانه • وتمسكنا
من الله بالاستجداد والاستعانة • ركبنا قبل قصد طبرية الى الفرنج في مجتمعهم • واشرفنا
عليهم في موضعهم • فأبرحوا من مكانهم • ولا تحركوا برجالهم ولا فرسانهم * وارادنا
في صحراء لوبية موضعاً للمعاصف واسعاً • وفضاء لمازق الجمعين جامعاً • وبتنا هناك
باطلاب الابطال ميمنة وميسرة * ووجدنا بتأييد الله أسباب الظهور • ميسرة • وجئنا في
خواصنا والجنادرية * ونزلنا في العدة المجردة على طبرية • وأخذ القبايون ساعة النزول
في الثقب • فصرع قائم سورها للجنب • ودخل الناس اليها ليلال للهب وكانت ليله مدلهمة

مستمه • وارجاء المدينة مظلمه • فأشعلوا وأوقدوا • ودخلوا الدور وتفقدوا ما لم يفقدوا • وكانت بها حواصل من زفت وكتان علفت بها النار • فاحتوت تلك المساكن والديار • وتحصن أهلها بقلعتها • وتمنعوا بمنعتها • فأصبحت على حصرها • وسلكنا جدد الجدد في أمرها • فجاءت رسل الامراء • ان الفرنج قد تحركت • وانزعجت لكون عقيلتهم من طبرية تملكك • وأدركهم الندم كيف تركت وما أدركت • وانها قد عبت جنودها • وشبت وقودها • ولبت نداء جوعها • وصبت عليها ماء دروعها • وقاضت في غدران سوابقها السابريه • وقاضت بخار سوابقها الاعوجيه • وان جرهم قد استعر • وان يجرهم قد زخر • وانهم قد أتوا في عددهم وعديدهم • وحدهم وحديدهم • وخيلهم ورجلهم • وطلمهم وويلهم • وفارسهم وراجلهم • وأحزاب ضلالهم وأبطال باطلهم • وانهم حين عرفوا استيلاءنا على طبريه • وسبقنا بفضيلة فتحها البريه • غاروا على العقيلة السبيه • وأشعلت نخواتهم نار الحيه • وساقوا الى معترك الردى وملقى المنه • ولما حرقنا قريهم • قصدنا حريمهم • وزحفنا اليهم • وأشرفنا عليهم • والاحب السارى كالجيل الراسى • وقد أفاض الحديد من قلبه على الحجر القاسى • ولمت بوارق ييارقه • وراعت طوارق طوارقه • وورقت قوائس قوامه • وارتمدت فرائس فرافسه • وأمكنت فرائس فوارسه • وباح الحديد على عوايسه بوساوسه • وماجت بحار سلاحيه • واشتعلت نيران قواضيه • وشدت الاجادل دون صوار صوارمه • وسدت بعرض أفواجه خجاج مخارمه • وقرنت الالفات بلاماته • وظهر من حشره • يوم الحشر بسلاماته • فأغتمنا الفرصه في اللقاء • وهجنا الى الهيجاء • وأسرعت الأعنه • وأسرعت الاسنه • ونقع النقع أوام الجوى • وأجاب الصدى دوي الدوى • وجال الجاليش • وطار السهم المريش • وعصفت رياح السوابق • واستعبرت عيون البوارق • ولقيناهم في عرمرم طرم • وبجر جارم • وعوامل جوازم • وصواهل صلادم • وضراغم ضوار • وجوارح جوار • وأسود قد أعتقلت أساود • وحياذ قد حملت أجاود • وسواجم قد أقلت بهورا • وصقور قد ركبت صقورا • وواقفناهم نهار يوم الجمعه وساكنهم لايجرك • وبازلهم لايرك • وصفهم لايفض وجدارهم لاينقض وبنائهم مرصوص • وطائرهم عن الطيران محصوص • حتى دخل الليل • وفر في الوادى ذاك السيل • وبات الفريقان على تعبيهما • واجابة داعي الموت بتليتهما • وأصبحنا يوم السبت وأهل الاحد على حالهم • لم يريوا موضع قتالهم • وما زالت المحلات تتأوب •

والاسلات تنواب وتناوب * والسواعد يقرع الظبي سواع * والرواعف في زرع الطلى
 رواع * والمتايا تن * والحنايا تحن ، والبيض تصافح البيض صفاحها ، والذكور لتناج
 الحرب الموان بالفتح البكر عند اللقاء لقائهما ، والنوابل في أشاجع الشجيمان ذواب *
 والصوامر لجواح التيران تنواب * وضار التمود قد باحت بأسرارها . ونواظر الجفون
 قد تخلت عن غرارها . ولما أحسوا بأسنا ، وإمرار أمراسنا ، والهجير يتاغى وقد
 وقد عليهم يناره ، والوام يتوقد ولا يتوقى احراقهم بأواره * مالوا الى طلب
 الماء * وأخذوا طريق البحيرة للارتواء . فأخذنا قدامهم * ووقفنا
 أمامهم . وحلأناهم عن الورد . والجأناهم الى الردى بالرد . فاعتصموا بتل حطين ،
 وصبرنا بهم محطين . وتحكمت فيهم قواضى القواضب . ونشبت من الشباب بهم نيوب
 التوائب . وكان جمعهم جراً وقد قد . فصب عليهم السيف نهر اغمد . وفضوا بالنفضاء
 وفرشوا بالعراء . وعب دأماء الدماء . وغصت الفجاج بالقتلى والاسراء . وأسر الملك
 وأخوه . والابرنس الكركي وموارثوه . ووجوه الكفر ومقدموه . ومقدم الداوية
 واعوانه . وصاحب جيبيل وأعيانه . وهنقرى بن هنقرى وابن صاحب اسكندرونة
 وصاحب مرقية ، ولم يفلت الا ابن بارزان والقومص . وتم لهما من الورطة المخلص *
 وكان كلاهما ملهماً عند اللقاء بالقتال . وعند الفرار بالاختيال . فاما القومص فانه لما مر
 بطرا بلس أدركه الموت في برجه المشيد . وقبلة القدر المييد الى عذابه المؤيد . وذل
 ذلك اليوم أهل الجبروت . وحيز صليب الصليوت . وبار وباذ أولياء الطاغوت . وهلك
 عبدة التاسوت واللاهوت . وملك عليهم القدر كتاب الاجل الموقوت . وقدمنا الابرنس
 وضربنا رقبته وفاء بالذعر . ومجئنا به الى النار مأوى أهل القدر . والحقنا به الداوية
 والاسبتارية . وأدركنا عليهم صبرا كؤوس المنية . وروينا نظام الظبي من نجيعهم *
 وقرينا سيد الفلا من صريمهم . وعدنا الى طبرية فقلسمنا قلمتها . وحللنا عقدتها .
 وفرعنا ذروتها . وافترعنا عذرتها . ثم سرنا الى عكا ففتحناها بالامان . واعلنا بها شعار
 الايمان . واستبقرينا بعدها البلاد الساحلية من جيبيل وحد طرابلس الى الداروم غير
 صور قلنا امتعت بسورها . ولم يبق في كأس الكفر غير سورها . وانها وجدت
 خسحة في أيام اشتغالنا بفتح أخواتها . وكثفت من عدد المحاصرة آلائها . وكنا لما
 فتحنا عسقلان بدأنا بالزول على القدس وذلك يوم الجمعة ثالث عشر رجب . فرجف

بها قلب الكفر ووجب • وظن أهلها أنهم يتصمون • وأنهم من بأسنا يسلمون •
 فصبنا عليهم منجنيقات هدت أحجار السور بسورة أحجارها • وأذن ركوعها بسجود
 الأبراج في إيجابها • ووفت الصخور بأصراخ الصخرة • وعزت تلك القتل لأقالة
 مادام بها من العثرة • وكشف الثقب وثقب الأسوار • ورمت الجنادل جوانب ذلك
 الجدار • وعلم الكفار لمن عقي الدار • وأهتوا بالقتل والآثار • نخرج مقدمهم
 متذللين بالأذعان • مبتهلين في طلب الأمان • فأيننا كل الأباء • الأسفك الدماء من
 الرجال وسبي الذراري والنساء • نجفوا بقتل الأسراء • وأخرب العمران وهم
 البناء • فأمنهم على قطعة موازية لأمنهم لو أسروا أو سبوا • فأمنوا • من أن
 يسلبوا وهم على الحقيقة قد سلبوا • ومن وفي منهم بالقطعة خرج بحكم العتق • ومن
 وعجز عن أدائه دخل تحت الرق • وعاد الإسلام بإسلام البيت المقدس إلى تقديسه
 ورجع بنيانه من التقوى إلى تأسيسه • وزال ناموس ناقوسه • وبطل بنص النص
 قياس قيسه • وفتح باب الرحمة لأهلها • ودخلت قبة الصخرة لفضلها • وبشرت
 الحياه بها مواضع سجودها • وصاغت أيدي الأولياء آثار القدم النبوية بتجديدها
 وشهد مقام المعراج وموطئ براقه • ورتي نور الأسراء ومطلع أشراقه • ودنا المسجد
 الأقصى للرايح والساجد • وامتلأ ذلك الفضاء بالأتقاء الأماجد • وطئت أوطانه بقراءة
 القرآن ورواية الحديث وذكر الدروس • وجلبت هدي الهدى من الصخرة المقدسة
 بجلوة العروس • وزارها شهر رمضان مضيافاً لها نهار صومها بالتسبيح وليل فطرها
 بالتراويح • وشفى الله بسقيا هذا الفتح ما كان دهم القلوب لأجلها من تبار التباريح •
 فاليت الحرام مساو لبيت المقدس • مقدي منا كلاها من المهج والانس بالانس •
 وأنه من المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال الرجال • ويضيئ عن وصف شرفها في
 جابة البيان الجبال • وهو للحرمين ناك ولا تثليث في حرم توحيده • فتجدد جد
 الإسلام بتجديده • ولما فرغ البال من تديره • وقضينا حق تقديسه وتطهيره • صرنا
 إلى صور • ونازلناها بعسكرنا المنصور • وفي صور سور الكفر وبقيته • وقد تحصن
 بسورها ومنمته شر ذمته • وهي مدينة حصينه • متوسطة في البحر كأنها سفينة • وقد
 لعبنا عليها التنجنيقات فتكأت فيها • ورمت من أعاليها وهدمت من مبانيها • ولم يبق
 في جعبة الكفر سوى نشابها • وإن جهجت علينا قصرة الله وعوائد تأييده لنا تؤذن

بأصحابها • وإذا تسلمناها تسلمنا بأذن الله كل بلد للفرنج باق • ومالهم من عذاب الله
 الواقع بهم واق • ثم رأينا ان حصار صور يطول • وان مسئلة يبكار المسكر فيها تعمل
 وان فتحها لا يفوت • وله وقته الموعود ووعده الموقوت • وكان المسكر قد نجبر ومل •
 واعيا وكل • وقد دخل الشتاء • ويرد الهواء • وجادت السماء وتواترت الانواء •
 وتواصلت الانداء • ولا بد من استئناف جمع المساكر في أيام الربيع • والحمد لله الناصر
 الذي يضم لاستجداد الفتح شمل الجميع • ورحلنا عنها بعد ان رتبنا حولها • في
 الثغور المجاورة لها • من يديم شن الغارات عليها • ويواطب على التهوض اليها •
 وفسحنا لاجنادنا في الاستراحة مدة شهرين الى الثبوز • فان في تلك الايام تتوفر المزائم
 على المبارزة والبروز • وقد جرت المواعد على الماعود • والمعاقدة للمعاضد • والمعاهدة
 للمساعدة • فليس في الفرنج من يقاتل الآن على الحبل • والهار عليهم في اطلام الليل • والمنز
 متقلص الظل عنهم والذل ضافي التذل • وقد حزب حزبهم من حربنا منير للحرب
 والويل • وقد اشتمل الفتح على البلاد المعينة • والمعاقل الميمنة • وهي طبرية عكا •
 الزيب • معليا • اسكندرونة • تبنين • هونين • الناصرة • الطور • صفورية • القولة •
 حنين • زرعين • دبورية • عفريل • يسان • سمسطية • نابلس • الحجون • ربحا •
 سنجيل • البيرة • يافا • أرسوف • قيسارية • حيفا • صرقد • صيداء • قلعة أبي الحسن •
 جبل جليل • بيروت • جيل مجدل يابا • مجدل حباب • الداروم • غزة • عسقلان •
 تل العافية • التل الاحمر • الاطرون • بيت جبريل • جبل الخليل • بيت لحم • لد •
 الرملة • قرتيا • القدس • صوبا • هرمس • السلع • عفرا • الشقيف • ولم نذكر
 ما تخلفها من القرى والضباع • والابراج الحصينة الجارية بحرى الحصون والقلاع • ولكل
 واحدة من البلاد التي ذكرناها اعمال وقرى ومزارع • وأما كن ومواضع • قد جلس
 المسلمون خلالها • واسترعوا ثمارها وغلالها • وقد كنا عند قصدنا البلاد • وعرضنا
 للجهاد الاجناد • كابنا أخانا الملك العادل سيف الدين ان يدخل بالساكر المصرية من
 ذلك الجانب • ويتنظر كتابنا بنصر هذه الكتاب • فلما بشر بكر الفرنج وقبح طبرية
 وعكا • والظفر الذي أتحك الاولياء وازعج الاعداء وأبكي • وتلى عليه قد أفلح المؤمنون
 وقد أفلح من تركي • كان وصل الى السوادة في سواده وبياضه • وبحار جيشه وبراضه
 وورد من مورد النصر الى حياته • فحش بميوته • وجاز العريش بريشه • وزار

دار الداروم بدمورها * وأجفلت قدامه البلاد في كل من اعتمد عليه بأمورها * ووصل
الى يافا ففتحها عنوة * ونال المسكر منها بالنهب والسلب حظوه * ثم حضر مجدل يابا
وحصرها * وطلبت منه الامان فأنظرها * وكتبنا اليه بالاقامة في ذلك الجانب * ماضى
العزائم قاضى القواضب * وان يستفتح من البلاد ما يتعجل فتحه * ويقدم من الرجاء
ما يتيسر نجحه * الي ان فتحت مافي جانبنا من البلاد وتسلمه * وننجز فرصة الامكان فيما
نحن بمسدده ونقتمه * وقد كنا أنهضنا الى كل بلد من الناصرة وصفوريه * وحيفا
وقيساريه * من يتولى اقتتاعه * ويستقبل من مهب النصر ارواحه * فنصرهم الله على
الناصرة وقيسارية قسرا وتسلمت البواقي سلما * ورأى من كان فيها سلامته غنا * ورضي
بالفرم رغما * وتسلمنا نحن تبين ويروت بالامان * بعد ان قاتلنا أهلها قتالا شديدا
الجأهم الى الاذنان * فاما صيداء فان صاحبها أذعن الى التسليم * بعد ان بات منا بليلة
السلم * واما جيل فقد سلمها صاحبها وخلص من الاسر * ورأي رخ خلاصه فيما
تجعله من الحسر * وحينئذ سرنا واجتمعنا بالملك العادل على عسقلان * وهان لنا كل
ما استصعب منها ودان * ونظهر لنا منها وجه الفتح وبان * وأمكن كل ما نعتذر واشتد
ولان * وزاحنا مناكب أبراجها من المنجنيقات بمنالك * وأصبنا فوائدها لما رميناها
بعصائب * وأصبنا مقاتل الاسوار بسهام قسيها * وواقبناها بحبالها وعصياها * واقتدنا
بخزائم الكره أئف الطاعة من عصياها * وصاحنا بيض الصفائح يد الرضا من أبيها *
وباشرت سهام المجانيق بسواكها ثايا الشراقات فهتمتها * ونهضت أحجار الرماه الى
أحجار البناء فهدهتها وهدمتها * وغنى فيها معول الثقاب * فرقصت للاضطراب لاللاطراب.
وحدات الحجارة الى أصلها من التراب * ولما أيقن أهلها بالعطب * لاذوا بالضراعة
والطلب * وخرجوا مسلمين مستسلمين * وانقادوا مستكينين مذعنين * وأسلم البلد
وأسلم * وجدع أئف الكفر وأرغم * وعاد منه الايمان القريب الى وطنه * وقر منه
الاسلام القريب في مسكنه * وعند ذلك تسلمنا غزه * وأعدنا اليها العزم * وأتينا على
الرملة ولد والبطرون * وفتحنا بيت جبريل وجبل الخليل وجميع تلك المعاقل والحصون *
ثم حتمنا فتوحات هذه السنة بفتح الارض المقدسه * والمحمد لله على نعمه المفرجة
للكروب وألغافه لنفسه * وقد جعلنا هذه البشارة القدسيه * بما هناء الله من الموهبة
السنيه * وسناء من المنحة الهنيه * لملوكنا حسام الدين سنقر الخلطي وأمرناه ان يسير

فيها من أصحابه • من يقوم فيها بحق منابه • والمجلس السامي يشيع ميامنها ببلاد اليمن •
ويجولو عروسها البكر في حسناتها الحلالي وحليها الحسن • ويشكر نعمة الله التي خصنا بها
وعمت الآله • ويدبم شكرها فإن دوام الشكر يدبم النعمة • لازل المجلس مشكور الشئمة •
على الهمة • منصور المزمه • ان شاء الله •

﴿ ودخلت سنة اربع وثمانين وخمسمائة ﴾

والسلطان مقيم بمكاه وريب الريع رضيع • ووشى الروض وشيع • وصنيع
القدر لصنيع • وشمل الظفر جميع • وفضاء الفضائل وسيع • ومراد المراد مريم •
ونسيم الاسحار لاسرار الازهار مضيع • وأزيج الجو العليل في شفاء غليل الجوى
شفيع • والدمر قد ثمل وفاق • والزهر قد شمل الآفاق • وللمحباب مهاب • وفي
الشعاب اعشاب • وخطود الشقائق محرم • وثغور الاقاصي مفتره • وعمون النرجس
مصفرة • وشفاء المتأبع مخضرة • وأحداق الحدايق الناضرة ناطرة • ووجنات الجنات
الزاهية زاهره • وعذبات المتأب متوجه • وحافات المناهل متدبجه • وجياه القدران
متعضنه • وجفون الثوار متوسنه • والاقنان مورقة والورق مفتنه • وخد الخيري
حورد • وحد العرار مجرد • وعرف البهار قد تأرج • ووجه الجلتار قد فخرج •
وعذار البنفسج قد بقل • وعذر الزمان قد قبل • وشارب التبت قد طر • وهارب البرد
قد فر • وسر الصبف قد سرى وسر • وطبي الطيب قد حفل ودر • وتقاضى السلطان
غريم غزبه بدين الدين • وأن ان يصجر ليت بأسه الخادر من الميرين • فابرز مضاربه •
وجيز كتابه • وضرب سرادقه • وعرض فيالقه • ونشر بيارقه • وحشر رواعده
وبوارقه • وأفق خزائنه • وأغد دقائنه • وبذل في صون الدين دينار • وأشمل في
حفظ ماء الهدى على العدى ناره • وسار على سمت حصن كوكب • وعن قصده مانتكب •
ونزلنا عليه في الثمر الاوسط من المحرم • وما منا الا من له بقتال العدو فيه لمج الحب المفرم •
ولعزمه وهج الايب المضم • ووجدنا كوكب في سبائها كأنها الكوكب • وظن الفرخ انها
لا تنكأ ولا تنكب • وهي من المصاعيب التي لا تترك ولا تترك • فأحطنا بالحسن وخيمنا
بحوله • واستمددنا قوة الله وحوله • وزحف اليه الرجال • وتناوب عليه القتال •
وركب اليه السلطان ورازه • واستصعب احتيازه • ورأى ان مقاتلته تطول • وان

مسائله تمول • وان عاويله في مطاويله • ومصابه في مصابره • واضافته في مضايقه •
وان مافي هذه الحال اقضى مئذرا اقتضاض عذرتة • ولا مطلع الآن في فرع ذروته •
ولا قرع مروتة • وكان في خواصه • وأهل استخلاصه • لم يجمع عساكره • ولم تنموج
زواجره • فاقام هناك بالتدبير مشتغلا ولاشغال مدبرا • وبلاستظهار متأيذاً وبتأييد الله
مستظهِراً • حتى رتب على قلعة صغد خمسة فارس • من كل ميخرب للحرب بمارس •
وسلمهم الى طغرل الجاندار • لمراعتها بالليل والنهار • ووكل بكوكب قايماز النجمي
في خمسة مقاتل • من كل ناصر للحق والباطل خاذل • وكان سعد الدين كمشبه الاسدي
بقلعة الكرك موكلاً • ومحفظها مكفلاً •

✽ ذكر حال الكرك من أول الفتح ✽

وقد مضى ذكر وقوع ابراس الكرك في الشرك • بمعتكر يومه في المعترك • وافتتاح
الفتح بحتفه • وبسط كف الانتقام عليه بقبضه وكفه • وانه أخذ راسه • وقطعت انقاسه
وقامت أساسه • وكانت زوجته ابنة قايب صاحبة الكرك بالقدس مقيمة • ولحفظ
معاقها مستديعه • وحصل ولدها هنفري بن هنفري في قبض الاسار وقيد الحصار •
وغمه الانكساف والانكسار • فلما يسر الله فتح البيت المقدس • وأصبح الاسلام على
اليدين والكفر راغم المعطس • خرجت صاحبة الكرك متمرضة للخضوع • متضرعة
بالخشوع وبرزت مسكنة مستكنة • مستعطفة مراحم السلطان مسئلة • راقعة عقيرتها •
بالابتهال • شافعة في فك ولدها من الاعتقال • معفرة خدا من شأنه التصمر • مسفرة
عن وجهه من عادته التخذر • حاسرة حسرى • باسرة لحزنها بأسرى • والدة تشدولدها
والهة دخل الرعب خلدها • مطلقة ميسورها • مستعلقة مأسورها • ثاية عطاف العطف
لواحدتها • راية بعين الذل في خلاص ساعدها • سائلة في فلاة كبدها • جائلة بمجدوة
كبدها • باسطة يدها لقبض يدها • نائرة خرزات دموعها • عائرة بمجازات ولوعها •
خافضة جناح استعطافها • ناهضة في نجاح استسمافاها • راجزة بنوحها • عاجزة عن
بوحها • وخرجت معها زوجة ابنة الملك • كانها من بنات الفلك • باديا صبح
وجهها اليق في ليل شعرها الحلك • مشرقة من اوجها • مشفقة على زوجها • محترقة
على فداء الحليل • مقترحة به شفاء الغليل • خادرة قد اصفرت من مطالعها وأصحرت •

حادثة عبرة في مداومها طحرت • ناهدة متهددة • واجدة متوجده • معتزة متذلة •
 مهترزة متململة • باكية متلفه • شاكية متأسفة • مستدعية مستدعية • عاطية مستعطية •
 ساكية عبراتها • رابكة عثراتها • خامشة وجناتها • خادشة بشراتها • وحضرت الملكة
 في زوجها الملك خاطبة • ولقرمها النذب ناديه • قد أذعنت وعنت لفكاك طائها •
 وطلبت بطلها الذي هو عامر دار عزها وبانها • فأكرم السلطان وقادتهن • ووفر
 اقادتهن • وقرب ارادتهن • وقررزيادتهن • ووهب لهن ولاتباعهن واشياعهن ما كان
 يلزمهن ويلزمهم من مال القطيع • ووصلهن بصلاته الرقيع • وخصهن بمالاق بكرمه
 من حسن الصنيع • ووقهن بنجح الذريعة وأما الملكة فانه مكن محلها • وجمع بالملك
 شملها • وقرر مع صاحبة الكرك اطلاق ابها على تسليم قلعتي الشوبك والكرك •
 ودخولهما في معاقلة وخروج أصحابهما منها في الدرك ، فاستحضر ابها هنفري من دمشق
 اليها واقر برؤيته عيذها • وسار معهم من الامراء الامناء من يتسلم منهم تلك المعائل •
 ويحوز من تلك العقيلة العاقلة تلك المعائل فضت اليها مع ولدها • حسنة الظن باهل بلدها •
 فلما وصلت قاطموها • ودافوها عن حصونها ومالوها • واخلفوا ظنها وخالفوها •
 حيث ما ألفوها كآلفوها • وجنحو وجمحوا • واجترأوا عليها واجترحوا • وعصوها •
 وأقصوها • وعددوا عليها الذنوب وأحصوها • وأغشوا لها في خطأ الخطاب • وأوحشوها •
 بالسعي عن صوب الصواب • وسبوا وسبوا • والى موافقه الاسلام نسبوا • وكلا
 لايتهم خاشنوها • وكلا قاربتهم باينوها فوجدت نبوة نوابها • وعدمت إعجاب أصحابها •
 وذكرتهم بحقوقها • وحذرتهم من عقوقها • ولاطقتهم فغلظوا • واسترضتهم فأحفظوا •
 واسترعتهم العهد فاحفظوا • ونبهتهم لامرهما فاستيقظوا • واتصلت عنهم خائبه مخفقه •
 هائبه مشفقه • تخشى من رد ولدها الى السجن • وعودها من الاصحاء الى الدجن ومضت
 الى الحصن الاخر • فحصلت منه على صفقه الخامس • قاتنا لما الت بالشوبك أمت من
 شوب كدرها واملت فقمها فمادت بضررها • ولقيت من نوابها نواب • وفي موارد
 المراد منها اقذاء وشوائب • فأبت بالامل الخائب والعسل العائب • والخورف الصادق
 والرجاء الكاذب • فلما رجعت قيل السلطان عذرها • وازال ذعرها • وأعلمها بان
 ولدها محفوظ • وبالرعاية ملحوظ • وبالعتاية به محفوظ • وهو في حصن السلامة الى ان
 تسلم الحصون • واذا بذل مصونها بذلت لك منه المصون • فسكنت الى الوعد • وسكنت

يمكأ في ظل الرقد والرقد • ثم انتقلت قبل خروجنا من عكأ الى صور واستودعت
 السلطان ابنها المأسور • وأمد السلطان سعد الدين كشي في حصار الكرك والشوبك
 بامراء يساعده في الحفظ واليزك • فأقام على كل قلعه من يكفى لمحصرتها • وبنى
 حصارتها • وبلت في مقابلتها • ولا يثبت بمقاتلتها • فأنها تبقى على قوتها ما لم تقو من
 قوتها • وتدوم على طغيانها ما لم يذل عز طاغوتها • فلما رتب السلطان هذه المراتب •
 ورب هذه المأرب • أقام حتى وثق باستمرارها وتحقق حق استقرارها •

﴿ ذكر مآبره في عمارة عكأ ﴾

اختلفت الآراء في امر عكأ فأنها كانت مدينة متخرقة • وبيوتها متفرقة • وسورها غير
 مضمورة • ومعظمها بلا سور • ورأوا ان في إبقائها خطرا • وان في إخلالها ضررا فبن
 محابنا من أشار بخرابها وحفظ الحصون • وبناء قلعة القيمون • ومنهم من قال اذا
 سبنت عكأ ملك البحر • وهلك الكفر • وكانت على البلاد الساحلية قفلا • وكانت
 بها بلاد الكفر غفلا • فن قائل بإبقاء برج الداوية لحفظ مينائها • ومن قائل بخنصرها
 من ادناها • ومن قائل بنجد سورها • ونحكم أمورها • ونقيم بها محالها • ونعمرها
 بكمالها • على ان أسوار هذه البلاد سيوفها التي هي عند الفتوح مفاتيح أقالها • واجالوا
 الفكر فيمن يجلي غوائلها • ويجلي عوائلها • ويتوحد بشديرها • ويتفرد بتعميرها
 ويجهد في تسويرها •

﴿ ذكر وصول بهاء الدين قراقوش لتولى عمارة عكأ ﴾

فقال السلطان ما أرى لكفاية الامر للمهم • وكفى الخطب للمهم • غير الشهم الماضي
 السهم • المضى الفهم • الهمام الحرب • التقاب الحرب • المهذب اللوذى • المرجب
 الامى • الراجح الراى • التاجح السى • الكافي الكافل بتذليل الجواح • وتعديل
 الجواح • وهو التبت الذى لا يتزلزل • والطود الذى لا يحلحل • بهاء الدين قراقوش
 الذى يكفل جاشه بما لا تكفل به الجيوش • وهو الذى ادار السور على مصر والقاهرة
 وقات وقات الفحول بأنار مساعيه الظاهره • فأنمره ان يستتب هناك من يستكفيه لتنام
 تلك المماره • ونؤمره لهذا الامر فهو جدير بالامر والاماره • وكونه بالحضوره
 لتولى الامور • وعمارة السور • فوصل متكفلا بالشغل • متحملا للتقل منشراح الصدر

بالعمل • منفسح السر والامل • متهجاً بالامر • متهجاً بالشكر • وقد استصحب معه كل ما يقتدر اليه من اسباب العماره والآلات وأدوتها وأقارها وأقارها • ورجالها وعمالها وعمارها ، ومهندسيها وماسيها ، وحجارها ومعازيها ، والاسارى والصناع • والتحات والقطاع والمال الكثير للتفقه • والذهب الابرز والرقه ومثل بالخدمة السلطانية على كوكب • وحضر الموكب وشرف بأسنى الخلع وأعطى الملبس والمركب • وفوض اليه وقده • واسمعه من عنده وأسعده • وقوى جانبه • وأعذب مشاريه • وأوضح مذهب • وانجح مآربه • وأيد يده • واجد جنده وكثر مدده • ووفر عدده • وعدده • وخصه بمطايده • واستخلصه لوصايه • فتوجه الي عكا وشقله متوجه • وعززه • حثبه • وسره • مترفه • وفكره في رياض الهدي منزله • وامره ماض وحكمه قاض • والله عنه راض • وقام بما أقيم له • ونهض بالبعب وحله • ومشى بكفائته عمله • وشرع في التميمير والتسوير • ونسوية الامور بحسن التدبير • وسياً في شرح ماجرى بعد ذلك في مكانه • وما ظهر من حسن اياته واحسانه

﴿ ذكر وصول سلطان الروم قليج أرسلان وغيره من الرسل ﴾

لما شاع خبر السلطان باستيلائه على البلاد • واستعلائه في الجهاد • وتآرجت الارزاء يعرف عرفه • وأرخت السير بمحاسن وصفه • غنت الامصار لمصره • وأذعنت الاملاك للملك • واتقادت الامراء القاده لآمره • وعادت مهاب المحاب تفوح بما له من القروح • وشروح ابراده واصداره تحمل في صدر الزمان المشروح • فتهيب بالضراعة كل عظيم • وتأهب له بالطاعة كل اقليم • ورهبه ملوك الاطراف • وتعلق باستزادة الشرف منه أمل الاشراف • فكتبوه مستعفين • وخطبوه مستعطفين • وراسلوه بالتحايا • وواصلوه بالهدايا • ورغبوا في امتراء خلف الامتراج • والانتشاح والانتحاف بخلف الانتشاح • وخطبوا الوصله • وطلبوا الصله • وكل يطلب لبلده منه أمناً • وليده وقدمه من تمكنه وتأيدته امكانا ومكانا • ويتوصل ويتوصل • ويتلطف ويتطفل • ويرسل ويرسل • ويترجي مواهبه • ويتخشى عواقبه • ويدبم التردد للتودد • والقصد للبلوغ المقصد • فما يعود رسوله الا بسوله • ولا يقبل عليه منه الا بقبوله • ومن حلة الملوك المتقرين بالوداد • المتسدين الى حصول الاتحاد • سلطان الروم قليج أرسلان بن مسعود

ابن قليج ارسلان • فانه يذل الاذعان • وسأل الاحسان • وأدى في المودة الامانة •
وأبدى للرغبة الاستكانة • واستهض في سفارته السفير الالاب • وندب التدب • وأثقف
أكبر أمرائه • وأعظم سفرائه • وهو اختيار الدين حسن بن غفران وكان في دولته
مقدما • وفي ملكه محكما • وعند أهل ولايته معظماً • وقد استعلى عليه واستولى •
واستبد بالتدبير عليه كأنه بملكه أولى • ولا تصرف له في ملك ولا مال الا بتصريفه •
ولا تعرف له عن حادث وخال الا بشريفه • فوصل هذا الكبير بنفسه لتحديد القواعد •
وتشديد المقاصد • ومجديد العهود • وتأيد العقود • وقدم مكرما وأكرم قادماً •
وخدم حاضرا وحضر خادماً • وقبل البساط وبسط وجه القبول • وتمثل له الشرف
فتشرف بالثول • وحياحية الممالك للملوك • وحفظ الادب ولم يتكبر فيه عن النهج
المسلوك • فتلقاه السلطان بالبشر والترحيب • والبر والتقريب • وأعزّه بنزوله في ذراه •
وأعزّه بنزله وقراءه • ووسع عليه من الانعام بما خاق عنه أمله • وواصله من الجبل
بما راقق تفاصيله وجله • وشفع رسالته بالاصفاء • ورفع مقالته عن الالفاء • وسبح
ماجد به وأجابه • وأبدى بانه ماريه مارابه • وشافه بشافته • وأرواه بروائه • وأولاه
لولائه • وعرفه بالعرف الى آلائه • ونصبت له خيمة مسرده • شهداته الاقبال
الناصري لها مصدقه • ووجوه الكرامات بها محدقه • وسحب الميراث لها مفدقه •
فأقام أياماً بأيام مقيمه • ومحاسن من احسان الشيم السلطانية مشيمه • فلما استقام
أمره استقل • واستدر له بارق البر من سماء السباح واستهل • وما رام حتى نال مارام • ووثق
لاحكام المواثيق الاحكام • ووصل في تلك المدة أيضاً الصلاح فتلخّ أبه وهو أتابك قطب
الدين سيمان ابن محمد بن قرا ارسلان • وأفيا موافيا باحسان الخطبة وخطبة
الاحسان • راغباً في تتم الوصلة • وتعميم الصلة • آخذاً لصاحبه ملك ديار بكر عهداً
محكما • وعقداً من الميثاق مبرما • وقد أحضر قضاة بلاده شهوداً • واقضى لصاحبهم
بمحضورهم عهوداً • وكان قد خطب لصاحبه ابنة الملك المادل • ومت بكثرة الشوافع
والوسائل • وكان خاشعاً على أمد قائنها من فتوح السلطان • ووهبها لابيه نور الدين
ابن قر ارسلان • فأشفق من استرجاعها بالحق بعد وفاة والده • ورأى الامن عليها وعلى
جميع بلاده من أكبر مقاصده • ورغب في المصاهرة للمظاهره • وان يفتح بها باب
للمزاورة للموازره • فأواه الملك العادل الى ظل هذه المواشجه • وثبت بمقدنزاوجه

حكم الممازجة ، فتم أمته ، وعم يته ، وزاد قريه ، وزال رعبه ، وجلس السلطان . وحضر عنده الامائل والاعيان ، ووكلني وكان وكيل أخيه الغائب ، في انشاء العقد مع وكيل الزوج الراقب . فلما تم العقد باركانه ، اعتضد ملك ديار بكر بمكانه . وسار صاحبه بالمسار مصحوباً . وعاد ذيله بالفخار مسحوباً ، وقال له قد وجدت الحزن فلا تحزن . واشتد ركنك فالى سواه لا ركن ، وما من كبير أو أمير الا وقد وصل منه أكبر أمرائه . لينتظم بمهد السلطان في زمرة أوليائه .

﴿ ذكر رحيل السلطان صوب دمشق ﴾

وأقفا على كوكب الى آخر صفر ، ننظر منها بمن كفر الظفر . ثم رأينا انه يطول حضرها ، ولا يفوت أمرها * وان الفتح يبطي ، وان كان السهم لا يخطي ، فأمر الأمراء الموكلين بها وبغيرها من الحصون ، بالمقام عليها وابتذال سرها المصون . ورحل السلطان نحو دمشق طاهر الشيمه ظاهر العزيمه . سامى السواء . هامي الانواء . بأبي الانوار في مطالع المضاه . ودخل اليها يوم الخميس سادس شهر ربيع الاول . بالصدر الارحب والباع الاطول ، وتلقاه أهل البلد بوجوه لاقباله متمله ، والسنة بالدعاء له بمبته ، وعيون لانواره مجتليه * وقلوب بولائه متمليه ، وأسماع لأمره مستمعه ، وأيد الى الله في نصره مرتفعه ، وصدور بإيامه منشرحه ، وآمال في انعامه منفسحه ، ونفوس على طاعة الله في طاعته مجبولة * واعمال في رضا الله لمراضيه مبرورة مقبولة ، ودخل المدينه . وأدخل اليها السكنه * فوجدت الروح بسلطانها ، وعادت الروح الى جنبها * فوقرت به عيون أعينها . وأقرت له بحسنها واحسانها ، وابتدأ بالجلوس في دار العدل . وبمحضرة القضاة والملاء من أهل الفضل . واسترفع قصص المتظلمين ، وأستمع غصص المتألمين . وكشف الظلامات المظلمه ، وفصل الحكومات المستحكه * وقرأ كل قصه . وقرأها بكل حصه . وحقق الحقوق . ورتق الفتوق * وأقام للشرع السوق . وأثم الرجال الرجاء بعدله الوثوق . وحل بانصافه كل مشكله ، وطب باسمافه كل مضله . وأصححت سماء السماح ، وأحسب جراح النجاح * وأعدى المستعدي * وأروى الصدي ، وحيا الحبي وأردى الردى ، وعبد المجدي ومهد الحق حق قيل هو المهدي ، فما انقضي ذلك اليوم ، وانفض اولئك القوم * الا عن مظلوم اجير بالحق ، ومعلوم اجري من

الرزق وعالم أعين ، وظالم أميين . وهادزين ، وحادشين ، ومختل سدد* ومنحل عقد
ومتل شنى* ومتر كفى* وما حل جيد* وأمل زيد* وركن حق شد وشيد*
وخدن باطل أير وأيد* وراج أدني فوزه* ولأج أسني عزه* وجلس يوما آخر
للا كابر والامائل، والاكارم والافاضل ، فأضاء التادى وقاضت الايادى* وغدق الندى.
وصدق الهدى. وكر الكرم . وفر العدم . وحفل الدرودر الحفل . وشمل النظام وانتظم
الشملى* وصان العلماء بالبذل ، واعان بإفضاله اعيان اهل الفضل ، وقاز بالحمد وحاز
الثناء، وأجاز الشعراء واكرم الكرماء ، وروج الرجاء ، واولى النعماء، ونعم الاولياء*
وتقاضاه عزمه بالحركة لاستفاضة البركة ، واستضافة المملكة الى المملكة ، فلم تستقر به دار
ولم يدر به قرار . ولم يثبت فى جنثيه غرار ، ولم يبت الا وبين جنثيه لحب لقاء المدى اهل
التار نار . وكان الصنى ابن القابض قد استجد للسلطان على بعض أبراج القلعة دارا ، وأذهب فى
تضارته اذبا ونضارا ، وهي متطاولة بين البروج . مطلة على المروج ، مشرفة على موازاة الشرفين .
كاشفة غطاء النظر عن القوطيين . صحيحة البناء . فسيحة الفناء . بهية البهو . شهية
الزهو . بحجة لاهل الجذ ذرى اللهو . فرشها بماء الورد . وفرشها بالورد . وبسط
بسطها وعلق ستورها . وأعلى نورها . وحبر حيورها . وسرى سرورها . وسقى
أنواع نمارقها . وأسسى أنوار مشارقها . وتوصل الى حضور السلطان بها وجلسه .
وذهبت تبشير بشره بقطوب الزمان وعبوسه . وأحضره كل مقرظ بقريض . وكل مؤمل
بتصريح وتمريض . وكل ناشد ضالة رجائه بنشيد . وكل قاصد جلاله ارجائه بقصيد .
وكل مفرد مقرب . وكل مطر مطرب ، وظن ان السلطان تروقه تلك الحلية والحاله .
وتلك الجلوة والجلاله . وتلك البقعة المؤسسة . وتلك الرقعة المقدسه . وذلك المشرف
العالى . وذلك المشرف الحالى . وانتظر نظرا استحسانه لاحسانه . وتوقع تمكينه لموقع
مكانه . فأأعاره لحظا . ولا أزاره حظا . ولا لمح بطرف استطراف . ولا منحه حرف
استعطاف . بل أعرض بنظره عن تلك التضار . وأغضى عن تلك التضار . وغض
عن تلك الفضاضه . واشتغل عن تلك الرياض بالرياضه . فالباقل من لا يتخذ فى دار
الدوائر مقلا . ولا يجد فى منازل التوازل منزلا . ولا يركن الى قناء القناء لبيب . ولا
يسكن فى غار الفرور اريب . وكيف يبنى العمران والعمر الى الهدم . والنعم فى الدنيا
الدنيئة عين الغرم . وقال السعيد من يبنى دار الآخرة وينجو من أمواج الدنيا الزاخره .

ثم صرف في تلك الايام الصني عن ديوانه . وأبقاه في شغل الحزاة على مكانه . وسمعه يقول في بعض محافله . وقد أجرى له حديث من يفرح بمنزله * كان من ذنوب الصفي . عندي انه بني لي تلك البنية . فدل على انه لم يوافق منه الاثني . وقال ما يعمل بالدار من يتوقع اثني . وما خلقنا الا للعبادة . والسعي للسعادة . وما يحظر لنا في هذه الدار خلود بالخلد . وما لنا وللمقام في البلاء والبلد . وما جئنا لنقيم . وما نروم (الا) ان لا نريم . وما تحركنا الا للسكون . وما أسهلنا الا للعود الي الحزون . فأيحى عمر الراحة الا من مفرس التعب . وما يحبي نصيب المنم الا من مفرم النصب . فأين الاين . الذي تقر به العين . وما يحصل السكون في المسكن . ولا يكمل الوطن في الوطن . لاسيا والدين . يطالبنا بدينه . والكفر يستقر منا حين خيئه . والبلاد سائبه . وللبلاء هائبه . فلا تفوح الفتوح الا بهيوبنا . ولا ينزل النصر الا بركوبنا . وغدا للحزم متمما . وللزم مصمما . ووصل الخبر بوصول عسكر الشرق بالقرب الماضي . والحد القاضي . والجمع الوافر الوافد . والجمر اللافح الواقد . وان عماد الدين زكي بن مودود بن زكي قد أقبل بقبيله . ووصل برعيه . وقدم بمجده . وأقدم بمجده . وانه حل محل بلبل ثم سار عنها مسارعا . وجاء معه الجيش للنجدة والجدة جامعا . فأرهب العزم السلطاني خبر وصوله . وحل بالشد للرحيل عقد حلولة . وكان القاضي الاجل الفاضل ذو الجلالة والفضل . والنباهة والثلل . متأخرا في يتسه بدمشق لشكاة أقام في غيرها . واستقام مزاجه الكريم منها وهو في رقب زوال أثرها . والسلطان نجح سعيه متبرك * ونصح رايه متمسك * وبطولة عالم وبقوله عامل * وبمبارته قائل ولاشارته قابل * فأراد السلطان ان يقدم بلقائه الاجتماع . ورأيه الاتفاع * ويستبر ينوره * ويستشيريه في أموره * ويفاوضه في تفويضاته . ويقبله في تقليداته . ويتبرك بيمينه ويتيمن ببركانه * فانه طالما اجتلي سفي السعادة من مطالعه * واجتج جنج الارادة من صائمه * وافتح الاقاليم بفاتح أقالمه * وأحكم المملكة بنبوت أحكامه * ووافق بأمداد السوءد الوافي سواد مداده * وجاءه بالوجهة في دينه وديناه باسمافه واسماده * وكان قد خرج الي جوسق بالشرف الغربي الاعلى * ليتفرغ هناك للعبادة ويتخلى * فأصبح السلطان بكرة يوم الثلاثاء سحادي عشر ربيع الاول على الرحيل * فقصد لاي رام ماوجده في مملكته من الامر السحيل * وأقام عنده في الجوسق الي الظهر * مستظرا به على الدهر * حتي كشف

مبهات مهماته * ورشف شفاه^١ مشافهاته * واتحى معه في الآراء والآراب * واتجمع
لربه من رأيه صوب الصواب * وارتمع وديعة سر الغيب ممن عنده علم من الكتاب *
ثم استودع الله وودعه * ودعاه لاجل الفاضل وشيعه * وبات تلك الليلة مخيماً بالمراده * محتماً
بالعبادة راجح السيادة ناجح الارادة * ثم سلك في جبل يبوس الى عين الجبر الى الدهمية
على البقاع * وهو مطيع امر الخالق ومتبعه والخلق تابع امره المطاع * واتى بملك المحروسه *
وخيم بمرج عدوسه * وأقام حتى امر امرها * وادر درها * وقسم لها من عدله * وعدل بها
من قسمه * وحكم فيها بفضلها * وأفضل عليها بحكمه * وكشف الظلم والمظالم * وصرف
المكابر * وصرف المبكر * ورفع من المعالي المعالم * وأجرى رسوم الاجر والمراسم *
وأمر الرعاة برعاية أمر الرعيه * وحكم على القضاة بالحكم في كل قضية بالحجة الشرعية
الرعية * ثم رحل على سمت النبوه * معصوم التوبة من النبوه * معصون الكتيبة من الكبة
والسكبه * ثم أوجه الى الزراعة وزرع الطفر قد توجه * وشرع التصرف الصافي الشرعة
من السكر قد تنزه ، وقد كل عتير السكر طرف الجو الامره ، وقد آن لعين الشمس
الراقده من الهبة ان تعاود الهبة وتنبه ، وزرع بالزراعة من السمر المركوزة والبيض
المزوزة نبات الحظ وقناد الحظوظ ضاق ذلك القضاء الواسع بحط رحال الرهط

﴿ ذكر وصول عماد الدين صاحب سنجار والاجتماع به ﴾

ووصل الخبر بأن عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي وصل جامع من الاداني
والاقاضي ، ونزل طائماً على العاصي وخيم على قدس وخيمه قد تقديس ، والدين بدنوه
تألس ، والكفر بقدمه تمكس ، وأنه ينتظر قدوم السلطان والاتفاق معه ، على قهر
الشرك ونصر الايمان ، فركبنا وابن ذكاء في اسفاره ، والصبح قد زحف على الليل
برايات انواره ، والفجر قد فجر انهار نهاره ، وسرنا بصدق النزاع ، وقصد الاجتماع ،
خلقيناه قد ركب مستقبلا ، وقرب مقبلا ، ولما رآه السلطان حياه ، ولقبه بالكرامة
واكرم ملقاء ، ونزلا قعاقفا ثم ركبا وتواقفا وتساقفا ، وخيمنا بقرب مخيمه ، وجئنا
عند مخيمه ، وحططنا هناك رحلتنا ، وخلطنا برجاله رجالنا ، وتساعد الجندنا ، وسعد
الجندنا وجد السعدان ، وانتظم الجمعان ، واجتمع التنظيم واتحدت الكلم وأتأدت
الحليم ، وسأل السلطان ان يوازره ويوزره ، ويحضره بحضوره ، فساق معه الى

وارتفع في صدره • ورفع من قدره • وصار المسكران مختلطين • وجلسا منبسطين •
 ووقف الامراء والعظماء ساهطين كالسطين • وقرأ القراء وأورد الشعراء • ونجاذب
 بينهم أطراف الطرف والآداب الفضلاء والعلماء • وكان مع عماد الدين شاعر السنجاري
 ابن الهائم • ومن عادته إيراد المدايح في مثل تلك المواسم • فأشدد مدحاً • ونشد منعاً
 ثم بسط السباط • وسقط البساط • ومدت الموائد • وعادت العوائد • ونشد الخوان •
 وكونت الالوان • ولونت الاكوان • وصفت الجفان • وأحضر الطهارة من كل حاجة
 وباحه • وخروف ودجاجه • وحلو حامات وحامض • وقنه وقابض • ومطبوخ
 ومشوى • ومصنوع ومقلى • مطاب مذاق مذاقه ومحض • وطالت الايدي في بسطه
 وقبضه • فلما رفع من نأديه القري • وفرع بأيديه الذري • قدم ما أعدده للهدايا •
 والتحف السنيا • من الحياض المقربة • والتياب المذهبة • والعدد المعجبة • والاسلحة
 المذرية • وكل ما يروق ويروع • ويضئ ويضوع • ثم أقضى النادى عن ندي منفص •
 وسدئ ل بكر الشكر مقتضى • وعين السلطان يوما لحضور عماد الدين عنده • وأنه
 يستضيف فيه خواصه وأمرائه وجنده • فوسع سرادقه • ووشع نمارقه • وضرب
 بيت الخشب له لحسب بيته • وأسبغ الحسني بحسن سمته وسمته • واحتفل بحفله •
 وأجل لاجله • وأرجت أرجاء النادى بالند • وراقمد النواظر التواضر في ذلك الرواق
 الممتد • وبسط على البسط ما حضر من الياسين والورد • وفاح النثر • ولاح البشر •
 وفرش الثرى • وشرف البرى • ورفع الحجاب • وأشرعت القباب • وتوجهت
 الاسباب • ونزهت الالباب • وتضوعت نوافع التوافع • ووشحت مناهج المباحج •
 وبوضعت المطارح والمساند • والاسرة والوسائد • وجاء عماد الدين في خواصه وأمرائه
 وصحبه • فلقاه السلطان برحبه • وقرب له السرير وسر بقربه • وأجلسه الى جنبه •
 وجاء بحبه • وأقبل عليه بوجهه وقلبه • وجلس من جرى بالجلوس رسمه • ومما في
 الرؤوس اسمه • ووقف الامراء والحجاب • والعظماء والاحباب • على مراتبهم في
 مواقفهم • ودب للاعتزاز الاهتزاز في معانفهم • وكان النادى هيباً • والندي مجيباً •
 والذرا رحيباً • والقرى قريباً • والظل ممدوداً • والفضل موروداً • والحفل حافلاً •
 والشمل شاملاً • والبساط مقبلاً • والنشاط مقبلاً • والمرثى حالياً • والمروي عالياً •
 والمسموع مطرباً • والمجموع مغرباً • والمتنظر والمخبر جليلاً • والمطلع والمطلوب

منيرا منيلا • والمكان عليا • والزمان جليا • والربيع في انتهائه • والصنيع في اشتهائه •
 والمصيف في ابتدائه • والمصيف في ابتدائه والعم في نصرته • والكريم في نصرته • والاريب
 في أربه • والطروب في طربه • والضرب من الخلق الحسن في ضربه • وكانت أيام المشمش
 وقد وصلت من دمشق احمالها • وحلت في تلك الحالة حالها * وأقدم الجذل قدومها •
 وطلعت في أبراج الاطباق نجومها • كأنها كرات من التبر مصوغه • أو بالورس مصوغه
 صفر كأنها نمار الرايات الناصرية حلاذوقا • وأحل شوقا • ولو نظم جوهره لكان
 طوقا • وهو أحلى من السكر * وأعقب من العبير • وأحسن حياة من التارنج الاحمر •
 واليمون المركب المدور • وقد زفت عروسه في الثوب المعصر • والجمار المزعفر • كأنها
 خرط من الصندل • وخلط بالنسدل • وسجد من الثلج والسنبل • فهو الذي يضرب
 بضربه مثل الثمل • ويقضب من قضبه لقب القبل • ونظر منه ماضر • وما حظ ما
 حضروني هناك لقطوفه قطاف • ولطوافيره طواف • ولمقوده مصارف • ولتقوده
 صيارف • فكأنها وجوه المشاق اكدت اصفرارا • أو جرات تشتعل نارا وتبدي
 شرارا • وقد أعاد لحينها ضواغ القدرة الالهية نصارا • بل هي احداق الحداثي • وقلوب
 البوارق • ووجنات الجنات صبغها بلونه البرق وصفرها من خوفة الرعد ودورها بوقده
 الودق • لابل اصفرت من مهابة الجنات الجناء • وانتظمت من جواهر الحيا للحياه •
 واضطربت لهاها شوقا الى فتح اللهاه • ثم صرفت الاطباق • ونظفت الآفاق • وبسط
 المكان * وسقط الحوان • ونبت أجفان الجفان للقدور الرقود • وشبهت المراحل
 لغليانها بصدور ذوى الحقود • وتزيد مقال المقالى التشاشه • وتزينت مقار المقاري
 بالباشه * ومادت أعظاف اللواثد بالالطاف • وتمادت أكناف السراقد بموشى الافواف •
 وهناك السموط والسلوخ • والمحطوب المطبوخ • والمقلو المقلوب • والمحبو المحبوب •
 والاغذية والاحمان • والاشوية والخللان • والالبان والالوان • والجوابي والروابي •
 والصوائى • والوائى • وقد صفت البوارد • وصفت الموارد • وتوقت الطهاه • وتنوعت
 المشتهاه • وحلت الاطعمه * وعلت الاسمه • وجاش جاش الجاشنكير الرابط • وعاش
 اخوان الخوانسلاسل الغايظ • وتداولوا وتداولوا التوالاات والحوالات • والحلاوات
 والحالات • وكان يوما مشهودا • وخوضا مورودا • وروضا مهوردا • ورواقا مودودا
 ورواء مودودا • وجما مسغودا • وصنما محمودا • ولما فرغت الموائد • وبلغت المقاصد

أحضّر السلطان لعماد الدين هداياه • وحياه بأحسن من تحياه • من خيل صفون •
وحصن كحصون • وهراب حياذ من طوائف الطرفيات • وسوابق سواج من العناق
الاعوجيات • والمذاكي المنسوبات • من كل مطهم مطهر الحليم • وكريم من لسل
الكريم • وصافن صافي الاديم • ومعرب مقرب • ومجنّب مكرب • وسكب مشذب •
وفيض سلهب • وبجر هجوم • وطرف لموم • وسرحوب شيطم • وبعبوب صلهم •
واجرد قزود • وضامر قيدود • واقب نهد • وجواد ورد • ومسح رفل طمر •
وأشقى أمق غمر • ومفرع طموح • وعتيق غير جوح • وهيكّل طال • وعنجوج
ذيال • فاختار منها كل طرف • قد حط من قدره اذا قوم بألف • من كل اشهب
قرطاسي • واشمل سوسني • وأغر صنائي • وادهم غمبي • واجم احوي • واشقر
مدى • وابرش مدر • وكيت مضم • واخضر واديس • وسمنداغبس • ثم أحضّر
له مايناسبها من التحف اللاتفة • والطرف الرائقة • والعدد الزائفة • والاسلحة المانعة
والساريات السابغات • والدروع والزرديات • والرؤوس والراتات • والخوذات الترائك
والبواتر البواتك • والداص الموضونه • والنصال السنونه • ومن المستعملات المصريه
الذهبية والحريه • والملمح والديقي • والمصمت والمغربي والعراقي • ومن لسج تونة
وتيس • كد ثمين وفيس • وما شاكه من أنواع الطيب • على النمط والترتيب • ثم
أحضّر وعزف حمده متضوع • وعزف جده متنوع • وشدو شكره وعطف نخره
مترنم مترنح • وامره متحجر مترنح • ووده مترج مترجج • ودعاؤه صالح • وشناؤه صادق •
ولسانه داع • وجنانه واع • وعهده راع • وسعده ساع • وتصابح هو والسلطان في
الركوب والجلوس • والتاجي بما في النفوس • والتدبر فيما يقدم ويؤخر • ويقرب
ويقرر • ويورد ويصدر • وتكررت المشاورة في الموضع الذي يبتدأ بقصده • ويوفي
العزم فيها الجهاد حق جهده • واتفقوا على عرقا وعرقها وعقرها • والتزول بعقرها •
وانما اذا ملكت ملكك طرابلس • واسفر عن صبح فتحها الفلّس • وأقام العسكر أياما
على قدس • وبقيس النصر قد تانس • ولسنا الظفر قد توجس • وأثني العرب • وواقي
الارب • واجتمعت الحيوش وجاشت الجوع • وأن ليل العزم المدلج من صبح النجج
الطلوع • ونبت الفبوس من التم وقاض الينوع • وأينعت ثمار المبار وطابت النيوع •
ثم رحلنا أول شهر ربيع الآخر الى البقيعة تحت حصن الاكراد وخيمنا على الربوا الوهاد

وصوتنا الى الجهاد هو ادى الحيات * وأديننا قطاف الطاف الله لاجناء الاجناد * وكانت
الاعشاب بالشعاب واصيه * والشوائب من المشارب قاصيه * والقضب للقرب في طاعية
الله عاصيه * وطار الرعب * وثار المعجم والعرب * وخاف الكفر * وطاف الذعر *
وقال نفر الشراك نفر * ولا نستقر * وتشوروا وتشاوروا * وحاروا وتحاوروا * كانهم
في قبور حصونهم أموات * لا ترتفع لهم من الوهل والوله أصوات * وأجمعنا على دخول
بلد الساحل على التجريد للتجريب * وجوس خلال البعيد والقريب * ثم نجرد العسكر
عن الاتقال * وتجراً على أخذ أمة القتال * وسار السلطان ومعه عماد الدين زنكي *
وسيفه بصقاله بضحك وبدم الكفر بيكي * وظفر الدين كوكبوري * وهو الذي حين
يوارى صارمه المشهور في نحيب السدى لزند الظفر يورى * وصحبه من فرسان العرب
كل فارس معرب * ومن شجعان الاكراد كل فائق محرب * ومن فائق الاترك كل
قسور قاسر * ومن صيد الصناديد كل كسروي كاسر * وكل كمي كيش * واكدش
على اكديش * وقارح على قارج * وخضم على ساج * وجري جار جارج * وبهمة
وبطل * وجبل على جبل * وغفل على غفل * وذمر نكل * وورد على ورد * ومرد
على جرد * وحلس وحلبس * وياشر بللوت ممبس * واهيس اليس وأحمي أحس *
وغشمش هام * وأهم مقدم * وباسل ذى باس * وعاسل عاس * ورنبال على رنبال *
ومشتمل على شمال * وبجر على بجر * وصقر على صقر * وركبوا سلاهم * وجنبوا
جنائبهم * وجروا على الساحل سبولا * وجروا بالذوابل ذبولا * وطار ابليس
طرابلس بخوافي الخوف * ودام الجوي في رعب أهلها بدم الجوف * وما سار الا من
خف في نهضته * ونهض بنقضه * وأحسن حصن الاكراد بالاكدار * وصفت على
صافينا بوارق البوار * وقطع صرق صرقا وعقرت * وتمرمت العرمة وتمرقت * ومزعت
تلك الاعمال ومزقت * وأرهقت وأزهقت * ونفرت أبقارها * وبقرت أبقارها * وملكت
بالذوائر ديارها * وسبقت مواشها * وحشيت بالثيران أوساطها وحواشها * ونزل
السلطان على حصن بعمور فقادروا يحمونه * وابتذل مصونه واستخرج مكنونه *
وقتحه ومطحه * ومساه بالدمار وصبحه * وأقام في تلك الديار عشرة أيام يحوسها ويدوسها *
وقد حيزت له نفائسها ونفوسها * ثم رحل بمنه * وقفل الى خيمه * وعاد العسكر
مسروراً منصوراً * محبوراً موفوراً * قد اطلع من تلك البلاد على المورات * واضطلع

بالغنائم من تلك الغارات . ونكا منها في الاعمار والعنمارات . وانقضى شهر ربيع الآخر . وذلك المرج يوج بالساكر موج البحر الزاخر . وقد وصل قاضي جيلة بحث على قصدها . ويحض على أنجاز وعددها . ويحرض على إعذاب ورددها . وبحقق ان الظفر في هذه السنة يتدى . من عندها . ويقول ان الاشتغال بطرابلس مع احترازها واحتراسها . وكثرة ناسها . وتدرعها بلباس باسها . واستعدادها للحصار . ونجبتها عن الامحار . يذهب الزمان . ويفوت الامكان . وهذه جيلة وما وراءها من المعاقلة . قبيصة للحابل . وفرصة للمتاول . ولهنة للآكل . ونفبة للناهل . وأمنية للماقل . فما دونها مانع ، ولا عنها مدافع . وهي على غرتها وغرورها . وغفلتها وقورها . لم يفرغ عذرة أمنها ذعر . ولم يفتأ سورة نفعها ضر . ولم يقرع باب يسرها عسر . فان سلكتنا سبيلها . ملكنا سبيلها . وان جزنا ساحتها . حزننا راحتها . وان استقدنا ملكها ملكنا قيادها . وان اعتدنا حواءها حوينا عتادها . وان افتتحنا بها فتحها والمسلمون بجيلة مجبولون على التسليم . مؤملون ان يقبل شقاؤهم منكم بالتميم . فرفناه بصحة نصحه . ورفناه بحجة نجحه . واصفي السلطان الى قوله . واصفي له وردطوله . واقبل عليه وقبله . واجزل له العطاء واكمله . وكان قد وصل له مقدمو جبل نهرا . فوفر لهم روايتهم واجرى . وخلع عليهم وشرفهم . واسعدهم بالمواهب واسعفهم . قدبوا الى أتباعهم . وكتبوا الى أشياعهم . وأجمع السلطان على دخول الساحل . تلك الساكر والجحافل . ورحل يوم الجمعة رابع جمادى الاول . حافل الجحفل سامي القسطل . ماضى المنصل . فسرنا في آجام مؤتسبه . وآكام معشبه . وحزون وسهول وشعاب وتلول . ومما لم ونجامل . ورواب وهواجل . ومنايض وغياض . وارتقاع وانخفاض . حتى خرجنا الى ساحة الساحل . ونزلنا بها ومبارك مبارنا مواحي رسوم تلك النواخي للمواحل . ومنا احمال واوساق . وأثقال وأسواق . وأزواد وأمداد . وعدد واعداد . والحيل عرمهم . والنيل عرم . والمجر لجب . والليل أشب . والاسد في عريس من الاسل المراس . والقوارس الصلاد في غدران من السوايغ الدلاص . وقد نشأ المجاج كعجاج النشاص . فأنحلت بملولنا معاقد المعاول . واعتلت باستيلاء غولنا عقائد العقائل . وحلت لخطبة سيوفنا كرائم الحوالي والعواطل . ونحن في استباحة واستباء . واصطلام واصطلاء . وارتباد وارتباء . وفك باعداء . وسفك لدماء . وبك لرقاب

ذوى الفجور . وهتك لحجاب ذوات الحذور . نال من السدوكل نيل . وتدير عليه في داره دائرة كل ويل . فما قطع الا واديا يفيض الكفار . ولا تحضر الا ناديا يزيدهم به الدمار . وسرنا الساحل الساحل . في ثلث مراحل * حتى وصلنا الى أطرطوس يوم الاحد سادس الشهر . فاحدقنا بها من البحر الى البحر . وزحف اليها الناس . وحفر عليها الباس . وخاب رجاء رجالها وخب نحوها الياس . وقتلتها سابعه . فلم يجد أهلها للدفاع استطاعه . ودخلت من جوانبها ، ونخلت من مذاهبها . واصابتها نوابها . ونابتها مصائبها . وفل غمرها وجب غارها . وقتل من لحق من رجالها . ونهب ما وجد من أموالها . ونقل ما صودف من غلالها . وسبي من أخذ من نسائها وأطفالها . واعتصم من نجا يبرحين اعتصما بالامتناع . وهما هناك من أحكم القلاع . وفي أحدها الداوية جرة الكفر . ومعهم مقدمهم الذى أطلق من الأسر * وفي البرج الآخر المنزموون الناجون . والفارون اليه اللاجون . فزل على هذا البرج مظفر الدين بن زين الدين . فأبدى لمن استتر فيه وجه التأمين . وحر كمهم الى الخروج بالتسكين . ووقعوا بأمانه . وأمنوا بميثاقه ويمكن كل منهم لسلامته من تسلم مكانه . فلما ظفر مظفر الدين بالبرج هدمه وهدمه . وحل من أحكامه ما لكفر شده * وركب النقب على ركنه العالى * ونكبه في ذلك اليوم بما نسكت عنه نواكب الليالي . وخرب الى أساسه سوره . ورمي الى البحر صخوره . وامتنع برج الداوية بذاتها لدوي . واتبع مردتهم في الفرد هوي طاغوتهم النوى * وأقام السكر حتى نهض أسوار الطرطوس وقوضها . ورضنا بها الى ان عفيانا ربيضا . ولما امتنع البرج تركناه . وما كانت فيه فرصة لو ادركناه . وكيف كنا نشغل بفتح برج عن فتح البلاد . ولافرص أوقات هي لها بالرصاد . ومن يسلك الجدد اللاحب لا يمزج على بنيات الطرق * ولا يستغنى مدج الليل بالدارابي عن الفلق * ورحلنا عنها رابع عشر الشهر * شاهرين على الاعداء سيوف القهر * ونزلنا على مرقية وقد دخلت من أهلها ونخلت . وتشتت عمارتها واحتلت * وكان جوازنا الى جيلة على الساحل تحت حصن المرقب * وهو معقل للاستتارية على المنكب . ساهي المرقى والمرقب * ضيق المذهب . غير المطلب . فلم يكن بد من عبور ذلك المضيق * وسلوك تلك الطريق * وقد صفت الفرج في البحر المراكب . وسدوا المذاهب . وردوا الراجل والراكب . وفوقوا الجرخ للجرح . وسدوا الزبورك للقرح والطرح . ففسر المبور

وكثر المنور • وامتع الجواز • ووجب الاحتراز • وأعوز الظهوز وظهر الاعواز •
 وذلك ان صاحب صقلية • رام ان يكشف عن الفرق البلية • فجز أسطولا بمجهازه
 مستطيلا • وحمله من عدد القتال وعدد الرجال عبا ثقيلا • واتفق وصوله في تلك
 الايام في سنتين قطعه • تحسب كل واحدة منها قلمة أو تلمه • من كل شيني من شانه شن
 الغار • ومن عادته العادبة تشييت العمارة • مع طاعة يقال له المرغريط • قد عرف
 منه التوريط • من أرجس الطواغيت • وأنجس المقاريت • فوصل الى طرابلس بطوله
 واسطوله • وصوله وصوله • فأحلى ولا أمر • ولا نفع ولا ضر • ولا استقل ولا
 استقر • ولا تقض ولا أمر • بل صار على الفرنج وبالا • وأحدث لهم بما يسومهم من
 مؤونه اعمالا • وما خفف عنهم بل زادهم على الثقل أثقالا • ووجد الكفر في أوان
 توانيه • فلم ينتفع ولم يرتفع شان شوانيه • وصار الى صور ثم رجع الى طرابلس •
 وتردد في البحر وتلد وأبلس • وتفرقت جماعته • وتحييت شجاعته • واضطرب في
 البحر أشهر • لا يظهر له رأي ولا يرى له مظهرا • فتقطعت أقطاعه • وتناوبت في
 الفرار أتباعه • حتى عاد في عدة يسيره • وشدة عسيره • وكان هذا الطاغية قد حضر
 يوم عبورنا تحت المرقب بمراكبه • مصفوفة في البحر من جوانبه • قد ضيق الطريق •
 ولم يطرق المضيق • فأمر السلطان بحمل الجفاتي الى هناك وتصفيفها • والساتر وتأليفها •
 والتراس وترصيفها • واقعد من ورثتها • على مقابلة سفن القوم وإزائها • الحكمة النخيه •
 والرامة الجرخيه • حتى تباعدت تلك السفن • ودب اليها الوهن • وتمت عليها المحن •
 وأتحت الاحن • ورحل المسكر فعبر آمنا وأمن طابرا • وشار ظاهرا • وظهر سائرا •
 وجزنا على مدينة يقال لها بلياس • وقد أجفل عنها • الناس • ونزلنا في أرضها •
 وخيمنا في طولها وعرضها • وأنسا بنهرها وزهرها في الارواء والرواء • وحبسنا على
 نواضر رياضها نواظر الارتضاء • وبتنا ونفحات التادى مريضه • وجنات الوادي
 مريضه • والتسيم العليل بليلى • والعزم الصحيح دليل • ورسم العدو محيل • ولقدح
 الفوز من تأييد الله لنا بجيل • وأصبحنا على الرحيل مبكرين • فساء صباح المذنين •
 وسرنا وسرنا في سرور • وسفرنا في سفور وجمعنا في اجتماع • وجدنا في ارتفاع • ونهجننا
 في اتساع • وركبتنا في امتاع • وعارضنا نهر مريض عميق • بما فيه طريق • وهو مطرد
 من الجبل الى البحر • فازدحم المسكر عند ذلك الهر • وتواقمت الاحمال والاتقال

عند العبر • وليس عليه الا قطرة واحدة تصادموا على ذلك الجسر • وسار السلطان من فوق على سفح الجبل وعبر • واستبجع من عسكره بعد الزمر الزمر • ونزل عشية الخميس على بلدة • وعانت الاثقال في تحملها من الشدة الشدة • وتكامل نزولها حين انتصف الليل • ووصل الى القرار السيل • وهذه بلدة كاسها بلدة على شاطئ هذا النهر • وساحل البحر • حصينة البناء • مصونة الفناء • قد حصنها الاستار • وحسنها الاستظهار وقطعوا عنها سلوك الطرق • بتعميق ذلك النهر المخترق • وألفينا بلدة أيضاً خاوية على المروش • حاوية للوحوش • خالية من الانس والانس • كأن لم تكن بالامس • وقد انزعج أهلها • ونشئت شملها • وتخوف أمنوها • وعدم السكن ساكنوها.

﴿ ذكر فتح جيلة ﴾

وأشرقنا على جيلة يوم الجمعة ثامن عشر الشهر • وقد اشتهر موسم النصر • واشتد على الكفر رهيق التهر • وكان قاضي جيلة قد تقدم في السابقة وسبق في المقدمة وأقدم على قصدها بالمزيمة المصممة • فلما بصر منسلمو البلد • بما وضع في الجذ من الجدد وسنح من الظفر المتضائر المدد • خرجوا مستسلمين مسلمين • مستمبكين بمنزلة الاسلام معتصمين • وعلت على السور الرايات الناصرية المنصورة • والتهجت بحمد الله الانس الشاكرة وابتهجت القلوب المحبورة • وتحصن الكفرة من الحين • واجزوا في التحين الى الحصين • فن لا بالحسن الذي على المينا • قال انه بحصانه ومنعه بحمينه وعاد معظمهم الاكثر • بحصن البلد وهو المعقل الاكبر • وتوسط لهم قاضي جيلة في أخذ الامان بعد قبض الرهائن على ان يبدوا من استرهنوه في النطاكية من أهلهم ويجمعوا شملهم يشمله ويسلموا لنا كل ما لهم من سلاح وعده • وخيل وذخيرة وغله • وتسلمنا الحصين يوم الخميس • وعادا مأهولين من الاسلام بالانيس • وكرمت بالكرام جيلة جيلة ونفت عنها بالفتة المقبلة الفتة الشقية المحتبلة • وسعد أهلها بعد الشقاء • وتموضوا من الشدة بالرخاء • وأفضى اليأس بهم الى الرجاء • وفاؤا الى الوفاء • وانتقل أهل الجبل الى جيلة طامعين بعد المصيان • مصافحين بالمصافاة بالايان أيمان أهل الايمان • وكان حصن بكسر ايريل قد تسلم من قبل • واتصل بفتح الجبل • فرتب فيه من حكم على ذلك الجانب وأهله وكانوا لقاضي جيلة مدعنين • بإيمانه مؤمنين • ولدعائه ملين • ولبقائه محين • ونجوا من الحمار والتبار • وخيم الكفار • وتناجوا بالاستبصار والاستنصار • والاستغفار والاستغفار

وآضت تلك الولاية لاحسانها واليه . وتلك الناحية على سكانها حانية . وتلك المدينة لاهل الدين داتة دانية . وتلك الجنة المذبة الجني لوردم الجنة من شوك القنا جانيه . وتلك البنية لمعالم المعالي في هدم أساس الاساءة بانيه . وتلك الهضبة راسيه . والتربة كاسيه . والتربة ساميه . والريوة رايبه . والذروة عاليه . والحالة عاليه . واقام الساطان بها أيلما حتى أزال شعبها . وأزاع خبثها . ورأب صدعها . ورب ربعها . وشاد ركنها . وشد حصنها . وجب كفرها . وجبر كسرها . وجذبها جذبها . وخص بها خصبها . وبالدل عمرها . وبالفضل غمرها . وبالريعية ملاها . ولارعية كلاًها . وبجل قاضي حيلة وشرفه . وحبس عليه ملكا نفيساً ووقفه . وصرفه في أملاك آبائه . وحكمه في ولاية حكمه وقضائه .

﴿ ذكر فتح اللاذقية ﴾

ورحل ثالث عشرى الشهر يوم الاربعاء . منشور الاواء . منصور الاولياء . مشكور المضاء . طالي القدر قادر الملا . ناجح الآراب راجح الآراء . وسار ربع الى العذو يقدمه . وعزم على الفزو يصممه . وأمر لامرار الاحكام يحكمه . وجد على تدير الدين يقفه . وحده في تدمير الماردين برهفه . وسعادة تؤيده . وتأيد من الله بسعده . وسطوة على الكفار يرسلها . وجذوة في أهل النار يشعلها . وجيش اللوبات يشطه . وجاش بالثبات يربطه . وهيبة تروع الحواطر . وهياة تروق النواظر . ويتنا تلك الليلة بالقرب من اللاذقية معرسين . وبات الكفرة مبلسين . قد لاذوا من حصن اللاذقية بجبل عاصم وعروة كل قلب لهم من الرعب في يد قاصم . والحواف عليهم مستول . والذعر فيهم مستل . والافئدة منهم خافقه . والاندية بهم متضاقة . والهيج في سوق الردى نافقه . ونحن طول الليل من السوابغ في جر الذيل . ومن السوابق في اجراء الحيل . ومن نشاط الدزم في اهتزاز . ومن احتياط الحزم في احتراز . ومن انتخاب الاجواد والعباد في انتحاء . ومن انتقاد العتاق والرقاق في انتقاء . ومن انتهاز الرياح بالمواضب في انتهاء . ومن اقتصاب الارواح بالقواضب في اقتضاء . والمقربات تسرج والسرحيات تقرب . والمقانب تكتب والكتائب تغيب . والصوارم تنفضي . والصراثم تقتضي . والقوارح تضمر . والقراغ تحمر . والضواير تجرى . والبوار تمرى . والصلاص تلجم . والدلاص تستلثم . والحنايا توتر . والمتايا تؤثر . والجاليشية تمي . والجاوشية تلبى .

حقى أصبحنا يوم الخميس والخميس مصبح • والمتجر مريح • والمفخر متوضح • ولاجاش
فرح • ولاجيش مرح • وقرح العدو مقترح • وزند الفتح مقتدح • وباب السماء لنزول
• ملائكة النصر مقتدح • وأخذنا بالقلاع وقلعنا الأحداق • وخطنا بابر السهام من موقها
الآماق • وأخرجنا منهم بالارهاق الارماق • وانهضنا اليها الحجار والنقاب والزراق •
وأطرنا الشباب الى أوكار المقل • وأزرتهم رسل النصال بكتاب الاجل • وسمننا من
ضوضائهم زجل الوجل • ورأيتنا (هم) تغلى من صدورهم بنار الحقود مراحل الغلى •
وأشرفوا من الشراريف قلقيين متقلقين ما بين تلك القل • وجدوا في القتال • وشدوا
على الرجال • ومدوا ظلال الضلال • واحتدوا بالنصال في النضال • وردوا بالنبال
بالبال • وسدوا مذاهب الاهواز بالاھوال • وهناك في الزنبورك بورك • فانه بالجرح
دورك • وقلنا للكفر اخرج لدخل الى دورك • وأي دار فيها التوحيد بأهل الشرك
شورك • وطالما سكنت دارنا فأخرج • ودرجت اليها فادرج • وما زلنا نقاتلهم بسوادنا
بيناض النهار • ونقطى سفي يومنا ليل القبار • ونرفع من السور حجابها بالحجار • حتى
قزنا بتمكن الثقاب والحجار • وأخذت عليهم النقوب • ووقدت منهم القلوب • وبلغ
القب من الشمال في الطول ستين فراسا • وأربع أذرع في العرض اتساعا • وهي تلك قلاع
متلاصقات • على طول التل متناسقات • كأنهن على رأس راس راسخ • وذروة أشم شامخ •
فسهل الله لنا فرعها • وشرعنا نستأصل أصلها وفرعها • ونأوبنا عليه القتال • وجاوبنا
بالنصال النصال • وأوضت بنات الكنائن بظمائن الضمائن • وأثارت من مكامن الاحقاد
كوامن الدقان • ودام الرماء • ومررت الدماء • وانجح التجميع • ووقع ذلك الرفيع •
فاستبطي السريع • وتحطى الصريع • وأبصروا مالا عهد لهم بمثله • وعابنوا ما كانوا من
ضريم الموت المطل في مطله • وفتح الحنف • بابه • وحفر الزحف أمحابه • وكسر الشرك
نابه • وصادف الكفر لدمه الملول مصبه ومصابه • ونفر الناس اليهم • واستطالوا عليهم
• وطمعوا فيهم • والأجل يظهرهم والوجل يخفيهم • وهم من وراء أسوارهم • بواء في
بوارهم • ووبل البيل هام • وأهل الجهد في ضراب وضرام • وجر الجمع في الثباب
والهام • ووقع منهم الزمع • ومنا فيهم الطمع • حتى ازدحم على التل الصغار والكبار •
واستشعرا منا وزال منا الاستشعار • وكان لى ملوك صغير قد زحف • وأرهق وأرهق
فقبل خده سهم • فرجع اذا وجهه طلق لاجهم • وهو بقرحه فرح • ولافرح

بالشهادة مقترح . وقد عدله الجرح * وحسنه القبح * فلما عرفوا أنهم مدركون ،
وانهم يؤخذون ولا يتركون ، صاحوا الآمان ، واستأخوا الإيمان . وذلك في يوم
الجمعة الخامس والعشرين من جمادى الاولى عشيّه . وكان فتح ذلك المقل من الله مشيّه *
فانه موضع مافيه طمع * ولم يكن للكفر غيره مفزع * وصعد اليهم قاضي جبلة يوم
السبب غدوه ، وكان ذلك الفتح صلحاً أشبه عنوه * وطلع السنجق المنصور ، وانجحت
الظلمة ونجلى النور . وأشرق الفلق وزهق الديجور ، وبدا الفجر وباد الفجور * وسرت
القلوب وأقبل السرور . وسلدوا القلاع بما فيها من عدة وذخيره ، وأسلحة وخيل
ودواب كثيرة . وأمنوا على أنفسهم وأموالهم * والصرفوا بنسائهم ورجالهم ، وذريتهم
وأطفالهم ، وخفوا من أنغالهم ، ودخل جماعة منهم في عقد الذمة ، وتمسكوا بمجمل
العصمة ، وانتقل الباقون الى أنطاكيه ، وألقوا بهم وجدوا بمد رسوم السلامة العافيه
العافيه ، ورب السلطان جماعة من خواص مماليكه * وأخرج من القلاع اهل الكفر
واسكنها التوحيد مصوناً من الاشراك وتشريكه * ثم ولى بها مستقر الخلاطى مملوكه *
وقد عرف حسن سيرته واحمد سلوكه * فتولى الرعية كافة بالرعاية والكفاية * وانتهى
الى الناية في نهى اولى القوابة * واقام جالياً للناية * حالى الراى والراية * وركب السلطان
الى البلد وطافه * ومن الى إحسانه اعطافه * وادنى الى عدله قطافه * ووفر الطافه *
وأصنى لظافه * وامنه بمد ما أخافه * ورأيتها ببلده واسعة الاقيه * جامعة الابنيه *
متناسبه المعاني ، متناسقة للمعاني . قريبه الجاني * رحية المواني . في كل دار بستان . وفي
كل قطر بستان . وقد أنى الله أن يكون للكفرة منها جنان ، أمكنتها بحرمه . وأروقها
مرحى ، وعقودها محكمه . ومعالها معلمه . ودعائمها منظمه ، ومساكنها مهندسة
ومهندمه ، وأما كنها يمكنه . ومحاسنها ميينه . ومراتبها ميينه . وسقوفها طليه . وقطوفها
دائيه . وأسواقها فضيه ، وآفاقها مضيه ، ومطالها مشرقه ، ومرابها موفقه ، وارجاؤها
فسيحه . . واهواها صحيحه . لكن المسكر شئت عمارتها * وأذهب نضارتها * وأزعج
ساكنيها . وأخرج قاطنيها . وملك دير المشركين للموحدين . وطهرها من رجس
الكفر وأظهر الدين . ووقع بين عدة من الامراء الزحام على الرخام . وثقلوا منه احوالا
الى منازل الشام . فشوهوا وجوه الاماكن * ومحووا سنى المحاسن . وبظاير اللادقيه
كنيسه عظيمه . نفيسه قديمه . باجزاء الاجزاء مرصمه . وبالوان الرخام مجزعه . واجناس

تصاويرها متنوعة • واصول تماثيلها متفرعة * وهي متوازية الزوايا • متوازية البناء • قد
تخبرت بها اشباح الاشياء • وصورت فيها امواج الامواء • وزينت لآخوان الشيطان •
وعينت لعبدة الصلبان • ولما دخلها الناس اخرجوا رخاها • وشوها اعلاها •
وحسروا لثامها • وكسروا آجرها • وأهدوا الآثى لهد أساسها • وأفاضوا عليها الباس
إبلاها • وحكموا بعد النفي بإفلاسها واقفرت وأقفرت • وخربت وترت • ثم لما
طابت النفوس • وتحلى عن البلد بفتح البوس • عاد الى هذه الكنيسة بالامان القسوس
وهي متشوهة متشبهة مستمسكة بأركانها وقواعدها متشبهة ولقد كثر أسنى على تلك
العمارات كيف زالت وعلى تلك الحالات الحاليات كيف حالك ولكلما زادسرى بأنها
عادت للاسلام مرابع ولسروحه مراتع وبلجوعه مجامع وشموسه مطالع فلوقبت
بجليها وحالتها بعد ما تبدلت رشدتها من ضلالتها لشاقت وراقت وكما أفادت فافت
وشأت البلاد اذا شامت لكنها ساءت لما أساءت ثم أعادها الاسلام الى أحسن حاله
وجلاها في النساء أسنى جلالة ورغب في اعطاء الجزية سكان البلد من النصارى
والأرمن حباً لاوطن وسكوناً الى السكنى فأض مأمول الحني مأهول الجنب وعاد
تجار البحار يملؤ الرحاب وتبدل بالإبدال الأخيار والارباب الارباب من بعد الكفار
الفجار • والأشرار اهل النار • وكانت شواني صقلية قد قايلت في البحر اللاذقية • طمعا
في امتناعها • وطلباً لنيادها عنها ودفاعها فلما خابت خبت نارها وباح اوارها وقصدت
لجلبها اخذ مركب من يخرج من اهلها لكونهم شغلوا عن صونها ببذلها فامتنعوا
عن الانتقال وامنوا بمقد الزمة على النفس والمال وكان السلطان يوم الرحيل من
اللاذقية راكباً عند مينائها وقد حصل من ترتيب العمارة منها طلب مقدم تلك الشواني
امانه ليعصده ويشاهده سلطانه فامنه حتى صعد ولو اسلم ذلك الشقي لقلت سعد ولما
حضر الكافر عفر وكفر وتروى ساعة وتفكر واحضرنا الترجان وأدى عنه البيان
وقال أنت سلطان عظيم وملك كريم وملك رحيم * وقد شاع عدلك * وذاع فضلك
وقهر سلطانك * وظهر احسانك * فلو مننت على هذه الطائفة الخائفة فأمنت وأفغنت
عليها وأحسنك * لملكك قيادها * اذا أعدت بلادها * وصاروا لك عبيداً * وأطاعوك
قريباً وبعيداً * وان أبيت غير الفيرة والاياء * ودمت على ارهاق الدهاء واهراق الدماء
جاء من وراء السبعة البحار من يسد فضاء السبع الطباقي * وأفاق للتناصر على دفع هذا

الخطب نصارى الآفاق ، وثار الروم لروم التار . وخرج الفرنج أنقاروا للاستنفار . وسار ملوك ذوى الأقاليم ، من سائر الممالك والأقاليم ، وأتى الأتى . ولا يقاوم القسدر للآتى ، وهؤلاء أهون منهم . فأزركهم واصفح عنهم ، فقال السلطان قد أمرنا الله بجهيد الأرض ، ونحن قائلون في طاعته بالفرض ، وعائنا الأجهاد في الجهاد ، وامتنال أمره فيه بالانقياد ، وهو الذي يقدرنا على فتح البلاد ، ولا تكثرت الآساد بكثرة التقاد . ولو اجتمع أهل الأرض ، ذات الطول والعرض ، لتوكلنا على الله في اللقاء . ولم نبال بأعداد الأعداء فلما سمع ما فهمه من نجبه ، ذهب يفسد أن صلب على وجهه ، وركب بكره وكر بركه ، ولم يغن خطابه عن خطبه .

﴿ ذكر فتح حصن صهيون ﴾

ورحلنا ظهر يوم الأحد السابع والعشرين من جمادى ، والمهدى في لصره بين أنصاره يهادى . وقد تيقنا أن الفتح لا يتبادى ، وإن العزم عن الفداء بالهيج في سيل الله لا يتفادى ، وأخذنا على سمث صهيون ، وهو حصن يقوق الحصون ، وفوت السيون وطلبناه كما يطالب الدائن المدينون ، ونحن للكفر عمتون وللإسلام محبون . وكان الطريق إليه في أودية وشعاب ، ومناقد صعاب . ومضايق غير رحاب . وأوعات وأوطار ، وأعجاذ وأغوار ، وقططنا تلك الطرق في يومين ، ووصلنا ليلة الثلاثاء ليلة الاثنين . وخيمنا على صهيون يوم الثلاثاء التاسع والعشرين ، ورزقنا الله التأييد والتمكين . وهي قلعة على ذروة جبل في مجتمع وادين ، بها محيطين من جانين . والجانب الجبلي قد قطع بمخندق عميق وسور وثيق . والقلعة ذات أسوار خمسة كأنها خمس هضاب . بمثلثة بذناب سفاب وأسد غضاب ، وأخطا العسكر بها يوم الأربعاء من نواحيها الأربع ، وهي بمتمعة علينا بالركن الامنع . والسمو الامنع ، ونقل السلطان خيمته الى جانب الجبل بكرة اليوم . وشرع في محاصرة القوم ، وقامت أسواق الأقواس للمنون في مفالة السوم ، وتوفرت سهام السهام من المقل . وتبدت بذات الكننائن من الدم القاتى حمر الحلال . وأسقطت حوامل للنجنيات أجنة الصخور . وكشفت صدور الكننائيات أكنة الصدور ، وظهر سر السراء . وكثر مهراء الرماء . وزخر داماء الدماء وطارت الحجارات ، وحجرت الطيارات . ودارت حميا الحمام على أولئك . واستجدت ملو كنا للملائك ، وأدامت إليهم

المجانيق والجروح والقسى الرمى المتدارك ، وأقام الملك الظاهر غازي صاحب حلب منجنيقين ونهج بهما من جانب الوادي الى ردى الاعادى طريقتين . وكان له في فتح هذه القلعة الجد العالي . والجبد الوالى . والعزم الماسى . والحزم القلضى . والسعى التاجح ، والرأى الراجح . والبأس البالغ ، والسطو الداغ ، فانه اتصل بنا قبل الوصول الى حيلة من طريق حماه . وقد استصحب البكاة الحماه ، ومعه الرجاله الخليه ، والمتجنيقية والجريخه . والجنادارية والحراسانيه فأظهر علي صهيون اليد البيضاء ، وكسب الذكر والثناء . وأثار في فضاء الفضائل واضاء ، ودام القتال على المكان من جانبه . ومن جانب السلطان . والملك الظاهر في نظامه ملكه ، وتضافر سلكه ، وريمان اقباله ، وغنفوان جلاله ، وشباب رهان مجاراته . وشباب برهان مباراته * وإراق عوده . وإشراق سموده . وغرة عزته * وميعة منغته * وصدره قصده * وشرخ تأمره . وتشمره * وقد وصل في أول نشاطه * ونشوء اغتباطه * وقتاء قوته * ورواء رويته * وارتقاء ارتفاعه * وإفراح بقاعه * وترعرع سنه * ونمرعر ركنه * وتسامى سيادته * وتراقى سعاده * وأجد لعز الزم الجدد * واعد لرى الرأى اليك * واستلذ في سبيل الله نصبه * ورفع المنجنيق ونصبه * وجعل لرجالہ نوبا * ولاحواله رتباً * وألقم أفواه كفاه حجراً * وأجرى في الحق من الحجارات الجاريات من منابه نهراً * ورجم الحصن الزاني رجم الحصن * وأحسن الى الاسلام وأساء الى الكفر فله در المسمى الحسن * وما زالت المجانيق من جانبه وجانبنا ترمى * والخنايا يساهم المتايا تصمي * حتى قتلت مقاتلة الحصن * وهان بما دب فيه من الوهن * وأصبحنا بكرة يوم الجمعة ثاني جمادي الآخرة * وطما ببحر المسكر بأمواجه الزاخره ، وازدحم الناس في الزحف كأنهم في الحشر بالساهر ، وهاج الشباب ، وماج الشباب ، وبسابق ذوو الجرأة والقوة ، وتلاحق ذوو الحمية والنخوة ، وكان في قرنة الخندق عند خرقه الى الوادي موضع لم يكمل تميمية ، ولم يتم توثيقه ، فطرقوا من تلك القرنة الى القننه ، وتسوروا السور وتسلقوا ، وتعلموا الى القلعة وتملقوا ، وتملكوا الذروه ، وأمسكوا العروه ، واستولى على أهلها الرعب ، واستشرى بهم الكرب ، فتعادوا الى القله ، وتعادوا من الخوف لامن القلعه ، وملكت عليهم ثلثة أسوار ، بما فيها من متاع وشوار ، ونعم وأبقار ، وصاحوا الامان * وبذلوا الاذنان . ونادوا مكنونا من السلامة وتسلموا

المكان • فـأ آمنوا على المال والنفس • حتى قرونا عليهم مثل قطعة القدس • وأغلقت
دونهم الابواب • وسير اليهم الثواب • وما استقر خروجهم حتى استخرج منهم القرار •
وجبي الدرهم والدينار • وعم الكبار والصغار الصغار • وتولي ذلك شجاع الدين طغرل
الجاندار • ثم سلم حصن صهيون بجميع أعماله • وسائر ماحواه من ذخائره وأمواله •
الى الامير ناصر الدين منكورس ابن خوار تكيين • أسد الدين وأمير المجاهدين • المقدم
الهمام • والمطمان الطعام • قالني الشعر سداه بسداه • وأمرع به مراد مراده •

﴿ ذكر فتح الحصون المذكورة والرحيل ﴾

وتسلم يوم السبت قلعة العيد • ويوم الاحد قلعة الجمارين • ويوم الاثنين حصن
بلاطنس • ونذب الي كل حصن من تسلمه • وسلكه في سلك الفتوح ونظمه •

﴿ ذكر فتح حصن بكاس والشفر ﴾

وسار السلطان ثاني يوم فتح صهيون على سمت القرشيه • ومشية الله جارية على موافقة
ماله من المشيه • ونزل على الماصي في طاعة الله والنصر قد نزل • والكفر قد انحذل •
يوم الثلاثاء سادس الشهر • وبحور السواج في غدران السوايغ مائجة على ذلك النهر •
وحكم السلطان في القهر ماض باذن الله على الدهر • وتسلم حصن بكاس يوم الجمعة تاسع
الشهر المذكور • وشكا الشرك نكابة حد بأسنا المشكور • وحول خيمة خفيفة الى
الجبل • لحصار قلعة الشفر • وهي قلة شاذة من أعلى القلل • على هضبة منقطعة • عالية
مرتفعة • ومن نواحيها واد • خاف من العمق غير باد • في أعماق ووهاد • وقد
قطعت من الجبل حتى انفصل بالوادي خندقها • وأخذ من الوادي موتقها • فاليها
طريق ولا عليها طروق • ولا فيها للطمع علوق • ولا للسهل اليها مروق • ولا لالخف
فيها مطمع • ولا للذر نحوها مطلع • ولا للعلير في مراحها وكر • ولا للمكر في اقتاحها
مكر • ولا للوهم في توقها مجال • ولا للفهم من تصورها منال • ولا لها بمن يحتفل
بها احتفال • وما عليها للتنازلين عليها قتال ولا نزال • ولا يتغير لها مع تغير الاحوال
حال • وصعب شغل الشفر • واشتغل فكر الكفر • ولم ير السلطان طريقاً غير الرمي من
المنجنيق • لعله ينال جمعها بالتفريق • وداومها بالحجارات أياما • ولكم سددها مرمرى
ومراما • فلم تلبأ بأعياها • فلها ترامت عن رماها • وأبت الاثباتها وثبتت على

إبائها * واعياً إعصال دأبها * واستفحال بلائها * وخام الرجاء بالارضاء عن أرجائها * ولو لم يصجر حاميها لضجر رامها * وسُم ساءها لتسامها * لكنه وهي جلده * وهوى جلده * وخار قلبه * وحار ليه * وخاف من الاقامه * وخاب من السلامة * وارتاح الى الراحة * وسما الى السباحه * وطاج الى الاتزاج * وعاد لداء خوفه في الاستئمان يطلب الصلاج * ودعا الى الدعه * والخروج من الضيق الى السعه * فينا نحن في ترو وتفكر * ونخير للرأى وتدبر * ونقول هذا حصر يشدد * وأمر يمتد * وعمل يصعب * وأمل يتعب * ومقل لا يخلل ومقعد لا يخلل * ومقصد لا يدرك * ومورد لا يملك * ومكان لا امكان لفتحها * ورجاء يطول الزمان في تطلب نوحه * اذ خرج من الحصن * من يضرع في الامان ويمترى ضرع الأمان * فشكرنا الله على تسهيل المتوعر * وتيسير المتعسر * ومحصيل المنعذر * وتلقيح الرجاء من الياس * وتفتح مناط حكم الصحة عند اضطراب علة القياس * وكان ذلك ثالث عشر الشهر يوم الثلاثاء * وسألوا في مهلة ثلاثة ايام والارضاء * ليخبروا صاحب المطاكية ويستأذنه * ويأولوا عنده العذرو ويخرجوا من الحصن ويسلموه فأصبحنا يوم الجمعة وصباح الجمع مسفر وجناب الشرك مقفر والشجر شاغر والكفر صاغر وفم القهر منالم فاجر والاسلام قد تلم نمر من هو له مناضر والحصن البكر مفترق * والدين المتأصل يشعب النصر متفرع * وطلع العلم الى ذلك العلم الطالع * وانتقم الهدى الضليع من الضلال الطالع * وكأنا عذبات تلك الراية مقاول الداعين ، وكأنا أبراج تلك القلعة مسامع الواعين ، وعاد الحصن أهل بأهل الاحسان ، وصاقح بأيدي الايد ايمان ذوي الايمان ، فابتسم عن النصر نثر الثغر * وفرغ القلب من شغل الشجر ، وسلم هو وحصن بكاس ، الى غرس الدين قايح الساقى عدوه الموت بكاس الياس وانتقل السلطان يوم السبت الى مخيمه والاقبال جانب في مخيمه وسري ولده الملك الظاهر الى قلعة سرمانية ، وأرهم فيها الفجرة الجانية ، واستطلق منها البررة العائيه ، وقطف مجانبها الدائيه ، واخلى سبيلها الغانيه ، وما قطع قرارها حتى قرر عليها قطيعه . وكلفنا ما كانت له من المال مستطيه * ولم تزل حاصية بطوعها فصار ت كرهاً مطيعه ، ثم خربها حتى خربها عاليها * وعطل حالها * وانجلى ناويها * وانتأى جالها * وبقيت دمنة دائره * ودمية عاره . وورسها غافياً * ورقاً خافياً * وربماً بالياً * وصقماً خالياً * وعادت دارا دارسه ، مستوحشة بعد أن كانت آنسه ؛ وكان فتحها في يوم الجمعة الثالث والعشرين . فأخلى الله من السباع

الضواري ذلك المرين * ومن نوادر الطاف الله تيسير هذه الفتوحات الخمسة المتتالية * في أيام الجمع الخمس المتواليه * باء فيها النصر أهل الجمة بذل أهل السبت أهل الاحد واصبح التوحيد على التثليث قاهر الابد ظاهر اليد *

﴿ ذكر فتح حصن برزیه ﴾

وسرنا الى قلعة برزیه وسرنا سار * ودر الظفر لنا دار * وهي أحسن القلاع وافرعها * وأحسن التلاع وأرفعها * وأسقى الرواسي وأسماها واسم الرواسخ واستانها * وكان السلطان سبق اليها واشرف عليها * ثم استدعى اثقل واستحضر * وجمع بالقضاء تحتها العسكر * وذلك رابع عشرى الشهر يوم السبت * وقد تهيأت في العدو أسباب الكبوة والسكبت ثم نجر د يوم الاحد * في العدد والعدد * ورقى الى الحيل * مع ابطاله النيل ، فرأيناها قلعة شفاء في القدرى * لا تكاد من سموها ترى * وهي على سن من الحيل عال مترامية في السماء ارتفاعا ، وقيل قدر علو ثلثه فكان خمسمائة ونيفاً وسبعين ذراعاً . فاحدقنا بها وبالحيل * وقطعنا عنها متصلات السبل * ونصبنا عليها المجانيق في ذلك السفح * فلم تصالحها صفائحها وأبدت لنا صفحة الصفح * فقد بمد مرمام مرماها ، وحارت الاوهام فيها وقلنا ما أعلاها وما أسماها . وتحاجزت عنها الحجارة فلها من اجازتها بها الاجاره * فما بلغت الى القلعة قلائعها . ولاطلعت الى التلعة طلائعها * هذا والتجم يلامع بلامعها وتقارن طولاه طوالعها . فكان الصخور سلم نحورها . فان سورتها تنكسر دون الوصول الى سورها . ولما رأى السلطان انه لا وصول الي نيقها بالمنجنيق . وان الاشتغال به يطيل زمان التعويق . مال الى الزحف . ولاحف جموعه في ذلك اللحف وذلك في السابع والعشرين من الشهر يوم الثلاثاء . فقسم الناس ثلثة أقسام على السواء وجعل الثوبة الاولى لعماد الدين صاحب سنجار . والثيت المصار . والثيت المسدرا . والبحر الزخار . والسيد الحلال . والملك السادل * في صحابه الصباح ، كفاءة الكفاح وعفاه الصفاح . ونفاة الهام . ببات الاقدام في الاقدام . وشفاة الاوام بيلة الانتقام من الاقوام . وإساة ذرى الاساة بأحسان الحسام . وكساء عرى العراء اربعة القتام ورقاة أراقم الالهائم وسفاة حوام الصوارم . والمزاق في حومة الردى رداء المازق . والسباق في حابة الهدى بهوادي السوابق . من كل شارب ماء الوريد بشفاء الشفار . وضاربه

هام المرید یبتار الثبار • ولاسع بحمة الحمام فی الاسل العاسل حاسل • ولایس لباس الباس
 کالاسد الباسرباسل • ومعتقل للذین للردیني • معتقل • ومعتد علی العدو بمادی • معتدل •
 ومجتاب لبوس البوس علی الموت العبوس مجتاز • ومجتب لحب النون لرهون نقائس النفوس •
 محتاز • فاقضوا علی المضرب • وعضوا علی العصب • ودام الصفا یدهد • والصدي یقهقه •
 والزاحف یتقدم ویتقهقر • والحافز یخفی ویظهر • والرجال یتعالی • والحجارت توالی •
 والمصاعد ترقی • والمصاعب تاتی • والمضایق توج • والبوائق تخرج • والاكام تفرع •
 والرجام تفرع • وللمصخور تردید • والجلامید تمد • ومازالت هذه الثوبة تازل وتقاتل •
 وتناضل وتناول • وترمی وترمی • وتدمی وتدمی • وتسمی وتسمی • وترد وترد •
 وتصد وتصد • وتصد وتصد • وتقدم وتحمج • وتصدع وتصدع • وتحمل وترجع •
 وتذکر وتنطفي • وتبدو وتختفي • حتی کلت وملت وانحلت وتخلت • وكانت غلبت •
 لولا أنها لغبت • وسمت • لولا أنها ستمت • وألقت هذه الثوبة خاصة • لاهل الحصن حاصه •
 فانهم تولوا باجمهم القتال • ولم یقصدا للتناوب الاستبدال • ولما ظهرت فی الثوبة النبوة •
 وكاد جوادها تناله السکوة • تقدم السلطان بنفسه فی الذوبة الثانية • والسطوة الدائية •
 والمزمة النارية غیر الوانية • وخف فی الثقال من الرجال • وزحف الی العجل بالجبال •
 وضاغفروا قطافروا فی الاوار کلاوعال • وجروا کالسیول ق تلك المسائل • وجروا
 ذیول السوابغ • علی تلك الهواجل • وترقوا فی ذراها • وقرروا علی قراها • وتلبسوا بحیوانها •
 وتوجسوا من مناعها • وتدرجوا فی مدارجها • وخرجوا فی معارجها • وخرجوا فی مداخلها •
 ودخلوا فی مخارجها • وصارت الجروح مجوزهم • والجروح لا تحوزهم • والسهام لمبرهم •
 والآكام تسترهم • والنخوة تمحیهم • والحیة تخیم • وقد نشط السلطان لتسلیطهم ونشیطهم •
 والتحذیر من توریطهم وتقریطهم • فن اقتبض بسطه • ومن أعرض ضبطه • ومن أقبل
 أغبطه • ومن أدبر أسخطه • ومن تقدم قرطه • ومن تقاعس أحفظه • ومن تناعس ایقظه •
 وكلما شاهدوا السلطان یشاهدهم تسلطوا • وكلما اغتبطوا بما فرعوه من تلك الفوارع ارتبطوا •
 ففهم من تمكن من العالوع • ومنهم من تمكن للولوع • وقابلوا فی تلك المخارم كالغلوبین •
 الضلوع • وعرا أهل الحصن العناء والعباء • وعصمهم البلاء وأدركهم الشقاء • فانهم مازالوا
 یقاتلون یومهم من غیر مناربة جمیعا • فانهم من صد صديا ومنهم من صار صریعا •
 وظهر فیهم الفتور • وبدا منهم القصور • وجاءت الثوبة الثالثة تالیه • واقدمت أمدادها •

متوالية متاليه • وعادت الثوبة الاولى لنشاطها • وزادت في اتساعها • فلبثوا وغلبوا
والتمهوا واتمهوا • ونلقوا بالصور • وتسلقوا كالنسور • وطلعت القلعة • وقلعت
القلعة • واقتضت العذرة • واقتضيت التصرة • وأعان القدر فقدر الاعوان • وتجت
بافتح اليكر الحسب العوان • وان أهل القلعة لما ايقنوا انهم ملكوا • طلبوا الامان
حتى لا يهلكوا • فلما سمع أصحابنا بالامان صياحهم • وعرفوا للضراعة التياهم
واليثايم • كفوا عنهم انتظارا لما يأمرهم به السلطان • واشفاقا من سبي من يشمله
الامان • وكان جماعة من دهاة الخواص • طارفين بطرق الاقتناس • فظهروا ان السلطان
آمن أهل القلعة • وانه يدافع عنهم في هذه الدفعة • وجمعوهم في مواضع وكنائس •
واحرزوا النفوس والثغاس • وعاد عنهم من حضرهم • على ظن ان السلطان آمنهم
وحظرهم • وبقي اولئك الافراد بهم متفردين • ولتجردهم للسبي متجردين • وصار
ما بالقلعة ومن فيها لهم كسبا وسبيا • وما رأوا لحق من شاركهم في السبي رعا • وحرموا
ما ارتفقوا به وحرموا الرفقاء • وحازوا دون الفاتمين النهب والسلب • وملك واحد مائه
وحاز الري وحلاعه رقة ظمته • ولما تسنى ذلك الفتح وثنا • وتسل ذلك الصعب
وتنبا • عاد السلطان الى خيامه • وطأ الأمان بأيامه وكانت صاحبة حصن برزبه
أخت زوجة الابرنس صاحبة انطاكية وقد سبت وخبثت فما زال يطلبها حتى أظهروها
وأحضروها • وكانوا بعد هتك سترها ستروها • فن عليها بالاعتاق من الارفاق • وحل
عنها وعن زوجها قيد الوثاق • واحضر أيضا ابنة لهما وزوجها وعدة من أصحابهم
وادخلهم معهم في الاطلاق • وجمع شملهم بعد الشتات • ووصل جيلهم بعد البتات •
وشعبهم وقد تصدعوا • واشبعهم وقد نجوعوا • وحظرهم وقد استحلوا • وكثرهم
وقد استقلوا • وحرهم وقد استبحوا • ومنعهم وقد استمبحوا • واحياهم بعد ما هلكوا •
وعصمهم بعد ما هتكوا • وحوامهم واغناهم وقد افترقوا وافترقوا • وجبرهم ونشهم
وقد انكسروا وعثروا • وسيرهم الى انطاكية من أوفدهم على سبها • فسرت بأختها •
واعلنت بمقتها من سر مقتها • واذاغت من مضمير بقضها بمظهر حبها • وجاءها الفرج
في غمها والفرج في كربها • ونشكت لاخذ بلدها • ونشكرت لترك أختها وولدها •
وانعم السلطان بهذا الحصن على عز الدين ابن اللقمد • الكريم المكرم والمقدم المقدم •
والمعظم المنظم • والماجد الممجّد • ابرهيم بن محمد • فان هذه القلعة لتغر اقامة الجارية

في اقطاعه متاخمه . وهي لها في السلم مقاسمة وفي الحرب مزاحه . وسرت هذه
 البشرية وسارت . ودرت هذه التعمى ودارت . وطبّارت كتب البشار . وسرحت
 على جناح الطائر * وفيما كتبت ان هذه البشرى بما أحده الله من الفتح العزيز .
 والنصر الوجيز ، يفتح حصن برزيه الذي برزت له الارض في قشب أنوابها ، وتفتحت
 له السماء لتنزل الملائكة من أبوابها . بل سمرت به صرائس الايام في حلى أيامها .
 وأشرقت منه أبقار الالبالى في أنوار محاسنها . وهذا الحصن لا يمكن وصف ما هو
 عليه من الحصانه ، وكأن حجره في حجر حصن الحصانه ، وقد عرف ما فتحناه من
 البلاد والحصون ، وسابنا أهل الكفر بها من السلامة والسكون ، وفتحنا كل مخرج لم
 يكن فتحه مرمي . ولم يبعد من حصل في أسر الدهر به مخرجاً . حتي أتت أيامنا .
 ودانى فيه مرامنا . فجاء عصرنا ، ونجّاه أمرنا . ووصل لنا ما هو في الازل ذخراً .
 وكل هذه الفتوحات نفخرنا . وذلك انا فتحنا من حدود طرابلس الى حد افلاكيه .
 وسقينا بماء الحديد الجاري في أنهار دم أهل النار . فأسر الهدى الزاكية . وجلبونا بها
 ثغور الثغور الضاحكة وعيون العدو الباكيه . وهذه الحصون التي فتحناها . والمماقل
 التي استبجناها ، لو وكلنا الله الى اجتهادنا في فتح أحدها ، لتذمر ، ولو أعجبت عما كرر
 الدنيا بمسدها . امكن الله سهل ويسر . وفتح ونصر . وانزل الظفر ، وان حصن
 برزيه لم يكن عليه قتال . ولا للوهم فيه مجال . ولا منصب عليه لمنجنيق ، ولا مسلك
 اليه لسالك طريق . وحضرنا لحصره ، متوسكين على الله في أمره غير طامعين
 في فتحه . ولا راجين لنجحه ، فآفاد جماعه * وانخفض جناحه . وساء صباحه ،
 وكل سلاحه ، وتوقل الرجال في ذروته توقل النجوم في الافلاك . ونصر الله
 أهل التوحيد على أهل الاشراك * وفتحناه باليف غنوه ، ودجا يوم المثلث عليه
 يوم الثلاثاء نحموه * فاما لما توكلنا على الله في منازلته * واستعنا به في مقاتلته * نظر
 الله الى النيات * واعان ذوي الزائم والثبات * قتلوا في الجبل * وتسلفوا الى
 القل * وسعوا الى الاجل * في طلب تسفي الامل * فكان كما قال الله تعالى وما أمرنا
 الا واحدة كلمح بالبصر * حتي من الله بالظفر * واصفى الورد والصدر من الكدر *
 وقد بقيت انطاكية وما لها بقاء ، ولا لها في الاعتصام رجاء . وقد نقصنا أطرافها *
 واستبجنا أكتافها * وشققنا نطاقيها * وعضدنا من رؤوس أهلها بحديد الصوارم

قطاقتها * ولم يبق من مآقلها الا القصير ودربساك وبفراس * وقد تقدم اليها
الفتاحان الرب والباس *

﴿ ذكر فتح حصن دربساك ﴾

ورحل السلطان وقد نجت آماله • ورجعت اعماله • وجل اقباله • واقل جلاله *
وعبر عند شقيف دركوش الى شرقي العاصي • وقد دانت ودنت له المقاصد العواصي
القواصي * واقام اياما على جسر الحديد حديد الجساره * شديد الاستظهار بما ظهر
للمؤمنين من الريح وللمشركين من الخساره • ثم قصدنا دربساك • وجددنا بتأييد الله
في حصره الاستمساك • ووجدناه حصناً مرتفع الذري • ممتنع النرا • قد جاوز الجوزاء *
وناجت ارضه السماء • وكان عش الداوية بل صرينهم • وطالما اطال في التمدى ايديهم
وعرائينهم * وكانوا قد نزلوا منذ انزلناهم من ظهور الحصن بطون الحصون • وركنوا
بسكنى هذا المقل الى السكون * فلما اشرفنا عليهم اشرفوا على المنون • ونزلنا عليه
يوم الجمعة ثامن رجب * وقلب الكفر قد وجب • ووفرت المنجنيقات سهامهم من سهامها *
وصوبت اليهم مسددات مراميا ومرامها * ورايتهم بها ليلا ونهارا * وارسلنا اليهم
امثال قلوبهم ووجوههم أحجاراً • وكذا لانذر في أرضها التي هي في السماء من الكافرين
ديارا • وتركنا ناسه بالحجارة صرعى • وأسمننا من نخورهم ووجوههم بيض النصال
في حر المرعى • وأصبحنا يوم الثلاثاء تاسع عشر رجب • وقد شارف الفرج الشجا
والشجب • ووجه نجاتهم قد احتجب • وقد وقع بالنقب برج من السور الخارج * وظهر
فيه صروج للدارج ودروج للماارج * فطالبوا على مراجة انطاكية الامان * وان يزولوا
ويتركوا بكل ما فيه المكان • فأجيبوا الى ذلك على قطيعه • وردوا ما كان للإسلام معهم
من وديعه • ونسألم الحصن بما فيه ثاني عشرى الشهر يوم الجمعة * وأحب بهذا الفتح
جماع الحصون المستعنة *

﴿ ذكر فتح حصن بفراس ﴾

وتوجهنا بكرة يوم السبت الى بفراس * وقد ضاقت الاعضاء وضيقنا منهم وعليهم النفوس
والانفاس * وهي قلعة من انطاكية قريبة * وانما في الشدايد لدعتها بجيبه * ورأيناها

راسخة على رأس راس * شائخة على حاص حاص * أرضها في السماء * وجوازها على
الجوزاء ، متوغلة في الشباب ، متوقلة على الهضاب ، منسجة في السحاب ، مضية
بالضباب ، مربة على الرباب ، متعلقة بالثبرين ، متسلقة الى الفرقدين ، محلفة الى النسرين *
ولا مطمح نحوها لطامح ، ولا مطلع فيها لطامع ، ولا مطمح للامح * ولا ملمح لطامح *
وهي للداوية وجار ضبايعها ، وغاب سباعها ، ودار دوائرها ، وغار مغاورها ، وغيل
غوائلها ، ومنزلة نوازله ، وجمبة نبالها ، وهضبة رألها ، ومذب ذئابها ، ومسذب
ذبابها * وكوارة زنايرها * ومفارة خنازيرها * ومرقب صقورها * ومرقد لسورها *
بومكنس وحوشها * وممرس حيوشها * نجمننا بقرها في المرج * وقد أنارت من
مشرمات أسنتها في ظلماء قمع خيلنا مشعلات السرج * وتقدم من المسكر جمع كثير *
وجم غدير * وخيم بين انطاكية وبينها * ووكل بها ناظر يقفظه وأرقد عينها * فأقام على
سبيل اليزك * ودخل في حفظ جانبها في الدرك * وصار يركب كل يوم ويقف تجاه
انطاكية صفا * ويسومها من الفارات عفا * وليس ينه وبينها الالنهر * ومقابل
رجسها منه الطهر * وصعد السلطان في جريدة مسكره الى الجبل * ووقف بأزاء
الحصن وقوف المشتاق على الطلل * فغصب عليه الحانيق من جميع جهاته * وصوب
لقم الحجر الى هاته * ووافق أمره بالأذنان على خلاف نهاته * وقلنا للمقيم به خذ
الإمان وهاته * وما زالت الحجارات تناوبه * وصدى الصفا بالكتابة يجابهه * والصخور
فيه تتواقع * والبلايا اليه تتابع * فها شعرنا بالافتتاح بابه * وألجأ جاح أحمابنا عليه
جماحه الى أصحابه * وخرج مقدم الداوية يستأذن في الحضور * ويسأل الامن من المحذور *
والحل من المخطور * ويقول اتماقينا بقراس بقراس القنا * وبيننا على حصونها من
القنطاريات أحصن البنى * والمنازل لأحمينا الا معتقلوها * والبلاد لا يحفظها الا أهلوها *
وما في هذا الحصن الا مقبدمان * وما لنا بمقاومتكم يدان * وعاد الى أصحابه من السلطان
بالامان * وتسلمت القلعة كما تسلمت أختها دريساك بالامس * وسلمها الداوية طائعين
فعبجنا من أقياد أولئك الشمس * وأباحوها لنا وكانوا يفارون عليها من طلوع الشمس *
وأنار في مطلعها سني السجق المنصور * وأذن المتناول فيها من تناولنا بالقصور *
وذلك في ثاني شعبان * ومصر التصرف فيه شاع وبان * وسلم السلطان الحصنين دريساك
وبقراس الى علم الدين سليمان * وكان صاحب حصن عزاز * وقد حاز الثغى به وفاز *

وما كان في الامراء الا كابر من لا يدعي سواء الاعواز • قالزمه بهما ليعتني بحفظهما • وحضنه من عصمتها على حثلهما • فقتلهما بذخارهما ، واطلع من التفاس على مستودعات ضمايرهما • وكانت حينئذ انطاكية قد أسعر غلتها غلاء سمر الفله • وقل ساكنوها لما كانوا فيه من الفله • والفرارة تساوى اثني عشر ديناراً • والقوم قد شارفوا فيها تباراً • وبواراً • وحزراً ما في بفراس خاصة من الفله • سوى ما فيها من تفصيل الاقوات والجملة • فكان تقدير اثني عشر الف غراره • فحصل سليمان من منيع هذا الملك على غزارة عن غراره • فقلت كافي به وقد قل هذه الفلة الى انطاكية وباعها • وأعرض عن متاعب الآخرة وحوى من الدنيا متاعها • وأذهب الفلة بذهب يثله • ويستحلى مر هذا السحت ويستحله • ثم يستفي من حفظ الثمر ويشير بخريبه • ووقع لي فيه من الظن ما كان بعد سنين فكشفت عنه علم بحريه •

﴿ ذكر عقد الهدنة مع انطاكية ﴾

فلما فرغ السلطان من شغل الحصون • وظفر من قبوحها بالسر المصون • عول على قصد انطاكية قائماً كانت مريضة على شفا • ورسم قوتها قد عفا • وخلق ثيابها قد أنقى • والدمر قد انتقم منها واشتفي • ووجه الفلاح عن أهلها قد احتفى • فلو صدقها وقصدها • لحص دعاتها وحصدها • وكان الابرلس صاحبها قد عجل بارسال أخي زوجته • يسأل في سلم تعود ببقاء بهجته • وسلامة مهجته • وعقد الهدنة على بلده • وأمن على ماني يده • وذلك لثمانية أشهر من تشرين الى آخر أيار • ووافق من السلطان الاختيار • لكون انقضاء الهدنة قبل ادراك الفلة وأوان حصاها • فلا يقدر الفرج على تحصيلها ونقلها واعدادها • ولم يكن له رغبة في اتمام هذا الصلح • لكمال الغبطة لنا في الحرب ووفور الربح • لكن السكر التريب مل الاقامه • وأبدى السآمه • وأراد السلم والسلامه • وقيل بهذه المدة من الهدنة لا تزداد انطاكية قوة ولا تستجد جده • ولا ترجوا لها عدة منجده • ونحن نضرب للعود اليها مع انقضاء عدتها عده • وأما حصونها فقد حصناها على عسلها بوقلتنا نخلها • وأما هي فتعمل فيها بقول الله تعالى وان جنحووا السلم فاجنح لها • وشرط على صاحب انطاكية إطلاق من في الاسر من المسلمين • واستوفي رسولها على عقد الهدنة الثمين • وسار رسولنا معه شمس الدولة بن منقذ للاساري منقذاً • وللاوامر متفذاً •

• وعلى المقاصد مستحوزا • وسار السلطان ثالث شعبان على سمت حلب ، والاسلام قد غلب • وفاز من الفتح بما طلب • واستغنى بجمعه من السبي والغنيمة وسلب وخلب •

هـ ذكر وداع عماد الدين زكي بن مودود بن زكي وعساكر البلاد

وعود السلطان الى دمشق بنجح المراد

ولما رحل من بئراس وقف لعماد الدين وداعه • وشيعه بكرامة كرام اشياعه • وخصه بمد ما سير له من الخيل والحرب يخلع خواصه وأتباعه ، وأثاله منه حسن اصطفاة وحسن اصطفاة • ولم يفصل منهم الا من وصل بصله • وخلعة بجمله • وحرمة مكملة • ووعد جميل يرغب في العود • وجود جزيل منسكب الجود • وذلك سوي ما غنموه من كسب وكسبه • من غنم • واستطلقوه من رسم واستجزلوه من قسم • وملكوه من رق سبي • وأدركوه من حق سبي • وأجدوه من غرض • وأدوه من مفترض • واحبوه من حسنة النصر ، واماتوه من سيئة الكفر • واستضافوه من فتح ، واستضافوا به من نجح • وسار السلطان في عسكره • حامدا لله في مورده ومصدره • وارتاح الى العبور على ارتاح • وامار لها الجين باقتادها وامتاح • ووصل الى حلب وحلب احتفالها بوصولها حافل ، والملك بها للاحتراز بقدمه في ملابس البهاء راغل • ودخلناها وقد خرج كل من بها للتلق • مستبشرين بالاقبال المتضاعف المترقى • وشاهدنا من النظارة عيوننا للمحاسن ناظرة • ووجوها ناضرة • وقلوبا حاضرة • والسنا شاكرة • وايدى يافى بسطها الى الله للابتهال بالدعاء منظاره • واقضت حركتنا الى الشبهاء • لسا كنيها سكون الدماء • واقام بقلعتها اياما يسيرة • وألقى ولده الملك الظاهر اسر احسانا واحسن سيرة • وقام به وبالعسكر مدة المقام • واتسقت الامور باوامره على النظام • ولم ير حل الا وقد خص عوامنا وخواصنا بالانعام الخاص العام • وابان عن كل منقبه ، واعان بكل موهبة ، فما رآه والده منذ حل بحلب الا في أجل حلية وأكمل جلاله • وأجلى بهجة وأبهى جلاله • وقد أجد لعينه ونفسه قررة وقرارا • واعدل لزمه ولحزمه استبصارا واستبصارا • ثم انفصلنا عن حلب منقطعين الى مواصلته بالدعاء • قاطعين طرقنا المتصلة بدليلي الشكر والثناء • وتنكبنا طريق المعرة • بسلوك طريق المعرة • وأوفيناها بالمبرة الموفية البرة • وتبين السلطان بزيارة الشيخ الفقيه الزاهد التقي • أبى زكريا المغربي • وهو مقيم في

مسجده • عند قبر عمر ابن عبدالعزيز ومشهده • وقصده السلطان على فراخ • ولقى منه في الحلم والوقار الطود الراسخ • واهتدى بسجايه • واقتدى بوصايه • ووصلنا الى حماة وبقاياها ليلة واحدة • ولم نر رعيتهما لما شملها من الرعاية جاحده • فان الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب • قد كشف عنها بيلالته الكروب • وملك القبول من أهلها والقلوب • وأعاد لها بالعمارة العمرية عمرا جديدا • ومد عليها من مهابته وعجبته ظلا مديدا • وكانت قلعة حماة لاتمد في القلاع الممدودة المحمية • ولا تذكر مع المماثل المرعية المرضية • وهي ذات تل متبطح • غير مترفع ولا متسفع • فلما تولاهما تقي الدين قطع من التل ما كان متواطيا • وأتلع من التلعة جيذا طائيا • وعمق خندقها في الصخر وحصنها على الدهر وبني فيها الدور المربعة • والاروقة المهندسة المهندمة • وحصنها وأعلاها • وحسناها وحلاها • وزينها بكل زينة • وأعاد حماة ذات قلعة حصينة • فاضلة في الشام كل مدينه • فطلع السلطان تلك الليلة الى القلعه • وسر بما رأى لها من الحصانة والرفعه • ووقف الملك المظفر لعمه • وجري في الخدمة على رسمه • وحضرنا وأمير المدينة النبوية معنا • والسلطان قد أجلسنا بحضرته ورفضا • والنادى قد جمعا • والشادي قد أسمعنا • والاغاريد تطرب • والاناشيد تمرب • فانا فصلنا تلك الليلة الاعن علم نشر • وشرف أنشر • وفضل سنى • وعدل أحي • ورسم نائل للسماح أجرى • وزند سائل بالنجاح أورى • وسنى جده أعلى • وجنى جوده أحلى • وقرأ لنوى الحاجات القصص • وأزال من الظلمات القصص • وأزال لنوى الخصاصات المحصص • واصبحنا على الرحيل • ووصلنا النبق بالذميل • وعبرنا مقدين على حصص وزدنا في الوصول الى دمشق على طريق بعلبك الحرص • وجئناها قبل شهر رمضان بأيام • وركنا الى ما أنسا به من مقام • وتجمع بنا شملها • وتهلل باستهلانا أهلها • وقتلنا نصوم مع القوم • ونقيم مدة الصوم • فالبث السلطان ولا مكث • ولا نقض عهد عزمه على الغزاة ولا نكث • وقال لا تبطل الغزوه • ولا نمطل هذه الشتوه • وقد بقيت صفد وكوكب واخواتها • وبطول مضايقتها قبت اقواتها وقواتها • فنتهنز فرصة فتحها التي لا يؤمن فواتها • وخرج من دمشق في أوائل شهر رمضان وحده عزمه رميض • ولبارق سعده وميض • وفضله مستفيض • ووجوه الايام لأأيديه البيض بيض • ولسان الدهر في ذكر سيره وتسير ذكره مفيض • وجناح الكفر بجناح رجائه ورواج

مناجحه مهيض . وحديث إقدامه القديم والحديث طويل مريض

﴿ ذكر فتح الكرك وحصونه ﴾

ووردت البشرى بنجح الدرك . في تسليم حصن الكرك . وذلك إن مدة غيبتنا في بلاد الظاكره . لم تدم من محاصرتها المضايقة الناكره . وكان للملك العادل اخوا السلطان مقبلا بئين في المساكر . محترزا على البلاد من غائلة العدو الكافر . مقويا للامراء المرتين على الحصون . حافظا على الدهاء بحركته في الامور عادة السكون . وكان صهره سعد الدين كشيبة الاسدى بالكرك موكلا . وبأهله مشكلا . وقد غلق رهنه . وبقي داؤه معضلا . وأمره مشكلا . حتى فئت أزوادهم . وفقدت موادهم . ويثسوا من نجدة تأتهم . وأعلت عليهم مصايهم ومشاتهم . قوسلوا بالملك العادل . وأبدوا له ضراعة السائل . وتذرعوا بوسائل الرسائل . فما زالت الرسائل تتردد . والاقتراحات تجدد . والقوم يلينون . والعادل يتشدد . حتى دخلوا في الحكم . وخرجوا على السلم . وسلموا الحصن وتحصنوا بالسلامه . وخلصوا باقامة عذرهم عند قومهم من الملامه . وكتبت عن السلطان في بعض البشائر . ما ألهى بحلاوته عن أرى الشار . وهو انما عدنا الى دمشق رأينا ان لا نستريح . ولا تقي عن كسر العدو عز منا الصحيح . فقلنا لنقيم هذه الشتوه . ونستكمل الحظوه ونواصل بالفزوة الفزوه . ونستخلص هذه القلاع التي شغلت منا في هذا الجانب قلوبا وعساكر . وأبقت لاهل البلاد في طرقها ندوبا ومناثر . وبين صدق هذه الزعمه . والاستمرار في الجهاد على الشيعة . وردت البشرى بان حصن الكرك عاد اليه بعد الجراح الاصحاب . وخرج منه الفرنج ودخله الاصحاب . وهو الحصن الذي كان طاغيته يحدث نفسه بقصد الحجاز . وقد نصب أشراك إشرأكه منه على طرق الاجتياز . فأذقناه طم أول كاس الحمام . وملكنا حصنه الذي كان يتصمم به في هذا العام . واضطر الكفر في اسلامه الى الاسلام . وتم بحل هذا البيت آمن البيت الحرام . وقد كان هذا الحصن ذنب الدهر في ذلك الفج . وعذر أهله في ترك الحج . وابتسم الاسلام حيث زيد ثغرا . وساق الى عقائله الرجال مهرا . فالحمد لله على ما قدر من الحسني . ويسر من النعمي . هذا يكون لما قدر ازاء . ولما يسر جزاء . والحمد لله الذي أجزى صادق عداته . في كاذب عداته

﴿ ذكر محاصرة صفد وفتحها * وإدراك السعي فيه ونجحه ﴾

وقطعنا مخاضة الاحزان خائفين في بحار السرّات المتواصله . راکضين الى مضمار المبرات الحافلة ، والسلطان سائر والجنّة تحت رايّاته مفتوحة أبوابها ، والنصرة فوق ألويّه مدودة أسبانيا * في أطلاب أبطال اذا أوعاها الفجر لم يسمعا الى عشاّه . واذا طلع عليها سرحان الصباح سقط من عجاجها على عشاّه ، ونزلنا على صفد . والصبر قد نفذ . والنصر قد وفد . والقدر قد رقد . والزم قد وقد . وجاء الملك العادل وظاهر اخاه ، وضافه فيما توخاه . وشد بالرأي والحزم ما الزمان أرخاه * وبث كل ذى عزيمة على التصميم ونجّاه . وشرعنا في مراومة القلعه * ومساومة السلمه * وجث المجانيق لاجتثاثها . وحدثنا بالسنة أحداثها * ورمتها عن قسيها بالقاسيات . وسمت الى هضاب تلك الابراج الراسيات . وامطرت عليها حجاره . ولم نعطها من العذاب الواقع بها اجاره . فارتفع بها الحصن الراسى راساً * ولا الججارة مست منه ركناً ولا الثقبو بشرت أساساً * نودامت المجانيق منصوبة قد قام دست شطرنجها . والثقب لم يكشف ثقب السور عن وجوه فرنجها . ودنا عليها . الى ثامن شوال ، ونوعنا في اقتاحها الاحتيال * حتى أذن الله في الفتح فسهل ما تعصب * وحضر ما تقيب * وظهر ما تحجب . ويسر ما تعسر * وأمكن ما تمذر * وتأتي ما تأتي . واجاب نداء الاسلام . ولبي . وعلموا ان صفد ان لم يخرج من ايديهم دخلت أرجلهم في الاسفاد . وعادوا نمالب يروغون وكانوا كالاساد . ونزلوا من سماء العز الى أرض الهوان ، فاذعنوا للضراعة وتصرعوا بالاذعان . وأخرجوا أسارى المسلمين ليشفعوا لهم في طلب الامان ، وصارت صفد المسلمين صدفا . وكانت بالمشرّكين هدفا * وعادت للإسلام سدا . بعد ان كانت للكفر رداً ومرداً . وطالما مكث فيها المشركون وقالوا انخذ الرحمن ولدا لقد جثّم شيئاً اداً تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجيال هدا * ولقد كانت ماراً للكفر جدد . ومرفقاً للشر قطع * وناظر للعدو غصن وقد شخس . وجارح له هيض وقد قص . ويداً للباطل شلت وقد امتدت * وغفدة للضلالة حلت وقد اشتدت * وتخلّصت الداوية بادوائها * وتخلّصت بأسوائها ، وصاروا في صور * وابدوا بعد استطالهم القصور

﴿ ذكر ما دبره الفرنج في تقوية قلعه كوكب فانعكس عليهم التدبير ﴾

لما صرف من يصور من الفرنج ان صفد لنا صفت * وانها على الفتح الذي يشفي اشفت ،
 قالوا لم يبق لنا الا كوكب . وان صلاح الدين عن قصدها لا يتكبر . وقد اقوت من
 القوه . وهي تهي ان لم نعالجها ونعالجها بالتجده المدعوه . وقد ضعف رجاؤها لضعف
 رجالها * وقل ظهورها لظهور اقلها * وهذا اوان انجائها وانجادهها . وهي مشرفة على
 المدم فديروا في ايجادهها . فاذا قويتها وحينها بقيت عدة في المواقب . وعصمة من
 الثواب * فقال مقدم الاسبثار هي كوكبا للتلاطي * ومنكبنا العالي ومقلنا المحكم *
 ومقعدنا المبرم . وحصننا الحصين . ومكاننا المسكين . ولنا منه المربع المربع . والمنبع المنيع ،
 والحل المحلى * والمعلم المعلى * وهي قفل من البلاء على البلاد . وموئل من الخطوب
 الشداد * ولعلها تثبت الى ان توافينا من البحر ملوكنا . وتعود الى عادة الانتظام
 سلوكنا * فتابطى جداتنا ، وما تحطى نجداتنا * واجمعوا على تسيير مائتي رجل من
 النخب * الممدنين لدفاع الثوب * من كل جرخي نخي * وكبي أ كبي * وجههم جهنمي .
 وسقر سقري ، ووعل جبلي . وبطل باطلی . وكلب كلب ، وذئب سب * وعاسل .
 معاسر . وباسل باسر * ومقوار مفو . ومتلوم متلو . وذمر متذر . ونمر متمر . وسبع
 ضار . وشواظ من نار . وجمر من الجحيم . وحام من الحميم ، من شياطين يجنون الجنون . ويمنون
 المتون . ويشيئون الشؤون ، ويهدون الهدون ، ويحزون الحزون * ويفوتون الفتون *
 ويغثون بالله الظنون ، وقالوا لهم كيف تمضون وطريق السلامة مخيف وطارق الاسلام
 مطيف ، والشجاء نيف ، والشجب مضيف ، فقالوا نحن نسير ونصير في ضائر الكهوف
 أسراراً . وعلى احياد الاطواد أزراراً . وفي أوكار المغارات اطيارا . وفي اعماق السيول
 اكداراً . وعلى ظهور الريد أوزاراً . نسرى ايلان نخفى نهاراً . والليل للماشقين ستولكم
 أدج من لهوتر . والهيج وان يمد فهو في قرب عز منا فتر . ومن رام النفيس الخطير رمى .
 نفسه في الخطر . وطار الى الوطر . وغرب الى الفرر . ثم حمزوا على مازعموا .
 وعملوا بما عه عموا . وخطروا الى الخطر . وحاولوا بما لهم من القدر مناوله القدر .
 وتوقلوا في الا كم . وتوغلوا في الاجم . وتبطوا في الاوديه . وتكمنوا في الاقيبه .
 واحترسوا بالكمون . واحترزوا من العيون . ومحركوا على السكون . وكادوا يصلون

الى الموضع . ويحصلون على المطمع . ويدركون الطلاب . ويبتكون الحجاب . ويميدون الى الحصن روحه . ويأسون بعد اليأس جروحه . فمتر بواحد عثر منهم بعض المتصيدين فتصيد . وقاده وقيد . واتى به الى صاحبه صارم الدين قايمآز . واستغرب من الافرنجى هناك الجواز . فأخبره بالحال . وان بالوادي . مكنم الرجال . فركب اليهم في أصحابه . والتقطهم من سرر الوادي وشعابه . وركب الشجاع مسعود في طلب أولئك الاشقياء . وانتشر الناس في تلك الاكفاف والارحاء . فأتوا منهم ناج . ولا نجيح راج . ولا طاش ماش . ولا حصل عاثر باتماش . فاشعرنا ونحن على صفد للحصار . والسلطان مطل من بيت الخشب على من حوله من الالصار . حتى وصل صاحب قايمآز بالا . ارى مقرنين في الاصفا . مقودين في الاقياد . وكان فهم مقدمان من الاستبار . وقد أشفيا على التبار . فان السلطان ما كان يبق على أحد من الاستبارية والداويه . فاحضر واعند السلطان لآمنيه . فانطلقهما الله بما فيه حياتهما وناحيا بما به نجاتهما . وقالا عند دخولهما . وامام مثولهما . ماظن انابعد ما شاهدناك يا حقتا سؤ . فعرفت ان بقاءهما مرجو . وانتظرت أمر السلطان فيهما . وأيقنت انه يقيهما . فقال الى مقالهما . وأمر باعتقالهما . فان تلك الكلمة جركت منه الكرم . وحقت منهما الدم . واستبشرنا بالتمكاس ما احكمه الكفر من التدبير . واتماس من جردوه بالتدمير . وفتح الله علينا صفد ثامن شوال . فشكرناه على ان مدد النصر متوال . وسلمت القلعة الى شجاع الدين طغرل الجاندار فهو بها وال .

﴿ ذكر حصار كوكب وفتحها ﴾

وجئنا الى كوكب . ووجدناها في مناط الكوكب . كأنها وكر النقاء . ومنزل المواء . قد نزلتها كلاب غاويه . ونزعت بها ذئاب غاويه . ونزت فيها سباع ضاربه . وحمتها بحميتهما وابت الزول على أمنيتهما ولو بنزل منيتهما . واختارت المطب على العطاء . وامترت خلف الخلف والشقاق للشقاء . وأبت غير الاباء . وبصرت بالامر فصبرت على الضر . وأصرت على تحمل الاصر . وترامت على التعامي بالمصائب . وتعامت عن المرامي الصواب . وقالوا لو بقى منا واحد لحفظ بيت الاستبار . وخلصه الى الابد من المار . ولا يدمن عود الفرنج الى هذه الديار . فتتجلد للاصطبار وتنشدد للاستظار . فقاتلوا أشد

قتال • ونازلوا • أحد نزال • وفوقوا الجروح المصية • وصوبوا الصخور المردية •
ورفعوا المنجنيقات للموجيه • وتواترت زيارات الزيارات الموزة • وتناوبت نواشب
الزبورركات المطيرة • واجترأوا على الاجتراح • وجرى سيل الجراح • ودمنا في الدم •
ورد الوجود الى العدم • ونجثة الرجال • والتجريد للقتال • وايتار الحنايا • وايتار المنايا •
والرى في المنجنيق • والجمع والتفريق • والرقع والتخريق • والتقب والتملق • والحفر
والتعميق • والحصر والتضييق • والهد والهدم • والرد والردم • والصد والصدم • وكان
الوقت صعبا • والغيث سكب • وتكاثرت السيول • وتكاثفت الوحول • ودامت الديم
لدموعها مريقه • وبقيت الحميم في الطين غريقه • فلا لمركب مبرك ولا مربط • ولا
لسالك مسلك ولا مسقط • وكنا في شغل شاغل من قتل الاوتاد وتوتد الاقدام •
ووهى الاطناب ووقع الحيام • وكان الحميم مناخل الانداء • وعدمت الانوار لوجود
الانواء • وقعد ماء الشرب مع سيل الماء • والروايا منهضت • ولا نرعت ولا غمضت •
والرواحل في الطين باركة • وللاحياء فاركة • وللعلف تاركة • والمطية مطينه • وسيل
السيل مستينيه • وقد كثر البرد بالبرد • عن اسنان عضاضة بالبرد • والطارق زلقة ازقة •
وهي مع ستمها ضيقه • وللتق ثقل • وللملق عقل • وما ثم الامانيط بالطين • وصعب
علينا بصعوبة هذا الامر • امر أولئك الشياطين • فقل السلطان خيمته الى قرب المكان •
لقريب وجوه الامكان • وبقي له من الحجارة • ما صار له كالستاره • فحضرت بين يديه
والسهام تعبرنا ولا تدعونا • والستار تسترنا عنهم وعلمهم تظهرنا • والنقاب قد قلع وعلق •
والجرخي قد هنك الحجب وخرق • وتجرد الجند • وأنجد الجد • وزلت الاثقال
والحيم الى اسفل التل • نختف الثقل ينقل الثقل • وطاب المقام بالنور وسهل بالسهل •
وتحوات الشدة الى اللين • ونحلت الى الطيب عقد الطين • وما زال السلطان ملازماً
للحصن • وهناك ظاهرة له منه أسباب الوهن • حتي علق بعض جدرانه • وطرق الهدم
الى بنيانه • فقتله بأمانه • واذهب سكون سكناه • فأخرجهم راعين • وأخرجهم
غارمين • وتركوا الحصن بكل ما فيه • وأصبحوا بعد مقاتله للعفو والمعافة مغتفيه •
وذلك في منتصف ذي القعدة • واتصفت الايام بحل تلك العقدة • ورجعت الليالي
بالسكون الى طيب الرقده • وعرضت القلعة على جماعة فلم يقبلوها • وخلوها وأبوا ان
يلوها • ونخلوها عنها بهم واحيه قولها قايمز النجى على كرايه • بعزيمة عن مهامها

لايه . وانتقل السلطان الى الخيم بالقضاء . وحمد الله على قضاء التوفيق وموافقة القضاء . وودعه الاجل الفاضل على هزم مصر بعد ما استكمل لنا مدة مقامه بصدق اهتمامه وجد اعتزامه الفتح والتصر . ثم تحول السلطان الى أرض يسان . وازال البؤس . وزاد الاحسان . وأقام بقية الشهر . في تمهيد مجد يقيم باقي الدهر . واطهر من الفضل ما لم يكن مستورا . واعطى الامراء والاحناد في انفصالهم دستورا . وسار معه اخوه الملك العادل مستهل ذي الحجة ، واضح المحجة لأشع البهجة . وأوجها الى القدس في طريق الغور . وزاراه للبركة وتبركا بالزور . ووصل يوم الجمعة ثامن الشهر وصلى في قبة الصخرة ، وخص ذوى الخصاصة بعيم المبر . وعيدها يوم الاحد الاصحى . وأنحى . بعد ما صحى ، وقد أصحب مراده وأنحى . وسار يوم الاثنين الى عسقلان للنظر في مهامها ونظم أسباب أحكامها . وتدير أحوالها . وترتيب رجالها . وأقام أياما يوضح الجهد . ويصلح ما فسد . وينشد من التفع ما فقد . ويحمد من الشر ما وقد . فإذا وجد شعنا له . وان ألفى ثنرا ضمه . وان صادف فتقا رقه . وان لقي حقا حقه . وان عثر على باطل عني أثره ، وان بصريا أمل خصه بعرفه وأثره . ثم ودعه أخوه الملك العادل واستقل الى مصر بسكره . ورحل السلطان على صوب عكا موقفا في مورده ومصدره . فما عبر ببلد الا قوى عدده . وكثر عدده . وواصل بالرجال مدده . وكنت انفصلت عن خدمته الى دمشق عند رحيله من يسان . لعارض مرض سلبنى الامكان . والحمد لله الذى وفر حصه الصحة وحول المحنة الى المنحة ، وكمل الشفاء بعد الاشفاء ، واهدى عند اليأس أرج الرجاء

﴿ ودخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة ﴾

والسلطان في عكا مقيم . والامر مستقيم . والتهج قويم . وهو يبوب أسباب حفظها ، ويسبب أبواب حفظها ، ويهذب مراتب مصالحها ، ويرتب مذهب مناجتها ، ويمدل جوائح أمورها . ويذل جوائح جمهورها ، ويقوى ما وهى ويسوى ما هوى ، ويحلى من الشأن ما عطل ، ويملى من المكان ما سفل ، ويميد نظم ما انتك ولم ماتشمت ، ويحيى كل مادعا الى بعث مامات منه وبعث ، ومك بها لا يريم القصر . الى ان وصل جماعة من مصر ، فأمرهم فيها بالاقامه ، محافظة على الحماية .

المستدنامه ، فأمر بهاء الدين قراقوش بإتمام بناء السور ، وأحكام أحكام الامور ، وولى الأمير حسام الدين بشارة بعكا ، واليا ، ولم يزل آثار الدولة في أثار السدال تاليا ، ثم خرج السلطان وسار على طبرية ودخل دمشق مستهل صفر ، وقد استكمل الظفر ، ووجه الدين به قد سفر ، وعز من آمن وذلل من كفر ، وحزب الهدى قد أنس ونهر الضلال قد نهر ، وجلس على سرير السرور ، وليس جبير الجبور ، وبدأ بحضور دار العدل فدر عدله للبادئ والحاضر ، وأقام سفور بشره للمقيم والمسافر ، وأفاض الفضل ، ومحا المحلل ، وأعلى أعلام العلماء ، وأحلى أحلام الحلما ، وأمضى أحكام الحكما ، وقضى باكرام الكرماء ، وأسدى المعروف ، وأعدى الملهوف ، وائكر المناهي ، ونهي عن المنكر ، وطهر حكم الشريعة وحكم بالشرع المطهر ، وأقام مدة الشهر ، وأولياؤه جناة النصر ، وأعداؤه غنة القهر ، وأيامه مسفرة ، ولياليه مقمرة ، ومغارس أياديه بثمار الحماد ممترة ، ومجالس أعاديه في ديار الشدائد مقفرة ، ولملك بزوه زاه زاهر ، والدين بيهانه مباه باهر ، والآفاق منيرة والانوار مفيدة ، وللدولة حق مدال وحقيقه ، وللجد وافي جده ، وللجود وفي عهده ، وللإسباح سباح تهمع ، وللمراد مراد يسرع ، وللوجوه بالبشر بهجه ، وللألسنه في الشكر لهجه ، وللهمم علوه ، وللشيم سمو ، وللكرم نمو ، وللفضل قيمه ، وللانفضال ديمه ، وللشريعة شرعة واضحة ، وللحق سنة لسر الباطل فاضحه ، والصنائع راجحه ، والذرائع ناجحه

﴿ ذكر وصول رسول دار الخلافة والخطبة لولى العهد عدة الدين أبى نصر ﴾

﴿ محمد ابن الامام الناصر لدين الله أبى العباس احمد أمير المؤمنين ﴾

بتاريخ أوائل صفر وصل رسول منزل الرسالة ، ومقر الجلالة ، ومرجع الامامه ، وموضع الكرامه ، ومطلع الهدى ، ومنبع التدى ، ومشرق نور الايمان ، ومشروع فيض الاحسان ، ومرجع المرجين ، ومفرغ المتعجين ، ومنجي الحاجين ، ومنتهى المناجين ومهبط الوحي ، ومصعد الامر والهي ، ومقصد نجاح النسي ، ومخفض جناح الرحمة ، ومقطف جني الثعمه ، ومجر ذبول المناقب ، ومجرى سيول المواهب ، ومزار أملاك السماء ، ومستدار أفلاك الغلاء ، ومحج ملوك الارض ، ومحجة سلوك القرض ، وموطن التزليل ، وموطي جبريل ، ومقام الخلافة ، ومرام الرافه ، ومحل الامانه ، ومحل

الديار * ومطاف الطائفتين * ومطار المالكين * ومعرف الواقفين * وموقف المارقين
وقبة المقبلين * وموئل المؤملين * وكعبة القاصدين * ومثابة الواقدين ومعفر وجوه العظماء *
ومكفر ذنوب الكرماء * ومعصب السيادة القرشيه * ومنصب الوارثة النبويه والسدة
الشريفة الناصريه * ودار السلام * وقبة الاسلام * فابتهج السلطان بوصول الرسول
وأيقن بوصول السؤل * وسر سره * وأبريره * وصدر بنشر الاشرار صدره * وقدر
على الاتسام بالتسامي قدره * واحتفل بأسباب التلقا * والتحف بأثواب الترقى * وسأل عن
الرسول لئندوب * للسؤل المخطوب * فقيل هو ضياء الدين عبد الوهاب بن سكينه * وصل
بالضياء والسكينه * والاحوال الحالية المزيه * وكان وزير الخلافة يومئذ ممر الدين بن
حديده * فنعين لهذه الرسالة ابن سكينه حين عرف أراءه السديده * فتلقا يوم دخوله الى
دمشق السلطان وأولاده * وكان يوما مشهودا حضره اعيان البلد وأمثال العسكر وأشهاده *
وأزله في دار الكرامه * ورب له وظائف الاقامه * ثم جلس له في يوم سعد صباحه *
وبدت في جبهة الدهر البهم غرره وأوضاحه * وملاّت ظرفي الزمان والمكان أفراحه *
وجاء على وفق الآمال اقتراحه * وختم باليمن والاقبال رواحه * وورد بكل ما بهيج الاولياء *
وأزعج الاعداء * وخطب السلطان عن الديوان العزيز بكل ما أجزه * وثني عطف تباهيه
وهزه * ورسا له طودا بالوقار في إيراد الرساله * وجلاله في مهب المهابة أنوار الجلاله *
وتلفظ له بالتفضل * وتطوق منه بالتطول * وبشر بان أمير المؤمنين فوض ولاية عهده *
الى ولده عده الدين ابني نصر محمد من بعده * وأخذ بذلك العهد على من حضره من اعيان
الامه * وحفظ عليهم بتوليته ما أولاهم الله به من النعمه * وأمر بأن يخطب له بمصر
والشام * وجميع بلاد الاسلام * فاستبشر بهذه الموهبه * واستظهر بما خص به من هذه
المرتبه * وأمر بذكر اسمه ونقشه في الخطبة وعلى السكه * وعاد الاسلام بظاهرها الشوكة
والشكه وخطبنا لولي العهد بدمشق يوم الجمعة ثالث عشر صفر * ولم يبق من الامراء
والامثال والافاض الا من حضر * واحضر معه الدنانير ونثر * وتولى ذلك الملك الافضل
فاظهر ابهة ملكه وبهاء فضله * وخصل الاسلام من ربي رأيه على نهله وعمله * ونذب
للسلالة الى الديوان العزيز ضياء الدين الشهرزوري القسم بن يحيى * لينشر به ما كاد
يعفو من سنن الموافقة ويحيى * وسيرت معه الهدايا * والتحف والطرف السنايا * واسارى
الفرج الفوارس * وعددها السكوا مل التفاس * وتاج ملكهم السليب والصليب * والملبوس

والطيب* وأضيفت على رسول الامام ملابس الاكرام • وقفل ناجح المرام • واصطحب
الضيان لاضاءة مطالع الايمان • بسفارة سافرة عن سني الاحسان • وبشارة شارة جني
التحل من نحل الجنان • واهتزت الاعطاف • واعتزت الاطراف • وابستمت ثغور الثغور
لسدادها • وانتظمت امور الجمهور لسدادها • وسرت القلوب • وسريت الكروب •
وخزى الحاسد الحاشد • وقوى الساعد المساعد • وواصل في طريقه الاغذاذ • حتى وصل
الى بغداد • فتلقي الرسول بالسؤل • وقوبل بالقبول • وخرج اليه الموكب الشريف • واضيف
له الى تالذ حده القديم حده الجديد الطريف • ودخل البلد وأسارى الفرنج على حياة
يوم قراعها • راكبة حصنها في طوارقها • وبارقها • وأدراعها • وقد نكست بنودها
وانصت أنوفها • وهيث على حياة فتوحنا ختوفها • ووقف على العتبة الشريفة واستقبلها
وقبها • ثم عطف به الى دار الكرامة فزلها • والى الوزير ابن حديد قد عزل • وأقام
في بيته واعتزل • وتصدر في الدست للتيابه • وسماح الخطاب والاجابه • من له الحمد الاثير
السدر الكبير مؤيد الدين صاحب ديوان الانشاء • وقد خص بثولي الحل والعقد
والاخذ والاعطاء • فتولى سماع الرسالة وجوابها • واولى صوبها والى صوابها • وسياتي
في موضعه ذكر ما انتهت اليه الحال • وجري به القال • وكيف شغلت العوائق
وعاقت الاشغال •

﴿ فصل مما كتبت في المعنى عن السلطان الى الديوان العزيز مع الرسول ﴾

قد تقدمت خدمة الخادم بما قدمه من امثال المثال • واداه من فرض الاعظام والاجلال
وقام به من الامر الذي قام به أمر الدين والدنيا • وبادر اليه من استثمار طاعته التي
دامت لها من لمة الدار العزيزة في ازكاء مقارسها السقيا • وحل حبا الحب لماسل من
حبائها • وعقد خصر النصر لزمانه على ما اعتقده من ولائها • وجمع شمل السعادة الشاملة
بما جمع أمره من اسعادها • واستجد عهد الجد المورق الموثق بما جاد ثراه من ثرات
عهداتها • ونهض من الملك بتقديم ما قدمه على الملوك الناهضين • وابرم من عقد عبوديته
الكاملة ما تقاصر عنه تطاول الناقضين • ووفق لما وافق المراضى الشريفة ففاز
بما جاز من شرف الرضا • واقتضى دين الدين الثابت وثبت على الوفاء في استيفائه بما
قضي • وسبق الى ماسبق به جواد صدقه في جواد قصده • واختج فريضة طاعته في خلاوة

عبوديته بتلاوة فاتحة حمده • وانتهى الى نهاية النهي • واطاع ما اطلق فيما أمر الله به ونهى • وما وضع الكتاب من يده حتى رفع بالذواء يده • وسأل الله لمولانا وسيدنا أمير المؤمنين وافد النصر ومدده • وان يعضده بولده • ولي عهده المظاع بأمر الله عدة الدنيا والدين • ويقر به عيون المسلمين • فقد قاضت البركات • وآضت الحنات • وأضاءت الكرامات • وراحت جناح الاماني المبرات المبررات • وهاضت جناح الكفر الفتكات المرديات • وعمت الميامن • وتمت المحاسن • ونمت ونمت الظواهر والبواطن • وضمت بسكون الدهاء اهلها المعاهد والمواطن • وصدحت التابر • وصدقت المفاخر • وصدعت الاوامر • وصدقت الفواقر • وصدمت قلوب أهل التفاق من بواحي الرعب البواحي البواذر • ونفشت صفحات الدرهم والدينار • ونمشت عثرات الاخيار الاحرار • وفرشت مفوقات الانواء والانوار • وعمرشت أسرة الميار والمسار • ورفقت رغبات الارباب • وسمعت دعوات الاسحار • ونزل النصر • وفضل المصير • ووجب الشكر • وشجب الكفر • ورحب الصدر • وأحبب الدهر • وسحت سماء السباح • وصح ارواء الارواح • وتضوع لشر الانشراح • وتوضح صباح الصلاح • وطال جناح التجاح • وطاب جني الافراح • وعظم القدر • ونظم الامر وحسن الذكر • وأمن الذعر • واهتزت اعطاف الاسلام • واعتزت اطراف الشام • وتباحت أيا من الايام • وتزوجت اماني الانام • وارجت ارجاء الرجال • وثبتت بأثناء الاسناد رواية املى رى الامال • وقرت الاعين • وابتهجت بالسعد الطالع • وأقرت اللسان والتهجت بالحمد الجامع • وقرت الانفس واشتهجت بوسمهاسن العز الواسع • ونابت هذه الموارد العذبة المشارب الصافية المشارع في نفع الاوام ونفع الانام مناب المنابع • وأرخت السير وسيرت التواريخ • وخلقت ملطقات البشائر ليوجب تخميمها وتخميمها التضمين • واشرق المغرب من بشر البشرى • وأثارت مصر • من حسن هذه الحمى • وبسمت بسمة الشرف منابر الاقاصى والاداني • موافقة لميزر المسجد الاقصي • وتطرزت الفتوحات الفاضل عصرها الشامل نصرها بهذا المذهب المذهب • وفاحت في مهاب المحاب نفحات هذا الزمن الاطهر الاطيب • وعاد الزمان الى اعتداله وعاد العدل بزمانه • وتاب الدهر من عدوانه • وآب الى احسانه • ورجع الدين الى سناء سلطانه • ونجح الكفر بعيدة صلبانه • وبطش الايمان بأيمان • واستخلص من الشرك بلذاته • بلذاته وتقاضى الربيع بقروضه • وضافت ضيوف فيوضه • وعتب الزم على ربوضه • وحض الحظ

على نهوضه • وحث الحب على إقامة سنن الجهاد وفروضة • فقد درت أغاويق الآفاق *
 وذرت أشمة الاشراق • وافترت لضررة الحدائق لنظرة الاحداق • وراقت أوراق
 الألوية كالتواء الأوراق • وازهرت البيض والسمر كازهار الرياض • وائف غرار الحفون
 في الاغماد من الاغماض • وتيقظت الاقدار للاقدار على ايقاظ عيون البيض لاجراء دم
 النسر المظلوم • وتنزل البركات في انجاع المراق من نجيع المارقين لانزال نص النصر على
 التصل المسلول • وقد آن أن ترعي الحشاشات منهم على رعي الحشيش • ويطير الى اوكر
 المقل طير السهم المريش • وترتع ثعالب العوامل في عشب الكلى • ويطن ذباب المتاصل
 في لوح الطلى • وترن رفاق المرهفات في الرقاب رنين الخطب على الاعواد • وتذوب
 قلوب علوج الكفر من نار الرعب ذوب الثلوج على رؤوس الاطواد • وتحمل اشجار
 القنا بثمر الهدام • ويحيش الفضاء المشب بزهر الحيش الالهام • ويقطف ورد الموت
 الاحمر • من ورق الحديد الاخضر • ويوقف حد الهندى الابيض على قصر بني الاسفر •
 ويجرى في ورد الوريد جد اول البواتر • وترمي من الحصون العاديات الى حصون العدا
 جنادل الحوافر • وتكفل بما وعد الله من الظفر الظاهر والظهور المضافر ضوامن
 الضوامر • وتتل عقبان رايات الفتح والكسر من عقبان الجو بالفتح الكواسر • ويمبق
 ثوب الدارع من ردع الثواب بسبك الماذى • وتعلق في ملتقى التي الفات السمهري *
 بلامات السابري • ويظهر الحق بخذلان الباطل • ويحمل بأيدي الايد ما بقي مع الفرج
 من معاقل المعامل • ويفرق بحر الجرار ما تخلف من ساحات الساحل • فلم يبق به من
 المدن المتبعة الاصور وطرابلس • ومعال الكفر بهما في هذه السنة المحسنة بمون الله
 تدرس • واما انطاكية فانها بالهراء منبوذة • وعند الانجاء اليها مأخوذة • على انها
 بوقم قومها عام اول موقوده • وحدود العزائم اليها عند انقضاء هذتها مشحودة • فلم
 قد قصت من اطرافها • ودخل عليها من اكثافها • وجذعت بفتح حصونها هرائنها
 وضيق على أسدها وسيدتها المحصورة المحشورة فيها عرينها • فهي نزهة لمفتصر • وطعمة
 لمقتصر • وسلعة لمسترخص • وبلغة لمستفحص • وقد خرج الخادم ليدخل البلاد •
 ويستأنف بمجده الجهاد • ويستقبل الربيع بربيع الاقبال • ويستنزل ملائكة النصر من
 سماء الرحمة لاوقات الزوال • وهو يرجو ببركة هذه الايام الزاهرة من الله أن ينجد جنده
 بجنده سيئه • ويوفق الخادم لنصديق امه في تطهير الارض من انجاس اجناس المشركين

بدمائهم وتحقيق رجائه . فالجحافل حافله . واسراب الكفر بين يديها جافله . ومعاطف الاسلام في لباس الباس رافله . ونصرة الله بالنجاز عداته في قمع عدائه كافله . والحمد لله الذي وفق عبد مولانا امير المؤمنين في طاعته لنصر أمره . واخلاص الولاء له في سره وجهره . واقتناء كل منقبة حقق بها فضل عصره . وإبتكار كل فضيلة . سار بها حسن ذكره . فما يفتح مرهجاً الا بتقليدها . ولا يستجيب مرنجي الا بتأييدها .

﴿ ذكر خروج السلطان من دمشق لاجل شقيق أرنون ﴾

وما جري له مع صاحبه ﴿

وأقام السلطان شهر صفر في دمشق . وقد أطاب لمناشق الآمال من لشمره النشق . ثم خرج منها في ثالث شهر ربيع الاول يوم الجمعة . بالجهة الجمعية والمهاجرة الممتمة . متوجهاً الى شقيق أرنون . ليقرب بفتحه العيون . ويصدق في استخلاصه الظنون . وأثني مرج برغوث . وأقام به الى يوم السبت حادى عشر الشهر يشتر من عساكره البموث . ثم رحل على سمت بانياس . وقد لوقع رعبه بين اهل الكفر البأس . وأثني مرج عيون . وخيم منه بقرب الشقيق . وجمع على من به من آلات الحصار اسباب التخويف . وذلك يوم الجمعة سابع عشر ربيع الاول في أواسط فصل الربيع . وأقام في ذلك المرج الوسيع والروض الوشيع . وأسنا الحيل في اعشاب واصيه . ورتنا في الطاف من الله دانية غير قاصيه . وكان الشقيق في يد صاحب صيداء أرناط . وقد أكل في حفظه الاحتياط . فنزل الى خدمة السلطان لحكمه طائماً . ولامرء سامماً . ولرضاء نابعاً . وفي موضعه شافعاً . وعلى حصنه خاشعاً ولاجله خاشعاً . وسأل أن يمهل ثلثة أشهر يتمكن فيها من نقل من بصور من أهله . وأظهر أنه محترز من علم المركيس بحاله فلا يسلم من جهله . وحينئذ يسلم الموضع بما فيه . ويدخل في طاعة السلطان ومراضيه . ويخدمه على اقطاع بغيره . وعن حب اهل دينه يسليه . فأكرمه وقربه . وقضى اربه . واجابه الي مأسأله . وقبل منه عزائزاً ما بذله بذله . وامهى غرب رغبه وأمهله . وأخذ له وماخذ له . وخلع عليه وشرفه . ورفع في ناديه بدهاء وعرفه . واقتنع بقوله ولم يأخذ رهينه . ووجد اليه سكوناً وعنده سكينه . فشرع ارناط في ازالة حصنه . وازالة وهنه . وترميم مستهدمه . وتعيم مستحكمة . وتوفير غلاله . وتوفية رجاله . وتدبير احواله . وتكثير امواله .

ونحن في غرة من محفظه . وفي سنة من تيقظه . وفي غفلة من حزمه . وفي غفوة من عزمه . وكان يتنازع من سوق عسكرنا الميرة . ويكثر فيه الذخيرة . وقد صدقنا كذبه . وحققنا أربه . وأنهى الى السلطان ما هو مشغل به من عمارة بمجدها . وذخيره بمددها . وثلمة بسدها . وقوة يشدها . وميرة يستمدها . وكان بالمدكور سديد الظن . شديد الضن . لا يقبل ما فيه يقال . ولا يظن به عثوراً يقال . فلما كثر فيه القول . وتمكن من مسأله العول . لم يردان يبدى له ما قيل . ولم يصدئ بالتغيز عليه وجه جابه الصقيل . فامر بالانتقال من المرج الى سطح الجبل . ومحويل الخيم اليه والنقل . وذلك ليلة الجمعة ثاني عشر جمادى الآخرة . وأظهران المرج وخيم . والمقيم به سقيم . وأم الدهرفي بالصحة عقيم . وكان المقصود ان الشقيف من عيانه يقرب . واخباره عنه لا تعزب . فلما علم صاحب الشقيف بقربه . شرع في ازالة ما في قلبه . وجاء الى الخدمة . واستمسك بالعصمة . وذكر انه متمرز بذل الطاعة . وبذل الاستطاعة . وتضرع خاضعاً . وتعرض خاشعاً . وذكر انه تخلف له أهل بصور . وانه كان زمان غيبتة يرجو منهم الحضور . وانه يترقب وصولهم . ويأمل عنده حصولهم . وشرع في تقرير هذا الحديث . وتمهيد عذره فيما يتوهم من عهده التكبر التكبث . وأقام يوماً وعاد الى حصنه . وقد وجد من السلطان دلائل امته . وكانت المدة قد دنا انتهاؤها . وقرب اقتضاؤها . فاتها الى آخر هذا الشهر . ولم يجد بدا من التسليم أو لغدر فماد بعد ايام . باكتتاب واغتمام . وحضر عند السلطان فقل ما اظهر به الانهال . وازداد الالهال . وذكر انه رقيق الامشان . وعتيق الاحسان . وانه العبد القرن . وقد دخل عليه الوهن . وغلق به الرهن . وانه يبق اهله معتقلين بصور ان خرج منه الحصن . ومن أنشأ غرساً سقاء فأبقاه . وأشكاه فازكاه . واسماه . فأعماه . وقد اصطنعتي ورفعتي فلا تضع الرفيع . ولا تضع الصنيع . وسأل ان تكون المدة سنة . وأن يتبع الحسنة في حقه حسنة . وان يرخي بطوله طوله . وان يشفي بشفا ما ألمه . فراقه قوله . فرق له بطوله . ثم أفكر في امره . واستمر في فكره . فقادره على عزيمته عذره . وجاهاه بسر شره . بعد أن ما طله وطاوله . وزاوله على ما حاوله . وأقام أياماً يردده . ويخصه من الكرامة بما يجرده . ثم كشف له الفطاء . بعد أن أجزل له العطاء . وقال له قد قيل عنك . ما لا لفظه فيك . ولا لعلمه منك . فوجد ما عنه رقى . وانه كيف ياقى بالكفران ما من الالمام لقي . وانه ان لم يسعد بامهاله في الشقيف شقي . ثم سأل في ندب من يوثق بامانه .

ويؤمن الى وثاقه • ليدخل الموضع ويلمحه • ويحضر بوصف ما شاهده ويشرحه •
 فرجع الندويون بخبر ما أبصروه • وذكر ان الحصن قد غبروه • وأنه قد استجد في
 سورة باب • واستمدت له من أحكام احكامه اسباب • فاستحكم به الارتباب • وعرف
 ان السرح قد حوته الذئاب • فوكل به وحفظ من حيث لا يعلم • وقيل لعله يحسن فلا
 يحوج الى مقابحته ويسلم • ثم قيل له قد بقي يومان من المدة المضروبة • والمهلة الموهوبة •
 فقيم عندنا حتى تنتهي المدة وتنقضي • وتسلم الحصن وتسلم وتمضي • فابدئ ضرورة
 وضراعه • وقال سمعا وطاعة • وكان له ملقى وملقى • وفي لسانه زلق • وما عنده من كل
 ما يفرق منه فرق • وقال أنا أنفذه الى نوابي في التسليم • وهو قد تقدم اليهم بالوصية
 والتعليم • فظهروا عصيانه • وقالوا يبقى مكانه • فقال قد بقي من المهلة يومان فإذا
 العجلة التي يفوت بها الغرض • ويطول منها المرض • فصر عليه الى يوم الاحد ثامن
 عشر (ى) جمادى الآخرة وهو آخر مدته • وأول شدته • وأوان انقضاء عدة
 عدته • وقد رتب على الشقيف يرك يمنع الخروج والدخول • والصمود والزول •
 ويضايق غريمه المطول • قبل ان يمتد حصاره ويطول • وحمله جماعة من الامراء ووقفوا
 به ازاء حصنه • فناداهم في دراك امره وفكك رهته • فخرج اليه قس قاس • بأمر عن
 ياس • فحادثه في حادثه بقلته • ونافه في كارته بقلته • ونحاووا في السر • ونشاورا في
 الشر • وكانما امره بالتجهد • وصبره على التشدد • وعاد القس الشقى الى الشقيف •
 وترك صاحبه عائياً بالعناء العنيف • فقيد وحمل الى قلعة بانباس • وبطل الرجاء فيه
 وبان الياس • ثم استحضره في سادس رجب وهدده وتوعده وبالغ في تخويفه •
 على أن يبلغ المراد في شقيقه • فلما لم يفد خطابه • ولم يجد عذابه • سيره الى دمشق
 وسجنه • والزمه شجاع وشجته • وتحول السلطان من تخيمه الى اعلى الجبل يوم
 الاربعاء ثامن رجب لمحاصرة الحصن ورتب لما عدة من الامراء • وامرهم بملازمته
 في الصيف والشتاء • الى أن تسلمه بعد سنة بحكم السلم • وأطلق صاحبه وأجرى عليه حكم الحلم •

❦ ذكر ما تجدد لاسلطان مدة المقام بمرج عيون من الاحوال

وما كان من غزواته ونهضاته ووقعاته في حرب الفرنج والقتال ❦

اجتمع من كان سلم من الفرنج ونجا على ملكهم الذي خلس من الاسر • وقالوا نحن في

جمع جم خارج عن الحصر * وقد تواصلت إلينا أمداد البحر * فثربنا للنار * وأصرنا من هذا العار * وجاء من كان بطرابلس وخيموا على صور * وفارقوا بالاستطالة القصور * وجرت بين المركيس المقيم بها وبين الملك مراسلات * وحالت بين اتفاقهما حالات * فلم يمكنه من دخول البلد * ولج معه في اللدد * واحتج بأنه من قبل الملوك الذين من وراء البحر * وأنه ينتظر لما يرمونه من الأمر * ويصله من الأمر ثم اتفقوا على أن يقيم بصور المركيس * ويدوم منه للمكهم التأسيس وللمكهم التأسيس * وأنهم يجتمعون على حرب المسلمين وقناهم * ويتساعدون على رم ما تشعث من أحوالهم * ويتعاقدن على حل اشكاهم * ويتعاضدون في تسديد احتلالهم * ويقصدون بلداً إسلامياً من الساحل * ويقيمون عليه بالتوازل إقامة المنازل * والمركيس يمدهم من صور بالمدد * وبجميع ما يحتاجون إليه من الميرة والأسلحة والعدد * فأجمعوا على هذا الرأي * وبلغوا في الفئ إلى هذه الغاية وشرعوا في إشرعوه * وفرعوا ذروة الأصل الذي فرعوه * ووصل الخبر يوم الاثنين سابع عشر جمادى الأولى من اليزك * أن جمع الفرنج قد نهض كالليل المعسكر إلى المعترك * وأنهم علي قصد صيداء للحصر * وقد جسرُوا على عبور الجسر * فركب السلطان في الحال * فبمن خف من ثقال الرجال وأقتال القتال * وأطلاب الإبطال * وأنجاد الأجناد * وأجناد الجلال * والبالذين المهج للجهاد في الجهاد * ووصل إلى الملقى والشغل قد فرغ * والسيل قد بلغ * والصدمة قد وقعت * والوقمة قد صدمت * والثورة قد ثارت * والسورة قد أسارت فإن اليزكية لما شاهدت جاهدت * وتماقدت على لقائهم وتماضدت * وخالطهم * وباسطتهم * وواقحتهم وواقمتهم وجاللتهم وجاولتهم وحاربتهم وحاولتهم وردتهم مغلولين مخذولين * وصدمتهم منهزومين مثلولين * وقسرتهم وكسرتهم وأسرت سرابهم * وبزت بزاتهم وقصعت عقباتهم * وقصمت شجائهم * وصادت صيدهم وفرست فرسانهم * * وقع في الأمر من سباعهم سبعة * وغودرت للنسور من أشلاء المارقين بالمازق شبعة * واستشهد من الممالك الخواص أيبك الأخرش * وقد كان شهماً بالوقائع يخرش * وثبتنا بالروائع لايتشوش وأيسا بالحوادث لايتوحش * وكيا كينشا بالكوارث لا يتكمش * وانفصلت الحرب قبل وصول السلطان * وكانت الدائرة على أهل الشرك والطفانيان * وعاد السلطان إلى خيم ضربت له بقرب اليزك * وقال لهم يهودون إلى ذلك المعترك * فنستدرك ما فرط من استئصالهم واجتثاثهم * وقد ندم الفرنج على ماندر من اجتثاثهم وانبعاثهم * وأقام إلى

يوم الاربعاء تاسع عشر الشهر . والاسلام بقوة ظهوره على الكفر قوى الظهر . وركب في ذلك اليوم . ليطلع من الجبل على القوم . ولم يكن له نية القتال . فلم يستصحب معه من يستظهر به من الرجال . وتبعه راجل كثير من غزاة البلاد بغير علمه . وظنوا ان السلطان انما ركب للقتال وعلى عزمه . وكان الفرنج قد بصروا بالراجل فطمعوا فيه * ثم ظنوا ان وراءه عسكرياً في الكمين يحميه . ونفذ السلطان بعض الامراء الى الغزاة الرجال ليمودوا فما قبلوا . وحمل عليهم العدو فأسروا وقتلوا . وحتمت بشهادة أولئك السعداء تلك العشي . ونفذت من الله في استشهادهم المشبه . وحمل الحاضرون من الامراء والعسكرية على الفرنج حملة أردتهم وردتهم . وصدقتهم عن الجراءة وصدتهم . وتزاحوا على الجسر . ففرق منهم زهاء ثمانين في النهر . وكان يوماً علينا ولنا . جنى المنا وأجني أملنا . وللحرب رجال . والحرب سجال . ولم يكن لأولئك الغرباء بقتال الفرنج دربه . وإقدامهم على العدو لله قربه . نفاضوا من الدم في اللجج واعتاضوا الجنة من المهج . ومن لقي الله بالشهادة . وختم له بالسعادة . الامير غازي بن سعد الدولة مسعود ابن البصارو . وكان شاباً ثار الحرب شاباً . ولدين الرب راباً . ولما شاهدما تم من النزاه . اقتض في أصحابه على الفرنج اقتضاض البزاه . فدعته جنته . إلى طعنة لبها لبته . فاحتسبه عند الله والده . وكدرت عليه موارده . وأوجد جمعنا الاسى على فقد ذلك الواحد وساء عدم الساعد . وبنا نشكر مساعى ذلك المساعد . وضائق القلوب . وفاضت الكروب . وألم البوس . وألمت النفوس . وهذه وقعة ندرت . وواقعة بدرت . ونذير حدث وحادثة أنذرت . فلم يصب الكفار من المسلمين مذأصبوا غير هذه الكره . وأذاقونا بعد ان حللنا جنى الفتوحات مرارة هذه المرة . فاقطعنا من رقدة الغره . وأخذ الناس حذرهم . ونذروا وعقدوا على الانتقام نذرهم . ثم رجعوا الى الله وقالوا بهذا وعد الله حيث قال فيقتلون ويقتلون . وعبادهم الذين يتبعون أمره ويمتثلون . ثم قويت عزيمة السلطان على قصدهم في تخيمهم . وكسبهم في مجثمهم . وعبور الجسر اليهم . والاحداق بهم من خواليهم . وشاع صيت هذا الزعم وصوته . وأسرع الناس إلى موسسه . وخشي فوته . وتسامع أهل البلاد . بتصميم عزيمة الجهاد . قباشر او تبادروا . وتسابقوا وتصارعوا . وأتوا من كل فج . وجاءوا من كل نهج . وسالوا في كل واد . وجالوا في كل فجاج ووهاد . ووافت معلوعة دمشق وجوران . يجرون إلى مر الموت

ويجرون المران • وتوافد من بلرج والنوطه • على الحالة المقيوطة • وقالوا هذا أوان
 إحضار الضوامر المربوطة • واجتمعت بمرج عيون • جوع مرجت الميون • نفافت
 الفرنج من هذا الجمع • وأتافت على القمع وتمكست إلى سور صور • وعين أولئك
 البور الثبور • ونحزوا ونحرسوا • وتوجلوا وتوجسوا • فاقضت الحال تأخير
 قصدهم • ليتمكن على غرتهم حشدنا من حصدهم • وعاد العسكر إلى الحميم وسار
 السلطان إلى تبين • صبيحة يوم الخميس السابع والعشرين • لتفقد أحوالها • وتأمل
 أعمالها • وعرض رجالها • ثم سار منها إلى عكا • جريده • ورتب في عمارتها وولايها
 أحوالا سديده • ووصى رجالها بالاحتياط والتحفظ • والاستظهار والتهيؤ •
 وأسرع عودته إلى المعسكر • عظيم المفخر كريم المعشر • موفق للمورد والمصدر •
 مقرظ المنظر والمخير • وأقام إلى يوم السبت سادس جادى الآخره • وبحر مخيمه
 بموج بأمواج الساكر الزاخره *

﴿ ذكر ماتم من استشهاد عدة من اصراء العرب ﴾

وانتهى الينا أن الفرنج يتشرون في الارض • وينسطون في موضع القبض • ولا
 يحفظون في الرفع والحفض • ويحطبون ولا يحتاطون • ويحشون ولا يحنثون •
 ويحنون ثمار الحيل • ويحنون على من يصادفونه بأنواع الفيل * وهم في غرة من غاره •
 وفي جسارة تمود عاهم بخساره * وفي غفلة تجر عقله • وفي ضلة ترفع عليهم من العذاب
 ظله • وانهم إذا خرجوا للاحتشاش والاحتطاب • وانتشروا لضم الاعشاب من الشعب •
 خرجت وراءهم خيل تلحظهم على بعد • ومحفظهم من متعد • ونفذ السلطان إلى خيل
 تبين • وأمرهم بأن يصبحوا أولئك الملاعين * فاذا خرجت الخيل اليهم تطاردوا قدامها
 ووصلت بها الكمين • وذلك يكون في صباح الاثنين ثامن الشهر المذكور • وواعدتم
 على هذا السر المستور • ونفذ إلى عسكر عكا • ليتمكن في موضع عينه • ولا يظهر مكنه •
 حتى يكون من وراء القوم * مستعداً لما ينالهم من الوقم • وسار السلطان ليلة الاثنين
 على الموعد • مصداقاً للمقصد • وصادف خيل تبين قداغارت وأثارت • وأبرت • وأبارت •
 فعبر تبين • وكن بين صور وبينها • وعين الزكية وأوقد عينها * ورتب ثمانية أطلاب
 من الإبطال • وكن بتلك الأرجاء كجاة الرجال * وانتخب من كل طاب عشرين فارساً

أجواداً على الجياد * وأجلاداً في الجلود على الجلود . قامرهم بان يتراموا للفرنج حتى تصل اليهم وتحمل عليهم . وهم يفرون قدامها * ولا يقرون أمامها . ويجذبونها إلى قرب الكمين ويوقعونها عليه . ويوقعونها إذا حصلت بين يديه . ففعلوا ما به أمروا * ولما حلت عليهم الفرنج ثبتوا وصبروا . وأنفوا من أن يقال عنهم فروا * بل جالوا فيهم وكروا * واتصل القتال واشتد * واحتدم المصال واحتد . وطال زمان الحرب وامتد . وطارت جرات الصفاح * وفارت غمرات الكفاح * وثارت غبرات البرى . ودارت عزرات الثرى . وانحلت عرى اللهم . وانحطت ذرى القمم . وعدم كل قرن قراره . وكل جفن غراره * ودام تهارنا يجري بانهار الدم أنهاره . وعرف من بالكمين ان الحرب قد اشتبكت وإن الاسد قد اعتركت . وإن البزل قد ارتبكت وارتبكت . فتواصل إنحداداً للانحداد . وتراسل أمداداً بعد الامداد . فلما رأى العدو أن المدد يكثر والعدد يكتف . وإن عساكرنا لا تثوقي ولا تتوقف . صمم العزيمة . على الهزيمة . وعلم ان النجاة عين النسيمة . فتى أعطافه * وضم أطرافه . ورد أحلافه . وجرت بين الفريقين مقتله * عادت أرض المعركة بها وهي مثقله . وكان قد حمل العرب على وعد العود إلى الكمين * والرجوع إلى أسد ذلك العرين . ولم يكن لهم بالطريق خبره . ولا عبرت من الطوارق بهم عبره * قطاردوا بين يدي الفرنج في واد ما له نفاذ * ولا لسالكة إلى منهج ملاذ * ورأهم العدو فعدا وراءهم . وسار بجيحه إزاءهم * فلما انتهوا إلى الحيل أدركوا * ولم يقدروا أن يسلكوا . فقاتلوا حتى قتلوا . وأقبلوا على الله فقبلوا * وهم الامير زامل بن تبل بن مر بن ربيعة أمير الثقره * وسري الاسره * والامير حجي بن منصور بن غدقل ابن ربيعة والامير مطرف بن رفيع بن بردويل بن مر بن ربيعة وآخر معهم فهو لا أربعة من ربيعة بنيت لهم في جنة الخلد ربوع * وقدر لهم في رياض التعم ربوع . وقازوا بالتعم ونعموا بالفوز . وانتقلوا من العز الفاني إلى الباقي من العز * وكان معهم من الممالك الخواص . من ذوي الجود والاخلاص . تركي عربي الثخوه . غضنفري السطوه . فلما حصل في المضيق . وأيس من الطريق . نزل عن فرسه على صخرة بنجوه . ونثلى بين يديه كنانته . فارعا لذروه . وقد أوتر قوسه وسدد اليهم سهمه . وقبل قضاء الله وحكمه . وحن إلى منيته من خيته . وأصاب منيته من إصماء العدو في المصاب بأمنيته . فوقعوا عنه بعيداً حين خافوا قربه . وما زالوا يطعنونه ويرمونهم حتى ظنوا أنه قضى نحبهم . فاصبح

وقد نزع دمه • وترجى على وجوده عدمه • ولما قبل أنه استشهد • وطلب ليأخذ
 رمق وبه رمق • وهو في دمه غرق • فحمل على أنه من الاموات • ولم يرج له
 فوات الوفاة • فاحياه الله بعد أن أماته • وجمع أعضاءه عليه وقد شارف منها شتاته •
 وأنشأ خلقاً جديداً • وأوجده في أجله مزيداً • وهو أبك الساقى زاده • ما جرى
 اجترأ على الإقدام • واجترأ إلى مضمار الحمام • فما سمع بعد ذلك هيئة الاطار اليها •
 ولا أبصر للكفر خبيعة إلا آثار عليها •

﴿ ذكر مسير الفرنج الى عكا • والنزول عليها • ورحيل السلطان قبلاتهم اليها ﴾

وصل الخبر يوم الاربعاء ثامن رجب • ان العدو قد ركب • واجلب بجيحه ورجله •
 وطار بجراد جرده • ودب دياه في رجله • وسرحت ذنابه • ونجت كلابه • وجاش هرام جيشه
 المرمر • وطاش الى أهل الجنة بأهل جهنم • ونوى القرب من النواقر • وأضرم بنار
 السعير مساعى المساعير • وهو على قصد عكا • يجرى الى المدى برأى جمعه المدامير • وان
 نفراً منهم نفر • وسبق الى النواقر وعبر • ونزل باسكندرونه • واستباح طرقها المصونه •
 وهناك من المؤمنين رجال يحمون طرف الثغر • ويضمون نشر الامر • ويصمون نحر
 الكفر • ويجوبون غارب الشر • ويجوبون جانب البحر • ويطوفون للحراسه • ويطولون
 بالحمايه • فلما رأوا مقدمة الفرنج واقعوها ودافعوها • وعاقروها وقارعوها • وأهلكوا عدده •
 وملكوا عده • ولما تكاثر أعداد الأعداء • استظفروا بالانكفاء • عن الأ كفاء • وتدافعوا
 بعد ما دافعوا • وتراجعوا بعد ما راجعوا • واطلع السلطان على خبرهم • وعرف نفور
 نفرهم • فكتب الى الساكر الدائيه بالدنو • للمدو على العدو • فتوافدوا للميعاد • وتوافوا
 للاعتصاد • وتوافروا للجهاد • وتوافقوا في ادائه المراد بايماء المراد • ورحل الفرنج ثاني عشر
 رجب يوم الاحد • وافيه المدد وافرقة العدد • ونزات على عين بصره • ولقد شاهد دركات
 جهنم من شاهد تلك الرحاب المغتصه • ووصل أوائلهم الى الزيب • واجابوا داعية الصليب •
 فاصبح السلطان يوم الاثنين على الرحيل • ووصل العنق بالذميل • وكان الثقل قد سار من
 الليل • وجرى على طريق الملاحة في الاودية جرى السيل • وسرنا على جب يوسف الى
 المنيه • آخذين بالحزم تاركين للونيه • وجئنا عصر يوم الثلاثاء والساطان نازل بأرض كفر كنا •
 وبقنا بها تلك الليلة • وسكننا • ثم اصبح يوم الاربعاء خامس عشر الشهر ونزل على جبل

الخروبه • واطلع منها على الاسرار المحجوبة • واشرف على العدو النازل • ودنا حزب الحق من حزب الباطل • وكان عدة من الاسماء ساروا على طريق هوين • للفرنج مقابلين مقاتلين • فوصلوا في هذا اليوم • وقد نالوا في طريقهم من القوم • ونزلنا في ارض صفورية بالانقال • ونجرد الرجال منها الى المحيم السلطاني للقتال • وكان من رأي السلطان عند رحيل الفرنج على قصد عكا • ولم يزل رأيه بنور فطنته وطيب فطرته اذكى وازكى • ان يسايرهم في الطريق • ويواقعهم عند المضيق • ويقطعهم عن الوصول • ويدفعهم عن النزول فانهم اذا نزلوا صعب نزالهم • وأتعب قتالهم • واذا نبثوا تمذر حصدهم • واذا نبثوا تمسر قصدهم • واذا لصقوا بجطن الأرض صاروا كالقراد • واذا خلقوا في جو الدو طاروا كالجراد • فعند الانتشار يمكن التقاطهم • وعند الانحصار يمكن احتياطهم • فقالوا له بل استقم على السنن القويم • ونطلبهم طلب الغريم • وما أهون قطعهم اذا وصلنا • وبمجل اديارهم اذا أقبلنا • والطريق قباتهم وعمر • وللمقصر عن التناول فيه عذر • فمضي على أسهل الطرق • ولسد فلقهم بالفيلق • وتبين لنا بالماقبة ان الرأي السلطاني كان أصوب • فان نزالهم عند نزولهم صار أصعب • ونزل الفرنج على عكا من البحر الى البحر • محتاطين بالانحصار محيطين بها للحصر • وضرب الملك العتيق كي خيمته على تل المصليه • وربطت مراكبهم بشاطئ البحر فكانت كالأجسام المؤتثبه • وبث السلطان ليلة وصوله الى مدينة عكا • بئنا دخلها على غرة من العدو • وتواصلت البعوث اليها التي هي على التزايد والنمو • حتى استظهرت بقوتها • وقويت باستظهارها • فلما اجتمعت المساكر • واتصلت بالاولائل الاواخر • عبي جيشه طلباً طلباً • وميمنة وميسرة وجناحاً وقلبا • وسار بهيأته وهيئته • وأنزل العسكر على تميمته • ونزل بمرج عكا على تل كيسان في ذوى اختصاصه • وقد نصب من خيامه عليه اشراك اقفاصه • وامتدت للميمنة الى تل العياضية والميسرة الى نهر الماء العذب • فدارت رحي الحرب • ودام كركب • وطاب طعم الطعن والضرب • وطافت كأس البأس بمدام الدم على الشرب • ووافي الانجاد عسكر الشرق ماضى الغرب • وصرفنا محاصرين للمحاصرين • مكابرين للمكابرين • قد أحطنا بالعدو وهو باليد محيوط • واستشطننا منه وهو مستشيط • واحدقنا بالولئك الكفر احاطة النار باهلها • ومننا الطرق من ورأهم في عصرها وسهلها • وربنا بالزيب والثواقير رجلا يصدونهم عن سبلها • ودنا نصابحهم بالقتال ونماسيهم • ونراوحهم ونغاديههم • ولماودهم ونباديههم • ونقدم بعوادينا على عواديمهم • ونصدهم

وانصدمهم * وبوجدهم البحر ونعدهمهم * وما زالت مها كبهم تتواصل * ومنا كبهم تتطاول *
وأهل الجزائر من أهل الجزائر متوافرون متوافدون * مترادفون مترادفون * قد لفعوا
وجه البحر بنقب السفن * وجذبوا بالقوس على نجه مران الرعن * والقوا على تياره
بسط البطس * وحملوا على البحر أوزار النجس * وتباهلهم وتعا * فلهم زادوا على وجسهم
رجسا * وبقي القتال بينهم وبين البركة * كل بكرة الى المشيه * الى ان وصل الملك المظفر
تقى الدين عمر * ومظفر الدين كوكبوري الاسد الغضنفر * فاستظهروا بهما وبمسكرهما
الدم * ووصل مقدموا الرجال في الجمع الجم * واستدارت الفرنج بكماء كالدارة بالمرکز *
وزادوا من جانبنا في التحرس والتحرز * ومنعوا من الدخول والخروج * ولج اولئك
العلوج في ضبط طريق الولوج * وذلك في يوم الاربعاء والخميس آخر رجب لاسلاخه *
والاسلام ينادينا باستصراخه * واصبح السلطان يوم الجمعة مستهل شعبان وقد استهات راياته *
واستقلت آياته * وعز عزمه * وعلا حكمه * وما منا الامن أسرج الجرد وجرد السريحيات *
وعاج بالاعوجيات * واشرف بالمشرفيات * وبرز باعتقال الردينيات * ورديان العقيليات * وأزكى
المنذكي وقرب المقربات * وقد سن سنان لدنه * وجن جنان قرنه * وساف سيفه ردع
الدم * وضاف جوده مضيف العدم * وأقبلنا والنصر مقبل * والظفر متهلل * والميمنة
والميسرة باليمن واليسر بمتدنان * والقلب له من التأيد والتكين جناحان * وانفقت
الآراء * وأجمع الامراء على أن يكون اللقاء وقت صلاة الجمعة * عند قبول الدعوات
المرتفعة * ومناب منابر الاسلام عن أهله في جميع بلاده * واجماع الالسنه والقلوب في
الضراعة الى الله في لصره المجاهدين من عباده * وأحاط البسکر الاسلامي بجوانبهم *
وكدر عليهم صفو مشاربهم * وفلك مضاء مضاربهم * وهم في مواضعهم واقفون * وعلى
مصارعهم كاقفون * وفي مواطئهم ثابتون * وعلى مواطئهم ثابتون كالبنيان المرصوص مافيه خلل *
وكالحلقه المفرغة ما لها مدخل * وكالسور المحيط ما عليه مفسلق * وكالليل الاشم مافيه
متعلق * فزحفنا اليهم فلم يبرحوا * وقرنا منهم فلم ينزحوا * وحملنا عليهم فأخذوا الضربة
ولم يبعطوها * وأنحنأ لهم مطايا المنايا فها ان عليهم أن يمتطوها * ودامت الحرب قائمه * ودعية
الدم دائمه * وكما قتل واحد وقف آخر مقامه * وخلف نظامه * حتى دخل الليل وحجز
ووعد النصر * ونجز * وحزب الحق ماعجز * فأصبحو يوم السبت على الحرب كما أمسوا *
وزادوا على ماجري أمس وألهاو عنه وألسوا * فما طلعت شمس الظهيرة حتى طلعت

شمس الظهور • وصحبت شمس الجهور • واستضاف نورها مستفيض النور • وحمل الناس
من جانب البحر شمالي عكاء حملة شديدة • كانت لمن قدامهم من الفرنج ميده • وفرشوه
على تلك التلول • وردوا مضاربهم من قلمهم بها بادية الفلول • وانهزم الفرنج الى تل
المصلب نحو القبة • وثبتوا عند الوتية • واخذوا ذلك الجانب • وخذلوا تلك المذاهب •
وقلعت خيامهم منها • وقطعت اطماعهم عنها وافتح لنا طريق عكاء ودخلها الرجال • وحملت
اليها الغلال • وتقات اليها الاحمال • ودخل العسكر اليها وخزج • وانكشف ضيق حصرها
وافرج • وذلك من باب القلعة الوسطى الى باب قراقوش • واستطرت اليها السراكر والحلوش •
واطلع السلطان على الفرنج من سورها • وشرع في تدبير أمورها • وخرج عسكر البلد
لله وازرة على قتال المدو العادي • وترك الهوادة في قصر القصر • والهوادي والفرنج
قد رهبوا • ولو قدروا هربوا • ولكن أمحبنا رأوا أن افتتاح باب البلد غنيمه • وأنهم
أى وقت أرادوا كانت منهم عزيمة ومن المدو هزيمة • وتوقفوا عن الاتمام • وتقدموا عن
مقام الافدام • ولو أنهم استمروا في الحرب على حياتهم وهيتهم • لباه الاعداء لنجسنا
بجيتهم • فان الصدمة الاولى اخافت وحافت • ونافت بقاء القوم وعلى هلكها انافت •
لكنا تركناهم حتى عادت اليهم الارماق • وطاود فرقه الاقراق • وابصروا ما بين أيديهم
وما خلفهم • وأزالوا فباينهم بالموافقة خلفهم • وأثبتوا في مستنقع الموت أرجلهم • ورأوا
ان الوقت قدامهم • وقال امراؤنا هو • لا قد سهل امرهم • وخدجهم • وقد حصن ريشهم
حصرم • وهم في قبضتنا أي وقت اردنا • ولقصدهم تخرنا • وقالوا نصبر الى الظهر ونمضي
ونسقى الخيل ونعود • وحينئذ يشتغل بهم الدم ويفرغ منهم الوجود • فالصرفوا على
وعد العود • وتفرقوا في مراتعهم تفرق الذود • وبلغ المدو ريقه • ووجد الى الجلد
طريقه • وجمع بعد التفرق فريقه • وضم عن الاقتشار راجله • وزم راحه ونابله • ووقفوا
كاسور من وراء الجنويات والتراس والقطاريات • وقد صوبوا الجروح وفوقوها •
وجمعوا المدد وعلى الرجال فرقوها • كانهم في الدروع اراقم • وفي الحان علاجهم • وفي
النهوض قشاعهم • وفي الضراوة ضراغم • واختلفت الاراء مع العلم باحتراسهم وبسترهم
بتراسهم • فقا من يقول نصبحهم بالزحف • وتزورهم بالتحف • ويترجل الامراء فيتبعهم
الاصحاب • وتنشب من آسادنا في تلك الحنازير من الشباب الاخطار والانياب • ويتصل
الطعان والضراب • فنسفهم ولو أنهم جبال • ولطفي تيراتهم فلا يقد لهم من بعدها ذبال

ومنا من يقول يدخل راجلنا الى البلد * مستعدا بالاهب متأهباً بالعدد * فاذا
 زحفنا اليهم * واوجفنا عليهم * خرج من في البلد من العسكرية والراجل * ونازلناهم
 من امامهم ومن ورائهم بالنوازل * فلا تطرف لهم بعدها عين * ولا يبق للدين بعد ذلك
 الثار منهم دين * ومنا من يقول لا بل قرج عنهم * ونبعد منهم * فادنا على هذه
 المضائق والمصار * والمحاققة والمحصرة * والمكابدة والمكايده * فانهم يتيقظون وينتهون *
 ويتحفظون ولا ينتهون ويتحرزون ويتحربون ويتوجلون ويتوججون * فاذا أرخنا طولهم
 وأوسعنا ملهم * استرسلوا بعد ما استبسلوا * واستقبلوا الدعة بعد ما استقبلوا * واطمأنوا فطمعوا
 واذا أبطأنا تسرعوا واغترأوا بنا على غرة فاغاروا * وظهرت لهم آثار ركودنا عنهم فظهروا
 وناروا * فحينئذ حينهم يحين * وشينهم يشين * واذا ظهرنا عليهم * ومتى أبحرنا أبحرنا
 اليهم * وان بارزوا بارزناهم * وأبحرنا عدة أماننا فيهم * وناجزناهم * ومنا من يقول هؤلاء في
 عدد النمل * وكثرة الرمل * وظلام الليل * وعصرام السيل * فباقيمهم الال عدد الكثير * ولا
 يقيمهم الا الجمع الجم الغفير * والمصلحة ان تستنفر السالكين * واستحضر لآبادتهم
 البادي والحاضر * ولستجيش الحافل * ولستير الفارس والراجل * ونلقاهم
 بأشغالهم * ونقدم عليهم مستظهيرين في قتالهم * ومنا من يقول هؤلاء * عالم
 لأحمى * قد حضروا من الأدنى والأقصى * وأزوادهم عن قريب قفرغ *
 وآمادهم في الصبر تبلغ * وأمدادهم تقطع * وأتجادهم تمتع * وموادهم تقل * وجوادهم
 تضل * ولراكهم في الشتاء شتات * ولجبالهم وجبالهم آتبات * فلما أن يضطروا إلى
 الانفصال * وأما أن يؤذن فناء أرزاقهم بحلول الآجال * ويهون علينا حربهم في تلك
 الحال * وكفى الله المؤمنين القتال * فهذا عسكر الاسلام * وجند مصر والشام * وفي
 الاقدام به خطر * وفي المباشرة بحربه غرر * والمصلحة العامة تلحظ * ورأس المال
 يحفظ * ومنا من يقول نستدعي من مصر الاساطيل * ونستدفع بحققها الابطال * ونستكثر
 من مرابكها * ونستعدي على هذه الافاعي بقاربها * ونسقطيل على الشاة المستطيلة
 يشوانها * ونعدو على عوادي الاحادي بواديهما * وإذا وصلت وقطعت عليهم طرق
 البحر * وصلت لنا أسباب النصر * وحينئذ تقاتلهم برأ وبجراً * ونوسعهم بمضائقهم
 فيها قتلا وأسرا * وما زالت هذه الآراء بيننا متداولة * وخواطرنافي تدبيرها متجاوله
 والحرب بيننا وبين الفرنج جارية * وزناد الهيجاء لاشعال نارها واريه * وفي كل يوم

تصافح بالصفاح * وتكافأ في الكفاح * ونسحق فيهم بكلام الكلوم * ونأحق منهم الموجود بالمعدوم * والطلائع وقائع * وللوقات طلائع * وللسهام أفواق قاتمه * وللحمام أسواق نافقه * وسرايانا في كل يوم وليلة تسرى وتأسر * وتبرى وتأثر * وتكبس وتكسب * ونسي وتسلب * والسلطان يباشر ذلك كله بنفسه * وهو يدأب في يومه لغده يجهداً في الزيادة على أمسه * نائباً عن أعوان المسلمين وأصغارهم * ساهراً لهم في ليلهم قائماً بأمرهم في نهارهم * والعين الساهرة في سبيل الله قريره * وتنب يوم واحد في اليوم الآخر ذخيره *
 ﴿ ذكر وقعة تمت يوم الاربعاء سادس شعبان ﴾

وركب الفرنج آخر يوم الاربعاء سادس شعبان باجمعهم * وتقدموا من موضعهم * واشتاقوا إلى مصرعهم * وفارقوا الحزم في تسرعهم * وخرجوا عن رجائهم * وتجردوا عن خيالاتهم * وحملوا على الواقفين من أصحابنا حملة الرجل الواحد * فتحرك الصف الثابت الساكن أمامهم كالبنيان إذا تحايل من القواعد * وتراجع عنهم المسلمون استدراجاً * وملاّت الارض الدماء عجباً وعجاجاً * وزخر بحر الحرب على أمواج إمواجاً * فباقربوا من خيام البرك * إلا وقد اختكر جو المعترك * وعساكرنا قد أوجفت عليهم * وزحفت اليهم * وأردتهم بعقابهم * وردتهم على أعقابهم * ووصات إلى رؤسائهم قطعت رؤوساً * وألحف بأسها ذلك الجلع يؤساً * وثنت وجه الكفر عبوساً * وولوا مدبرين * وأدبروا مولين * والجريح بالقتيل طبر طار * والذمر الباسل باسم بالموت باشر * فلما جن الليل رجعت بما جتته الخيل * وبات كل حزب على حرب * وإعداد عدد طعن وضرب * وبات الناس من الجانبين على غاية من التيقظ * وهمة متنبهة للتحفظ * وحراسه وحمايه * وسياسة ورعايه * فلما أصبحوا عادوا إلى عادتهم في اللقاء * وهاجوا بآدابهم إلى الهيجا * هذا وأبواب البلد مفتوحة * والصدور بطروق الظهر اليها مشروحة * والفرنج قد قدموا على ما قدموا * وعدموا بصيرتهم بما صدموا * وعادوا لا يفرطون ولا يتورطون * وبنقبضون ولا ينبسطون *

﴿ ذكر وفاة حسام الدين طمان ﴾

انتقل السلطان ليلة الاثنين حادي عشر الشهر إلى تل العياضيه * ليكون منه في الجهة المرضيه * فان هذا التل بازاء تل الصلبيه منزلة العدو *

وهو مشرف عليهم للعلو وضربت خيام المينة ممتدة الى البحر، وخيام الميسرة الى النهر. واتسع مجالنا وضافت الدائرة على الكفر، وكان الامير طمان صاحب الرقة مريضاً ولم تزل وجوه الايام الغبر في سبيل الله باحمرار بيضه بيضاء، وهو الحسام الناضل * والحمام الباسل * والقرم البازل * والتدب الحلال * والمحترق لحمة الدين * والمقترح لحماية المسلمين ولما وافت وفاته * وفاته رجاءه * ولم يرجأ فواته * أسف على عمره * وأمي على أمره * وحزن كيف لم يقتل شهيداً * ولم يستشهد في الجهاد سيدياً * وقال قدموا حصاني حتى أشهد الحرب وأستشهد، وأجاهد الي أن أقتل وأجهد، فاني أري موتي على الفرائش غنياً، وقد عرفتم مني شجاعة لاجيناً، وتوفي عصر الاربعاء ثالث عشر شعبان، وبوآه الله الجنان، وبشره رضوانه. وكان قد توفي بالقرب الامير التدب * فارس الحرب * ليلة الاثنين السابع والعشرين من رجب * حسام الدين سنقر الخلاطي النقيب المنتخب. فبنت مضارب الدين باعماد الحسامين. وجلت الموم لاجل أجل الهاميين، فوجت النفوس، وأملت القلوب * وفاضت الغروب فيضهما الغروب

ذكر واقعة العرب * أربت لنا بالاراب

اشهى لنا ان الفرنج * يتطرقون ويتطرقون * ويأمنون ولا يتخوفون * ويخرجون للاحتشاش ويتشرون لغم الاعشاب من الاعشاش، ويصلون الى طرفي النهر، وهم لمن يحاق عليهم من فوقهم تحت القهر، فالتدب جماعة من العربان، وضراغم فارسة من الفرسان، فافاروا وهم غارون، وساروا الى جمعهم وهم تجمعهم سارون * وحالوا بينهم وبين خيامهم، وحشروهم الى حمى حمامهم * وحلوا اليهم حين حلوا عليهم رؤساً، وقطعوا منهم لما اقصوا بهم رؤساً * وأحضر وهاعد السلطان فاجتأبوا بها خلع الاحباء، وبسهم على الحمية والآباء، وذلك يوم السبت سادس عشر الشهر. وسر المسلمون واستبشروا بوقعة النهر. وهذا القتال بينهم وبين أمهاتنا في عكا متصل، وشرار الشر مشعل، والموت منهم متقى وفيهم مقتل * وفي كل يوم تقوم الحرب على ساق. والارواح في مساق، والمصاع على اتساق، وكل قتل من حزب العدو وأسر * وكل حمل ليكسر فكسر. وربما مل الحزبان، وكل الفران. فتوافقا على الامان. وتوافقا بشكلمان * وربما أقدموا ثم نكسوا. وغنوا ورقصوا. واذا القبوا لبوآه واستراحوا الى الوقوف اذا تعبوا ومن نوادر ماجري وغرائب، وملح ماتم وعجائبه، ان الطائفتين في

بعض الأيام • ضجرتا من مباشرة الحرب على الدوام، فقال واحد من الفرنج الى مق هذا القتال • وقد ففي الرجال، فأخرجوا صبيانكم الى صيدنا • وليكونوا في أمانكم وأماننا • فبرز منهم صبيان • ومن البلد آخران • قاتلوا ملياً • وألقوا نار الحرب صلباً • ثم وثب أحد الصبيين المسلمين • على أحد الصبيين الكافرين • وضرب به الارض • وقفز عليه وانقض • وقبضه كبيراً وجذبه أسيراً • فاقتداه بعضهم يدينارين • وعاد المسلم من ظهوره وسروره الى جنتين • والعدو من كفره وفكره الى نارين • ومن الاتفاقات النادرة • وأمارات السعادة الظاهرة • انه أقلت من بعض مراكب الفرنج حصان • له عندهم صيت وشان • فلم يقدروا على ضبطه • كما عجزوا عن ربطه • وما زال يوم في البحر وهم حواله • حتى دخل مينا البلد وتسارع أصحابنا اليه • وأهدوه الى السلطان • وعده العدو من أمارات الخذلان • ورأيناه لنا من دلائل النصر والاحسان

ذكر الوقعة الكبرى

وأصبح الفرنج يوم الاربعاء العشرين من شبان • وقد رفعوا الصليان • وزحفت أسودهم في غاب المران • وطارت بهم خيولهم عقباناً على عقبان • وجرت بالجيال منهم رياح • وجالوا دون التل كأنهم له وشاح • وخرجوا على التميمية • وشفعوا نداء الكفر بالتلبية • وشفعوا بالتبعية للترية • وتقدموا متمزين • وعزموا مصممين • وناروا ثورة الشيطان • وفاروا فورة الطوفان • وقدموا الراجل امام الفرسان • وزحفوا أطلاباً • وحفزوا طلاباً • ودبوا ديب الليل الى النهار • وهبوا هبوب الخيل الى المضار • وأجروا سيول السوابق الى القرار • وجروا ذبول السوايف الى الغوار • ونحروا وهم هضاب • ونذركوا وهم غضاب • وما زالت ميسرهم تكثر وتكثف • وتعطوا وتعطف • وتقور وتشور • وتروود وتندور • وتهم وهمهم • وتدمدم وتدموم • وقد عى السلطان مهمته وميسرته • وطلب من الله نصرته • وثبت قلبه وقلبه ثابت • وحزبه في صف الحرب ثابت • ورعبه لكبة العدو كابت • وهو يمر بالصفوف • ويأسر بالوقوف • ويحضر على حظ الابد • ويبحث على الجلاذ والجلاذ • ويشوب للوثوب • ويندب الى التدوب • ولما شاهد شروق بروقهم • وخروق مروقهم • وكنافة ميسرهم • وحشو حشود كثرتهم • أنقض رجال القلب لتقوية ميمته على الحرب • وكان الملك المظفر 'أبى الدين' من الميمنة على

الجناح ، في جمع يكثر بعينه واردا الصباح ، وكلا تقدموا تأخر يستجرهم ، ويحذر مكرهم ومكرهم ، فمرفوا انه لا قبل لهم بمقابلته ، وان هذا ليس ميمات مقاتلته ، فتركوه واستقبلوا القلب وزخري مجرمهم وعب . وحملوا حملة دوى منها الدو . واسود منها وجوا الجوى . ووصلوا الى جموح ديار بكر والجزيرو . وغاصوا في لجتها بغدران السوايح ، والسوايح الغزيرة ، وكانت من القلب على الجناح للطران وجبالها على الرياح للجريان فمرفوها بالفر . واستنفضوها . لدى الكرك . والموا بها فنا الملت . ومها بها فاهمت . واندمت وما دفت . وتراجعت وما رجعت ، وتمكست وما عكست . وأدبرت وما تدبرت . ولكونها غير عارفة بمقتال الفرنج هابت وما هبت ولا بت وما لت . ورابت وما ربت . وجاؤا الى القلب وقلوبه . وحاربوه وحرروه . وخربوا حزيه . وخرقوا حجبهم . وهناك استشهد كرام باعوا أنفسهم بالجنة . وأسنو نحوهم نحو الاسنة . منهم الامير مجلى بن مهران . وكان مجليا في المروة . والظاهر أخوا الفقيه عيسى وكان ظاهر الفتوة . وآخرون اعترفوا بذنوبهم فرحضوا بقاء الشهادة درن حوبهم . وصعدوا الى خيم السلطان . طامعين في استعالة حزب الصليان . وكنت في جماعة من اهل الفضل قد ركبنا في ذلك اليوم . ووقفنا على التل لشاهد الوقعة وننتظر ما يكون من القوم . وما ظننا ان القوة بهي . وان الواقعة اليتامهى . فلما خالطونا في الخيم . وباسطونا في الخيم . وكنا على يقال . بغیر أهبة قتال . استدر كنا أسرنا . واخذنا منهم حذرنا . ورأينا المسكر موليا . والمزوم مما تركه من خيامه ورحله متخليا . فوافقنا في الأندفاع . وألفينا للاستضرار في المال عين الاتفاع . فوصلنا الى طبرية فيمن وصل . ووجدنا ساكنها قد أجفل . فسقنا الى جسر الصنبرة وزلنا على شريقه . وكل منا ذاهل عن شعبه وربه . مفكر فيما يكون من أمره . منكسر القلب لائم على الاسلام من كسره . لا يالف ميتا . ولا يلقي بيتا . ممسك بلجام فرسه . قد آذن ضيق نفسه بضيق . نفسه . ومن المهزمين من باع عقبة فيقي . وهو غير مفيق . ومنهم من وصل الى دمشق غير معرج على طريق . وأقنا بموضعنا على الحوى والحيل واقفة بلجمها والطوى . والغمض غير طارق . والفرق غير مفارق . والقلوب مرتاعة مراتبه . والادعية الى الله مرفوعة مستجابه . وتحديث الناس فيما بينهم بأن الاسلام عاد حده . وعدا حينه . وان الكفر حاد فله وفل حده . وان الميسرة ثبتت فتاب اليبر . والاسدية انتصروا فأسد النصر . وكان هذا العدى يقوى . والعدا يروى . والبشرى تسرى . والبرد بها تجرى . والناس بين مصدق

وكذب * وذهب في مذهب من الظن مذهب مهذب * حتى عبر سحرا علينا خادم اسمه صافي * وقد ورد مورد الظفر الصافي * فادى أين العباد * فقد جاءه من النصر المراد * فأمرنا إليه * واجتمعنا عليه * فقلنا ما الخير * وكيف ضفا الظفر * وصف الكدر * وقدر السلطان وتسلط القدر * وإلى أين أنت سار بالنيا السار * وفي أية دار تنزل بمنزل النصر الدار * فقال أنا بشير دمشق بالنبا العظيم * والخبر الكريم * فقلنا اهلا بشار البشار وطائر الاوطار * والساثر بالمسار والاخ البار بالاخبار * والصديق الصادق * والموفق الموافق * وسراجاً بالخصى الخاص لما مر جبا فحل بالخبر الفحل خلا * وكم أم للنجاح املا وجلا وجلا * فأبنا محبورين مجبورين * وثبنا منابن ماجورين * وندمنا على ماند منا في الهزيمة * وعن علينا ترك الاخذ بالهزيمة * ولقينا السلطان وقد فثك وقتل * وجد وجدل * وانتقم من القوم ومن مقامه ما انتقل * وقد شل الجوع وجمع الاشلاء * وأدام الاجراء حتى اجري الدماء *

﴿ ذكر حصّة النصر بعد صحّة الكسره ﴾

﴿ وكيف اдал الله الاسلام واذال الكفر بتلك الكره ﴾

لما تمت الكسره . وسمت الفتره . وكرت الكره . وأسمرت تلك المره . وصل جماعة من الفرنج الى خيمة السلطان وشيم من عارض اعتراضهم شؤم شيمة الشيطان . وجالوا جوله . وخالوا دوله . وصلوا صوله . ثم رأوا عنهم انقطاع اشباعهم . وعدموا اتباع أشباعهم . فشرعوا في اندافهم . وهابوا الوقوف على اجتماعهم . فانحدروا عن التل . وقد جاءوا بقوة الزقايا بضعف التل . واستقلهم أصحابنا فركبوا أكتافهم . وحكموا في رقابهم اسيا فهم . وردوهم وأردوهم . وعدوا على شرطهم في الشرك فأعدوهم . وكان في ميسرنا عسكر سنجار والاسدية فما زالوا ومازلوا . بل وصلوا وصلوا . وحملت عليهم ميمنة الفرنج فكانما مرت بالخيال الرياح . وخالطوها فودعت اجسامها الارواح . وعاد من كان من الميمنة الاسلامية بالبعد . حاد المضاء ماضى الحد . مثل تقى الدين . وقباز النجمي والحسام ابن لاجين . ومن ثبت من أبطال المجاهدين . ففكروا على ميسرة الفرنج فشلوها . وأهلوها من دماها واعلواها . ولفوها وفلوها . ولقوها واقلوها . ووضعوا فيها السيوف . وأوضعوا اليها الخنوف . وأوسعوها قتلا ذريعا .

وما ابطأ الوقت حتي صار مقدمها صريماً سريعاً • فلم يفلت من الاعداء الا أعداد • ولم ينج من الآفها الا آحاد • وأمسّت لئار الحرب فراشاً • ولارض المعركة فراشاً • وتبعها اصحابنا حتي كات سيفهم وكلا • وملت لئوتهم وليوتهم وملوا • وفرس زهاء خمسة آلاف فارس من كل عمار محارس • ومستوحش بالموت آس • وعين اودى في الافدام مقدم الداويه • ولم تحمه من الحام ناره الحامية لئار الحيه • وحكى عنه انه قال عرضنا في مائة الف وعشرة آلاف • أحلاف الحاف والآف ائتلاف بلا تلاف فلما عجزوا • وبالحدق احتجزوا • وقف عنهم أجنادنا • وبلغ المسبى فيهم جهادنا واجتهادنا • ومن العجب ان الذين ابتوا منا لم يبلغوا ألفاً فردوا مائة ألف • وأتاهم الله قوة بعد ضعف • وكان الواحد منا يقول قتل من المثلثين ثلاثين وأربعين • وتركهم بالراء عراة مصرعين • ولا شك أن الله أنزل الله ملائكته المسومين • وكل يتحدث بعد ذلك بما شهد • ويعهد البناء عاهده • وحكى بعضهم قال كنت على قرس قطوف • ما له منة سير ولا وقوف • وأنا منهزم من فارس مدحج • في بحر الحرب ملجج • وهو على جبل يجرى به جري الريح • ويسادى بشعار السيع • وقد لز بقربي حصانه • وهز لصلبي سنانه • فسا شككت انه يشكني بلهذه • ويفكني بمخذه • وأيست من البقاء • وأنسّت للشهادة واللقاء • واستعذت بالله واستعنت • وتشاهدت مما شاهدت • ثم أبطأت على صدمته • وأخطأتني خدمته • فالتفت فاذا هو وحصانه ملقي كلاهما • وما وجدت بالقرب أحداً أقول انه ارادها • فعرفت انه نصر الهى • وصنع ربانى في مذاق الايمان شهى • وفي آفاق الاحسان بهى • فاقننت ان التصرة ما ملكت • الاملائكة نصرت • وان الظهور ما سر الا لاسرار الله ظهرت •

﴿ ذ كر مكاتبة انشأتها الى بعض الاطراف ﴾

﴿ بشرح ما يسره الله في هذه الوقعة من اللطاف ﴾

قد سبقت المكاتبة بشرح الاحوال وذكرها • وشكر الطاف الله الخفية وابداء سرها • واشتر مطاوي الهم باذاعة طيها واشاعة نشرها • وذكر فيها ما لفرنج عليه من اجتاع راجلها وفارسها • والاحياء تخادقها ومتارسها • وان لنا كل يوم فيهم نكايه بالفه • وسطوة دامقه • وثمالب عوامل في دماهم والفه • ومضارب مناضل لرؤوسهم فاذغه • ونيوب عواسل

لصفهم ماضيه • وذبول نعم عليهم في تقليص ظلال ضلالهم سابقه • وأيدى أيد لصفحات
البيض بنعيمهم القاني صابنه • وضار وضوا مرعن كل شغل سوي شغل الجهاد فارغه • ومهما
وعزائم لا ترى عن وقم القوم أهل الزيف زائفه • وما برح الفرنج في برح شديد • وأمر
غير شديد • وظل للذل مديد • وضيق حصر في كل يوم جديد جديد • حتى ضاقت أنفسهم
وأفاسهم أو أخفق رجاؤهم • وظهر بأسهم • ووقع بينهم بطول المقام بأسهم • فاجموا أمرهم
على أنهم يجدون في اللقاء • ويهيجون إلى الهياج • ويلقون الألوف بالألوف • ويصدون
الصفوف بالصفوف • ويمرضون محورهم وجوههم على الاسنة والسيوف • ويجمعون
في كلام الكلوم من الصواهل والصوارم بين الاصوات والحروف • ويكشفون بشبه
التثليث أدلة التوحيد • ويكشفون الضر عنهم بالجد الجديد • والحد الجديد • وبرز ذلك
الخميس يوم الأربعاء لعشرتين من شعبان • ورفعوا الصلبان وأشرعوا الخرصان • واتبعوا
الشیطان • ورتبوا الرجال • وطلبوا الفرسان • وحملت لهم أطلاب قضم أبطالا • وتضمن
بباطلها للحق أبطالا • وتأمل لشملة التفرق اجتبا • وترجوا للصليب السليب ارتجاعا •
وعصفت رياحها الهوج • وأقبلت بحار سواجها وسواجها تموج • وكاد أن يثبت للشیطان
قدم • ويراق للإيمان دم • فلما خرقت حجاب الصف • وفرت شمل الجمع الملتف • وراع
جنان الجبان وهمه وهمه • وأدبر مولياً وعزمه زعمه • فظن من لا يقين له أن الاسلام قد
أسلم • وأن نصر الله الموجود قد عدم • وأن الكفر المتأخر قد تقدم • وأن الصبح المتبلج
قد أظلم • وهناك عرف أهل الثبات • وثبت أهل العرفان • ووقعت المران على أشاجع
الشجعان • والتفت العنان بالعنان • والتقى السنان بالسنان • وخطبت الصوارم على منابر العلى •
ورمت الالهاذم في كلا الكلي • وفتحت اليقاتل مغالق الخنف • وزحفت الفوارس إلى فوارس
الزحف • وعطفت العساكر المتصورة طلاباً لتلك الاطلاب • ووصلت ضرب الاغواق
بقطع الرقاب • وما زالت تشل الفرنج وتقلهم • وتحل بعقدن الإهن وتقلهم • وتروى ظمأ
الظبا من ورد ويردهم • وتخضب شيب البيض بدم طريدهم • حتى فرشت بعد أن سلبت
اشلاؤهم بالمراء عرياه • وجرحت خيولهم وخيالاتهم فلم تستطع اجراء ولم تطق جرياً •
حتى تملت وتلثمت بنعيمهم صفحات الصفاح • ووقفت أشباحهم وقفة الوداع لفراق
الارواح • وأعرب حديث حادتهم عن جمجمة الجاهل الفصاح • وقتل من مقدمهم ومقدمهم
زهاء خمسة آلاف • زهى الاسلام بما أتسع من عطن عطيم • وحسن منقلب بسوء منقلبهم • وحاش

بما شاع من قتلهم ، واشتغل المسكر المتصور بشغلهم ، وطاب القلب المهموم بما تم من ماتم
الكفر وهرس الدين . وقسم الهدي من الضلال التين ، وهمت الروافع الفوارع بحمل
هائمات الحاملين . وانجلي الفبار عن كل قتل مالماتره من مكيل . ولا لقائله من مكيل .
وحادت أعلام . الاسلام ظاهره . وإيمان الايمان بأطشة قاهره . وهدي الهدي على النصر
مزقوفه . وعيون المدا عن النظر بالعمي مكفوفه . ولم ينج بمن حل من حل رأسه . ولم
يقدم من أولئك الرجال الا من فقد رجاءه . ووجد يأسه * وعاد الفرج الى خيامهم
وقد فجعوا بتلك الالوف . وأصيخوا بمن صفا في تلك الصفوف ، وتراعت وجوه الفتوح لنا
من خلال تلك الحنوف . ودخل الليل عليهم . ووقفت المساكر حوالهم . وهم وان وهنوا
لما أصابهم من الكسره . وأخطأهم من النصره . وحل فيهم من الرزه . وسخر بهم الشيطان
في موقف الهز . * ونجح اكلهم بالجزء ، ونقص منهم العدد الكثير ، وركد من ربحهم ذلك
الماصف المير ، فأنهم في حشد كالدي * وجمع أغص الوهاد والربا . وقد أخذوا الى الارض
وشدوا على حب الموت الحيا . وودوا لو وجدوا مهريا * وتفرقوا أيدي سبا . وقد عادوا
وتحصنوا وتصبروا . ونجروا المقام على الحين حين نجروا . وأوسعوا الحنادق وعمقوها .
وأحكموا التارس ووقوها * ونذموا على الحركة . فأنها أفضت بهم الى الهلكه . وأنهم ماديوا
رابضين . وعلى يد الصبر قابضين . يتسذر الوصول اليهم . والدخول عليهم ، وتطول أيام
الاحاطة بهم من حوالهم . وفي تلك الحركة التي حلا بها للشجعان طعم الطعن * وغلب فيها
لأجبناء وهم الوهن . ونجوا في عن الثبات من محي الدنيا جنب الحين . ارتاع عسكر الشرق من
ذلك الغرب . واختار المتسللون المتفللون منهم البعد على القرب . وماتت الاعسكر سنجار
فكله محرب بحرب للامور . سديد ساد للثغور . ومجاهد الدين يرتقش قد صدق لنته
بالمجاهدة للدين . وجلا ظلمة الوهم بنور اليقين . وقرت عين طمان بالجنة باقدام الولد .
وماذا يقال في شبل ذلك الاسد . وانما القرناء هابوا . وكانوا قد ضجروا من الحضور
فغابوا . والفرج الآن في ذل وخسر . وفي عسر بغير يسر * وفي حصر بغير حصر .
والمرجوا من الله سبحانه أن يقدر على قطع دابرهم . واهلاك سائرهم عن آخرهم *
وتحريك هم المؤمنين في تسكين سائرهم . وتخریب عمرهم وعامرهم . وإزال دوائر السوء
بمنازل دوائرهم . وما دام البحر يمدهم . والبر لا يصددهم . فبلاء البلاد بهم دائم ، ومرض القلوب
بادوائهم وأسوائهم ملازم . ونذيرنا الآن في التدمير على هذه الجموع . وسوقهم الى مصارعهم

في ورطة الوقوع * فأين حمية المسلمين * ونخوة أهل الدين • وغيرة أهل اليقين • وما يتقضي عيينا من تضافر المشرك على شركه • وتظاهرة في اتساع مسلكه واتساق سلكه * وتعود المسلمين عن المسلمين وتقاعدهم • وتعاضلهم في تعاضدهم • وانحلال عقود تعاقدهم * فلا ملبي فيهم لناد * ولا مثقف لناد * ولا موري منهم في اجابة داع لزناده • فانظروا إلى الفرج أى مورد وردوا * وأي حشد حشدوا * وأية ضالة نشدوا * وأية نجدة أنجدوا * وأية أموال غرموها وأنفقوها • وجدات جموها وتوزعوها فيما بينهم وفرقوها * ولم يبق ملك في بلادهم وجزائرهم * ولا عظيم ولا كبير من عظمائهم وأكابرهم * إلا جرى جاره في مضمار الانجساد * وبارى نظيره في الجد والاجتهاد * واستقلوا في صون ملتهم بذل المهج والارواح * وأمدوا أجناسهم الانجاس بأنواع السلاح مع أكفاء الكفاح * وما فعلوا ما فعلوا * ولا بدلوا ما بدلوا * إلا لجرد الحمية لمتبدهم • والتخوة لمعتدهم • وليس أحد من الفرنجية يستشعر ان الساحل إذا ملك • ورفع فيه حجاب عزهم وهتك • يخرج بلد من يده • أو تمتد يد إلى بلده • والمسلمون بخلاف ذلك قد وهنوا وفشلوا • وغفلوا وكسلوا • ولزموا الحيرة • وعدموا الغيرة • ولو أنثى والعياذ بالله للإسلام عنان • أو خبا سنى ونبا سنان • لما وجد في شرق البلاد وغربها • وبعد الآفاق وقربها • من لدين الله يغار • ومن لنصرة الحق على الباطل يختار • وهذا أوان رفض التواني • واستدناء أولى الحمية من الاقاصي والاداني • على أنا بحمد الله لنصره راجون • وله باخلاص السر وسر الاخلاص مناجون • والمشركون باذن الله هالكون • والمؤمنون آمنون ناجون •

﴿ ذكر ما عرض للمسكر بعد ذلك من العذر ﴾

﴿ فصد عن قصد المباكرة المناجزة أهل الكفر ﴾

وعاد السلطان إلى مضاربه وقد عادت مضاربه إلى عادة المضاء • وزادت مشاربه من مادة الصفاء • وأمر بمواراة الشهداء • ومن جملتهم الفقيه أبو علي ابن رواحه • وكان غزير الفضل قد أكل الرجاحة والسجاجة • وهو شاعر مفلح • وفقه محقق • من ولد عبد الله ابن رواحة الصحابي الانصاري في الشهادة والشعر معرق • فطرفه الاعلى يوم موته مع جعفر الطيار • وطرفه الاقرب يوم عكا في لقاء الكفار • ومنهم اسمعيل

الصوفي الارموى المكبس . وكان سديداً عفيفاً عارياً من العار لا يتدسس بانثبه ولا يتابس . ومنهم شيخ من الحاشية في بيت الطشت . وغلام في الخزانة أمين على البيت . وآخرون صودفوا عند التل لخجاتهم السعاده . وخجاتهم الشهاده . وهؤلاء سوى من وقع في الوقه . وذهب قبل الرجعه . وأجمع السلطان وذوو الآراء انه يصبح القوم . ويباكر في طلب أرواحهم السوم . وقال هؤلاء قد أضعفتنا قوتهم . وأعجزنا قدرتهم . وقتلنا سورتهم . واخلدنا فورتهم . وقتلنا مقاتلتهم . وأدوينا داويتهم . فان تركناهم بلعوا الريق . وبلغوا في الاحتراز والاحتراس الطريق . فحصى نوافهم غداً . ونوفهم ردي . وتكلمهم بصاع المصاع . ونذرهم بياغ السباع . ونقيسهم بذراع اليراع . ونوسعهم قرى القراع . ونذيقهم حر الحرب . ونسيفهم في طمع الطعن ضرب الضرب . ونعين من عيونهم للسهم سهاماً . ونخذل لأرواح الثصال من اجسامهم أجساماً . ونفرقهم بما فرند الهندوانيات . ونحرقهم بنار زند اليمانيات . ونوجد من عدمهم الثصر . ولطيب من تنهم النشر . ونقطع دابرهم . ونلحق بأولهم آخرهم . فلما اتفقت الآراء على إمضاء هذا العزم . وإجراء هذا الحكم . فقدوا العسكر فاذا هو قد غاب . لما تاب من الامر ورأب . وذلك لأن غلمان العسكرية ومحبائها . وأوباش الجمع وأوشابها . ظنوا تلك القورة هزيمه . فهبوا الاثقال والاحمال وعدوها غنيمه * . وانهمز من انهزم من الجند . وثبت من ثبت من أهل الجند . فن عاد إلى رحله وجده منهوياً مسلوياً . وكان ظنه أنه فرغ من لقاء خطب فلقى خطوباً . ففضوا وراء الغلمان . وبلوا بسوء دين السودان . وأصبحنا وإذا العسكر غائب . والمعازم عازب . والقاصم قاص . والطائع عاص . والجمع متفرق . والثابت قلق . والآمن فرق . والغني معدم * . والجري متمد . فهذا خلف ما ذهب من ماله ذاهب . وهذا من طلب الطريق بأقاله طالب . فتفتر ذلك العزم . وتأخر ذلك الحكم . وانتعش الفرنج في تلك المسه . وانتشلوا من تلك الشده . واستطالوا بعد الاقصار . وفرغوا لشغل الحصار . وجاءتهم في البحر مراكب أخلفت من عدم . وبنت ما هدم . فأكمل بالمدد . مانقص من العدد * . ولولا أن الله تعالى قدر بقاءهم . لكننا عاودنا صباح تلك الليلة لقاءهم . فان الفرصة أمكنت . والحصه تعينت . والجو خال . والضو عال . والحال جميلة والجمال حال * . فقضى الله بما قضى . وعمرانا المضض بما مضى . وبقيت هناك تلك الجيف منتهه منتهه

مبته • وتلك الحبث محبة مجتة • تعرفنا ان نشورها من حواصل النسر • وإن
قبورها بطون الضباع والنور • فشكونا تن رائحتها • وشكرنا بمن جلتها • فجعل
السلطان حملها على العجل إلى الهر • ليشرّب من صيدها أهل الكفر • فحمل إلى
الماء أكثر من خمسة آلاف جثة • بعث إلى التار قبل يوم البعثة • فاعبر بها إلى المن اعتبر •
واستشفى من أقبل بمن أدبر • وسلم الله من أسلم وكف ورد بالردى من كفر *

﴿ ذكر ما اعتمده السلطان في استرجاع ما نهب من الثقل ﴾

﴿ واستدراك ما حذب من الخلل ﴾

تقدم الامر إلى المقدمين والامراء • بعد اثناء وإعلام الجلاء • بإحصاء كل ما
نهب • وإحضار كل ما سلب • وإنه من لم يرد ما أخذه أخذ بالردى • واعتدى عليه
بمثل ما اعتدى • فاحضر كل ما غنمه • وبذل في الكشف جهده • وجعوا ما تفرق
منه في الخيام في خيمة السلطان • وضائق عن كثرة سعة ذلك المكان • وجلس السلطان
يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان • فكل من عرف من ماله شيئاً أخذه بعد إحلافه *
وحلا في مذاق الشكر قطاف الطافه • وسي في معانة ذوي الاخلاق الصعبة على سهولة
أخلاقه • وشق الملل والقلل بالهمل والعلل من أشفاقه • وقش ذاك القماش • وحصل
من ذلك الولد الرشاش • وصح بعد المري والثار الارتياش والانتعاش • وكتب إلى
الولة بالامصار والتواحي • والقطار والضواحي • بحث البحث وجد الكشف • واستخلاص
كل ما يوجد ويؤخذ بالرفق والعنف • وتراجع الناس • وتابع اليناس • وعادت
مضارب الزائم إلى مضائهم • وقضاة القواضب إلى اقتضاها واقضاها • وغار الآنف
وأنف الفيران • وتسلبت الزم وعزم السلطان • وتار الخلق وحقق التائر • وطار العلق
وعلق الطائر • وطلبت الطلي تكاح بنات الخلل الذكور • واشرب للشرب نبات الاسل
إلى ماء الثحور • وحي ذوو الحمية للتقاضي • وقالوا حتى متى التراضي بالتراضي *

﴿ ذكر مجلس عقد رأي عليه اعتمد وصواب افتقد وقد فقد ﴾

وحضر أكابر الامراء عند السلطان • يوم الخميس التاسع والعشرين من شعبان •
فقال اعلّموا أن هذا عدو الله وعدونا قد أجلب بخيله ورجله • وأتاه بكل كل *
وقد برز بالكفر كله إلى الاسلام كله • وجع خشده وحشد جمعه • واستفدوسه •

وإن لم تسجل الآن فريقه • والبحر قد منع طريقه • أعضل دأؤه • وتعذر غداً
لقاؤه • فانه إذا سكن البحر • واستسهل ركوبه السفر • تضاعفت أعداد الاعداء •
فظهر الاعداد من الاعداء • وخرج الداء عن قبول الدواء ونحن ما ورائنا نجدة
نتنظرها • ولا قوة نستحضرها • وما يلي بهذا المعشر إلا معشرنا • وما بازا عسكر
الكفر إلا عسكرنا • وما في المسلمين من نجيدنا • وما في بلاد الاسلام من يسعدنا •
وعساكرنا حاضره • وعزائمتنا للتواني حاضره • وعيون أسنتنا إلى الفتك بالعدا
ناظره • وما يميزنا الا حضور أخينا الملك العادل سيف الدين • ولا بقاء للنقاد إذا
أحصر منه لبث الرين • فالرأي كل الرأي في الماحزه • قبل وقوفهم على حجاج
المحاجزه • ثم قال لبشر كل منكم برأيه • ولا يقدم على قول ورأيه • ورأيه • فتجاذبوا
حبل الاضطراب • واختلفوا في الآراء بحسب اختلاف الآراء • وركب كل منهم هواه •
وأعلن بما نواه • ومنهم من قال هذا ثالث عشر تشرين الثاني لا الاول • وقد دفننا الى
الخطب الاعضل والتمب الاطول • والثائب الاعصى والثاب الاعصل • وما نزلنا عن
الحيل منذ خمسين يوماً • وما طعمنا في هذه الليالي نوما • ولا سمننا لطارق طيف غمضا •
ولا سمننا الا لبارق سيف • ولكم قد قتنا المتاي وقد دخلنا لهُواتها • وكان أبا الطيب
غنا بقوله • وكأنا خلقوا على سهواتها • وقد كلت الضوامر • وفلت البوار • وملت
المساكر • وهذا الشتاء قد أقبل • والمدود قد استقتل • والشر قد استفحل • وما يتأتى
قلعه الا لمن يتأتى • وبالصبر يدرك الاريب مايتقى • وهم بالمصاهرة • صابون • ونحن على
المنابرة متايون • وهؤلاء لا يتحكن منهم الا بالجمع الجم • والسيل لا يغلبه غير الخضم •
والصواب أن نصبرهم • هذه الشتوه • ولست نجد لنا ولحينا القوه • وتناخر عن هذه
المزله • لتحصيل هذه المصلحة المؤله • ونوكل بهم مناوبة من ينعمهم من الخروج • وإذا
انقضى البرد زحج الى معالجة هؤلاء العلوج • ولמיד السريحيات الى سلها والسلاهب الى
السروج • والصواب الاخذ بالاحتياط • وتقديم الكتب والرسل الى الاطراف والواسط •
ومكاتبه دار السلام • واعلام الامام عليه افضل السلام بما دفع اليه الاسلام بالشام • فان
المسلمين لاشك يجيدون • ويقومون بالنصرة • ولا يقعدون • ولا يترك استنفار التركان •
ونرغيبهم بالبر والاحسان • واستدعائهم بالعطايا • والتشريقات السنايا • وينفذ الى بلاد
الشام القاصية والدانية • في تحريك الهمم والعزائم الروانيه • الي ان تمتلئ بالجموع ساح

الساحل * وتقلى بنار الحيات بها مراحل الرجل * حينئذ يفتنى أمداً لمصابره * ولصمم على المكابرة مع المكثرة * وبناديهم ونفائهم قبل انفتاح البحر * ونفادهم ونراوهم على اقتراح القهر * ونسفهم ولو أنهم حبال * ونزفهم ولو أنهم بحار * ونعدهم حتى لا يطرُق جفن بلد منهم خيال * ولا يلم بجفن طارق لهم غرار * وما زلنا في مشاورة ومحاوره * ومجاذبة ومجاوبة ومناظرة ومساورة * حتى نخل الرأي وتمحض * وخالوا أنه تبين الصواب وتمحض * وما لو إلى الدعة * والخروج من الضيق إلى السعة * ومن زال الحرب * إلى المنزل الحرب * ومن المعتزك المعتكر * إلى المبرك المبكر * فلم تعجبنى هذه الحالة * ولم توافقني هذه المقالة * وقلت لعمري أتيتم بمصلحه * ولكنها غير مترجحه * فان الفرنج إلى الآن لم يتمكنوا من الحصار * ولم يحدقوا بجميع الاسوار * فاذا رحلنا وتحنينا عنهم أرخينا خنادقهم * وأطلنا إلى مرادهم اعتاقهم * وباب عكا من جانب البحر مفتوح * والمقيم بها منا بكاس تفقدنا إياه مقبوق مصبوح * والطريق إليها سابلة * والذخائر الباقية كل يوم داخله * والفرنج عن قطع الطريق عاجزه * وعزائنا على مصابحتها ومماساتها لها دون قصد لها محاجزه * فان تأخرنا فقدوا * وان أهونا أحكموا * وان نقصنا أبروا * وان قعدنا قاموا * وان بعدنا قاموا * وهتي رمناهم تحفظوا * وهتي نمناعهم تيقظوا * وما دمنا نشغلهم فانهم لحصر البسلد لا يفرغون * وإلى امد الامل لا يبلغون * فقالوا هذا امر هين * وما ذكرناه صواب متعين * ووجه الصلاح فيه بين * وما مقصودنا الا أن ينتشر واوليخرجوا من مضاربهم ويصحروا * فاذا أنسوا بالرجاء لم يأسوا من الارجاء * أرخينا لهم جبل الانظار ، حتى استمروا على الانتشار ، وحينئذ لصحبهم على غرة * ونعاجلهم كرة بعد كرة ، وننقض عليهم انقضاض البراة على البغات * ونصدهم بالباعث الباغث لهم عن الانبعاث * وكان السلطان متكرها لما أبدوه من الرأي الملتاث * لولا ما عرض لمزاجه من الاتيات *

ذكر الرحيل إلى الحروب * عند خيم الائتال المضروبه

كان السلطان مع مآلهم من الالم * غير مبدوجه الملل والسأم * وهوفي كل يوم يركب وعلى المسكر يطوف ، ويقف مستطيلا على العدو ويطول منه الوقوف ، ويومد وقت الظهر ، وعليه أثر الضر من الصبر * فليم على فعله * وخصه الطيب بمذله * فانتقل إلى الثقل ليلة

الثلاثاء رابع شهر رمضان ، وخطى المنزل الاول وأخطى المسكر ذلك المكان ، وتقدم الى من
بمكة باغلاق الباب . وسلوك نهج الاحتراس والاجتناب ، وجرى الامر على ما كنت قلته .
وتحقق من الحلال ماخلته . فان المركيس رحل وشغل الجانب الذى كان خائباً ، ورخص
عنده ما كان من سوم خوفه غالباً . وشرع الفرنج في حفر خندق على معسكرهم حوالى
عكا ، من البحر الى البحر . وأخرجوا ما كان في مراآبهم من آلات الحصر ، وفي كل
يوم تأتينا البزكية بنجرهم . وبما ظهر من أثرهم ، والجد في تعميق الخندق وتعيم محفرهم .
والعسكر هاجم . كانه واجم والظن فيه راجم . وشر الكفر ناجم . وما فينا لعود الامر حاجم
وقلت يوماً للسلطان يركب العسكر اليهم . ويركض عليهم . فعمله ينال ظفراً . ويقضى من
كسر المدو وطراً . فقال مايعمل العسكر شيئاً الا اذا كنت معه راكباً . ولعمله شاهداً
مراقباً . ولقد صدق في مقاله ، فانه كان أعرف برجاله . فانهم كانوا يبذلون معه المهج .
ويخوضون من بحر الحرب اللجج . ويوسعون لهم المدو المازق اللجج ، وكان من قضاء
الله أنا أغفلناهم . وأمهاتناهم بل أهملناهم ، حتى عمقوا الحفور . ووثقوا من ترابها السور ،
وملاؤوه بالستائر . ومنعوه من الطير الطائر . وبنوه وأسسوه . وستره وترسوه . ورتبوا
عليه رجالاً . ولم يتركوا لواغل مجالا . وتركوا فيه أبواباً وفروجاً . ليظهروا . منها اذا
أرادوا خروجاً . ولما فرغوا من هذا الامر اشتغلوا بالحصر ، ونحن نقول لامبالاة بهم ولا
اكتراث . وما أسهل اذا عزمنّا عليهم لاصولهم الاجتثاث . وبسبول سيوفنا نفصل تلك
الاخبثات . وأى وقت قصدناهم وجنناهم وجأناهم ، ونكأنا قرحهم ونكناهم . وما فوارسهم
لنا الا فرائس . وما خنادقهم لهم الا رموس دوارس . وما حفروا الا قبورهم . وما دبوا
الا ثبورهم . وبقي قصدناهم كذبت ظنونهم . وصدقهم منونهم . وامتلاّت بأشلائهم خنادقهم .
وأظلمت عليهم بفرينا مشارقهم . ويثبتم بواشهم وتبت علاشهم .

ذكر رأى رائب عن النظر فى الغاي غائب أسفر عن داء دائب

وأبان عن غرارة بغرائب

وقع لبعض الاكابر فني عليه خصره . ووكل باتمامه سمعه وبصره . بلامت على الفرنج
تلك المقتلة وعمت فيهم المهلكة . وضمت أشلائهم للمركة . وشوهت على الربا حجب
نحوهم المهلكة ، وخمدوا وخلوا . وأهلكهم الله بما عملوا . وقع لبعض الاكابر انه لم يبق

للقوم انتماش من تلك المآثر • وانهم قد عدموا القرار • وعزموا القرار • ولو قدرا على
 التجاة خلصوا • ولو فتحنا طريقهم ماتصبروا ولا تربصوا • وقال السلطان ارحلوا عنهم
 حتى تروا ما يكون منهم • فانهم يهربون ويهربون • ويبعدون الى صور ومن بعدها من
 عكاه لا يقربون • قال قوم الي مقالته • ويخيلوا مثل خياله • وأشار بقطع طريق البلد • والصدور
 عن ورد الرصد • والجهد في تعمية الجدد • وان يفتح لهم ماسد من الطريق • ولا يوقهم
 فانهم كلاب تموى من التمويق • ولما بلونا رايه • وتلونا آيه • أخلف ظنه • وبدأ وهنه •
 وما زاد الفرنج الانباتا ولم لعرف لشلهم على ماتوهمه شتانا • وكنا نحدث بذلك الراى
 الفائل • ونقول ما يجب قبولنا لقول هذا القائل

ذكر ماجري بعد ذلك من الحوادث • وتجدد للمازى من البواعث

أقام السلطان بالحجيم لاصلاح مزاجه • وايضاح منهاجه • ومداراة أمله • ومداواة
 سقمه • فوهب الله له العافيه • وكل له عصمته الكافيه • ومنته الشافيه • وامنته الواقيه •
 وأبدى له ألطافه الحافيه • وقوي قلبه على المقام • بنية الاستقام • وصرف الاجناد الغرباء
 ليرجعوا في الربيع • ويستريحوا في مراتبهم لوقت الرجوع • وأقام في ممالكه وخواصه •
 ورجال حلقت المنصورة من ذوي استخلاصه • ورتب بالنوبة على الفرنجيز كاضمنه دركاه
 وأدار بهلاك القوم • فلكنا • وكان في ممالكه كل مقدم مقدم • وكل همام همام • وكل ليث
 ذئب لونه • وكل حدث محسن له • حسن أهدونه • وكل ضيف ضاغ • وكل أسد عرين ليس
 الاصرنين قرنه براغم • وكل ريبال ذي نال • وكل بطل من ولاية الهيجاء غير بطل • وكل
 مفير لانسر مريخ • وكل مسي • الى العدو لكأس الحمام مسيخ • وكل تركي للرماه غير تارك •
 وللاصماء غير قارق • قوسه في ظفر الهدى مؤثر على الور • وسهمه من مقل العدا طائر الى
 الوكر • وسيفه في رداء الردي حال بدم الكفر وكل حميدى في الزوع حميد • وبالحرث عميد
 وكل هكارى على القرن عكار • وفي الوغى كزار • وللقنا جزار • وكل زرزارى بالاسد
 زار • وللبساله كاس ومن المار طار • وكل مهراني في القتال ماهر • وللرجال قاهر • وعلى
 الابطال ظاهر • وكل كمي كيش واكديش على أكديش • فما خلا يوم من وقعه • وما صار من
 بارزهم الا الي صرعه • وما عاد من نجا من زناير سهامهم الا بلسعه • وما حصلت شفاء سفارهم
 من طلاء من طاوهم الا على لطمه • وما تبقى على لتوتهم ليت • ولصوتهم في الزل كل صباح

ومساء صيت ، وبلى الفرنج منهم بالمير المديد ، واعتاق بهم مراد العدو المريد ، وما زال هذا
 دأبهم في الركوب ، ومباكرتهم ومراوحتهم الى مواقف الكروب . فكم أقرؤنا أعيناً بأيديهم *
 وبتوا عدل النصر بتعديهم ، وصدوا شر الشرك بتعديهم . وحركوا ماسكن وهدامن
 عنائهم الهداة بتهديهم . وفي يوم الاثنين ثالث شهر رمضان احذأصحابنا بمكاء مركباً للفرنج
 الى صور مقلماً . واجتلبنا به من سفي النصر مطلقاً ، وكان المركب محتوياً على ثلثين رجلاً
 وامرأة واحدة ورزمة من الحرير وجاءت حظوة حلوه * وغنيمة صفوه * ونشوة أعقب
 محوه * وصحيفة استصحبته ضحوه * وقوة من وهن العدو * وحبّة فككت رهن السلوه *
 فقد كان انكسر لشاطهم وانقبض انبساطهم * وانخفض اغتباطهم ، وفترت عنهم * وقصرت
 همهم ، وخذت فورتهم * وركدت نورتهم * فلما عثروا بالركب انتشوا وانتشوا * وسفموا
 وتنشوا ، ودب الروح * وشب الروح * وتحرك الساكن . وتذكر الضامن * وصاروا
 يخرجون ويخرجون * ويقتلون ويبحرون * ويمسون على القتال ويصبحون ، ويكافون
 وبدافون . ويقارعون ويواقون . والسكر في المنزلة هاجم * وجم جمه واجم * والبزكية
 زكية . والعيون زكية . والنوب رائبه * والعدة المينة المينة في كل يوم راكبه

﴿ ذكر وصول ملك الألمان ﴾

ونمي الخبر بوصول ملك الألمان الى قسطنطينية في عدد دهم ذر * ونظم من خله
 ورجله ونثر * وهو على قصد العبور الى بلاد الاسلام * وقطع بلد الروم والارمن الى الشام *
 وانه في ثلثة الف مقاتل * من كل سالب باسل * وطالب باطل * وجهم جهنمي * وأشقري
 سقري * وأنشأ أفواجي * وصل صليبي صلائي * وأرقش حشئي . ومستعر سميري * ومحرب
 لظوي * ومغوار ناري . وضار بالفرن ضار * وجار للدرع جار * وكل ذئب عاسل * ذاب
 بعاسل * وأزرق لأبيض مشتمل * وأصهب لاسمر معتقل * وكل جحيمي جاحم * وجرى
 قاحم * وحربي بحري * وبار برى * وقاطع في طريق الوصول * وراحل بقصد الحلول *
 وناز الى التزال * وصال بنار الصيال * ومشعر على الموت متمرن * ومتحين الى المتون
 متحن * وفيهم ستون الف فارس مدرع مقنع * ماله سوى السوء من مقنع * وانه مع الألمان
 ملوك وكنود * وكل شيطان لربه كنود * وكتب صاحب قلعة الروم مقدم الارمن * وهو
 في قلعه على الفرات ومن أهل الذمة في المأمن * يبدى تنصحا واشفاقا * ونحو فاعلى

البلاد واحتراقاً ويقطع بان الواسين في كثرة. وان الناضين الى طريقهم في عشرة. وأبرق في كتابه وأرعد وأبدع بخطابه وأبعد. ولا شك انه الى جنسه النجس مائل. وبلاءه أهل ملته قائل. ولما وصل هذا التبا وقيل انه عظيم. ووزد هذا الخبر وخيل انه اليم. كاد الناس يضطربون. على انهم يصدقون ويكذبون. ومن طرف كل جبل من الرأي يجذبون. وقتلنا ان وضع هذا الخطر. وصح هذا الخبر. فالمسلمون يقومون لنا ولا يقدون. ويفضون لله ولا يرضون انهم لا يعضدون. على ان الله ناصرنا. وموازنا ومظاننا. وحققنا باظهار القوة لمن استوحش التائيس. وبثنا بالارسال الى بلاد الروم عيوناً وجواسيس. ونبنا رسل الاستصار. وبثنا كتب الاستنصار الى جميع الامصار والافطار. وقتلنا ما هذه المرة الامر. ولا يسيها الا كل مريء أبي. وما هذه الكرة مثل كل كره. ولا يحضرها الا كل كيش كمي.

﴿ ذكر رسالة دار الخلافة ﴾

وعول السلطان على القاضي بهاء الدين بن شداد يوسف بن رافع بن قيم. ليكون كتابه الى الديوان العزيز مع رسول كريم. وقال له ما احتاج أوصى. وانت تستوفي القول وتستقصي. وجعل له الى كل ذي طرف في طريقه رساله. ووأدعه اليه مقاله. فصار من عندنا في شهر رمضان مغذاً. يبيد خيل العزم بذاً. ويجرد جبل السير جذاً. ووصل الى حلب والقاضي ضياء الدين القمم بن يحيى بن عبد الله الشهري. ورى رسول السلطان ببغداد قد عاد. وذكر انه قد بلغ المراد. وانه استجدى واستجد. واستفاد واستزاد. وانه استكمل للامدة الاستعجاز والامدة الاستجداد. فاهذا الرسول الرابع. وربما مرضت لتلك الحوائج الجوائح. واذا اختلف الحديث حدث الاختلاف. ومضى الف غير مألوف. أنى الاتفاق. فما هذا العجل. وعم الوجيل. فصدقه الملك الظاهر قازي صاحب حلب. عن كل ما بان عنه وامر به. وكتب الى والده. يذكر مقاصده. وقال أنا لا أقدر على صد من للخدمة تصدي. ولا رد من بثوب الرسالة. وانت ترضى الى السلطان. بما أوضحته من البرهان. وهو يحكم ويحكم. ويمقد ويبرم. ويقول فتسمع. ويامر فتتبع. ولسلك تعود سريعاً. ويجرد شمل مألوفة جميعاً. فوصل ضياء الدين الشهري وروى وهو مشاغل. وسجايه السجاح غلاظ. وتغير علي. ونسب انفاذ القاضي بهاء الدين الي. فانه كان غلطي.

ومخالطى * ومجالسى * ومياسطى * فأزلت عنه كل ظن * واعتذرت اليه بكل فن * فأبسط
عذره * ولا قبض ذم * فأني على اسبابي ببغداد خائف * ودون رضا كل سائر اليها واقف *
واسترضيته فأرضى * ومضيت اليه مرارا قبل ان يمضي * ثم اجتمع بالسلطان ونذمه على
ماقدمه * وأعلمه بما علمه * وقال له الشغل قد فرغ * والمقصود قد بانغ * والسؤال قد أجيب *
والنؤل قد أصيب * والمحطوب بزمامه نحوك مخطوم * وكل ملك سواك لاجلك من رضاع
رضاهم مفلوم * فكُن للامام يكن لك * واقبل أمره ليقبلك * واجتمع بالسلطان دوني *
واتفق بجماعة شاركوه وأفرودوني * وقرروا معه سرا امرا * وحذروه ان يصير جهراً *
ولو كنت منهم لمرفتهم ان الامر الذي أبرموه غير بهم * وان الرأي الذي أحكموه
غير محكم * ومازلت أؤكد الامر حتى يؤمن انتقاضه * وأعرض دون الرأي حتى لا يمكن
اعتراضه * وأيقن ان الامر ما فيه خلاف * وان الوعد ماله لإخلاف * فافصل الرسول يتلبث
ولا امهل يتحكك * بل جعل على المجاز لا الحقيقة مجازة * وزعم فيما دبره نجاحة ونجازه *
وسلك فيما قرر نهيح العجب * وأسرع العودة على التجب * فلما أفصل عن السلطان بما
وصله من الاحسان * جمع السلطان الامراء على المشورة * ووقفهم على المنق والصورة *
وقال لهم قد وعدت الخليفة على لسان الشهرزوري بشهرزور * واستدعيت عسكره
المنصور * وربما قدم الينا الحضور * فيكدر لنا النصر والحبور * فقالوا هذا رأي رائب * وشأو
شائب * وأمره عن الصواب نا * وكيف تمدى الامام بما لا يقرن بوقاه * وكيف ينجز هذا
الوعد * وينجح هذا القصد * ودونه الجحاش من هو في طاعتك * فكنت تبذل ما يدخل
في استطاعتك * أما صاحب الموصل طلبها فنع * وصاحب اربل عنها دفع * ومملوكك بها
لمن يجاوره خائف * وكل ايواني لحدها وحققها خائف * وما من هو لاء الا من بذل عنها
أموالا واحوالا * والنزم من الجنود والتقود انجادا خفافا وحولا قتالا * فاذا صرف انك
أخرجتها لمن له الأمر * دخل عليهم الضر * وملك ملك الامراء أمرهم * وأبدوا في انقطاعهم
عنك عندهم * واقطع الواصل * وارفع الحاصل * وما جاءنا من المذكورين فارس واحد *
ولا ساعد على مانحن فيه بمدى مساعد * اما هذا بكتمر في خلاط * قد جمع الاخلاط *
وجهر بالمداه * واقام على القيابة والباوه * فقال السلطان الخليفة ملك الخليفة * وهو مالک
الحق والحقيقة * فان وصل الينا أعطينا هذه البلاد فكيف شهرزور * وسيحدث الله بمد
الأيوين الأموه * ولما وصل ضياء الدين الشهر زوري الى بغداد صادف بها القاضي بهاء *

الدين ابن شداد * فلم يسفر امر سفارته عن سداد * وقيل له جواب ما أتيت فيه مع ضياء الدين نسيه * وتنبه فيما نتخيره * وشرف بهاء الدين وأعيد * وزين ضياء الدين وزيد * وذكر ماجرى فتم الاعتداد * ونم الاحاد * وسيأتي ذكر ما آلت اليه نوبته * حين كانت أوبته *

✽ ذكر وصول الملك العادل سيف الدين أخى السلطان والاستظهار بمجموعه والاجتماع بظهوره لنصرة الايمان ✽

ووصل الملك العادل سيف الدين من مصر منتصف شوال * في جيش وآل * وجمع حال * وشوكة رائعة * وشكة رادعه * وشارة ساره * وديمه من البأس داره * وعدة متخيه * ومتخيه * وعدة مثقاة مهذب * من كل أجدل على مرقب * وأجود على جواد مقرب * وصاف عتيق على صافن عتيق * وطود على طود ونيق على نيق * وصقر على سودنيق * وبحر على سايح * وجذع على قارح * ومن كل ربال على تنقل * وأمر محجب على أمر محجل * ومن كل أبيض ضرب بالبيض ضراب * وكل أسمر باسل بالسر سلاب * وكل أروع يحمل برأط * وكل شجاع يتقل شجاعا * وكل أحمى أحس * وكل أقرى أفرس * ومن كل أسد خادر * وقصور قاصر * وضيق ضاعم * وققام واقم * وليث به لونه * وحدث له في الشهامة أجدونه * واحضر معه من سودان مصر كل ذمر كانه المبسي عابى * وكل مغامر للموت مناس * وكل غريب حليكوك * وكل سرحان صعلوك * وكل ضرغام غريفي * ومقدام ريفي * وكل خارج لثار * وكل مارج من نار * وكل أسود ساح * وكل رأس في النثر راسخ * وجأوا بالغلبة القبطيه * والترسة اللطيه * والصلال القبطيه * واللال التوبيه * والحراب الحريه * والصاد الصيديه * والصوارم المذويه * والبصائم المشويه * والاسنة السنونه * والصوابغ الموضونه * والسراحين السارحه * والعمابين الجارحه * والتماسيح المزدره * والشياطين المتوقده * والزانات واليزنيات * والهنديات والبنانيات * وكان يوم وصول العادل مشهودا * لم يترك في كل ما يراد من القوة مجودا * وأقبل في روع ظاهرا * وضوع باهرا * وبشر ذائع * ونشر ضائع * وجبور تام * وسرور عام * وهزة وطرب * وعزة وأرب * وقلنا سيف الدين المنتضي * وناصر الاسلام المرتضى * وغياث الأنام المرتضى * وسلطان جيوش المسلمين المجتبي * لقد نص النصر * وكف الكفر * وسلم الاسلام * ونام

الانام • وأمن الإيمان • وتسلط السلطان • وحليت الاحوال • وفرغ البال • وبلغت الآمال •
ونيل رجاء الرجال • وأزيل إبطاء الأبطال • وورث زناد الأجناد • ورويت ظماء الصماد •
فما بعد اليوم • الأبد القوم • وأدراك ما استقام من التبع • وهلاك من أقام من الفرع • ونزل
الملك العادل في عجمه • وقدم العين بمقدمه • وتقدم السلطان الى راجل دمشق والبلاد خضر •
وضايق الفرع به وحصر • ولم يحل المدو في كل حين من حين • وفي كل وقت من وقت •
وفي كل شأن من شين • وفي كل بقعة من وقعة • وفي كل صقع من صقعة • وفي كل ليلة من
بليه • وفي كل سحرة من كبسة بالكساية فيهم مليه • والملك العادل يركب في كل يوم وبيله •
ومن جهده في القتال لا يخلي • والفرع على البلاء صابرون • وللعناء والناد مكابرون •
لا يبرزون ولا يبارزن • ولا يجاوزون خنادقهم وهم فيها متحاجزون •

﴿ ذكر فصل إلى الديوان العزيز واشتمل على مجارى الاحوال ﴾

قد تقدمت المطالعة بمنازلة العدو المنازل بالتوازل • وبمحاولة اهل الغواية بالفوائل •
ومقاتلة طواغيت الكفر الواصلة في البحر بعدد امواجه الى الساحل • وقد نزلوا على عكا •
الحروسه • براياتهم المتكوسة وآرائهم المكموسة • وحشودهم المجموعة وجوعهم
الحشوده • وظلال الضلال الممدوده • واقدام الافدام المصدوده المسدوده • وقد مضت
ثلاثة أشهر شهر بها التلث على التوحيد سلاحه • وبسط الكفر جناحه • وحصل التترك
على قروحه وعدم اقتراحه • وقتل من الفرع وعدم في الوقعات التي روعت • والروعات
التي وقعت • أكثر من عشرين الف مقاتل • من فارس وراجل ورايح ونايل • فأنثر
ذلك في قصصهم • ولا أرت الأنا حرسهم • وما قلل حد حديثهم الحادث • ولا قلل عدد
كثيرهم الكارث • ولا غصوا عيون أطماعهم • ولا فضوا حثوم اجتماعهم • ولا ردوا
وجوههم عن مواجهة الردى • ولا قطعوا أملهم عن الوصول الى المدى • ولو قطعوا
بلدى • وهم لمواضعهم ملازمون • وفي مصارعهم جاثمون • وعلى الموت صابرون • وإلى
الحمام صابرون • وبالخنادق من البوائق محتمون • وبالطوارق من العلوارق متمصمون •
وعندهم أنهم للبلد محاصرون • وهم على الحقيقة وان كانوا لكثرتهم غير محصورين •
محصورون • وإن جندنا لهم النصورون • وللمساكر الاسلامية فيهم كل يوم نكايه شديده •
وفتكة ميده • ووقعة ناكه • وجرة ذاكه • وصدمة صادعه • وحدمة رادعه • ولما

امتنع الدخول عليهم . وتعدر الوصول اليهم . جمع راجل البلاد . وحشد الى حشودهم
ذوو الاستعداد . حتى تقاتل الراجل بالراجل والفارس بالفارس . وتفرع بقمع جمعهم
بكر الفتح العانس . وقد وصل الاخ العادل وفقه الله للمراضى الشرفه . بالجموع الكثيرة
الكثيفة ، ولعل الله أن يحمل حثف هؤلاء الفرنج فتحاً لآبواب الفتح ، ويسجل للباقي آمال
المسلمين بطلوع صبح النجح ، وليس هذا العدو بواحد فينتج فيه التدبير ، ويأتي عليه التدمير *
وانما هو كل من وراء البحر ، وجميع من في ديار الكفر ، فانه لم يبق لهم مدينة ولا بلدة
ولا جزيره ، ولا خطه صغيرة ولا كبيرة ، الا جهزت مراكبها ، وانصبت كنانها ، وتحرك
ساكنها ، وبرز كامنها ، ونفضت خزائنها ، وانفضت معادنها وحملت ذخاؤها ، وبذلت أخايرها .
ونار ثاثرها ، وسار سائرها ، وطار طائرها . وتلت كنان كنانيسها ، واستخرجت دفائن
نقائسها . وخرج بصلبانها أساقفها ، وبطاركها ، وغصت بالافواج فجاجها ومسالكها ، وتصلبت
لالصليب السليب . وتفضت للمصاب المصيب ، ونادو في نواديهم بان البلاء دمهم بلادهم .
وان اخوانهم بالقدس أبارهم الاسلام وأبادهم ، وانه من خرج من بيته مهاجراً ، وبحرب
الاسلام مجاهراً . ولتمبده مسترداً ، ولجده في الذخوة لدينه مستجداً ، فقد وهبت له ذنوبه
وذهبت عنه عيوبه ، ومن عجز عن السفر ، سفر بعمده وثروته من قدر ، وبذل الدرهم
يدراً ، فجاؤا لابسين للحديد بعد ان كانوا لابسين للحداد ، وتواصلت منهم الامداد بالامداد !
وتوالت انجناد الانجناد ! فهم على النقص يزيدون ! وعلى الابد يبيدون ، وبالمهج يحدون !
وعن اللجاج في خوض اللجج لا يمددون . وهؤلاء الواصلون في البحر القاطعون أنباجه !
المكثرون امواجه ، فاما ملوكهم الواصلون في البر فقد توارت أخبارهم . بأن خلت منهم
ديارهم ، ورمتهم الى أغراضهم البعيدة أو تارهم اوبهم يستفعل الشر ، ويمضل الامر .
ويصول الكفر ويحول ، ويتطاوول الشرك ولكنه لا يطول ! فان لدين الله من خليفته
ناصر آلايسامه ، ورازقاً لا يحرمه ، وما تمسك بحبل طاعته الا من فاز قدحه ، وحاز السناء
قدمه ، وأسفر صبحه . ووفر نجحه ، وبدا علوه اوباد عدوه ! والاعادهم بقوة رجائه
في العوارف الامامية والعواطف النبويه ، وشدة استظهاره بالتمرة الظاهرة الناصرية ؟
آن أن يفرق الجمين ، ويجمع للفرحين القمعين ، ويميد البر بحرأ من دماء وافدى البر
وبالبحر ، ويقطع بقطع دابرهم دابر الكفر .

﴿ ذكر وصول الاسطول المنصور من مصر يوم الثلاثاء سادس

عشر ذى القعدة في المراكب المستعدة المستبعدة بالبأس

والشدة وكانت عدته خمسين شيئاً ﴾

كان السلطان منذ وصل الفرنج الى عكا قد كتب الى مصر تجهيز الاسطول وتجهيزه بحاله وتزجيجه أمور رجاله ، وتكثير عدده ؛ وتوفير عدده . واصلاح شؤون شؤنيه ، واسناء رواسى سواريه ، فتولى حسام الدين لؤلؤ الشيخ أمره ؛ وشرح لايارده واصداره صدره . وأتفق . من ماله . ما جمع به شمل رجاله . وهذا لؤلؤ قد اشتهر في الكفر فكانه وشكرت في المدو نكاياته ، وقد قد رذذواوات لم يشاركه فيها أحد ، ولم يكن فيها على الاسلام لغيره يد . ماسلك نهجاً الا ملك ، ولا طلب غاية الا أدرك . وهو يميمون النقيبه ؟ مشكور الضريبه ، وهو الذى رد الفرنج عن بحر الحجاز ، ووقف لهم على طرق الحجاز ، ولم يترك مهم عيناً تطرف ؟ ولم يبق لهم دليلاً يعرف ؟ وغزواته مشهوره ، وفكاته مذكوره ، وأمواله مبدوله . وأكياسه لمقد الاتفاق في سبيل الله محلوله ، فتولى الاسطول ! وجمع به الطول والطول ، ووصل به والفرنج من شوانيا على وجه البحر عقارب تدب ولواسب سوالب مائقيب وما تقب . وسفن حمالة ومقاتله ، وبطس للآزواد والمير ناقله ، فصدمتها مرا كينا متناكها ، وملأت معاطنها بمعاطها ، واستطال الاسطول المنصور على أساطيلها ، وجاء حقه بازهاق أباطيلها ، وطلعت في سماء البحر كواكب مرا كينا نجومها ، وقذفت لشياطين الكفر رجوما * واقبلت سواريا بالرواسى . مبرمة الامراس بحكمة المراسى * وقطعت اللجة بأشابه أمواجها . وسدت فجاجها بأفواجها . ونكست أعلام الاعلاج عن أثباحها ، ووافت أسودها السنود بالاسود * وسدت عقباها الآفاق بأجنحة الرايات والبنود . وطارت بقوادم المجاذيف وخوافيها . وزارت بحجوارح المقاذيف وعوافيها . نجاة نجاة وسفن المدو كالجيل تمر مر السحاب . وتطوى اللجة كطي السجل للكتاب فصدتها وصدعتها ، وردتها وردعتها * فكانت نابت غربلتها بين أجبة الكفر أعاديا * واناخت ظمائن الضمائن على شوانى . شوانيا . وعادت قوامص الفرنج فيها قناص حجوارج حجواريا ، فاول ماظهر الاسطول المنصور بشيئي للفرنج عظيم الشأن . عاد طاع بأهل الطغيان والمدوان فقتل مقاتليه * وتبع مايليه * فوقعت بطشته الكبرى ببطسة كبيرة * فتشتمل على ميرة لهم وذخيرة .

وأمتة كثيرة * وقرقت سفن الفرنج أيدي سبا * وأصلد زندهم وكبا * وعادوا
محصورين محصورين قد دُفعت مراكبهم التي دافعت عن مباركهم • وإقتوا انهم تورطوا
في مهالكهم • وسيرت بوصول الاسطول كتب الي الاقطار • وبشر المسلمون بما
حصل به من الاستظهار

﴿ ذكر فصول انشأتها فيها ﴾

منها فصل

ولما رأينا أمدادهم في البحر متضاعفة • وجوعهم متكاثف • استدعينا الاسطول المصري
المنصور فجاهها فجاه • وامند أسطرا على طرس البحر أعيت متأملها قراءه • وأقبلت
جواربه جوارح من قناصا القوامص • وصدمت شوانيه شواني الشناة فمادت مراكبهم
وهي نواكس * وطارت غرباناً بين أحبة الكفر اعداء الاسلام ناعبه • وأطردت على
طرائد الفرنج فطردها غالبه لا لاغبه • وظفرت أول يوم الورود بسفن للعدو معمره •
وألمبت في الماء على أهل النار كل نار للنكال مسمره • وانفطمت طرق الفرنج البحرية
فاستطلت بها أساطيلنا فذهبت وجاءت • وعملت ماشاءت وتبعتهن مزارا وبالفتام فاهت
وأعشت أعين الرايين كلمات رأت - فضاقت بها العداة ذرعا • ولم نجد من بعدهما مطعما ولا مرمي

﴿ فصل من كتاب ﴾

صدر الكتاب ب ورود الاسطول المصري بالسطول الشديد والبأس القوى * فارتاع الكفر
من وصوله وصوله الرائع * وذل جمع الكفر لزمه الجامع * وجاء بكل شيني شاني ، لشأن
الدين واجبي • مفاجع للعدو بالهلاك مفاجي • مفرق لمراكب الشرك المجتمعه • مضيق
لتناهج مضارها المتسمه • فطحن مناكب مراكبها • ووسع معاطن معاطبها • واستولى
منها حالة وروده على عدة للملاقاة مستعدة • ولامداد اعانتها من وراءها مستعدة • وقتل
من فيها من الرجال • وغم ما وجد فيها من العذد الاموال •

﴿ فصل من مكتابه اخري ﴾

وصل الاسطول المنصور في كل شيني شاني للشرك شائن • زائد لبهجة الاسلام زائن •
زائر بكل أسد زائر • سائر بكل مقدم الي مقام الاقدام سائر • وكانت الفرنج قد

جهزت مرأى كها • وأرهفت غروبها وسمنت غواربها • ثملاتها برجال أيديها على قوائم القواضب قواضب • وأرجلها على الثبات في روابي متون سفنها روابض • وهم على انتظار الاسطول ليطالولوه • ويلقوه وبالمدافعة يجاولولوه فلما وصل وصل • وراع أمره وهال • وجلا عليهم الاوجال والآجال • بتوا المراسي والخيال • وانهمزوا بسفهم وأذنت قوتهم بوههم • واستولي على عدة منها بالمدد والرجال والذخائر والاحمال مملوه • وسلمهم كل ما أعدوه فيها من قوت وقوة • والفصول كثيرة وإنما ذكرت منها ما وصف صورة الحال على جليتها • وأعرب عن حقها وحقيقتها •

❦ ذكر ما اعتمده السلطان من تقوية البلد

❦ ونقل الرجال والذخائر والمعدن

ولما اشتد البرد وتوالى القيوت • وتجرت السهول • والوعوث • وحالت الاوحال • ولاحت على خلاف المراد الاحوال • وتمسذر الخروج الى تلك المروج • وامتنع على السالك قصد أولئك العلوج • وزال حكم النزال • واستقال من استقل بالقتال • شرع السلطان فيما هو أنفع واجدى وانجع وأجنى • وأرجع بالاحتياط والحزم وأرجى • وهو تقوية عكا • بالبرية والذخيرة • والاساحة الكثيرة • والرجال الحماة • والابطال الكماة • فنقل اليها في المراكب جماعة من الامراء الأملئاء بأجنادهم • فدخلوا اليها بمددهم وأزوادهم • واستظهر البلد أيضاً برجال الاسملون ورؤسائه وقواده • فما دخل أحد فيه الا بزيادة في زاده • وكانوا زهاء عشرة آلاف بحرى حربى • على الجبري الى الموت جري • فامتلا البلد بكل منتخب منتخب • مرضى مهجته الغالية للإسلام • صرخ • واستنفع بهم في جذب المنجنيقات • والرمي في المراتد • والحذف بالنفطات • والاحراق بالزراقات • والزرق بالحرقات • والقاه القوارير • واذكاه المساعير • وطريق النار • وطلوج الاحجار • ومواصلة القطاعات • والزيارة بالزيارات • وتوسير الجروح والزنبوركات • وتطهير التاوكلات • التواكي من مقاتل العدو الى الوكنات • ومناشية الفرنج في كل وقت بالاخذ والوقذ • والجذ في الجذ والحذ • وطروهم ليلا على سبيل التلصص • وسوقهم من سوقهم على وجه التمهيد والتقنص • وكبسوا ليلة سوق الحمارات والدواهي • وسبوا عدة من المشحونات الفواجر واستقصروا بذلك واستبشروا •

واجترأوا منه على ما أجروا ، وكذلك من عندنا يدخل اليهم الرجال متسرقين ، ويأتونهم من كل جانب مجتمعين ومتفرقين ، فمن قدر على حصان أخذه وأخرجه ، ومن تعذر عليه اخراجه عقره وبسجه ، ومنهم من يهجم على الرجل في خيمته ويرهبه بمد مديته ، ويسلبه سكونه يسكنه ، ويجعله ان لم يجذب معه من جنبه على يقينه ، فيقوده بخطام القهر ، ويجذبه بخدام الأسر ، ووقع القوم من هذا في بلاء ، بل ، وعناء عن حب الحياة مسل ، فقد كثر اليهم الاجتياز ومنهم الاحتياز ، وشق عليهم الاحتراس والاحتراز * وتحيل الناس في اغتيالهم بكل طريق * وازداد فرقههم من كل فريق * وأعدت الحال من الليل الى النهار * والمكابرة والجهار * حتى كان رجالنا يخفون بالحشيش في أجراف الانهار * فاذا صادفوا فارسا ورد الماء فاجأوه بالقتل أو الاسار

﴿ ذكر حال نساء الفرنج ﴾

وصلت في مركب ثلثمائة امرأة افريقية مستحسنه • متحلية بشبابها وحسنها متزينة • قد اجتمعن من الجزائر • واندبن للجزائر • واغتربن لاساعف القرباء • وتأهبن لاسعاد الاشقياء • وترافدن على الارفاق والارقاد • وتأهبن على السفاح والسفاد • من كل زانية نازيه • زاهية هازيه • طاية متعاطيه • خاطيه متغنيه • متبرزة متبرجه • نارية منليه • متقشفة متخضبه • نائمة شائقة • راققة راققة • راقعة راقعة • مارقة راققة • قاسرة سارقة • فارجة فاجرة • فائنة فائرة • مشهاة متشهيه • ملهاة منليه • متقننة متقنيه • ناشية منتشيه • متشوقة متسوقة • مقترحة محترقة • منحية متشقة • حمراء مرهارة • نجلاء كحلاء • عجزاء هيفاء • غناء لفاء • زرقاء ورقاء • متخرقة خرقاء • تسحب غفارتها • وتسحر بنضارتها • وتبتي كأنها غصن • وتبجلي كأنها حصن • وتيس كأنها قضيب • وتزيف وعلى لبها صليب • وهي بالغة شكرها بشكرها • بلاغة كسرها في سكرها • فوصلن وقد سبلن أنفسهن • وقدمن للتبذل أصوهن وأفسهن • وذكرن أنهن قصدن بخروجهن • تسيل فروعهن • وأنهن لا يمتنعن من الزبان • ورأين أنهن لا يتقررن بأفضل من هذا القربان • وتقردن بما ضربنه من الخيم • والقباب • وانفضت اليهن آراهم من الحسان الشواب • وقتحن أبواب الملاذ • وسبلن ما بين الانخاذ • وبجن بالاباحه • ورحن إلى الراحة • وأزحن علة السباحه •

وتفقد سوق الفسوق • ولفقد رتوق الفتوق • وتفجرون بينابيع الفجور • وتبحرون
بزو الفحول منهن على الحبور • وعرضن الامتاع بالمتاع • ودعون الوقاح إلى الوقاع •
وركبن الصدور على الاعجاز • وسمحن بالسلمة لنوي الاعواز • ودمن على تقريب
خلاخلهن من الاقراط • ورمن فرشهن على بساط النشاط • وتهدفن للسهام • وتحللن
للحرام • وتعرضن للطعان • وتضرعن للاخذان • ومددن الرواق • وحللن حين عقدن
الطلاق • وصرن مضارب للواتاد • واستدعين التصول منهن إلى الاغداد • وشوين أراضهن
للغراس • واستهنن الحراب إلى التراس • واستفرن المحارث إلى الحرث • ومكن المناقير
من البحث • وأذن للرؤوس في دخول الدهاليز • وجرين تحت راكبين على ضرب
المهاميز • وقرين الاشطان من الركايا • وفوقن الببال في أعجاس الحنايا • وقطعن التسكك •
وطبعن السكك • وضمنن الاطيار في أوكار الاوراك • وجعن قرون كباش الطاح في
الشباك • ورفعن الحجر عن المصون • وترفعن عن ستر المكنون • ولفقن الساق بالساق •
وشفنن غليل الشاق • وكثرن الضباب في الوجار • وأطلعن الاشرار على الاسرار •
وطرقن الاقلام إلى الادويه • والسيول إلى الاوديه • والجداول إلى القدران • والمناصل
إلى الاجفان • والسباتك إلى البواتق • والزناير إلى المناطق • والاحطاب إلى التناير •
وذوى الاجرام إلى المطامير • والصيارف إلى الدناير • والاعناق إلى البطون • والاقذاء
إلى العرون • وتشاجرن على الاشجار • وتساقطن على الثمار • وزعن أن هذه قرية
ما فوقها قرية • لا سيما فيمن اجتمعت عنده غربة وعزبه • وسقين الحمر • وطلبن بعين
الوزر الاجر • وتسامع أهل عسكرنا بهذه القضية • وعجبوا كيف تعبدوا بترك النخوة
والحمية • وأبق من الممالك الاغنياء والمدائير الجبلاء • جماعة جد بهم الهوي • واتبعوا
من غوى • ففهم من رضي للذة بالذلة • ومنهم من ندم على الزلة فتحل في الثقله • فان
يد من لا يرتد لامتد • وأمر الهارب اليهم لاتهم يشتد • وباب الهوي عليه يستد • وما عند
الفرنج على الزبلاء اذا أمكنت منها الا عزب حرج • وما ازكاها عند الفسوس اذا كان
للمزبان المضيفين من فرجها فرج • ووصلت أيضاً في البحر • امرأة كبيرة القدوم • وافرة
الوفر • وهي في بلدها مالكة الأمر • وفي جملتها خمسمائة فارس بخيولهم وأتباعهم • وغلمانهم
وأشباعهم • وهي كافلة بكل ما يحتاجون اليه من المؤونة • زائدة بما تنفقه فيهم على المعونة •
وهم يركبون بركابها • ويحملون بحضارتها • ويشبون لوشاتها • وتبت نباتها لثباتها • وفي

الفرنج نساء فوارس • لمن دروع وقوانس • وكن في زى الرجال • ويززن في حومة القتال • ويعملن عمل أرباب الحجا • وهن ربات الحجال • وكل هذا يعتقده عباده • ويخلن أنهن يقدن به • ماده • ويجهتهن لمن عاده • فسبحان الذى أضلهن • وعن لهج النهى أزلهن • وفي يوم الوقعة قلعن منهن نسوة • لمن بالفرسان أسوء • وفيهن مع لينهن قسوة • وليست لمن سوى السوابغ كسوة • فاعرفن حتى سلبن وعرفن • ومنهن عدة استبين واشترين • وأما المعجائر • فقد امتلات بهن المرا كز • وهن يشددن تارة ويرخين • ويخرضن ويخين • ويقلن إن الصليب لا يرضى إلا بالاباء • وانه لا بقاء له إلا بالفناء • وأن قبر معبودهم تحت استيلاء الاعداء • فانظر إلى الاتفاق في الضلال بين الرجال منهم والنساء • فمن للغيرة على الملة مللن الغيرة • وللانجاة من الحيرة ناجين الحيرة • ولعدم الجلد عن طلب التارتاجلدن • ولما ضامهن من الامر تبلهن وتبلدن *

ذكر ما اهداه عز الدين مسعود

ابن مودود بن زنديكى بن اقسنقر صاحب الموصل

من النفط الابيض والرماح والتراس

ولما عرف صاحب الموصل ما شرع فيه السلطان من تكثير العدة • وتقوية التجهده • بكل ما يمكنه من أسباب البأس والشده • سير من أحمال النفط الابيض مع عزرة وجوده • ما وجده • ومن التراس والرماح من كل جنس أحكمه وأقومه وأجوده • وشاع الاعتداد • وذاع الاحاد • ودل ذلك على اتشاج الوداد • والامتراج والاتحاد *

وكتبنا في شكره

وصل السلاح • وتم للإسلام من قروح الكفر الاقتراح • واستجيدت التراس والرماح • وفارقت للقائهما اجسام الاعداء الارواح • واتصل بالنفط الواصل إلى أهل النار الاحتراق • وطعنت وضربت منهم التحور والاعناق • وقد هدا بما أهداه النصر إلى الهدى • والردي إلى العدا • وأجود الأكارم وأكرم الاجاود من جاد بما أجدى وأهدي ما هدى • وعاد من المكرمة بما بدا • لا أخلى الله المجلس من يد يتخذها • وأباد يسيرها ويتفدها • ومحمدة يستخلصها لنفسه ويستفدها • وحمة الدين يحم بها حماة

الشرك ويقذرها * ونحوه للإسلام تمهي حدود الهمم الثابتة وتشجعها * وما طلب من
العدو ما طلب إلا للحاجة الحاقة * والضرورة الشاقة * فإن الحروب المتطاوله المدد *
أتت على جميع العدد * فالسمر متحطمه * والبيض مثلمه * ووجوه الصفاح بلباثم التجميع
مثلمه . وعيون النصال عن حواجب القسي إلى مقل الاقرا ن راقمه ماره * وحام
الحمام في مرشات السهام يكتب الكبت من حنايا المنايا السائقة سابقه * وقد أفني المصال
النصال . والنصال التبال . والرماة الافواق . واللقاء المتاق . والمصاع المناصل .
والقراع الذوابل . والصيالك الصواهل . وعمل الجهاد الدائم العوامل . فلا
ضامر الا وهو وان كان غالباً لاغب . ولا صارم الا وهو في دم العدو الفائض
ناضب * ولا جارح الا وهو مجروح * ولا قارح الا وهو مقروح * ولا جاع الا وهو مصحوب .
ولا باشر الا وهو مقطب * فبأية عدة من هذه العدد أتجد * غار الحمد * وأتجد * وتأسس
الشكر لانعامه وتمهد * ومن العجب ان العدة تقى ولا تقى العدة * وتتمو على الحصاد
وكناها الثبات * ويتسارع الى أمدادها الموت والملاك * ويخلفها في إمدالها الحياة * فان البحر
يعدم * والكفر الى الردى يردمهم * وكلما أخلقهم الايام فان الليالي تجدهم * وما جدهم
ألقدر الا ليفرقهم * وما حمل أهل النار في الماء الا ليفرقهم في دماهم وينار البواتر يحرقهم *

﴿ ذكر عماد الدين صاحب سنجار ﴾

﴿ وما عزم عليه من تجهيز ولده ﴾

ورد الخبر بان عماد الدين أقدم جهازه عسكره * وقدم عليه قطب الدين ولده وسيره *
فقال السلطان هذه أيام الشتاء * ولا يتصف فيها من الاعداء . ونحن محتاجون الى العسكر
في الربيع * واستأناض الجموع الى شمل النصر الجميع * فكتب بتأخيرهم * والتمهل في تسيرهم *
فأثر قلب عماد الدين برد ولده * ورجوعه بمدلسير من بلده *

﴿ فكتب اليه السلطان من مكاتبه ﴾

كان لما انتهى اليه صدق اهتمام المجلس بأمره . والتقدم بتجهيز العسكر الى نجده بكل
ما يعود بسرور سره وانتراح صدره * وعرف مسير قطب الدين ادام الله له مضاعفة
العلاء * وافر بانواره عيون الاولياء * ووطن انه لم يقدم حركته المقرونة بالحسنات * ولم
يقرب من عبر الفرات * أشفق عليه من التعب * ليكون عسكره مستريحاً عند الطلب * فان

الحاجة اليه في الربيع أديني*ومصلحة الاسلام في ذلك الاوان اولى أن نرعي*ولو عرف
ان الركاب القطبي قد دنا لبشرته السعادة بنجح المني*ولاستقبله بالنفوس والارواح*وتلقته
القلوب بالقبول العبق بنشر الاشرار*وان اشتغل القلب بما قاته من حظ الاستعداد
بوفوده*فقد بشر أمه بنضارة عود نبحه عند عوده ونجازه وعوده *

وفي آخر هذه السنة ندب السلطان الرسل الى الاقطار والامصار*للاستفاد
والاستنصار*وبث الكتب*وكتب بالبت*وحت الرسل وارسل بالحث*وبعث المرعين
لاستبطاء البعث*واهمض للتبليغ كل بليغ*وجرع كاس التدبير في حسن السفارة كل
مشيع مسيغ*وسرح عدنان التجاب الى سيف الاسلام باليمن*وشرح في الكتاب اليه
ما جرى من حوادث الزمن*ووصفت له جلية الحال*وما نحن عليه من دوام القتال*
وطلبت منه الاطاعة بالمال*واستمعين واستجده*واستلين واسترفده*وحض على حظه من
انجاد الاسلام*وان يكشف بسنى طلوعه ماغشيه من الاظلام*وأرشد الى نهج السباح*
وتيسر كل مايقدر عليه من العدد والسلاح*وتجريد الجرد المتاق*وتوفير المحول التي
نخرجها في سيل الله يد الاتفاق*وكوتب قول ارسلان بهمدان*بما دنا منه عزمه
ودان*وحكم على كل ملك بحجة الايمان*وهدي الى محجة الاحسان *

ذكر وصول رسول سلطان المعجم

ركن الدنيا والدين طغرل بن ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه
بالالتجاء الى ظل السلطان . وارجاء ماله من فضل الاحسان

ورد من عند طغرل سلطان المعجم*أمير من خواصه هو أبلد كنز أمير العلم*فضرِب
له من الحميم الخاصة سراق*ووفرت في الضيافة له المتافع والمرافق*ونمضمون رسالته
انه خانته من أمرائه ومالايك العامة والخاصة*وخصته في سفرائه ونكباته الخصاصه*
وان عمه أخا أبيه من امه قد استولى على ممالكه*وضيق عليه سعة مسالكه*والجاء الى
هذا الاتجاء*وهو بقوة من هذا الجانب قوي الرجاء*وقد وصل الى حد مملكته
بقرب اربل*واراد الوصول الى الموصل*لكنه نزل في بيوت عز الدين حسن بن يعقوب
بن قفجاق*ينتظر منكم الاصرار والاشفاق*وعز الدين حسن من خدم دولتكم*
والستمسكين بعصمتكم*والمستوفين بدمتكم*واتا عنده مقيم*وعلى سنن الامل مستقيم *

فان استقدمتني اليك قدمت* وان أمرت أمراء اطراف ولايتك بمشايعتي وجدت من
التصبر ما عدمت* وانا الآن هزيل عامك* ونزيل لإنعامك* ووصل معه كتاب بخطه* قد
بت حزنه فيه بشرحه وبسطه* وأبدى الاستكانه* واستدعى الاعانة* وارادف رسولا
برسول. وكرر سؤالاً فيما التمس من سول. فاعتذر السلطان بما هو فيه من شغل الجهاد
الشاغل. وانه لا مطمع مادام العدو ملازماً لنا في مفارقة الساحل*. فكتب الى زين الدين
يوسف صاحب اربل والى حسن ابن قفجاق والى نائبه بشهرزور بالتوفر على خدمته.
والارتياح لمصلحته واشاعة معونته. ثم نذب كبيراً للسفارة بينه وبين مظفر الدين قزل
ارسلان وهو جمال الدين أبو الفتح اسمعيل بن محمد بن عبد كويه لسيبي. ليكون القيام
بهذا الامر من نصيبي. وسعى في المصلحة والمصالحة. والمصافاة على صفقة المودة والمصالحة.
وحفظ حرمة قصره وتذرع. وسيأتي ذكر ما آل اليه الامر في موضعه.

وتوفي الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري بمنزل الحروية سحرة يوم الثلاثاء تاسع ذي
القعدة سنة خمس وثمانين وخمسة* ولقد كان من الاعيان. ومن مقربي السلطان*
ومن أهل الجدي في نصرة الايمان* فقله الله الى الجنان. وحمل من يومه الى القدس
فدفن به. وكانت في هذه السنة وفاة الفقيه الكبير شرف الدين أبي سعد عبدالله بن محمد
ابن أبي عصرون بدمشق يوم الثلاثاء حادي عشر شهر رمضان وهو شيخ المذهب الذي
لم يخلفه مثله* ودفن معه فضله. وكان مولده في أوائل سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة*
وكانت وفاة الامير عز الدين موسك بن جكو بكرة يوم الجمعة النصف من شعبان منها
وكان من الابرار الاخيار* والعظماء الكبار*

ودخلت سنة ست وثمانين والسلطان مقيم بمسكرك بمنزلة الحروية* وكل من الملك العادل
والملك الافضل والملك المظفر في خيمته المضروبة. وعكاه محصوره. وجموع الفرنج الى
حصارها محصوره. وعلى لغزها عليهم محصوره. وخرجت هذه السنة والحصار مستمر*
والسلطان في ملازمة القتال مستقر* وحيا التصبر في الاحيان مستدر. وقد تسنت
للإسلام مباحج. ووضحت للسعادة مناهج. وبانت للقتال مداخل ومخارج. واقطعت
بين الوشيج وأرحام الارواح وشائج. واشتدت لتباريح الاشواق الى لقاء الاعداء ولواعج.
وتألفت في الاقدام مقدمات ونتائج. ولناجح المني منافي مدي الرجاء مدارج. ولخطباء
الظبا في منابر العلى معارج. وللجهاد جهات. وللزمات أزمت. واتفتت حسنات

وحسنت اتفاقات . وكانت ثامسرات هي لاعدائنا مساآت . ووقعت عجائب .
 وأعجبت وقائع . وأبدعت غرائب . وأغربت بدائع . واجتمعت كتب . ونابت نواب .
 وصفت تارة وكدرت مشارب . وساعدت الاقدار . وتباعدت الاكدار ، وهلك من
 الفرنج المحاصرين في الوقائع عدد لا يقع عليه الحصر ، ولكم أسفر صبح احبب فيه جماع
 الظفر وسفر النصر ، وسيرد حديث كل حادث بمفرده ، ويجدد ذكر كل متجدد
 بمجرد .

﴿ ذكر وقعة الرمل ﴾

كان السلطان بركب احبانا للصيد ، به ان يحذر على ما يظهر للعدو من الكيد .
 وهو لا يبعد من الحليم . ولا يقرب من مسائل الديم . وركب يوما في صفر . على عادته
 فتصيد . وطاب له قرب القنص فأبعد . واليزكية على الرمل وساحل البحر من اليسر .
 على الحيلة المحتاطة المستظهرة . فخرج الفرنج وقت العصر . في عدد لا يدخل في الحصر .
 وتسامع أمحبنا بهم فزحفوا اليهم . وحلوا عليهم وطردهم الى خيامهم . وأخذوا عليهم
 من خلفهم وأمامهم ، وما زالت بينهم حملة وحمله . وشلة وشلة . وسلة وسلة . وركضة
 وركضة . ونفضه ونفضه . ومشقة ومشقة . ورشقة ورشقة . وجذبة وجذبة . وضربة
 وضربة . وشدة وشدة . وردة وردة . وضمة وضمة . ولة ولة . وأمحبنا ظاهرون .
 وبالمراد ظاهرون . ولهم في كل دفعة من العدو قلائع . وللفرنج في كل كرة على الرمل
 مصارع ، حتى في التشاب وبقى الانتشاب . وشاع نداء الاحباب بالنداء التشاب .
 والفرنج لا يعجزهم الا الرماح . ولا يهتكهم الا الاصهات . ولا ينفرهم الا رنة الأوتار .
 ولا ينذرهم الا أنة القسي بالدمار واليوار . فلما أنسوا بخلو الجباب نجاسروا على الدنو
 من تلك الشعاب ، وحلوا حملة واحدة ردوا بها أمحبنا الى النهر ، وكادت تميت بهم
 يد القهر . فثبت من العادلية في وجوه القوم صف مرصوص البنيان . وأشرعوا الى
 بخور تلك الذئاب ثعالب الخرصان ، واستشهد جماعة من الشجمان استحلوا اطعام الطعان .
 وشاقهم جنى الجنان . وذلك أنهم لما ردوا الفرنج قلعوا فرسانا . وصرعوا أقرانا .
 فنزلوا بمد فرسهم . لسلب لبسهم ، فرت بهم الحملة في الأوبه ، وأعجبهم عن الركبة
 والوثبة . وأظلم الليل فافترق من معاركها الجمعان ، واجتمع في مراكزها الفريقان .

وكثر التأسف على من فقد ، وكان الحاجب ايد غنص المجدى بمن استشهد • وزاد التلهف على فوات الفرصه ، وكيف أغفل ذلك القنص عن تلك القنصه • فان المدوصار عرضة للصرصه في تلك المرصه ، ومن نوادر هذه الوقه ، وطرائف هذه الدفقه • أن ملوكا للسلطان يقال له سرا سقر ، وهو يتناول في كل معترك ولا يقصر • عثر به جواده • وثبت على الجراءه فؤاده ، ورجله عتاره • وأسلمه ألساره • فقبض من أمره شعره ليجذبه • وسل آخر سيفه ليضربه • فضرب يد قابض شعره فسيده • واشتد سرا سقر يمدو ناحياً وللخلاص راجياً ، وهم يمدون وراءه ليمسكوه ويهلكوه • وقائمهم يعون الله فلم يدركوه ، وهذا قدفته النون من لهاتها بسد ازدراده ، وانتضاه الحمام لمضاء غراره بمد اغماده ،

﴿ ذكر فتح شقيف أرنون ﴾

وفي يوم الاحد خامس عشر ربيع الاول تسلم بالامان شقيف أرنون واستمر الحصار عليه منذ نزولنا في السنة الماضية بمرج عيون ، وصاحبه ارناط صاحب صيداء في دمشق لاجله معتقل ، وباب خلاصه دون فتح شقيفه مقفل ، وذلك ان الشقي في الشقيف فني زاده ، وعن اجتهاده ، ومرد عليه في الحفظ مراده ، وخانه في الصبر ارنياؤه وارتياده ، ونخب من الرعب فؤاده ، وأصلد بالأس رناده • وامتنع عليه اصداره وإبراده • فسلمه علي أن يسلم صاحبه ، وتخلص في النجاه مذهبته ، وخرج هو ومن معه وترك الشقيف بمافيته ، وتركه للاسلام بما يحويه ، وأفرج عن صاحب صيداء وصار الى صور ، ولبس من التشریف وانتسج حير الجبور ،

﴿ ذكر حال عكاء ودخول الموامين اليها ووصول الكتب ﴾

على أجنحة الطير منها ﴿

كان السلطان اغتم هيجان البحر • وحضور مراكب الاسطول من مصر • فزال يقوى عكاء بتسيير السفلات والاقوات والقوات اليها في المراكب • وقد ملاها بالذخائر والاسلحة والكمات المساعير والحماة المحارب • فلما سكن البحر • وأمن فائلته الكفر • حادت مراكب الفرنج الي مراسيها • ودبت عقاربها وأفاعيها • وشدت مراكبنا في موانئها • واقطع عنا خبر البلد • وامتنع عليه دخول المدد والممدد • فاشتد العوام للسباحه •

وحملتهم السباحة لهم بالزرائب على وضع المهج في، يزان السباحة • وعلموا أنهم اذا سبحوا
ربحوا واذا سلموا فراحوا فراحوا • حتى صاروا يحملون نفقات الاجناد على أوساطهم
ويحفظون بانفسهم مع احتياطهم • ويحملون كتباً وطيوراً ويعودون بكتب وطيور •
ونكتب اليهم ويكتبون اليها على أجنحة الحمام بالترجمة المصطلح عليها سر الامور • ويودع
المكتوب والمكتوم ما تعلمهم عليه من الخفي المستور، وكان في العسكر من اتخذها ما تلطف
على خيمته وتزل في منزله • وعمل لها برجاً من خشب • وهراى من قصب • ويدرجها
على الطيران من البعد • ويوردها لشعبها وربها أحب الحب وأعذب الورد • وكنا نقول
ما هذا الولع بما لا ينفع • والوله بما لا ينجم • حتى جاءت نوبة عكاء ففقت • وشفت الغل
وفقت • واتت بالكتب شارحة سارحة • ووقت بمفاتيح القيد بالبشرى مفاتيحه، فصرنا نحبوا
صاحب الطيور بالطراء • ونخصه بالمدح والثناء • ونأمره بالاستكثار • ونطلبها منه مع الليل
والنهار • حتى قل وجودها عنده لكثرة الارسال • وكنا نعرفها جلية الاحوال • وامل
ان الله علمه ذلك البر • وألمه ذلك السر • فانه اطلع على ما يدفع اليه أهل الاسلام •
فحى هي هداهم بهداية الحمام • قائماً أمانة على الاسرار ضمنية بالاخبار • ضمنية بالاسفار •
قينة بكرامة الاحرار • مصونة من بين الاطيار • جريئة على الاخطار • بريئة من الاعذار •
ممدودة من الاذخار • مودودة مع الاخيار • وحام البلد اليها مع العوام محمولة • وعقود
الاكياس عليهم محمولة • فلا ينكر على المحتاج ان عام بالانعام • وممولة التحرز من الضلال •
والتخفي بستر الظلام • والضرورة تحمل على تحمل الضرر • والفرارة تبعث على الانبعاث
الى الفرار • والفقر يدعوا الى ركوب الخطر • وفيهم من سلم مراراً من القوم • فاجترأت
نفسه وأنس بالعموم • ولقد عطب عوامون • بالامانة قوامون، فما ارتدع الباقون، وما قالوا
انهم لما لقي رفقائهم لاقون*

ذكر ما دبره السلطان عند انحسار الشتاء

وانكسار البرد في الانتهاء

ولما انحسر الشتاء وانكسر، وانتشى الربيع وانتشر، أمر السلطان عساكره بالعود
فتوافت أمداد أجوادهم توافي أمداد الجود • فكان أول من وصل الملك المجاهد
أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حصن والرحبة • وهو باكمل العدة، وأحسن

الاهب . وسابق الدين عثمان صاحب شيزر ، وهو الذي يسائه يقصر الليث القصور . وعز الدين ابراهيم بن المقدم المقدم ، الهمام ابن الهمام ، والكريم ابن الكرام ، والاسد الضرغام والسيد القمقام ، ووفد . مهم جوع من الاجناد والاعيان ، وحشود من العرب والتركان ، ففاض بهم الفضاء ، واكتسى برياشهم العراء ، وكثرت الجنود ، وانتشرت البنود ، وحلقت عقبان الاوليه ، وتلاحقت ذؤبان الاوديه ، ولعت بوارق اليبارق ، وارتفعت عوائق البوائق * وحملت بواشق السوايق ، وثبتت وثائق الملائق ، ونبتت شقائق العقائق ، ونظرت أحداق الحدايق ، ويسرت طرائق الطوارق ، وأعجبت أزهار الرايات ، وانتهت غايات الغايات ، ونزلت بحسن الصنيع لصوص النصول ، ودارت بيد الربيع فصوص الفصول ، وعلت الاعلام ، وحلت الاحلام ، ووميضت المواضي وميض ، واقتضت القواضب القواضي وقضت * وعريت البيض من الحلي ، وغريت السم بالكلبي ، واشتاتت لدات اللدان الى العناق ، وتافت شفاء الشفار الى ثم الاعناق * وتحدث الاحداث في الحجارة باجراء العناق ، وطالت رقاب الرقاق الى غلاظ الرقاب ، وأعجم عن جمجمة الجحاح اعراب العرب ، وحمي عزم البطل ، وعى رسم الملل ، وعاد الجد الى جدته ، والحدالى حدة ، وخرج البرد من عذته * وقاز النصر بعدته ، وحليت بنت الغمد في زى الهند وري الفريد ، وقطف ورد الورد للشد الى الورد ، وقال الناس الام منتظر ، وعلام لصير : ولم لانشغل ، وكيف لانشغل ، وحتام القعود ، ومم الركون ، ولماذا الرقود ؟ وقد نظرت السمود ، واضر العود ، وصدقت من أحبابنا الوعود ، فرحل السلطان وتقدم ، وعزم على طلب المدو وصمم ، ونزل على آل كيسان يوم الاربعاء ثامن عشر ربيع الاول ، في الفصل الاعدل والفضل الاكمل ، وتداني المسكران . وتعالى العثيران ، وتقارب القران ، وتحارب الحزبان . وترتب المسكر الاسلامي في نزوله ميمنة وميسرة وقلبا ، وفي ركوبه على ترتيب منازلهم طلبا طلبا . فكان الملك المظفر تقي الدين في آخر الميمنة الميمونة * والملك العادل في آخر الميسرة الميسرة المتصورة المصونة ، والملك الافضل في أول ميمنة القلب ، وأخوه الملك الظافر في أول ميسرة على الجنب ، والكتائب مكتبة ، والمقانب مقنبة ، والسما بالنقع التائر منقبة ، والارض بوقع الحافر منقبة ، والمساكر مترادفة مترافده ، متوافرة متوافده ، متتابعة متوارده ، متسابقة متلاحقة ، متسابقة متساقفة * متوالية متوافيه ، متجارية متباريه ، منقضة كالزباد ، منقضة الى المداء ، داعية الى الانتصار ، طادية على الكفار ،

ذكر وصول رسول دار الخلافة

مع ضياء الدين الشهرزورى في جواب رسالته

ووصل يوم الاثنين سادس عشر شهر ربيع الاول رسول دار الخلافة ، بالتجدة
والعارفة والرحمة والآفة ، وهو الشريف نضر الدين نقيب مشهد باب التين بمدينة السلام *
قتله السلطان بالاحترام والاكرام ، واحتفل لوصوله ، واستقبله لقبوله ، وتلقاه الامراء
على الترتيب ، فتم من تقدم نحوه الى البعيد ومنهم من وقف له بالقرب ، ثم اخوة
السلطان وأولاده واحداً بعد واحد ، ومانحداً بعد مانحداً ، وبأدباً بعد مانحداً ، ثم ركب السلطان
اليه عند القرب من سرادقه ، وأدناه اليه بتمناقه ، ثم سار معه قليلاً ، وأصحبه من خواصه
وأمرائه قتيلاً ، حتى نزلوا به في باركاه مضر وب ، وخصه بصنوف من اللطاف وضروب ،
ووصل معه حملان من النفط الطيار ، وحملان من القنا الحطلى الحطار ، وتوقع بشمرين
ألف دينار * فترض على الديوان العزيز من التجار ، وخسة من الزرايين الثقاتين المتقين
صناعة الاحراق بالنار * فاعتد السلطان بكل ما أحضره ، وأخلص الدماء للديوان العزيز
وشكره * غير أنه أبدى رد التوقيع مع ود الصنيع ، وقال كل مامعي من أئمة أمير المؤمنين
وعارفته ، ولقد نعشني ماشائى من عاطفتنا ، ولعل الله يوفقني للقيام بالفرض ، ويتفني عن
الالتزام بالقرض ، وأركب الرسول مراراً ، وأراه مبارك الزلا ، ومبارك القتال ، ومصارع
الرجال ، ومجامع الإبطال ، ومطالع اللقاء ، ومواضع الهيجاء ، ومصائب الاقدام ، ومناكب
الأقدام ، ومواقف الصفوف ، ومصاف الوقوف ، وأماكن البعوث ، ومكان البعث ، وتل
الفضول ، وبقية التلول * حتى يشهد بما يشاهد ، ويبين له المجتهد والمجاهد ، وأراه ما لم يره
ليأثر أثره ! ويحجر بحملته ويحمل خبره ، وأقام الرسول طويلاً ، وأقام له السلطان من
طوله دليلاً . ووفر له عطاءً جزيلاً ، وعرفاً جليلاً . حتى استأذن في العود فعاد *
واستصحب الشكر والاحامد *

ذكر مقاتلة الفرنج عكا ، بالأبراج والاعجاز بها والازعاج

وكان الفرنج منذ نزلوا للحصار ، شرعوا في عمل الأبراج الكبار ، وركبوا من
الخشاب الطوال ، والعمد الثقالة . وبنوها وقدموها ، ونصبوها وأحكموها ، وسقفوها
طباقاً ، وسمروها بالحديد . وجعلوا لها منه أطواقاً ، ووقعوها شداً وشدوها وثاقاً . ولبسوها

بالسوخ، وملاً وهاباً لجرؤخ، وزحفوا بها الى السور وكشفوا بالرمي منها بعض سقوف الدور .
وتساعدوا على طم الحنادق، وفتح الطرائق، ووصل من المدينة عوام ، ينجذبون بالتلف
بها حوام ؟ وان البلد قد أشرف * والخطر قد أسرف، والابراج علت ، والاسوار خلت
والبلد قد قدم . والحدق قد طم ، وأنتم انتم هذا عمراكم المار، وأظلم على الدنيا والدين
بليد النهار * فاحتفي السلطان واحد * وشده واشتد * وكرب وركب ، وكان يحسب هذا
نجاة كما حسب ، وزحف الى الفرنج ليشغلهم عن الزحف * ويصرفهم عن الفتح بالحلف .
وذلك في العشرين من ربيع الاول يوم الجمعة * بالبحافل المجتمعة * والقماغم المرتفعة *
والصوامم الملتصعة * والصلادم الممتعة * والاسنة المشرعة * والاعنة المسرعة . والحوام
المتجمعة من التجميع * واليبارق المتخففة كازهار الربيع ، واتفق في هذا اليوم وصول عماد
الدين * صاحب دار محمد بن بهرام الارقي * بالجمع الوافر الوفي والعسكر التخي النقي * رسار
الى القتال على حاله * بنجده ورجاله * وضايقتهم السلطان مضايقة عظيمة * ولم تزل جادة
الجد في مقاومتهم مستقيمة * حتى دخل الليل * ولغبت الخيل ، فقوى تلك الليلة اليزك *
وأزهمهم في الحفظ الدرك ، ورجع الى خيمته ساهداً ساهراً * مجاهداً بالكور نحوهم مجاهراً .
فلما أصبح يوم السبت صبحهم بالحرب، وسبحهم على بحر الكر والكر ، ورجل الرجال
اليهم * وأزل النوازل عليهم، وامتزج بياض النهار بسواد التقع ، واتسع خرق الواقعة على
الرفع، وانقضى اليوم ، وقد انقضى القوم . وفرق الجمعان وقت العشاء . عن قتل غمريق
في الدماء . أو جريح على بقية الدماء ، وبات الناس في الصلاح شاكين * وبنار المذاكي ذاكين .
ولمات منهم وعليهم حاكين . ورجع السلطان الى خيمة ضربت له على تل العياضيه او قد أنزمت
البسالة الطيبية، بالرؤع في رياض الاخلاق الرياضية * وأصبح يوم الاحد راجعاً الى قتال أهل
الاحد، واستن من الجد على أنجح الجرد . وأمر بانقال السوق الى قريه ليقرّب من العسكر، وأيده
الله بالنصر الاظهر والظهور الاضر . وأقام كذلك وهو في كل يوم يفدو وينازل . ويمدو
ويقاتل . ثم نقل يوم الاربعاء الخامس والعشرين الاتحال الى الخيم ثلثا يغيب حاضر .
ولا يصاب عن الورد ضادر . ويكون غلمان العسكر للحرب مباشرين . ولمشرك الكفر
بإدارة كؤوس الردي عليهم معاشرين . فانتدب منهم الى الحرب كل مجتري لاوقائع
مجترح . وكل محترق على نار الهيجاء للهياج مقترح . وكل وقاح بالحراب وقاع . وكل
ضرار بارداء الكفرة نفاع . وكل غلام له من هيجان الحية لغام . وكل أسد غدا الى

الشد له في حومة المأزق زئير وبفام . وكل متلاف للغيره غير متلاف . وكل جاف عن سوى سوء متجاف . وأخذوا من بيت السلاح السيوف والتراس . وطلبوا بقصد العدو الاقتتاس والاقتراس . وأبلاوا بلاء حسناً . وأوضحوا بالنسكاية في العدو سنناً . ووصل في صبيحة يوم الخميس السادس والعشرين . عوام من البلد بخبر بقوة المشركين المحاصرين . وإن البلد قد ضويق . وأن العدو المحذول يحقق به كيده أن حوقق . فتقدم السلطان ليشغل العدو عن قتال البلد بقتاله . ويكفه بئزاله عن نزاله . وجدد الكتب إلى الأمصار . بالاستنفار والاستتصار . قاو من وصل ولده الملك الظاهر صاحب حلب . وقد جمع وجلب . وقدم عسكره يوم الجمعة وانفرد بوصوله . وحظي من نظر والده بسوله . وذلك يوم الجمعة السابع والعشرين ثم عاد إلى مصر . وجاء يوم السبت في حسن منظره واحسان أثره . في منظر ناصر . وروفق حاضر . وجمع كئيف . وحشد لقيف . وبهجة رائمة وروعة مبهجة . وهياة معجزة وهية للعدو مزعجة . وصوله داثله . ودولة صائله * وميامن رائته * ومحاسن شاقه * وبحر من الحديد مانج * وبحر من الحديد هائج * ورقاق وذوابل * وعناق وصواهل * وعوابس وعواسل * وشعوب وقبائل * وقدم في هذا اليوم مظفر الدين بن على كوجك وهو صاحب حران جريده * وقد استأنف للجهاد عزيمة جديده * ثم عاد إلى عسكره ليقدم به . ويحضر بجنده وتركانه وعربه *

ذكر وقوع النار في أبراج الفرنج الثلاثة واحتراقها

وتلف كل ما كان ومن كان في طباقها

ولما كان بعد الظهر من هذا اليوم وهو السبت الثامن والعشرون * تباينت ظهور دلائل النصر وتناصر أسباب الظهور المبشرون . فنظرنا النار من أحد الأبراج في السماء بشملها . متساميه . وفي الجو بشارها متراميه . وما يدري ما سبب هذا الحريق . وكيف تيسر هذا التوفيق . وأخذت النار بالبرج فإذا هو كشجرة من نار . وقلوب المشركين لاستعارها في استمار . ووجوه المؤمنين لانوارها في استبشار . ثم رأينا البرج الثاني وهو يحترق . والنار في أشائه تحترق . ثم نظرنا إلى البرج الثالث فإذا هو يشتعل . وبألسنة النيران يتهل . فما برحنا حتى سقطت ثلثها . وبلفت إلينا من صدماتها وحدماتها استغاثتها ؟ وركب السلطان ونحن معه ونزلنا نكتب بشار النار . ولسير بطاقتها على

على أجنحة الاطيار والعجب ان الابراج كانت متباعدة غير متداية • وقد أبدها الفرنج لمسافات متناهية ، فكل واحد منها على جانب من البلد قد كشفه ، وحسف اسواره وكشفه ، فاحترقت على تباينها في وقت واحد ؛ وقدّر من الله وارد ، فلم يكن ذلك الا سرا الهياً ؟ ولطفاً ربانياً ، وفرجاً بعد الشدة ، وثلجاً لصدور المؤمنين بتلك الوقعة ، وكان سبب حريقها ان رجلاً يعرف بعلي ابن عريف النحاسين بدمشق كان استأذن السلطان في دخول عكا للجهد ، وأقام فيها باذلاً للاجتهاد ، وغرى بعمل قدور النفط وتركيب عقائره ، وتمييز كل نوع وتمييز مقاديره • وتقدير مميّزه ، والناس يضحكون منه ؟ ويفضون عنه ، ويقولون هذا يضيع ماله فيما لا ينهيه ، وما هذا الهوس الذي وقع فيه ، وهو يمدّ لذلك العمل الآلات ، ويجد في تلك الادوات ، ويكثر القدور ، ويرتب الامور ، فلما قدمت الي البلد تلك الابراج ، وحصل من الامتزاج الامتزاج ؟ قوتلت بكل فن ، وأدني البها من النفط كل قدر ودن ؟ ورميت بكل قارورة محرقة • وكل نقاطة مرهقة ، وبالع في صنعته الزراق فلم يتم في شيء منها احتراق ؟ ووقع الياس • واستسلم الناس ؟ فضي ابن العريف • بل ابن العريف • الي بهاء الدين قراقوش الامير • وقال قد رأينا ما اعترض من التدبير • وما عرض من التقدير • فافسح لي في رمي هذه القدور • فلعل الله يأتي منها بشفاء الصدور • فاذن له على كره • وقال ما أرى لاحراق هذه البروج على يده من وجب • فان الصنائع قد البسوا ، والزرايين العارفين بالصناعة يشسوا فلما وجد الاذن وزن القدور وغيرها • ورعى بوحدة منها الى أحد الابراج في المنجنيق وغيرها واعتبرها • ثم لما استوت رمايته • وهجت في الاصابة درايته ، رمى بقدور فقط لانا فيها • وهو يصيبها على أعلى البرج ويسقيها ، والفرنج يعجبون من البال ولا يدرون بما دراهم من الشعل ، ثم قذف بقدر ناره ، متشعبة بكل بليه • فوقعت في العلبة الوسطى ورمى أخري فوقعت في السفلى • فاشتعل البرج من طرفيه الأدنى والأعلى ، ولمعذر على من فيه من الفرنج الخلاص وكانوا سبعين • (فاحترقوا أجمعين) ، ودخل اليه أيضاً جماعة لاستنقاذ ما فيه فاحترقوا بدروعهم وسيوفهم • وتقلب الجحيم عليهم غيظاً لا يستطيعوا حثوفهم • وتحول ابن العريف الى مقابلة البرج الثاني • ولم يلحقه في احراقه التواني ، واستقل الي الثالث فاحرقه • وما كان ذلك بصنعة منه بل لان الله وفقه • وما زالت محترق الثلاثة وتتقد اتقاداً حتى عاد جرها ماداً ، وبياض ناراها واحرارها في السماء على الارض سواداً واحترقت

الجانيق والستار التي كانت بقرها • وبهت الذي كفر وأسف على نصبه في نصيبها • وخذ الكفار بذلك الضرام ، وسلوا عما كانوا فيه من غرام الغرام . وحبطت أعمالهم • وخابت آمالهم • وركدوا بمد جريهم • وركنوا الى خزيمهم ، وضلوا في سبيهم • وتورطوا في بغيهم • وسقط في أيديهم بسقوط أيدهم • وحق مكرهم بهم ، وكيدوا بكيدهم ، وخرج رجالنا من البلد فظفوا الخندق وسدوا الثغر ، وأظهروا بظهور القدر القدر ، وجاؤا الى مواضع الابراج وأماكنها • واستخرجوا الحديد من مكانها • ونشوا الرماح عن الزرديات التي انسبكت • وكشفوا عن الستار التي تهتك • فآخذوا ما وجدوا وحصلوا على ما نشدوا ، وآرب من ترب من تراث ذلك الثراب ، وعمرت قلوب المسلمين بذلك الحراب ، ويردت من حر تلك النار • وشفي أوامها بذلك الأوار • والحمد لله الذي جعل تلك النار لاولياته بالبرد والسلام ابراهيميه • وعلى أعدائه بالحرق والضرام جحيميه ،

ذكر فصول انشأتها من كتب الدشائر بالنار

صدرت مبشرة بما أجده الله من الجدة • وأنجزه • من الوعد • وأجزله من الرشد • وأعذبه حال الظما البرح • من الورد • وذلك ما ظهر يوم السبت ثامن عشر شهر ربيع الاول من الاتفاق الحسن • والنصر الذي يقصر عن وصفه ذوو اللسان • وهو ان أصحابنا بكاء رموا بقدر النفط عدد العدو المدحور • وأحرقوا جميع ما لهم من المدخور ، واخترقت ثلثة أبراج كانوا قدموها • ودبابات قربوها ، ومنجنيقات نصبوها • ولهم منذ تسعة أشهر يجتمعون بهذه الآلات • ويستسهلون عليها الغرامات • حتى أقاموا أبراجا أعلى من أبراج السور بصف سمكها وقربوها ناكية في الثغر الحروس بشكتها • وشحنوا بالرجال للمقاتلة طباقها • وأطالوا على مناكب البلد أعناقها • فاشفق الاسلام من نكاياتها • وأظلمت الآفاق من غيايتها • وكشفت من البلد جانباً • أوجيت من سورة غاريا • فاقدر الله على إحراق ما عمل في تلك المدد المديدة في ساعده • وأسى العدو بقلوب وأفئدة مرتابة مرتاعة • وما أفصح لسن التيران على تلك الاعواد خاطيه • وما أبسط أيديها على من كان فيها من الرجال للارواح ناهية سالبة

فصل

هذه المكتوبة مبشرة بالغفر الذي ورت زناده • والنصر الذي قرب ميماده • وذلك

ان أمحابتنا بشر عكا . استظهروا وظهروا . وصبروا فانتصروا . ودموا من البلد أبراج الفرنج
المنصوبة عليه بقدر النفط . وأنزلوها من سماء الرفعة الى أرض الحط . وأطالوا بها السن
النار المضرمة . ودبت من الابراج المقربة الى الديابات المقدسة . وعلم المدوان كرتة خاسره .
وان يده عن نيل المني قاصره .

فصل

هذه مبشرة بالغافر الهني . والتجع السني . والنور اللامع من النار . والنصر الواري الزناد .
الطائر الترار . وهو ظهور أمحابتنا بمكا . يوم السبت ثامن عشري ربيع الاول . وقد
خسهم الله بالتجع الافضل الاكل . وقد كان المدوقدم أبراجه . وسلك في المضايقة منهاجه .
ولزم في الزحف الدائم لجاحه . فاستظهر الامحاب عابهم وقت الظهر . ورمومهم بقدر
النفط الحارقة من الثغر . فطالت السنة التيران تدعوا على أهلها بالوار . وتبدى في نضرها
نضرها لنا للاعتذار . وشاهد أهل النار ما أعد لهم في سقر . وتلونا قول الله سبحانه فيهم
كذلك نجزي من كفر

فصل الى الديوان العزيز

ولما كان ظهر يوم السبت ظهر أهل الجمعة على أهل الاحد . ورمى أمحباب المحصورون
النصرون عدد العدى وابراجهم بقدر النفط من البلد . ونقطبت السنة التيران على تلك
الاعواد . بل على تلك الاطواد . وألحقها رداء الردى وألحقها بالوهاد . وفرشت رمادها
لما تم أولئك المراد . فكانت تلك النار على الكفر ضراما . وعلى الاسلام بردا وسلاما .
واحترق الابراج الثلاثة على متعدي التلث . ودبت النار الى الديابات والمنجنيقات بصدمة
والمنجنيقات . ودبت النار الى الديابات . بصدمة التأثير وحدمة التأثير . وما أطول السن
النار . وأفصحها بالدعاء على أهلها بالتبار . وقد أبدت الى الاسلام بتضرعها ونضرعها
وجه الاستبشار . وما أحسنها وهي ترمي بشر كالقصر . ويكسو سني لها وجوه المؤمنين
بشر النصر . وما أقطعها لدابر المشركين وقد خصت باحراق تلك الآلات عن البلد
أجنحة الحصر . وبسم بعد عبوس البوس بسم الله ثغر الثغر . وقد بقت هذه الفجيعة
لجأة من حوته تلك البروج . ودخل الى طبقاتها قوم لافناء النار تعذر عليهم الخروج .
وهلك فيها أكثر من ثلثائة دارع . وخرج من أهل البلد لما حق الفرج كل مسابق

الى الغنمة مسارع * وكسبوا من الدروع والناصل والسيوف * كل ما وجدوه خلل رما
تلك الخنوف * وكان القوم قد اعتصموا بالابراج وثوقا بوثاقها * واشتدوا بشدتها فباعق
بهم من علاقتها * ووصلوا بها اجنتهم * وذخروا فيها أسلحتهم * فأخفقت ظنونهم وسعنت
عيونهم * وخسر هنالك المبطلون * فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون

﴿ فصل من كتاب الى اليمن في وصف الابراج واجراقها ﴾

استفد الفرنج أموالهم في عدد أعدوها * وآلات أجدوها * وأحكموا ابراجا شامخات ومجانيق
شادخات * وزاد غرامهم بالفرامات * واستقلوا على عمل الابراج كثرة الحسارات * ومكثوا
مدة على لجاجهم * يطرقون بين يدي أبراجهم * ويمهدون الارض لتسوية منهاجهم * فلما
قدموها بعد لاي * وأحكموا بأحكامها كل تدبير ورأى * وأشرفوا منها على سور البلد
بأسوار ذات أسواء * وجاؤا بالآلات علات وادوات ادواء * وأشقى البلد من بلاتها واشفق *
ووجل كل قلب وفرق * واحتجنا لمزاوله هذا الخطب الجليل * ومدادوا الامر العليل
الى أن نشغلهم بمحصرتنا اياهم عن التفرغ للحصر * ونضرعنا الى الله في ازال ملائكة
النصر * فكان من لطف الله ما لم يكن في الحساب * واتي الله المحرمين بالعذاب * وألهم
أصحابنا مادوا به المرض * وأدركوا به القرض * وأظهروهم ظهر يوم السبت الذي خصهم
فيه بالظهور * واقدرهم على رمي تلك الابراج بالنفط في القصور * وظهر من سر
صنع الله ما كان في المقدور * فتسلطت النار على عمل أهل النار * وتصاعدت زفرات
غيظها بأنفاس الشرار * ولع نور النصر الساطع من خلال ظلمة ذلك الدخان * وكان
كما قال الله تبارك وتعالى برسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران * وعادت تلك
الأكم وهادا * وذلك الجمر رمادا * ونحلحلت تلك الجبال وتحلل تركيها * ولصق
بالتراب ترتيبها * وتنكس منها صليها * وكانت ثلثة ابراج شاهقة فاعبت في ملاعبها الثيران
فأذاهي زاهقة * وتقلت نجوم الشمل في تلك البروج * وعجز شياطينها برجات جبرات
شبهها عن الخروج * وتسلط الخفيض على رفاعها * وباد الدارعون فيها بأدراعها *
واضحك الله نفر التفر بما أطابه من أرج الفرج * وأخذ بأشتعال ذلك الوهج ما كرب
قلوب المؤمنين من الوهج * وصان مهج أهل التوحيد بما أرداه لاهل التثليث من المهج *

﴿ فصل ﴾

تقدم المشركون بالأبراج الى البلد فقبروا الاسواء من أسواره • وألصقوا منها جدراناً
بجداره • وأشرف التفر على الخطر العظيم من جواره • فأظهر الله ما كان خفياً من
سر اقدارهم • وأحرق عمل أهل النار بناره • وكان أمحاجنا لما عاينوا مادهمهم ومهمهم •
وخصهم من الخطب وعهم • نصبوا مجانيق بأذي الأبراج • وصدعوها بها صدع الزجاج
ورموها منها بقدر النفط فاشتعلت رؤوسها وشابت وشبت • وشت النار في اطرافها
واعطافها ودبت • وأرسل الله في تلك الساعة بعذابها ريحاً بها هبت • فأمت اجنحتها
قد حصت وأسمنتها قد جيت • وسقط في أيديها ووجيت جنوبها وكبت على وجوهها
في النار وكبت • فما أفصح السنة الثيران وقد نادى بنصرنا ولبت • وألفت منها قلوبنا بما
ألفت من نفع غليلها وأجبت • والمحمدية على الطافة التي ما ظلت ولا أغبت • وقصدنا بذكر
هذه الفصول ذكر الاحوال التي جرت بحققها وحقيقتها • وحليتها وجليلتها • فانه يشتمل كل
فصل على تمام ما أغفل في غيره • ومقصودنا استيعاب كل حادث بذكره •

﴿ ذكر تاريخ وصول الاكابر في هذه السنة ﴾

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشر ربيع الآخر • قدم عماد الدين زنكي بن مودود • بن زنكي
بن استنهضه من الفساكر • وكان أول من استقبله حين ظهرت رايته • من المسكر
كتابه وقضائه • ثم لقيه الملك المظفر تقي الدين بتل كيسان • ولقيه بمدد الملك الظافر
خضر والمعز اسحق ولدا السلطان • فنزل لهما ونزلا له • وتممدا اعظامه واجلاله • ثم
تلقاه الملك الافضل ادني من ذلك فتماعقا على فرسيهما اعفاء له من النزول • وتلاقيا
بالانبال والقبول • ثم وصل اليه السلطان بالوجه الضاحك • والاعطف المتدارك • واعتقما
على ظهر • وافقوا على بشر وئثر • وكان الملك العادل تأخر فليحق • وأظهر من
أرج سجاياه ما ينشره عقب ومحبه عاق • وسار مع السلطان باطلا به وأبطاله • وحامه
ورجاله • حتى وقف قبالة المدو بصفوفه • ووقف عليهم طول الرعب بطول وقوفه
ثم رده السلطان الي خيمته على رسم الضيافة • وترفرت الطافة عليه بالاطافة • ووقف
ساعة مع الملك العادل حتى دخل السلطان سرادقه وجلس • وخضر الملك العادل بمماد
الدين وبسط لفرشه ثوباً أطلس • وأكرمه السلطان بأجلاله الي جنبه على العاراحه •

وأنسه ببشر الساحة والسجاجة * ووقف الامراء والخواص والاولياء صفيين * وألشد الشعراء من المدح والنيب صنفين * ثم أحضرت المائدة فنادى نحوها الحضور * وعقد الجبالهم الجبور * ثم رفع الخوان وارتفع الاخوان * وحسن الخبر والعيان * وخلا المكان وحلا الامكان * قامر السلطان له بأحضار عشرة من التناق المراب * وخمس عشرة رزمة من كرائم الثياب * ثم نهض وهو ببب الشكر ناهض * ولوجه العذر عارض ونزل في خيمته وقد ضربت على النهر بعد المضارب العادلية * وملاً تلك المروج بمساكره الملية * ثم وصل من بعده ابن أخيه معز الدين سنجر شاه بن قازى بن مودود صاحب الجزيرة بمساكره الكثيفة الكثيرة * وذلك يوم الاربعاء سابع جمادى الاولى * بالابد الاطول واليد الطولي * فالتقاء السلطان وأخوه وأولاده على قاعدة عمه وأجراه في الضيافة والكرامة والتزول بالخيمة السلطانية على حكمه * لكنه يقصر في القاعدة عن رسمه * ونزل بخيمته في فناء السراشق العمادى * وقد استكثر من العسكر الجهادى فكان ذلك المرج بحر أمواجه الحميم والمضارب * أو سماء كواكبها ماشرعته من صمادها الكتائب * أو غيل آساده في آجام القنا الفوارس * أو غدير من السوابغ حبابه الترائك والقوائس * أو سحاب يروقه الصوارم الرقاق * أو وهاد اكابها الصواهل التناق * ثم وصل الملك السعيد علاء الدين خرم شاه ابن صاحب الموصل عز الدين مسعود بن مودود ، وهو كوالده مسعود مودود * وفي شهامته وصرامته مشكور محمود * وذلك تاسع جمادى الاولى يوم الجمعة ، بالمحاسن المتنوعة ، والمفاخر الاصلية المتفرعة ، والصنائع المبدعة ، والبدائع المصنعة ، وجيشه للقوة ضابط ، وجاشه على الحمية رابط ، وبأسه ليد الايد باسط ، وجنانه على الكفر ساخط . وهو شاب أول ، باقل خطه * وابتهج بكماله رهطه . وكان أبوه قد عزم على الوصول بنفسه ، وإذهاب وحشة الخطب الملم بالناس * ثم رأى المصلحة في الاقامة وتقديم ولده المشكور المشهور الشهامه * فانهض العسكر المجر معه * ثم أتبعه بمن حشده وجمعه * فورذ ورود السحاب الكنهور ، ونور المطالع بسني السنور * وأطلع بطلوعه على معنى البأس المصور . واحتفل السلطان بقدمه احتفاله بقدم عمه * وحافظ من الكرامة على توفير سهمه * وأنزله في سراشقه وأضافه * وأهدى له خيله والطايف * وأمر بانزاله في الميمنة بين ولديه الماكين الافضل والظاهر * وضاق ذلك البر الواسع بحجر المساكر * ولم يبق في أهل السلطان الا من اقتدى به في الاحتفال بقدم هؤلاء * واعتماد مقام به البرهان على الخالصة في الولاء *

والمسارعة الي الضيافة والاهداء * والاعادة الى المكارمة بعد الابداء

﴿ فصل من كتاب الى صاحب الموصل في شكره على تسيير ولده ﴾

الحمد لله الذي نصر الدين باهله * وعجل بانصاره جمع شمله * ووفق أسد صرين الملك
أن يحمي حوزة الاسلام بشبهه * وللمعجل في طوله اليد الطولى * والمئة الثانية التي أربت على
الاولي * حيث حث همته العلي * وحض لحظ دينه عزمته الماضية المضيه * وشرف بولده
علاء الدين من تقلد بوروده أوفي منه * وتمجّل من وفوده أقوي منة وأوقى جنبه *
فلقد ورد الى الساحل بجرأ * وطلع في ليل القسائل بدرأ * وأسفر لمرقبي صباح النصر
فجرأ * وجلا وجوه المؤمنين بشراه بشرأ * وملا صدر الاسلام أمناً وقلب الكفر ذعراً
* ثم وصل زين الدين يوسف بن زين الدين على كوچك صاحب اربل يوم الاربعاء
في الشهر الآخر من جمادي الاول * ذو السباح المؤمل * والمجد المؤمل * بجيش كالسحاب
المسيل * فدرت أخلاف النصر بحقول ذلك الحقل * وورد بكل ورد هني * وجد سني *
وقدم بكل مقدم * ووزار خيس الجيش بكل ضرغام * وزار بكل همم بالنون همم * ووصل
بكل فاصل لسبب النصر * قاطع دابر الكفر * ووقد بكل وافد بالعين الوافي * والتججع بالكافي *
والغز الصافي * والعزم الشافي * وطلع بكل طالع بالسني * جامع لاهني * قارع بالهني * فارك
للخني أسافك دم الشرك بالظبا والقنا * وكان هذا أول يوم لقاء السلطان * وأحسن اليه بالاكرام
وزاد في الاحسان * وكان يجمع بين الحماة والسباحه * والبشاشة والرجاجه * والتودد
الى الناس * والتشدد بالباس * والتواضع مع الكرم * ودنو الود مع علوا المهمل * ماله
مبذول * ونواله مأمول * وسيفه على الكفر مسلول * وأمره بالطاعة في رعيته ومن في
جهلته مقبول * وهو مرجو مخشى * وكريم مفتى * ومهيب مرجو * ومحسن يسني الحمد
بجلو * وكان معه خلق كثير * في سلك الانساق ومسلك الاتساع نظم تير * وأنزل بقرب
أخيه مظفر الدين في الميسره * وتمكن الرعب بما تم من الجمع في قلوب الكفرة

﴿ ذكر وصول الاسطول من مصر ﴾

كان السلطان قد أمر بتعمير اسطول آخر من مصر تصل فيه الذخيرة والميرة * والعدد
الكثيرة * فلما كان ظهر يوم الخميس ثامن جمادي الاول ظهر الاسطول * وتم بظهوره
النصر المأمول * فركب السلطان في جحافله * وسدد سهام الردي الى العدو ومقاتله * وأحقق

به حول خناده • ليوسع عليه الهلاك في مضايقه • وليشغل الفرنج عن قتال الاسطول *
ويسهل عليه بتشاكلهم طريق الوصول * فصر الفرنج اسطولا • وصف شوانيه على البحر
عرضاً وطولاً • وقدر انه يلاقي الاسطول المنصور • ويخطر بسد الطرق عليه وصدها العبور
لجأت منها كبتاً ولطحت مراكبهم وطاحتها • وأوت منها وأوتها * وأخذنا لهم مراكباً
وأخذوا لنا مراكباً • وكان قصير الرؤساء في حفظه لأخذ سبياً • واتصل الحرب في البر الى
حين غروب الشمس • وعاد المسلمون بحبور القلب وسرور النفس • وقتل من الفرنج عدة
وافية • وكلاء الله لا ولا محابنا واقية

ووصفت هذه الحالة في مكتبة كتبها لتعرف منها الصورة

وتكشف القضية المستورة وهي

هذه المكتبة مبشرة بما ساء الله من النصر الهني • وهناء من لنجج السفى • وأحقي
المسلمين من ثمر الغفر الحني • وذلك بوصول الاسطول الثاني المصري المنصور • ظهر يوم
الخميس متظاهراً بامداد الظهور • متوافراً بوفود الوفور • ودخله سالماً قائماً الى ثمر
عكاء المحروس المنصور • فأمر البلد بعد انقاضه • واجتمع اليه مدد القوة بعد انقاضه •
واستجد جده واقية • وعصمة واقية • وذخيرة كافيه • وكان الفرنج عند وصول اسطولنا
المنصور قد جهزت مراكبها • وأرزت مراكبها • وحثت بالرجال والعدد جواربها • وسمنت
غواربها • ورفعت هضابها • وهواضبا • وسحبت على شبح البحر سحائبها • وأدبت الى عقبان
أساطيلنا المحلقة يعقبها ثماينها وعقاربها • ونظنت أنها تستطيل على رؤس أساطيلنا بسواربها •
واما تواجه عرائسها المجلوه بحور جواربها • فلما جاء الحق زهق الباطل • وصال الواصل •
وحاص العدو من الحاصل • وأحمل تركيب تلك المراكب • وحطت تلك المراكب بما أحاط
بها من التواكب • وخرج الاسطول الاول من الثغرة متبشراً بدخول الثاني • واجتمع شمل
الشواني بالشواني • وهرقت سفن العدو شذر مذر • وعذر حين دهر خذر • وكسبت
شوانينا ست بطس لهم فكسرتهم • ووجدت فيها عدة من الرجال المقدمين والنساء قاصراتها •
وكانت الفرنج حملت فيها تجاراً وذخائر تطلب ربحها تخسرتها

فصل آخر

وصل الاسطول ظهر يوم الخميس ظاهراً خميسه، ثاراً بالاسدعريسه في شوان للعدو شوان * وشلتديات لشله وقله ضوامن * وحراريق لأهل النار ينارها محرقه * وعقبان مرآكب في مطار العقاب على الجرمين محلقه * وسواري هواضب كرواسي هضاب * وسجاب بوائق كبوارق سحاب * من كل مركب للنصر مركب * ومفرد من الشدة والبأس مركب * وقطعة لثياط قلب العدو قاطعه * وقلمه لاساس اهل الكفر قالمه * وتلعه في ذروة العزة تلعه * وذروة في مرقى الهدى راقية منيعه * وجاءت في البحر امواجاً في الامواج * ودخلت الى الثغر افواجا بعد الافواج * وكان العدو قد ابرز اباطيله * وجيز اساطيله * وشب عواديه ودواعيه وادب عقارب واقاعيه * واسمي مناكب مرآكب * وجد في امهاء غروبهم وتسليم غواربهم * ولما وصل الاسطول طال وصال * ولاح للعدو صده بحيلة من حال خال * وامتنع مراده واستحال * واخذ الاسطول من مرآكب الكبار ست قطع قطعت اسبابها * وقصمت من عبدة الصليب اصلاها * وخيب حسابها *

فصل

وصل الاسطول الى البلد * مستطيلاً بالجلاد والجلبه وآثري به الثغر بعد الانفاض * واجتمع به شمل الرجا بعد الانفضاض * ودخل اليه ما خرج عن حصد الحصر * من ذخيرة وميرة توجب كثرتها قلة المبالاة بالحصر * فان الرايات المنصورة علت فجئت في الآفاق رياضاً * والمرآكب الاسلامية انقضت فقصت للمسلمين اعراضاً * ووافت ووفت فاطدت جواهرها مرآكب العدو اعراضاً * وجاءت سواربها كالرواسي * وجواربها محكمة المراسي * ومن شأن شوانها شن الفارات على الشناء * ومن عادة شلتدياتها شل اندية العداة * ومن شيمة حراريقها شم بوارق البوائق لاحتراق أهل النار في الماء * ومن عمل مرآكبها إلخاف مناكب الكفار رداء الارداء * من كل جبل يمرمر السحاب * وضامر يشد العراب * وعقاب محلق على الشوك في مطار العقاب * وغراب ناعب في اعداء الله بين الاحباب * وهضبة موفية على الهضاب * وقطعة وافية من الكافرين بقطع الرقاب * وما أحسنها وقد زفت عرائس * وجليت أوانس * وطلمت بأهل الايمان بواشر وعلى أهل الكفر عوايس * وعادت بها رسوم مرآكب الفرنج دوارس * وخلا وجه البحر

من سفن الضلال • وتقلص ما لها من الظلال • ولما شوهه الاسطول ساطيا • وحيد النصر
منه عاطيا • وأخذ البحر من الاعداء بحقه • وأشرق سنى التحج في أفقه • ركب السكر
المنصور للقتال • وأخذ أهبة الزلزال • وزحف الرجال الى الرجال • والتقى الأبطال بالأبطال
• وشفيت بدم الكفر غلة المناصل والنصال • وأحرقت البيض الظلمات ورويت من نجيع
الزرق • وبشرت جياح العواسل من اليراع العاسل بما جل الرزق • وظل أهل الضلال
وقد كفهم الكفاح • وفكهم القتل والجراح • وأقوى الاقوى من الثبات • وبطل
بطلهم بما أتحته من الجراحات • وبات المسلمون واثقين من الله بأن جمع الكفر قريب
الشتات • وأدرك المشركين ما فاتهم من الآفات •

﴿ ذكر قصة ملك الالمان وصحة الخبر المتواتر بوصوله ﴾

صح الخبر أن ملك الالمان عبر من قسطنطينية الخليج ، وخطب في تلك المروج
بمروجه الخطب المريج • وأنه وصل بجمعه الى مضائق صعب عليه منها العبور • وعهم
في نهضاتهم العثور • ف قيل أنهم أقاموا في قفار ومواضع شراً • عدموا فيها الطعام ولم
يجدوا بها الاضرا • وكان التركان الاوحيه على طرفتهم • ينعون بقربيهم من تشريقهم •
فاضطروا الى المقام بغير زاد • وهم في جهد وضر واجتهد • فصاروا يذبحون خيلهم
ويأكلونها • ويكسرون قطارياتهم لفقدان الحطب ويشعلونها • فترجلت منهم الوف •
ورغمت أنوف • وكان ذلك في البرد الشديد • وزمان الثلج والجليد • فجمدوا وخمدوا •
وتجلدوا وتبلدوا • وعدموا دواب لحمل الاثقال • وتقل عدد الرجال • فدقوا وأحرقوا
منها • وتركوها وسلوا عنها • وكان ذلك من الله لطفا • وأمسست قوتهم ضعفا • وكانوا
في خلق لا يعد • وجمع لا يجد • فما أثر فيهم ذلك التعب • ولا صدمهم عن مقصدهم
ذلك التعب • وما زالوا يسبرون والاوحيه تبدى اليهم للوبال في اوجها ووجها • والاقرنجية
لانتهى حتى تبلغ الي ما لها من متعي • حتي بلغت الى بلاد قليج أرسلان ابن مسعود
ومسلكتها دونهم غير مصدود ولا مسدود • وقليج أرسلان يحكمهم عليه من ولده قطب الدين
ملكشاه • وهو يدبر امره ويتولاه • ويسومه الاكراء • فعارضهم للماقربوا وتمرض لقتالهم •
وطاردهم ليضيق عليهم سعة مجالهم • ثم اندفع من بين ايديهم • وتعدى عن جانب تعسبهم •
ودخلوا قونية دار ملك المسعوديه • واعتصم قليج أرسلان بقلعها الحميه • وراسل هو وملك

الامان . وآتقوا في الباطن على ما كان بينهما من الموائيق والايمان . وحمل ملك الالمان له
وفرا وافرأ . وأشبه المسلم بالكف عن الكافر كافر . ووافقه على العبور الى الأقاليم الشاميه
* والبلاد الاسلاميه . وعلى انه يسير في بلده الى بلد ابن لاون . واعطاه عشرين . قدما من
أكابر امرأه ليكونوا معه حتى يصل الى الماء . رهاث . و امر الناس بمبايعتهم على ما يسومونه .
وان يماوضوهم من الحيل والعدة بما يروونه . وأقام لهم الاسواق . وعرض عليهم الامنة
والاعلاق . فصاروا في رفه ورفق . وتقو بلا توق . فلما وصل للملحون الى بلاد الارمن غدر
بالرهاث . وساقهم محمولين مع الظعائن . وتأول عليهم بان التزكان سرقوا منهم في طريقه .
ونكت جميع موائيقه . ووصل ليفون بن اسطفانة بن لاون مقدم الارمن الى خدمته .
ودخل في طاعته . وكان بمفرده خالياً من عسكره بمجرد . وذلك في طرسوس فتمكثوا بها
ليرجحوا بها النفوس . وقيل عن لكلب الالمان ان يسبح في النهر . ويميط عنه ماعراء من
الوضر والضر . وكان شيخا مسناً . قد طاد لكبر سنه شناً . وحسب انه اذا سبح سحب
ذيل الاستراحة . فكان موته في تلك الراحة . وهلك في تلك السباحة . فانه طام في الماء البارد
. وتورط منه في أصعب الموارخ . وخرج وبقي مريضاً الى ان خرج من ثوب البقاء ونحول
الى قساء القناء . وتلقاه ممالك بالزبانيه . وحملوه الى مارقة الحاميه . وسمعت نصرانياً
يقول في معناه . كنت معه لما سلك فهلك وأعجله ممالك النار عما ملك . وذلك ان النهر
ماكان فيه الا عبر واحد والعسكر فيه متراحم متوارد . فقال ملك الالمان هل تعرفون موضعاً
يمكن فيه العبور . ويؤمن فيه الشور . فقال له واحد ههنا مخاضة ضيقة من أحترز فيها عن
التيامن والتياسر عبر . ولا يعبر فيها الا واحد بعد واحد اذا ثبت واستظهر . فبدر الى تلك
المخاضة ذات الحجرة الفياضة . ودخل الماء فطغى على ذلك الثأري الطاغى . وأعجل ذلك الباغي
عن المباغي . ورماه في جريانه الى شجرة شحت جيئته وجبفت جاشه . وعثرته بحيث لم يؤمل
استماشه فقمبوا في اخراجه . وأيسوا من علاجه . ومات عدو الله شرمية وبلى شمله بشيئته
وحبله بتبتيته وخلفه ولده على خلف من أصحابه وأحاده . لكان الولد الذي خلفه *
في بلاده . وقيل انهم سلقوا ذلك الهالك في قدر حتى تخلص عظمه . وتهرى لحمه . ثم جمعوا
في كيس عظامه . وراموا بذلك اكرامه واعظامه . ليحملوه الى كنيسهم بالقدس قائمه .
ويدفونه على ما كان اوصى به ورامه . ولما عرف ابن لاون بهلاكه . وسكون حراكه . وما
جرى من الاحتلال والاختلاف بموته * وانه لا تلافي لما فرط من تافه وفوته فارقههم

الى بعض قلاعهم • واتصل الضربهم لاقطاعه • ووصل كتاب من الكايا غيكوس صاحب قلعة الروم يرغب ويرهب ويرق ويزعد • يقول ويمدد ويدهد ويهدد ويرى انه ناصح • وللقصه شارح • وان الامر واضح • وان الخطب فظيع فاضح • وان هذا الملقنون أول ماخرج من بلده • أوصى فيه الى ولده • ثم جاء الى بلد المنكر فدخله غصبا • وأوسع فيها • حتى أذعن له واتقاد • وبان بطاعته المراده • وانه أخذ من ماله ورجاله ما اختاره • وتزود من عنده وامتار • ثم وطئ أرض ملك الروم وداسها • وتوسط ديارها وجاسها • وقطع بلادها • وملك قيادها • وأحوج ملك الروم الى طاعته • والزمه بما دخل في استطاعته • وأخذ منه من الذهب خسين قطارا ومن الفضة خمسين • ومن الثياب الطلس المعدنية ما يافع الألوف وتجاوز عن اثنين • وأخذ على سبيل الرهان اربعين من خلصانه • ومعر وفي كبرائه • وأخذ كل سفينة غصبا • وسحب على ذلك البحر في التعدية من مراكبه سحبا • وانه لما عبر وفرغ من الخروج • تلقاه بالبحل والدواب والاعظام تركان الأوج • ثم وقع بين التركان وبينهم • وجالوا حولهم ثلثة وثلثين يوما يروون حينهم • وهم في طريقهم سارون • وعلى مقاتلتهم صابرون • حتى قربوا من قونية فاعترضه قطب الدين ولد قليج ارسلان • والثني الأقران بالأقران • وهزمه ملك الألمان • ولما أشرف على قونية خرج اليه جوعها • وطالت اليه بالجرب بوعها • ثم اندفعت حيث ضم على الروع روعها • وانه هجم على قونية عنوه • ونال منها حظوه • وأقام خنسة أيام حتى استقرت بينه وبين قليج ارسلان قاعدة اكيد • وحصلت لكل منهما فائدة مهيدة • وأخذ منه رهان عشرين • من أكابر دولته المتميزين • وقدم كتابه الى ابن لاون بالجواز في بلاده • فتلقاء بما أعده لارفاده • ونزل حين وصوله الى طرسوس على بعض الانهار ونام ساعة بعد تناول الطعام • ثم أتيه ونشوق الى الاستحمام • فحرك عليه الماء البارد مرضا • وتشكى اياما قلائل مضضا • ثم قضى • وانقرض اربه وانقضى • وخلفه ولده يمد • واستمال جنده • وكان ابن لاون قد سار قاصداً للقاء أبيه • فلما عرف موته وجلس ولده أضرب عن تلقية • وعرض عسكره في اثنين وأربعين الف مجحف • من كل سرعان أمهرت وذئب أغصف • وأما الرحالة فلكثرتهم تعذر الغرض • وغص بهم طول الأرض والمرض • وقد لبسوا الحديد للحداد على البيت المقدس وهجروا الثياب • ولزوا المصائب • وداوموا الاكثاب • وهم صابرون على الشقاء والتعب • لامل الظفر بالطلب • ولما بلغت هذه الاخبار اضطربت

الديار، وارتاعت الأنجاد والاعوار، وقالوا هذا جانب لا يطاق، وأي جانب قصده عنه لا يباق، ولا شك أنه بتوسط بلاد الشام، وشمل ثغور الاسلام، ويشق لنا نحن فيه من هذا الاهتمام، وعزم السلطان على استقبالهم بالردى والرد، وصدهم عن القصد، ثم ثبت على رأى الثبات، وتغفلت الاوقات بما يجتهد من الحادثات، وتقلقت عزائم الذين بلادهم على طريق القادم، وأنه يعود كل منهم الى مكانه أخذاً بحكم الحازم، فأول من سار ناصر الدين محمد ولد الملك المظفر صاحب منبج، ليجمع على طريق المدو، ويزعج ويرهج، ثم عز الدين بن المقدم، الباسل المعلم، ثم مجد الدين بهرامشاه صاحب بهابك، ليجمع ويأخذ على العدو المسلك، ثم سابق الدين عثمان صاحب شيزر، الليث الهمام القصور، ثم الباروقية أسد الهياج، ونجوم ليل العجاج، ثم رحل الملك الأفضل وقد عرض له ألم، ثم بدر الدين والى دمشق وقد ألم به سقم، ثم سار الملك الظاهر صاحب حلب لاضطرابها بقبته وبهذا الخبر، ولخوف الناس فيه أنهم على الخطر، حتى غلت الاسعار واستعرت الفلج، وخلت الاماكن وتمكنت الحفلة، ثم رحل الملك المظفر تقي الدين لحفظ ثغر اللادقية وجبله، وثبت بقدمه عليها الرعية الخائفة المجفلة، وكان هو آخر من سار ليلة السبت التاسع من جمادى الآخرة، وترتب السلطان منازل المساكر الحاضرة، وخفت الميمنة برحيل معظم من كان فيها مقباً، ولحفظ الثوب في اليك مستديماً، فانتقل الملك العادل اليها، وجاء الى منزلة الملك المظفر ونزل عليها، واستقام الترتيب وترتب المقام، واعتز الصادقون وصدق الاعترام، ثم مرض أكثر العسكر وخام للوخم، ولم بالبعد للآلم، وكان بحمد الله المرض سليم الماقبة قريب المافية، مستعقباً لألطف الله الواقية الوافية، ووقع المرض في القرنج وكان المميد المير، والمدني لأفحاب السعير السعير، وعم فهم الموت والويا، وكثر عن نبواتهم الثبا، وتقدم السلطان بهدم سور طبريه، وهدم يافا وأرسوف وقيساريه، وهدم سور صيداء وجبل وقتل أهلها الى بيروت

❦ عاد حديث ملك الامان ❦

وأما ولد ملك الامان قاتحس، ومرض أياماً في بلد الأرمن واحتبس، وهلك أنحابه جوعاً، ومنهم من عزم رجوعاً، ووقع الموت في خيلهم، فأذن ذلهم بقلوس ذيلهم، وقدم الملك لمرضه، وأثبات جوهه، برضه جوعه قدامه، وساروا أمامه، وخرجوا لكثرتهم

في ثلاث نوب • في بيض وسمر وبيض ولب • ومعظم رجالهم حملة عصا وركاب حمر • غير عارفين بإريق ولا • تحفظين في سير • والناس يلتقطونهم ويختطفونهم • ويتألفون على مسالكهم • ويتلفونهم • ووصلوا الى الطاكية ووصل اليها الملك • بعد أن ضاق به وبجمعه اليها المسلك • وضاق به الابريس صاحب انطاكية ذرعا • ولم يجد لهم عنده موطئا ولا مرعى • وطلب منه القلعة فأخلاها له • ونقل اليها ماله وأقاله • وسأله أن يجعل طريقه على حلب نخاف • وأبدى له الخلاف • وقبل وصوله الى الطاكية قلت جموعه وجنوده • وبلت بحشد الزكبان حشوده • واجتازت الفرقة الاولى منهم تحت قلعة بفراس • فلقيت البوس والباس • وخرج رجالها عليهم على قتلها • وصدمتهم ببساتها • واسرت منهم زائدا على مائتين • وطمعت قيمن وراهم من الفتيان • وقيل أنهم حسبوا ان بفراس باقية بحالها مع الداوية • فجاهوا اليها سحرا باحلالهم وأموالهم السنية • فلم يشعروا اليها الا بالبخال على الباب واقفه • والحجني دان يزقب ان يكون له أيد قاطفه • فخرج اليها وتسلمها بغير طمن ولا ضرب • ونحلى عنها أصحابها لما عرفوا الحال ولم يرجعوا على حرب • فاستغنى الولي من ذلك اليوم • من مال القوم • ثم انكر حق لا يطالب بشيء منه • وغفلت الأيام عنه • وذكر الامير علم الدين سليمان بن جندر في كتابه • أنه انقض جماعة من أصحاب امراء حلب وأصحابه • ليقتلوا آثارهم • ويكشفوا أخبارهم • فوقعوا على خلق عظيم منهم • غالطوهم ولم يرجعوا عنهم • واقتضوا عليهم الانتقاض البزاة على الحجل • وزاروا فيهم زئير الاسد في التقاد وزاروهم بالأجل • واسر كل واحد من أصحابنا ثلثة واربعة • وتركوهم متمزقة متمزعه • وعادوا بالاسارى الى حلب وباعوهم في الاسواق • وامتلاأت بالاسلاب منهم والأعلاق • فطابت قلوب الرعايا • وأنت من الله بما ظهر من الطافه الحفايا • وطمع فيهم أهل القرى • والتقطوهم من الوهاد والذرى • وما صدقوا بالسلامة حتى أواهم الابريس الى انطاكية • وارجح من آلامها الالمانية • وذابوا في هذه الطرقات ذوبا • وصب عليهم العذاب صبا اذا أخذوا صوبا • وهلك بانطاكية الكند الكبير مقدم السكر • وتيمه الى سقر كبير من ذلك المشر • وحصل الابريس بتلك الاموال المجتمعه • والذخائر المودعه • حتى قيل أنه اتما رغب في الوصول الي بلده • ليحصل على سبده ولبده • فأخلى له قلعتيه • لينقل اليها خزانته • ففعل وما رجع اليها واحتوت يد الابريس

عليها * ثم ساروا على طريق الساحل * بالفراس والراجل * وخرجت عليهم خيل جبلة
واللاذقية * وسقطهم كثوس المني * والقتهم على البوس والبله * فأغذوا في السير حتى
وصلوا الى طرابلس وقد نقص نصفهم * وتم بمواصف البلاء نصفهم * وبلغ أمدهم
وانتهى مددهم * وجبن الملك عن المسير على الطريق * لما لقيت جوعاً في طرقها من
التفريق * فركب البحر في عدد يسير لا يزيد على الف * برعب قلب وقصور يد ورجم
أنف * واحتلط مع الفرنج على عكا فسقط اسمه * وسخط حكمه * وهلك بعد قليل *
ولم يحظ بنقع غليل * وسألمد كرحالته في مواضعها * وذكر مصارف جماعته ومصارعها.

وكتبت الى الديوان العزيز فصلا

بخبير ملك الامان عند ارجاف به

قد وصل الخبر بالدهاية الدهياء * والغممة الغماء * والنبكة النكباء * والشدة الدماء *
وابدية اليبلاء * وهي ان ملك الامان ومعه ملوك الافرنجية وحشودها * وقوامها وكنودها *
وأحزاب الشياطين وجنودها * واوية اللاواء وبنودها * وصل جازا على السماء ذبول
قنامه * مجريا في الارض سيول لهامه * ثارا بأطلابه لطلاب ناره * سارا بخيله ورجله
كالسيل الى قراره * وانه في عصائب صلبان في عسيبته متصلبه * وأتباع شياطين لارضاها
متنفضه * وأسرار سراخين على سرح الاسلام متوشبه * وانه في مئين من الآلاف الالاف
لامنون * وأقطاب الاعطاب الدائرة لدوائر سوتها رحي الحرب الزبون * وقد أوقدوا
لشبر شرارا * وأضرموا للشرك الداعي الى النار نارا * فان حسرتهم على قاتمهم دائمه *
وقيامتهم قائمه * والموت يدعوهم الى المقبرة التي يدعونها * والآجال تليهم لمناياهم التي
يدعونها * وكان خبر وصوله متداولاً على السنة الاراحيف * ونشيمه اعداء الله من قبل
للترهيب والتخويف * واستعدت المساكر الاسلامية للتوجه الى بلاد الروم في الربيع *
ليقع التساعد مع عساكرها على دفع تلك الجموع باتفاق الجميع * وانتظر ورود خبر
صحيح * ويقين نبأ بامر صريح * حتى اذا صح الخبر * سار العسكر * ثم انقطعت الاخبار *
وتعادي الاستظار * ومضت شهور الربيع اذار * ويسان وأيار * وكانت كتب سلطان
الروم قليس ارسلان وأولاده ورسلمه متواصلة بما بني * عن التعاضد * وسفي أمر الوفاء
والوفاق منه على التعاون والتباعد * وهم باتهاء ما يصح عندهم واعبدون * ويزعمون انهم

في رد الوارد بن وادعائهم مساعدون . فأخلف ذلك الوعد . وضيع ذلك العهد . ووصات
 كتبهم بقتة في هذا الاوان . بما تأخر به الخبر عن الميان . وقالوا انهم قد توسطوا بلاد
 الاسلام . واتهم على قصد الشام . ثم ورد الخبر بانهم صالحوهم وصانعوهم * وأخذوا
 لهم الطريق ووادعوهم * ووسعوا لهم في المضايق . وسعوا في أمن طرقهم من الطوارق .
 وهذا حادث كارث * وباعث فاجي . فاجع لاهل الحلية في الدين باعث * وناكب لمقود
 العقول في تعاطف ضرره . وتفاقم خطره ناكث * وقد تمين الجهاد على كل مسلم . وما في
 الوجود مؤمن يكون له هذا الملم غير مؤلم * والاهتمام بدفعته من أفرض المهام واهم
 الفروض . والحادم منفرد في حمل عب هذا الفادح الباهظ بالهوض . وهو واثق بان
 بركات الدار العزيزة تدركه ولا تتركه . وان الذي يستبعد من النصر القريب يتسقى ويتسع
 به سلكه ومسلكه . ان شاء الله

﴿ فصل فيه في جواب أمير ﴾

عرفنا خبر العدو المشؤوم . الواصل من جانب الروم * وهذه هدية اهداها الله الينا .
 وفضيلة خصنا الله بها حيث اقمنا في مقابلة أعدى أعدائه * وأقدرنا على مقاتلة من نازعه
 في كبريائه * وقد ساقهم الموت الى المقبرة التي يدعونها * ولبنهم المنايا التي يدعونها ولا يدعونها *
 ومقاتلنا بحمد الله قوية * وصوارمنا من دماء أعداء الله روية * فيجب ان يكون في جميع
 اموره محتاطاً * ويظهر بما يقننه الله من اسلاهم وأشلائهم اغتباطاً

﴿ فصل من كتاب الاستنفار ﴾

قد عرف ان العدو الالمانى الخذول قد وصل فما لعموده عن هذا المقام معني * وما من
 تأخر عن لصرة الاسلام من ثمرة السعادة مجني * وهذا وقت نهوضه مجيب اهل بلاده
 وارازان بذل وسعه وحجده واجتهاده . فانه محضر لا يقرب عنه الا من ليس له عند الله
 خلاق * وموقف يفي بمهد الله فيه من سبق له . معه في السعادة ميثاق . وانها لقيمة
 أوفدها الله علينا . وهدية اهداها الله الينا وفضيلة خصنا الله بها وأسعدنا بسببها . بل
 هي بلية جلا وجه النعمة فيها . بل قضية وفي الله في التجع بموعود توافها . بل ملمة اختارنا
 الله لدفعها . وطاقية استدعي أوليائه لقمعها . ونائرة كلفنا الله باطفاء جرها وارداء جمعها .
 فلينهض نهوض الكريم الى مساعدة الكرام . وليخطب اهتمام العظيم بملابسة الخطوب

المعظم • وليذب ونوب الاسد على القريسة • ولينتج للاسلام اتقاء ذوي الانفس الابية
والهمم العلية النفيسة • وليكن أول سابق في مضمار الجِد • وأسعد طالع في أفق الجِد •
فان الاسلام في انتظاره • والمطالع مستشرفة الى اشراق أنواره • لازالت الاقدار جاريه
في اسعاد الدين والدولة بأقداره •

﴿فصل من كتاب﴾

قد أحاط العلم بما عرا من الملم • وعرض من الخطب المدلهم ، ووصل من العدو السائر •
ونزل من النازلة التي هي أم التوازل • والدائرة التي هي أم الدوائر • وقد آن للاسلام أن
يسلم • وللايمان ان يعدم • وللتثليث أن يملن وللتوحيد أن يكتم • وللكفر أن يقدم •
وللهدى أن يحجج • فقد قذف البحر من الفرج زبده • والبر أني آتية من كل بلد للكفر
بسبده وليده • ووصل الالمانى المخذول بعدده وعدده • وهذا خطب قد دهم • وعدو
قد همج • وشرق دنج • وجر داهية قد وقده • وجمع طاغية قد وقده • في جيوش جائشه • وجوع طائشه
وجنود محشوره • وبنود منشوره • وخيول محفجه • وسيل محفجه • وهذا وان تحرك ذوى
الحمية • ونهوض أهل الهمم الابية العلية • فان القوم في كثرة ولا يقاتلون الا بالكثرة • وهم
مفترون بملوهم • معتزون بعنومهم • مستنون في طريق العثرة • والسيل اذا وصل الى
الجيل الراسى وقف • والليل اذا بلغ الى الصبح المسفر انكشف • والجلس أولى من
تولى تفريج هذه الغمة • وكشف هذه الملمه • حتى تخلف أمانى الالمانى • وتبسط
أيمان الایمانى • وتخذل أنصار النصرانى • وتجنى وتبر رؤوس الجنوي والبيزانى •
فأين المؤدون فرض الجهاد المتسمين • وأين المهتدون في نهج الرشاد المتبين • وأين
المسلمون وحاشا أن يكونوا للاسلام مسلمين • وأين المتقدمون في الدين ومعاد الله أن
لا يكونوا في نصرته على الموت مقدمين • ولولا التقيد بهذا العدو الرابض • لاطلقت
أعنة الهضة الى العدو الناهض • ولا بد من لقائه قبل تلفق الجميع • وارادة الملاعين
وجوه حتوفهم ملء العين •

﴿فصل فيه﴾

قد سد طريق الفلق فلقه الطارق • وزحف الى الحق التائب باطله الزاهق • وجال
بالوجل وجاء بالوجيب • وثار لثار الصليب السليب • وقد جبر جمه • ورتق فثق

الصبح رفع نغمه * وما فض الفضاء ختام قتامة * حتي ختم على ضوء نهار الهدى ليل الضلال بظلامه ، والرجاء محقق ان الالماني محقق بلمامه . والاسلام مشفق من اسلامه * والدين موفق بنصرة امامه * وعصمة الله الواقية الواقية من وراثه وأمامه . والله الكافل باعلاء أعلامه . وأحكام أحكامه .

﴿ ذكر الواقعة العادلية ﴾

كان الفرنج لما صح عندهم وصول ملك الالمان الى البلاد * وانه ملأ أحشاهم الربا والوهاد بالاحشاد * قالوا انه اذا جاء لايبقي لنا حكام . والضواب أن نشيع لنا قبل شيوع اسمه اسما * لاسيما وقد خفت غساكر الاسلام * وفصل أ كثرها الى الشام ، فحن نتهز الفرسة . ونحز الحصة . ونهتيل الفره ، ونهجم عليهم هذه الكره . ونذيقهم المرة المرة * ونفرع من شغلهم قبل مجي القادم ، ونمت بمنز الزائم . ونقل حدودهم بحدود الصوارم نخرجوا ظهر يوم الاربعاء العشرين من جمادى الآخرة . في حشر يذكر بحشر السامره واسود بياض النهار من سوادهم . وتراءت الآجام لنا متوافية بأسادهم . وامتدوا الى الحيم العادلية ، واشتدوا بما استصحبوه من البليه . في كل ذنب أمعط . وسيد قد تورط ، وسرحان سرح . وأفعوان كلع ، وجهننى نجهم فهجس ، وجحيى أقدم وما أحجم ، وسعيرى تارى استعار حدمة النار ، وسقري قسوري عاد بعادة الاقتسار ، وباروني طالب للبوار . واسبتارى راغب في التبار ، وداوي ممضل الداء . وتركبولي غير تارك للبلاء ، وسرجندي كراز ، وفريزي غير فرار . وفارس يفرس الرجال ، وراجز يرجز الفرسان الابطال . وأزرق رزقه الموت الاحمر . وأمشى عشى واليوم أغبر . وأشقر وهو أشقى ، وأقع اذا غوى في الوغي مترك ولا أبقي ، ودخلوا الحيم العادلية وتجاوزوها ، وقد كانت أخليت قبل ان يجنازوها ، ووقف الملك العادل بطلبه ، وعن يمينه ويساره امراء الميمنة الذين يقر به . مثل صارم الدين قايماز التجيى وعز الدين جريدك التوري . وجماعة من للروفين بالشهامة ، الموصوفين بالصرامه * وليث الملك العادل لبث الخادع الخائن . حتي يطلع من العدو على المقاتل . فقادتهم الاطماع الى الانتشار . وافضى بهم الاعتزاز الى الاغترار . فحينئذ بدأ بالحلة ولده الاكبر شمس الدين مودود . وهوفي كل وقعة يحضرها جاد مجدود . فعضده والده . وولده مساعده وساعده . وحمل معه

العسكر الحاضر . قبل ان يتصل به الساكر . فكسر الفرنج كسرة فرشتهم على الأرض .
 وذكر الواقعة العارضة بوقوعهم في النار يوم المرض . وكانوا قد بعدوا أكثر من
 فرسخ . وأجفلوا ولم يلتفت أحدهم إلى أخ . وركبت العادلية اكتافهم . وتفلوا فيهم أسيافهم .
 وعقروهم وعرقوهم . وبجوههم وبسجوههم . وحكموا في الرقاب الغلاظ منهم الرقاق .
 وضربوا بمن اعتنقوا اليهم الاغناق . واشبعوا اللثوث من لحوم اللبوث . وبشوا بموت المنية
 في تلك البعوث . حتي رثمت في كلا الكلى صوار الصوارم . وارعد وابرق بصواعق
 بوائهم غمام الغمام . وتعلقت بذوائبهم الذوابل . ووصلت بهم إلى التجاح من
 المتاصل . فلم تترك الهانم لها ذمأة . وغادرها شلها بالمرء أشلاء . وأربانها كأنها أعجاز
 نخل خاوية . وما أحسن اجسام أهل الهاوية وهي هالوية . فكم جثة بلا راس . وبينة بلا
 أساس . ونحز قد نحر . ودم قد أنهر . ويد قد بقت . وكبد قد قتت . وعنق قد قطع .
 وأنت قد جدد . وودج وجد مغريا . وظهر قد ظهر مبريا . وحلقوم قد حاق . وغلصوم
 قد فرق . ودواوي قد دوي . وبالدم روي . وصلي كسر صلبه . وقاب على صدره
 قلبه . وحربي أتاه الحرب . وغرب في نبع عينه النبع والغرب . وكان السلطان قد
 قد ركب وخشى أن جانب الميمنة نكب . وسير جماعة من كجاء الممالك والأمراء على
 مقدمته . وانتظر الميسرة لنهض في خدمته . فوصل إلى الوقعة سنقر الحلبي في النصب
 العزيزة . وقاز من الغزوة بالخطوة السنية . وجاء علاء الدين بن صاحب الموصل في أثناء المعركة .
 فمرف بركة سرعة تلك الحركة . لأنه أخذ حظا وافرا . ولقي من النصرة وجها سافرا .
 وانقضى الحرب ولم يركب بعد من رجال الميسرة أحد . ولم تمتد منها إلى قتال الكفرة
 يد . ووصل السلطان وشاهد من مساة الفرنج ما سره . وعرف لطف الله وبره . ولصرد
 وعين هنالك مصارع الاعداء . ومشارع البلاء . وكانوا مفروشين في مدى فرسخ على
 الأرض . وهم في تسعة صفوف من تلال الرمل إلى البحر بالعرض . وكل صف يزيد
 على الف قتيل . وشاع القتل من الفرنج في كل قيل . ولما وصل السلطان رأى عماد
 الدين وابن زين الدين وامراء الميسرة قد عزموا على الدخول إليهم . والهجوم عليهم .
 فانهم ندموا على ترك الاسراع . فراموا اتباعهم ليأخذوا بنصيب القتلك بهم والايهاق .
 فصددهم السلطان ورددهم . وشكر عزمهم وقصدهم . وأشفق من ضربة تشوب .
 ومفرة تشوب . فان الدائرة كانت على العدو . وقد فاز بالنصر الحلو والصفو المرجو .

وكانت التوبة بلا ناسه • والفزوة بلا شائبه • وقتل منهم زهاء عشرة آلاف ولم يبلغ من
استشهد من أتباع العسكر عشرة • فاعتنمها بحجارة رابحة وغنيمة ميسره • ولما عرفت
بالواقعة • والنصرة الجامعة • صدرت لثلاثين أربعين كتابا بالبشارات • بأبلغ المعاني وأبرع
العبارات • وقلت اذا نزل السلطان وجد الكتب حاضره • ولا يرى البشار شأره • وركبت
أنا والقاضي بهاء الدين ابن شداد • لمشاهدة ما هناك من أشلاء صرعي واجساد • فأنجمل
ماسلبوا وعروا • وفروا وفروا • وقد بقرت بطونهم • وفقت عيونهم • ورأينا امرأة
مقتولة لكونها مقاتله • وسمعتها وهي خامدة بالميرة قلله • ومازلنا نطوف عليهم ونعبر •
ونفكر فيهم ونعتبر • حتى ارتدى العشاء بالظلام • فعدنا الى الحيام • وأخذت الكتب
التي نمتها • بالبشار التي حققها • وحيث وإذا السلطان قد استبطاني • وعدم اجابتي لما
دعاني • فما صبر ولا انتظر • ولا ترقبني ان اخضر • ولا أمهل أن أعطي البشارة • حقها •
واجلوا بانوار المعاني أفقها • وأبلغ بالبلاغة مداها • وأسبغ بتقليص الضلالة نوب هداها
وأصف بمحدود الأقلام ماسنته حدود السيوف • وأروج نقودي عند السلطان وأغنيه
عن الزئوف • قابضت عنده مشرفي المطابخ والابيات • ومدوني الجرايد بالانبات • وقد
كتبوا تلك البشارة الثقيلة الجليلة في وقاع خفيفه • بببارات سخيغه • وقد عطلت الحسناء
من حليتها • وعروها من بزتها • وشوهوا جمالها • واحلوا حالها • فذهب بها للبشرون •
وسار القاصدون • فإكان لتلك الوقعة عند من وقف عليها وقع • ولا تم أقليل من رام
الاطلاع على حقيقته اقع • وارادوا بدمشق قراءتها على المنبر فاستحسنوها • ولو وردتهم
بزينة عبارتي وبراعتي زينوها • وفي تلك الحلة التفت السلطان اليّ وقال اكتب بهذه
البشارة الى بغداد • وعجل بها الانفاذ • فقلت على سبيل العتب اتم ما تريدون ما اكتبه •
ولا ترغبون فيما أرتبه • واهذه • فقال كلك كتبت البشار فهايتها • حتى تهدي الى طرقاتها •
فقلت ما فات • وهيات هيات • وأخرجت له ما بقي من بشارات البلاد التي انشأتها •
بالفاظ والمعاني التي ابتدعتها وابتدأتها • فسارت فسرت البعيد والقريب • وخضت من
جداها بالحبس الجديب • وصدحت باسجاعها المتأير • وحممت بسباعها المتأخر • وظهرت
بببارات العبر • وبهرت بزبرها الزبر • وعمرت بممانيتها المغاني • وعمت مباهجها مناهج
الاقاصى والاداني فما أسحها كسره • وما أسحها نصره • وما أينها محجه • وما أينها
حجه • وما أفرجها مسرة • وما أسرها فرجه • وما أبرحها بالكفر صرعه • وما أوضحها

﴿فصل في ذكر حالم﴾

لما صرف الفرنج انفصال جماعة من الاكابر * ومفارقة عدة كثيرة من المساكر *
 خرجوا متجاسرين * وامتدوا متقاطرين * وانتشروا متقاورين * واغاروا للواء اللأواء
 ناشرين * ووصلوا في المينة الى الحيم المادلية فأخليت حتى دخلوها * وتفرقوا فيها
 بجموعهم ونخلوها فركبنا اليهم * وحلنا عليهم * وتركناهم صرعي بالراء * فوضى
 بالفضاء * فما بكت عليهم الارض ولا السماء * وروبت السيوف من دمائهم * قبل ان تشبع
 الوحوش من اشلائهم * وظهert لنا نعمة الله في بلائهم * وحيي الاسلام بهلاكهم *
 وضمنهم أشراك الردى برداء إشرأ كههم * وأنجلت المعركة عن أكثر من عشرة آلاف
 قتيل كافر * ونبت حكم إدالة الاسلام وظهوره بارضح دليل ظاهري * ولو اتفق خروجهم
 من مرا كزهم بأسرهم * لكننا فرغنا من شغلهم وأخيلنا بالنا بتأييد الله من امرهم *
 والآن وقع المطفاء جريتهم * ومحنة أمزجة العزائم بكسرتهم * وقطرق القلة الى كثرتهم *
 نرجو من الله ان يسهل امرهم السير * ويهون خطيهم الخطير * وإن ظهورنا عليهم قطع
 ظهورهم * وعثور هذه الواقعة بهم حقق عثورهم * والله تعالى يحقق تبارهم ودحورهم *

﴿فصل فيه﴾

وصلوا الى الحيم المادلية في المينة الميمونه * واشتغلوا باستباحة أحوالها المصونه *
 فأطلقنا عليهم الاعنه * وشرعنا الى محورهم الاسنه * وبننا النفوس لتتسلم ثمنها الجنة *
 وفرشناهم على الارض * وادينا باردائهم بمض الفرض * وأنجلت المعركة عن عشرة آلاف
 قتيل مشرك * وشملتهم التون فكأنهم جاؤا على موعد مهلك * واروينا من دمائهم ظمأ
 السيوف * وجعلنا اشلاءهم قرى الوحوش لا الضيوف * وأمن الاسلام بحمد الله من
 الخوف * وأدرك الله باخذ ارواحهم ريق الدين الملهوف * وهذا دليل ظاهري على
 وكود ريمهم * وخمود مصايهم *

فصل

حلت عساكرنا عليهم * واحاطت بهم من حوالهم * ورزقهم بالبايس والتوت *
 وتركهم صرعي بتلك المروت * وساحت بتلك السباحة دأماء الدماء * واكتسى صرعى

العراء بتلك الاشلاء * وأفضى بذلك القضاء جرحهم الى الانطفاء * وامرهم الى الانقضاء
ورقت ثعالب الرماح من كلاء كلامهم في المرحى * وانجلى المعركة عن مهاكة عشرة آلاف
فترى القوم فيها صرعى * وطابت من نئن حيوفهم ريح النصر * وحسنت من سماجة
مرآهم وجوه الدهر * والان الان الله شده شكهم وقط شوك شوكتهم . وهبت نكباء
نكبتهم وزجرو ان يسهل من امرهم ما نصب * ويؤلف بصدعهم من الاسلام ما تشعب

﴿ فصل ﴾

وصلوا الى الحميم العادلية فدخلوها * وفرقوا فيها بجمعهم ونخلوها * وكان ذلك قبل
تكامل ركوب المسكر * وتزوج بحارها الزواجر * فحمل الملك العادل ومن هو قريب
منه من الامراء والممالك كولدنا الحسام بن لاجين وصارم الدين قايماز التيجي وبشارة
وجرديك وعطفوا عليهم عطفة صدتهم عن الانعطاف * وصرفهم عن الانصراف *
ونارت أنارهم بوار البوار * واحتوت عليهم الضواير احتواء الضمار على الامرار
بالخوافر الخوافر * وفضتهم بالقضاء وصرتهم من كسوة الحياة بالعراء * ونمت ائمة الاسلام
ببلائهم * وشفى الدين بدائهم * وكان بقاؤه في فنائهم * ولو لحقت الميسرة لتكمل قطع
دايرهم * واتي القتل على اولهم وآخرهم * وانجلى للمركة من الكفار عن عشرة
آلاف قتيل * ملأت كل واد وسدت كل سبيل * وقد ذلت غزتهم وضعفت قوتهم *
وعجزت قوتهم * ولما انقضت هذه الواقعة * وتم لناهضين اليها الرجعة * رأيت احد
ممالكي وصله قد خضب * وعزمه قد رضى بعد ما غضب * فسأله كم قتل * الى ابن
وصل فقال اما أنا فا اقيمت . وخضت البحر وما توقيت . وهذا غلامى قتل تسعة *
وشام من عارض نجيمهم نجمة . وكان الذين حلوا وهزموا وقتلوا أقل من ألف فقتلوا
اضعافا مضاعفة * وعدموا من وراءهم مساعدة ومساعدة . وحكى من نوادر هذه الواقعة
ان فرنجيا عقر جثا للصرعة . فعت به راكب برزون . بغير رفيق ولا عون . فغرق
الفرنجي فرسه بسيف في يده * فزل بجده مستنا في جده . وقتل ذلك الفرنجي وروى
من دمه الهندي . وحل من وسطه ثمانين ديناراً . فاقلب ربحا ماعده خساراً . وامتلأت
الايدي بالاسلاب والاكساب . وحصل من العدد ما لم يكن في الحساب . وبغت الزرديات
فوات الاثمان بالرخص وزادت ارباح اهل السوق بذلك التقص

وفي يوم الخميس الحادى والعشرين من جادى الاخرة ورد في عصره نجاب من حلب بمد خمسة ايام • بكتاب يتضمن مجيئ كل مرام • وبخبر بان عسكرا مجرأ من الكفار • خرج للفارة على الأطراف والافطار • فخرج اليه العسكر وأخذ عليه الطريق • وطلب ذلك الجمع في الهزيمة المضيق • فلم يصح لهم رشد في منهاج • ولم ينج منهم ناج • فعضد ذلك الخبر هذا الميان • وقاموا بهوان الكفرة البرهان • وسر الخواص والعوام وخص وعم السرور • وأنارت المطالع وطلع التور • وشرع الفرنج في الخداع • والمراسلة في أمر اللجنائين عام الانتفاع • وسألوا في الصلح • والخروج من ليل الحرب في السلم الى الصبح • وأذن لهم السلطان في الخروج • للنظر الى اولئك الصرعي بتلك المروج • وهي قد نورمت وأنتت وجافت • وجهت الشمس على حيفها وحافت • وضافتها الفشاعم والخواص وعليها أطافت • فساهم ماسرنا • ونفرهم مأقرنا •

﴿ ذكر ما يجدد للفرنج من الانتعاش بوصول الكندهرى ﴾

بالل والرياش وما اعتمده السلطان من الاحتياط

إشفافا من التفريط والافراط ﴿

وما زال الفرنج في وهن وضعف • وتوزع بينهم وخلف • حتى وصل في البحر • كند يقال له هري وهو عندهم عظيم القدر • فكمل بمن وصل معه قصصهم • وأحيا بعد موت نفوسهم حرصهم • وافاض عليهم الاموال • وحلى منهم بمد عطائها الاحوال • ورصع بالرجال مرا كز من صرع • وقرع البن ندامة على من قلع وقرع • وانفسخ عزنا عما كان فيه شرع • فقد كان العزم بل الحزم ان نبادرهم على ضعفهم • قبل ان يمدحهم البحر بضعفهم • فكان من تقدير الله تأخير ما وجب تقديمه والتواني فيما بين تتيمة • ولما وصل هذا الكند وتمكن • وقوى أهل الكفر بكل ما أمكن • أظهر انه يكبس عسكرا ليلا على غره • وبدت منه أمارات كل شره وشره • وشاع هذا الخبر على السنة الجوايس والمستامين • فاحضر السلطان امراءه وخواصه المؤمنين الميامين • واستشارهم فيما يقصده من الصواب • وفتحته في المصالح الراجحة من الأبواب • فاشاروا بإساع الخلقه • وادارتها كالمنطقه • والتنقيس عن العدو بالتأخر عن قبه • حتى يؤنس الى الخروج لحربه • فوافقهم السلطان على هذا الرأي وحسن في قلبه • فرحل يوم الاربعاء

السابع والعشرين من جمادى الآخرة الى منزله الاول بالحروب * واشتغل بالتدبير في الفوز بالنصرة المطلوبة * ونزل السكر على تلك الهضاب وحوالى سفوحها * واحتوت كل جنة خيمة عن حل فيها على روحها * ورتب اليك في الأتلة الاولى كل ألف فارس بالنوبة في يومين * وضويق بأهل الصدق منهم أهل المين * وتدبر الترتيب وترتب التدبير * وعرف في اليك أوقات نوبته وأوبته الصغير والكبير * وأما عكا فالكاتب مترددة اليها ومنها مع السباح * والحمام اليها ومنها تحمل البطاقات على الجناح * والمراكب تدخل اليها ونخرج * واليا عنها تموج وتمرج * وأخبار ملك الألمان * تواصله * بأن انصاره خاذله * وأنه ضعف ووهي * وأنه الى انطاكية انتهى * وأنه لعوق هناك * وتوقع من مرامه الادراك * وتوقف عن السير * واعتاض التفسير من التيسير * ووقع الفناء في جمعه * وتعمل قومه قبل ان يصل الى محل قومه * وأنه قد اشتغل بالاتفاق في رجال الاستعداد والاستعداد * والاحتشاء والاحتشاد * وان أصحابنا يأسرونهم ويثقلونهم ويتأقطنهم * من الطرقات ويخطفونهم * ووصل من ملك قسطنطينية كتاب يتضمن استعطافا واستمعاقا * ويجمع قطافا واطافا * وبذكر تمكينه من اقامة الجمعة في جامع المسلمين بـقسطنطينية والخطبة * وأنه مستمر على المودة راغب في الحب * ويعتذر عن عبور الألمانى * وأنه قد نجح في طريقه بالأمانى * وأنه لاقى من الشدة * ونقص العدة * ووصل المشقة * وقطع الشقة * ما أضغه وارهاه * وألمبه وألهاء * وأنه لا يصل الى بلادكم فينتفع بنفسه أو ينفع * ويكون مصرعه هناك ولا يرجع * ويمت بما به كاده * وأنه بلغ في أداء اجتهاده * ويطلب رسولا * يدرك به من السلطان سولا * فاجيب في ذلك الى مراده * ووقع الاعتداد بما ذكره من اعتداده *

﴿ ذكر حريق المنجنيقات ﴾

وفي رجب من السنة اتفق الكند هرى بعد وصوله ماوصل معه من المال في الرجال فاعطي عشرة آلاف راجل في يوم واحد ليجدوا معه في القتال * وضايق مدينة عكا أشد مضائقه * وأخذ القومص والكنود بذلك موافقه * ونصب عليها كل منجنيق * من الرمي غير مفيد * رجومه للشهب الشياطين * ونجوم الحجارة تنفض من ارض الكفر الى سما الدين * فهي مجانيق مجانين * وميادين ثمانين * وسارح سراجين *

فاشتمد على أصحابنا بالبلد وقعها . واحتد على صقمهم صقمها . وقالوا كيف نجد من مناصبها التماس . وهل نأق من شؤم خصائلها الخلاس . فأجمعوا على الاقسام وأقدموا على الاجتماع . واخذوا بالارتياح في ترك الارتياح . وخرجوا بالفارس والراجل . وأماو بالحق أمة الباطل . وجاوزوا تلك المجانيق المنصوبة والستائر المضروبة الي خيامهم . وخلفوها من ورائهم واللقاء من قدامهم . فلما خلت المنجنيقات بمن يحمىها . خرج الزواقون من البلد ورموا النار فيها . فاحترق جميعها . وغرق في بحر النار صريمها * وقتل في ذلك اليوم من الفرنج سيمون فارسا في اللقاء . وقطع الواصلون اليهم عليهم طريق البقاء . وأسر منهم خلق كثير . من جعلهم أربعة من المروفين فيهم فارس كبير . فآأملوه حين أخذوه . حتى قتلوه وبذوه . فطلبه منهم الفرنج بالاموال . ولم يعرفوا . بالحال . فأخرجوه اليهم قتيلا . فأكثر الفرنج عليه بعد التعويل عويلا . فباتوا يذبونه نوحا . ويذيعون سر تقدمه فيهم بوحا . فغمدوا بعد ذلك الضرام . وركدوا بعد هبوب ريح المرام . وضربت عليهم الذلة . وشجهم عقودهم المتبجلة وعقولهم المعتلة . وطمع فيهم الناس . وعصا طمعهم الياس . وصارت الخنادق تهجم . والستائر تهتك وتضرم . والحدود بالمصال تنثم . والحدود بالمصال تثم . الى ليلة شعبان من السنة . فأبث بالحالة الحسنه * فان أصحابنا خرجوا على غره . ومضوا الى القوم بانكاه مضره . واخرجوا منعجيين كبيرين قد لصبا بعد كل استظهار . وأنفق على أحدهما كند هري الفا وخمسةائة دينار . وكانت الليلة الاولى من شعبان مباركة . ونعم الله لنا ونعم الله على العدو فيها متداركه .

ذكر وصول بطسة بيروت في العشر الاخر من رجب

قد تواردت الشكوى من البلد ان الذخيرة قدفيت . وان الافكار باستداعها عانيت . وان الاجسام لفقدان قوتها ضئيت . وأبطأ على السلطان وصول البطس المستدعاة . من مصر بالفلاط . فرأى ان ذلك من قصير الولاة . وافكر فيها يمجل به قوة وقوتا . ويجعل له اجلا موقوتا . فكتب الى والى بيروت عز الدين اسلمه . ان يهجر في كل ما به عز الدين السامه . ويعطي ويتزكى . ويحتال في انقاذ ميرة الى عكا . فعمر بطسة كبيرة واعدها . واجد من عزيمته الماضية فيها جدها . وتولاها بمخلق سمع . وملاها باربعائة غرارة قح . ونقل اليها انواع الطعام . واصناف الادام . وقطيعا من الاغنام . وهذه بطسة

من الفرنج مأخوذه . وهي بساحل بيروت منبوذة . فأمر السلطان بترميمها وتعيمها .
واخفاء البنية منها وتكتميمها . وازيحت منها الغلة . ونقلت اليها الغلة ، وماتت بالشحوم
واللحوم . وبكل ما تدعو اليه الحاجة من المشروب والمطعم . وحل فيها من أحمال
النشاب والنفط ما جمع به فيها بين القوة والقوت . ورتبت فيها رجال مسلمون ونصارى
من اهل بيروت . وارادوا ان تشبه بطس المدو في البحر ، وان لا يتكشف للفرنج
ما لهما من السر . فتصوروا زهبا ، وصوروا صلبانا ؟ ومسحوا لحام ؟ ومسحوا حلاهم ،
وتعلموا وتكوفوا ، وتشبهوا بهم في كل بزة لثلا يخوفوا ؟ وشدوا زناير ، واستصحبوا
خنازير ، وساروا بها في البحر بمراكب الفرنج مختلفين ؟ والى محادثتهم ومجادلتهم منبسطين .
والقوم لجلبهم ، لا يشكون انهم من اهلهم ؟ ونسوا الحادث والسوا بالجديث ، وتصور
الطيب بصورة الخيث ، ولما حاذوا بها عكاه صوبوها نحوها والريح تسوقها ، والفرنج
تدعوهم من مراكبها وتقول ما هذه طريقها ، وهي كالسهم التافذ قد سدده فوقها ، وقد
عقت رفقتها ، وهي تكاد تموقها ، قد دخلت الثغر وادخلت اليه كل خير ، وعجب الناس
منها وعائم لها من حيلة في سير ، واجتزا البلد بها شهرا ، ووجد منها لكل كسر جبرا ،
فياها من لطيفة قضينا منها الارب ، ولم نقض منها العجب ،

ذكر وصول بطس الغلة من مبصر الى عكاه

ظهر يوم الاثنين رابع عشر شعبان

كان السلطان قد كتب الى الثواب بالاسكندرية على وجه الاستظهار . بان يشرعوا
في تجهيز البطس الكبار ، ويملأوها بالغلات واصناف الاقوات ، ويعمروها بالكفاة الحماة
الرماة ، ويرسلوها عند موافقة الريح الى الثغر ؟ فان خلصت اليه ولو واحدة منها اغتته
بعد الفقر ، وتمادت الايام على هذا الامر ، واستبعد وصولها مع امتلاء البحر بمراكب
الكفر ، وكاد اليأس يغلب ، والرجاء يضطرب ، ووردت كتب اصحابنا بكاء انه لا يبقى
لنا ليلة نصف شعبان قوت ، ولا شك ان كتاب اجلنا الى هذا الامد موقوف ، فاشفقت
النفوس ، واستشعر البوس ، والتمت القلوب ، والتمت الكروب ، ولجأنا الى الله الذي يحيب
المضطر اذا دعاه ، ولا يحيب من رجاه ؟ ولا يضيع من استرطاه ، فلما كان ظهر يوم
الاثنين رابع عشر شعبان ظهرت من اقصى اللجة ثلث بطس كانهن الاعلام ، واستبشر

بظهورها الاسلام ، وقد زفت عرائس جواربها الحسان وخفت روائس سواربها الثقال ،
 وذكرت بقوله تعالى وهي تجري بهم في موج كالجبال ، والريح تطردها طرد النعام ،
 والماء يرسلها على رغم اهل النار الذين هم اضل من الانعام ، فارتأت حتى استقبلها
 مراكب الفرج وشوانبها ، واحاطت بها ثقاتها من اقصايها اذانها ، وهي تشق عليها وتشقه ،
 وتموقها عنها وتمقها ، حتى رت منها البر الايمان الايمان . وهزأت بتلك الاكبات المطيفة بها جبالها
 الرمان وعبرت والكفر خزيان ينظر . ونهضت بالعرز والعدو في ذيل الذل يعثر . ووصلت
 الثلث وهي سالمة . والثالثة راغمة والموحدة غائبة . وقد فرج الله بها غمة الثغر . ودفع
 ما ألم به من الضر . وحمدنا الله على الموهبة التي ادركت الارماق . وادرت الارزاق .
 وتلاقت الارواح من التلف . وحملت عن النفوس المشفية مشاق الكلف .

﴿ فصل من كتاب الى سيف الاسلام في هذا المعنى ﴾

كان كتب الينا أصحابنا بكماء اننا حسبنا ولمى ليلة نصف شعبان لا يبقى لنا شيء .
 فقتناه . وبقاؤنا ببقاء القوت وفواتنا فواته . فينا نحن في هذا المم مفكرون . ومن
 هذا لهم مستكرون . اذ ظهرت للعبون بالقره . وللقلوب بالقرار والمسر . ثلث بطس
 على شبح البحر مستقره . يبعثها لطف الله بمتا . ونحمتها بالريح القوية إحنا . كلنا جبال
 باقبالها روع . ونسور اجنحتها القلوع . وشعر الفرج بها فضافت مذاهبها . وبرزت
 مراكمها . ودبت عقاربها وقربت من البطس شوانبها . وقويت في البطس أمانبها .
 وحمت ما فيها من فيها من الرجال . وهي تجري بهم في روح كالجبال . وكان جواربها
 عرائس يزفنن بمالهن من الجهاز . وكان البحر المتموج توب بتلك الأعلام المنشئات
 معلم الطراز . بل كانها تجار تحمل الصدقات الى ذوى الاعواز . فجاءت فجأة متسقة
 موسقة . وأتى الآتي بها موافقة موفقه . فلم يقدر على مقاربتها ومقاربتها شيني شاني .
 وكانت كلاءة الله وعصمتها خيرا من كل كالي . وجازت والكفر خزيان ينظر . وفازت
 بالعرز والعدو بذيل الذل يعثر . وكان وصولها وان انفضاض الارواد وانفاذاها . فلات
 المدينة بفلاتها وأزوادها * وعصمت ارماقها * ودعمت امرأها * وقبست ارزاقها *
 وأشعبت جوعها ، وشعبت صدوعها ، وانالت اربابها . وازالت اجنادها ؛ وخصبتها
 بخصبها . وسحت لها بسحبها . فافاقت من الفاقة وافرقت من الفرق * وسكنت بعد القلق .

وعاد اليها بعد الفسق اسفار الفلق • والحمد لله المنقذ بعد الاعدام • المدني السفي بعد
الاطلام • المنقذ بوليائه اعداء السلام •

﴿ ذكر عيسى الموم ﴾

﴿ وماتم عليه في العشر الاخر من رجب ﴾

وكان رجل يعرف بعيسى الموم • قد تردد بالكتب والنقبات الى عكا • ومنها في
ذلك العام • وكان ناصحا امينا • يحفظ الاسرار ضمينا • يسبح ليلا في البحر • ويمر على
مراكب أهل الكفر • ويصل بما معه الى الثغر • ولكم حاطر بنفسه فسلم • واعتورته
اسباب المتائف والالام فما ألم • وافق انه عام ذات ليلة غير مكتوث بما في طريقه من
اخطار • وعلى وسطه ثلاثة اكياس فيها الفاديتار • ومعه من نفقات الاجناد ودائع •
ومحقرات بضائع • فقدم ولم يسمع له خبر • ولم يظهر له اثر • فظنت به الطنون • وماتت
المنون • وكانت له لاشك عند الله منزله • فلم يرد ان تبقى حاله • وهي بحملة محتمله • فوجد
في مينا عكا ميتا قد رماه البحر الى ساحلها • واذهب حق اليقين من الظنون باطلها •
وبراه الله بما قالوا • واحال الذي عليه احوال • فقد وجدت على وسطه تلك الاكياس •
ومعجب من حاله الناس • فلم يذهب بذهابه الذهب الذي محبه • وطهره الله من الرجس
وعنه اذبه •

﴿ ذكر وصول ولد ملك الالماني الذي قام مقام ابيه الى الفرنج بعكا ﴾

ذكرنا حديث الالماني ولم حادته • وما اذاه اليه • من دواعي كفره • وبواعثه • وكان
مسيره من الطاكية يوم الاربعاء خامس عشر رجب • ولقي في طريقه على اللاذقية
الشعبي والشجن والشجب • واذن ضف خيلهم • بصف ويلهم • ووجدت لهم ما بين
اللاذقيه وجبله ستون سبعون فرسا قعطت • وعلى أعواد عظامها سود الفرايب خطبت •
وقد استقبله المريكس • وقصد • التأسيس • وان يهديه بضالته الى الطريق التي تؤمن
طوارقها • ويتسع عليه فيها مجال الأمن • وأن سلكت مضائقها • فوصل به الى طرابلس
في العشر الأول من شعبان • ووصل خبر وصولهم في سادسه الى السلطان • وحزرمهم
بن شاهدهم في الطريق بخمسة عشر الفا • وسمنا في حزرهم بالقليل والكثير خلفا •
ثم انتقل في البحر • الي عكا • في موضع الحصر • ووصل آخر النهار سادس شهر رمضان •

بمدن عابن في البحر من اختلاف الهواء الهوان * فلم يبق له وقع * ولم يحصل لحرق
القوم به رقع * وأقام بين جنودهم * كأحد كنودهم * وقال الفرج ليت لم يصل إلينا *
ولم يقدم علينا * فاه لو أقام في موضعه * وآمدنا بفيضه من منبعه * هببت عظمته *
وعظمت هيئته * وأرعب روعه وراع رعبه * ورجي منا وخشي من المسلمين قربه *
وقد قطع بنا منذ وصل * وحسن لنا جناح نباح حصل * ووصل في البحر وحده * ولم
يستصحب جنده * ثم وصل إليه الاصحاب * وقطعت بهم الاسباب * ثم رام أن يظهر لحجته
وقما * ويبدي له قما * ويثير لنقع غلة ناره قما * فقال الام القمود عن القوم * وما بقي
الا النهوض إليهم من اليوم * ولا بد من ضرب المصاف معهم * واني على الخروج إليهم
لادفهم * فقالوا له أنت ماأرثت وهج قتالهم * ولا أثرت نهج لصالهم * ولا حربت
بحرهم * ولا كريت بكرهم * ولو حزبت بحزهم * لأهبط جاحك لجلاح مصهم * فإني
ونبا * وشب الشبا * فلما عرفوا جهله * وإن صعب الامر عنده ساوى سهله * قالوا له
نبتهى بالخروج إلى اليزك * فلعلنا نوقمهم عند الاحاطة بهم في الشرك * فذبوا في راجل
كرجل الدين * وخيل أغصت الوهاد والربا * ومرجوا في المرج * وطووا تلك المندارج
طى الدرج * وأشعلوا الخرصان في ليل التقع عوض السرج * وقربوا من تل المياضيه *
وعليه خيم اليزكيه * والتوبة فيها للحلقة المنصورة الناصريه * والعصبة الموصلية * فلما
بصرت بهم نارت إليهم * وفارت عليهم * وتهضت بنات الحنايا من خدودهم إلى الجذور *
وأوردت ظمء الظبي منهم ماء التامور * وأنبت بالنبع من عيونهم الميون * واستخرجت
بالضرب من أعناقهم الديون * وطيرت باطارة السهام إلى الاحداق بهم الاحداق * وخاطت
الاماق وما أخطأت الامواق * وصار كل سهم سهم شهيم * وخطر في محل خاطر اسرع
من وهم * وركب السلطان من خيمته وتقدم إلى تل كيسان * ووقف ينهض بعد الفرسان الفرسان *
فلم تزل وجوه البيض تحمر * ونيا السمر تفتت * وذبول النقع تجر * وصفحات الجؤنة بر *
وأرجاء رجاء النصر مخضر * إلى أن جن الظلام * وكف الكفر وسلم الاسلام * وكانت
الدائرة على الكفرة * فأعمرضت بالوجوه المتشكرة * وأبنا بالأنوار المسفرة * ومر الإلاني
متألما * ومن ظلمة حاله متظلم * وبكلوم قلبه متقلبا متكلما * وقدا طين ما طناه من الناء *
وشق عليه ماشق حراره من الشقاء * وبلي بما يلي به من البلاء * وعلم ما جهله * واستصعب
ما أسهله * وذاق ما ضاق به ذرعه * وكاد يتم في القتلى رصفه لو تم صرعه * لكنته تجرع

من النقص ما سهل عليه الموت جرعه * وناب وما ناب * وإي الرجوع الى اللقاء لما آب .
وحينئذ جدوا في قتال البلد وحصاره . واتباع ليل الجدد فيه بنهاره *

﴿ ذكر برج الذبان ﴾

وعند ميناء عكا في البحر برج يعرف ببرج الذبان . وهو في حراسة المينا عظيم الشأن .
وهو منفرد عن البلد . يحمى بالرجال والمدد . وقصد الفرنج حصاره قبل مجيء ملك
الامان * في الثاني والعشرين من شعبان . ببطس كبار جهزوها * وصرا كب عظام وآلات
البرزوها . ومكر مكروه * ودبر دبروه . وبني غي بلفوا غاياته * وريب راي رفعوا
راياته . وشمر شرك الهبوا شراره . وأيد كيد أرهفوا غراره . وعنان عناد أطلقوه *
ولسان ضرام أذلقوه . ويد بطس بسطوها * وعقلة معالقة لشطوها . وأحدثتلك المراكب
قد ركب برج على رأس صاربه . لا يطاوله طود ولا يباريه . وقد حشي حشاه بالنفط
والحطاب . وضيق عبطه لسعة العطب . حتى اذا قرب من برج الذبان والتصق بشرافقه *
أعدى اليه بأفاته . ورمت فيه النار فاحترق . واحترق من السائر والاختشاب ما به التصق *
وتستولى النار على مواقف المقاتلة فتباعدوا عنها . ولم يقرّبوا منها . فسهل عليهم فيه
انسلق . ولم يصعب به التماق . وملاؤا بطسة أخرى باحطاب * يسرى فيها النفط .
ويسرع بالهاب . حتى يوقدوها . وعلى السفن التي لنا بالمينا يوردوها . فيعدى عدوانها .
وتسير وتسدى فيها نيرانها * وهم في مراكب من ورائها للحرب مستعدون . ولاشر
مستمدون * حتى اذا تم برجاتهم في البرج والمينا مناهم . نالوا من الاستيلاء والاستعلاء
غنائم . فلما قدموا البطسة ذات البرج الممور . وصار الصاري ملاصق السور . جاء
الامر بعكس ما قدروه * واخفق ظنهم للادبار فيما دبروه . فان الهواء كان شرقيا . فلم
يجد نارهم في مطار برج الذبان رقا . بل اشتعل برج الصاري وتراجعت نارها الى اهلها .
وعالمت ذوى الجبل بجهلها . واوقدت بطسة الحطب من ورائها * وتطايرت اليها شغل
اذ كائنها . وعادت على الفرنج قائلوها . وحى عليهم الحديد قاضعروا واضطربوا .
فانقلب بهم السفينة فاحترقوا وغرقوا . والناسجون منهم فارقوا وفرقوا . ولم يفرقوا *
واحتمى برج الذبان فلم يطر من بعدها عليه ذباب . ولم يفتح للمعدو في الكيد له باب .

فصل مشيع في المعني من حصار برج الذبان مرة بعد أخرى من كتاب الي سيف الاسلام بالين

وأفكر الافرنج في أمرهم وأجالوا فداخ الرأى في مكر مكرهم • وقالوا هذا البرج المعروف
برج الذبان • منفرد عن البلد في وسط البحر منقطع المكان • فإذا أخذناه تسلمنا على
مراكبهم التي في المينا • وإذا لم نؤثر بمجيشنا تأثيرا فلاي سب حيننا • ومن حديث هذا
البرج انه يحيط به البحر من جوانبه • وهو قفل مينا النغر على مراكبه • وقد رفعناه
وأعليناه • وبالعدد والرجال قويناه • وبالخرقة والرماة والزرايق والمنجنيقة ملاناه • وبكلاءة
الله وعصمته اياه صمنا وكلاءناه • وقد حاموا حوله حولا • فلم يجدوا على نيل غرض منه قدرة
ولا حولا • فعمدوا الى أكبر بطسة وانخذلوا فيها مصقلا كأنه سلم • وهو في مقدمها
مركب مقدم • وقد جعلوها بحيث اذا قربت الى البرج ركب رأس السلم على شراريفه •
وصعد الرجال اليه في مجايفه • وتعبوا في ذلك ياما واشبعوه توشيقا وإحكاما • وهو
بمرأى من الاصحاب ينظرونه ويتظرونه ويبصرونه • ويستجدون الله عليه ويستصرونه •
والقوم قد أصبحوا بتلك البطسة زاحقين • وعلى ذلك السلم بمددهم واقفين • حتى اذا
التصق بالبرج التصقت به قوارير التفط • وتوالت أمطار البلايا من الجروح والحجارات
والمنجنيقات على اولئك الرهط • ووجدت النار بسطة في البطسة ولم يسلم السلم • وناب
القوم من خيبتهم بها المصاب الذي ألم بهم وآلم • وقتل منهم من بشر القتال • ونزل العذاب
بمن حاول النزال • والحمد لله الذي آيات ظهور دينه متناصرة • ودلائل نصر أوليائه متظاهرة • ثم
عمل الفرنج برجا عاليا في أكبر مركب وحشوه بالخطب • وعملوا على رأس صاريه مكانا
يقعد فيه الزرق • ويتأني له فيه الاحراق • وقدموه الى برج الذبان • وسلطوا على
جوانبه جواني التيران • وقصدتهم بذلك احراق ستائر البرج المنصور • ورأوا ان
في ذلك هدم بنيانه المصور • وحسبوا ان الستائر اذا وقعت فيها النار • تعذر على رجاله
الفرار • وتسجل منهم للحذر الفرار • وكادت الستائر تشتعل • والخواطر تشتغل •
والحال تضطرب • والبال يلتهب • والقلوب تضطرم • والكروب تحتدم • فأهبط الله
من مهب لطفه نكباء نكبت النار عن البرج المحروس • وأكبت الفرنج على الوجوه
الرؤوس • وتمس جدهم • وتعكس قصدهم • واقلبت الرمح التي لهم عليهم • وصوبت

﴿ فصل في المعنى ﴾

ولما وقع الله القوم • قالوا لاطاقة لنا اليوم • وعادوا وقد غرّموا ورغموا • وأخلف ما
 همّموا وزعموا • واشتغلوا بملء بطس لهم شحوما واحطابا • وادها نأوا خشابا • واشعلوا
 فيها النار وألهبوا • وارسلوها الى مراكبنا في يوم ربح ماصف وصوبوها • وادنوها
 منها وقربوها • وكادت سفننا تحترق • ومراكبنا تفترق • فأنزل الله الفرج وقت الشدة
 وآمن من المخافة المحمدة المحتدة • واقبلت الرمح عليهم وطادت مخالفة لهم بعد ان كانت
 موافقه • وحالة تلك الحاله للعاده خارقه • فاحترقوا بنارهم • وشرقوا بعارهم • وجذبت
 بطس أولئك السكالب بالسكاليب • وتوالت الطاف الله في تلك التوب المتناسقة مطردة
 الاناييب • مستهله الشاييب *

﴿ ذكر الكبش وحريقه ﴾

(بعد لعب العدو في احكامه وتسوية طريقه)

واستأنف الفرنج عمل دبابه هائله • والاه للفوائل غائله • في رأسها شكل عظيم يقال له
 الكبش • وله قرنان في طول رعيين كالعمودين النليطين أقال الاسوار المغلقة بها نقش •
 فكلم سور اذا نطحته طحنته • وكلم معقل حصنه الدهر حصته ومحتته • وهذه الدبابه في
 حياة الحربت الكبير وقد سقفوها مع كبشها بأعمدة الحديد • وكلوا لها أسباب الاحكام
 الشديد • ولبسوا رأس الكبش بعد الحديد بالنحاس • وكسوها حذراً عليها من النار سائر
 لباس الباس • فلم يبق للنار لها سبيل • ولا للعطب عليها دليل • وشحنوها بكافة المصاع • وحماة
 القراع • ورمافا لحدق • وكساء الخلق • وعقاة الخنف • وجفاه الزحف • ومجناني الزغف •
 ومجنبي السنف • من كل سرحان لا ينظر الا من جلد أرقم • وكل شيطان لا يقتحم من الحرب
 الا جهنم • وكل شجاع لا يتنقل الا شجاعا • ولا يري لتفسير التجميع القاني اقتناء • ولا
 اتجاء • فلما استدفت لهم هذه الدبابه • وماجت بالحديد لجها العبابه • وأطافت بذلك
 الكبش تلك التيوس النبابه • وأمنوا عليها الحريق • وأموا بها الطريق • سبوا بين
 يديها الارض • ومهدوا الطول منها والمرض • ومحبوها حتي سبجوها • وقروا بها
 اعيناً بل أنفساً وقربوها • لجاءت صورة يزعج مرآها • وروضة يمجز مرعاها • وآلة

تروق هيأتها • وعدة تروع هيبتها ، وبلى البلد من دنوها بالبلاء الداني • وتفاشت
وتماشت دنوها نفس الراعي وعين الرائي • وقال أمحاننا هذه ماني دفع خطرها حيلة •
ولا لبارق الظفر بها نخيلة • فكيف العمل • وفيه الأمل • ومن للكبش العظيم وقطع راسه
ومن لبناء الحديد ونقض أساسه • فان كانت هذه الدابة دابة الارض فما هذا أوأنا • وما
حان زمانها • ولقد قامت بها قيامة الحثير فقام برهانها ونصبا على صوبها عجائيق • ورموا
بالحجارات الثقيلة ذلك النيق • فأبعدت رجالها من حوالها • وطردت المطرقين • بن
يديها • ثم رموها للحزم بحزم الحطب حتى طموا ما بين القرنين بحجره • وقذفوها بالثار
فترنم في أنبائها بحجاج الذهب برجزه • ودخلت من باب الدابة فاشتعلت نار ضلوعها •
وشرع من فيها في الخروج بعد دخولها وشروعها • وجاء الفرنج تلك الليلة فباتوا
بالبنيات • يطفئون بالخل والحجر تلك الشعل المستويات • فأطفأوا نار الظاهر ولم يعلموا
بنار الباطن • ولم يحسوا بما تمكن من اضلاعها من الحرق الكوامن • وحين اخمدوا
الحجر • احمدا الأمر • ورجعوا ولم يزل الذهب يأكل سقوفها • حتى ترك على ما غطى الحشب
من الحديد وقوفها • وحينئذ خسنها المنجنيق • فلهد ذلك النيق • وصوح ذلك الروض
الانيق • ووهن ذلك التركيب الوثيق • ونفقت تلك الدابة واحترقت تلك الدابة • وخرج
من بالثر المحروس • بأشرى الوجوه طيبي النفوس • وقطعوا رأس الكبش •
واستخرجوا ماتحت الرماد من العدد بالنبش • وحمل كل من الحديد ما اطلق حمله •
واستطاب لتلج صدره وبرد يقينه حره • واستجف ثقله • وقدر ما نهب من الحديد بمائة
قطار • فقل في آله لبست بهذا المقدار وهو اعظم مقدار • وواد أمحاننا على عدوهم
ظاهرين • ولحزب الكفر قاهرين • وكلهم ينشد وهو ينشئ وينشد جدا وجدا •
نازات كبشهم ولم • ار من تزال الكبش بدأ

وقطع الكافر وكفر القاطن • وسخط الشيطان واستشاط الساخط • وعلم الفرنج حين
حببت اعمالهم • وهبطت آمالهم • ان الشقاء ادركم والشقاق اهلككم • وان مدبرهم
مدبر • وان تزيهم مدبر • وان آلائهم غير نافعه • وان نهائهم غير نافعه • والحمد لله ذي
الطول العميم • والفضل الجسيم • الذي نلش • عثار الثغر بعد ان تل للجين قتلنا قوله
نعالى وفديناه بذبح عظيم • وكان ذلك في يوم الاثنين ثالث عشر رمضان واحترقت
البطسة يوم الاربعاء خامس عشر •

وفي هذا اليوم وهو يوم الاثنين قدمت عساكر الشمال . يقدمهم ذو القبول والاقبال وهو الملك الظاهر صاحب حلب . وقد استصحب معه الاجناد وجلب ، فجاء عشية وجدده ببقاء والده عهده . ثم عاد وباد بكرة الثلاثاء يقدم جنده . ومعه سابق الدين عثمان صاحب شيزر * وقد استكثر معه واستظهر * وعن الدين بن المقدم . ذو القدر الانغم * والتجر الاكرم . وحسام الدين حسين باريك وجماعة من الامراء . من ذوي الركابة والبسالة والقضاء . وقدم الملك الامجد مجد الدين بهرامشاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب صاحب بعلبك . وقد استصحب غلمانه الاكاديش ومماليك الترك . وكان لذلك اليوم رونق . وصفاء لم يشبه رلق . واتفق في يوم الاثنين هذا من العدو على البلد الزحف الشديد في الحلق العظيم . جحيمين يلهبون بنار الجحيم . وتركهم اصحابنا حق قربوا من السور . واقدم العدو اقدام المتهور الجسور . فلما ازدحوا وكثروا . واضطرموا واستعروا . غنت لهم الاوتار برنين القسي فطاشت لها السهام . ودعت اليهم الاقدار بجنين الحنايا فلباها في لبائهم الحما . وزارتهم من الزيارات الجريخ . واخذت نيرانهم تبوخ . ورضتهم الجانيق بالاحجار . وآذنت عيون نجيمهم بالانفجار . وخرج اصحابنا عليهم فشلوهم الى الخيام . وفلوهم بمجد الاقدام . واقضي الخرق بالعدو الى المخرق . واخلفت بمجدة جدنا جدة اولئك الخلق *

ذكر حوادث تجددت ومتجددات حدثت

وصل الخبر في سادس عشر رمضان من حلب ان صاحب الطاكة اغار على غره . بشره وبشره . ووصل الجاسوس بخبره . وبما البلاد مشرفة عليه من خطرته . فرتب اصحابنا له كينا . ثم خرجوا عليه شبلا ويمينا . قتلوا أكثر رجاله . واقتل وباله في وباله . وانهاض من تلك النهضة . وضعف من تلك المضة . وفي هذا التاريخ القت الريح الى ساحل الزيب . بطستين خرجتا من عكا . بجماعة من الرجال والصبيان والنساء للتغريب . وفيها امرأة محتشمة غنية محترمة . فأخذتا وأخذوا وأخذت ؟ وجد القرنيخ في استنقاذها فسا استنقذت . وسرنا ما ساء العدو . وآتانا الله من احسانه المرجو * وفي عشية الاثنين تاسع عشر رمضان رحلنا الى منزل يعرف بشفرعم * وخص بهذا الرحيل النفع وعم * وكان سبب ذلك انه كثير المستامنون الينا من الفرنج . وأخبروا

اهتم في غنم الخروج الى المرج * هائمين للثار نائرين الى الهيجاء * ماثمين في دأبماء الدماء
 لحب اللقاء * وصح هذا الخبر وصدق * ووضح الحق وتحقق * فاحضر السلطان الامراء
 الاكارم * ورجال الحقائق الضراغم * الذين هم له اعوان صدق لساعات ايامه * وذخائر
 لصر عند اعتزاه * فاستشارهم واستشار كوامن سرائرهم * واستنبط دقان ضائرهم *
 واستكشف منهم الصواب * وتعرف من جانبهم الجواب * فقالوا الصواب ان يفسح لهم
 عن هذه المروج * حتى يكون دخولهم اليها يوم الخروج * فتصحبهم في اليوم الآخر *
 ولا يتمد بهم احداق الصاكر * وانما لا يقدر على القصد دفعة واحدة * الا اذا
 كانت ايديهم * بتساعده وآراؤهم متعاقده * فان اقردوا عن الراجل وساقوا كسرناهم
 وأسرناهم * وان توقفوا للراجل قصدناهم حيث نزلوا ولقيناهم وصددناهم * واجمعنا على
 أن نرحل الى شفرعم ونخيم على هضابه * ونبطل على الصدر ما كان من البيات في
 حسابه * نخيمنا هناك على أحسن تمويه * وسنينا أسباب اللقاء أتم تسفيه * ورحبت المنازل *
 وعذبت المشاهل * وعادت معالم تلك المجاهل * وحللت التلاع والاكام * وركزنا تلك الاعلام
 لاعلام * وزلنا المقام الشتاء مستدين * ولا أسباب التوقي من الامطار مستجدين * وانخمين على تلك
 الاطواد موطنين * وعند تلك الاوتاد موطنين * وتسمت تلك الفروع وقرعت تلك الأسمه *
 وتمكنت تلك البقي وبنت تلك الامكنه * وتمركت تلك الحيلال بسكانها * وأحبت الرجال
 الوطن بها ولسلت عن أوطانها * ودارت الانواق * ودرت الارزاق * وأنارت الآفاق *
 وصهلت الصلادم على معالفها * وصقلت اللهاذم لمراعفها * ونوب اليك بحالها تدور وترود *
 ولعسد رسم الحفظ والحمايه وتمود * والحرب تتاب * والزحف يتعاقب * والاقران
 تتوابع والوقائع تتقارن * والاعوان تتعاخذ والاعضاد تتعاون * والعناق بصهيلها لحب
 الطراد تجمجم * والراقق بضليلها لشوق الجماجم تجمجم * والمقربات للاجراء صوافن *
 والضواير للشد ضواير * ومعنى المناصل صلة القطع * ورجاء الرجال نسيح النصر في قرع
 النبع بالنبع * والتوحيد للتثليث منازل * والايان للكفر مقاتل * ولا كلام الا للكلام *
 ولا سلام الا بالسلام * فلا يسمع الا أسرج الجلم * وقدم وأقدم * وأصم وصمم * وأضر
 وأضر * ولا تله حتى تلهب * ولا تلعج حتى تلعج * وأقطع وصل * وأكئل بصاع
 المصاع وكل * ولا تقلق والقي وقلقل * ولكل داع لإجابه * ولكل ساع أصابه * ولكل
 سهم في المرمى فوق * ولكل سهم في المرام سوق * ولكل صعدة في الطمان صدعه *

ولكل قعدة للرماة قعدة • ولكل عقدة بالضرب حل • ولكل عدة في الحرب قل •
 ولكل غضب عض • ولكل ذي حظٍ حض • ومن له نصيب في الشجاعة نصب في
 التشجيع • ومن له جراءة الهيجاء حاج الى الصريح بالجسد السريع • والايام منا على
 هذه الحالة مندرجه • ومياه الحديد بأمواء الوريد بمتزجه • والفرج منتظر والنواظر
 متفرجه • وتباشير صباح الصنّاح في دياجير القتام متبلجه • والله نعمة في كل بليه •
 وسر في كل قضيه *

﴿ ذكر وفاة زين الدين صاحب اربل ﴾

في ليلة الثلاثاء ثامن عشرى شهر رمضان وما جرى بعده من الحال
 قد جرى ذكر هذا الامير • وما تحلى به من الكرم والخير • وهو يوسف نيالكين بن
 على كوجك • ومن سعادة جده ما طلب غاية في الكرم الادرك • وما كان أسره يوم
 الحضور • واحظره يوم وفاته للسرور • فلقد كان جارا للكتائب • بار بالاباعد والاقارب •
 سارا باسداء المواهب • دارا بأخلاف الرفائب • مارا في سبل المناقب • قارا على قلق
 التوائب • وكان في ريمانه الرائع • وشعاعه الشائع • وشبابه الطرى طرير الشبا • وحيه
 لعقد السودد معقود الحبا • فرضت الايام بمرضه اياما • وتلهيت القلوب منا لتلهف عليه
 وقد أمست مراضا ضراما • وعدته بطبيب السلطان فلم يأنس به • ولم يسكن الى طبه •
 لما كان يعلم من منافسة أخيه مظفر الدين في موضعه • وانه يتعش بمصرعه • فاكتفى
 بصاحب له يطله • يوافقه على ما يحبه • وهو جاهل بمزاجه • ذاهل عن علاجه • فشب
 الحمام في حمى شبابه ناره • وأذوى غصنه غداة قلنا ما أزهي أزهاره • وما انضر اضاره •
 ونقله الله من جناب الحياة الى حياة الجنان • وعجل به ليجازيه لاحسانه بالاحسان •
 وحوله من بين الآتراب الى التراب • ومن دار الاغترار والاغتراب الى موطن التواء
 بالثواب • وأذن ازمان بعد الاجداء بالاجداب • ولزمه أخوه مظفر الدين حتى فارقه •
 وماظهر عليه النعم حتى قيل انه سره موته ووافقه • وقصدناه معزى عن ظن انه جلس للعزاء •
 فاذا هو في مثل يوم الهناء • وهو في خيمة ضربها في تخيم أخيه • واحتاط على جميع ما يحويه •
 ووكل بالانراء أصحاب القلاع ليسلموها • وخشي ان يمصوا فيها اذا رجعوا اليها ويحموها •
 وخدم بخمسين ألف دينار حتى اخذ اربل وبلادها • ونزل عن حران والرهاوسميساط

والبلاد التي معه واعادها • وزاده السلطان شهرزور • واحكم بحسبه الاسباب والامور •
 فاستعمل الى حين وصول الملك المظفر تقي الدين • لينزل في منزله بجند • ومحبه الميامين •
 فوصل يوم الاحد ثالث شوال • فخفي بعد العطل الاحوال • وكان قد انفصل صاحب
 الجزيرة معز الدين سنجرشاه وذهب مغاضبا • وكان السلطان له في الانفصال طابا •
 فاعاده تقي الدين من الطريق • وقبح له ما استحسنته في ترك الموافقة من عدم التوفيق •
 وكان هذا سنجرشاه دخل يوم العيد بكرة للهنا • فاستأذنه في الانكفاء • فخرج على
 حاله وسار وتبعه اصحابه • ولج جاحه وتعذر اصحابه • فلما اجتمع به تقي الدين رده •
 وبذل في صيانة منزله عند السلطان جهده • وطال على الملك عماد الدين صاحب سنجار
 المقام • وجد في الاستئذان في الرحيل منه الاهتمام • وصدق الاعتزام • وقرر ملاله •
 وتكرر سؤاله • فكتب اليه السلطان

من ضاع مثلي من يد يسه فليت شعري ما استفاد

فلما قرأ هذا البيت ما راح في الخطاب ولا غادي • وغلت الاسعار عند الفرنج
 واستمرت الغل • واعلمهم ما صراهم وعمرتهم العلل • وباؤوا بالوباء • وبلوا من البلاء •
 وغلوا من الغلاء • ونضروا من الضراء • وشق مرأثم استمرار الشقاء • وعمت المجاعة
 الجماع • وعدموا الطاعة والاستطاعة • وزاد جوعهم • وزال هجوعهم • وقصرت عن
 القرار بوعهم • واعملت ربوعهم • واستحال رتوعهم • وبهمم الرهب • على الحرب •
 والقحط • على الشحط • لكنهم اقاموا على الموت • واستناموا الى الفتوت • وبلوا بأمور
 صميه • وهرب اليها منهم عصابة بصد عصبه • وقد بادوا من الضمف البادي • واعداهم
 الضر العادي • فن سألناه عن مقتضى فراره • ومقتضى قراره • يخبر انه طواء الطوى •
 فتواء النوى حين التوى • من حذر التوي • وقد انشاء المحل للدحل • وايقض اليه حب
 السلامة الولد والاهل • وكانت الفرارة من الغلة قد بلغت اكثر من مائة دينار • والسعر
 من الزيادة لديهم في استعمار • فما جاء الا كل ضعيف لا يقوى على النزاع والنزال • ولا
 مسكة لا عتلاق رمة من الاعتلال • فقبلناهم وانفقنا فيهم • والفناهم بما يكف ضررهم
 ويكفيهم • فتقوتوا وتقوا • واثروا بعد ما اقوا • فهم من اسلم وخدم • ومنهم من ند
 وتند • ومنهم من غدا بجزيرة وعاد • ومنهم من ناصح فاستفاد •

ذكر نوبة رأس الماء وخروجهم بعزم اللقاء

ولما ضاق بالقوم ذرعهم • واشترقهم جرعهم • وعرقهم قرعهم • واخلفهم خلف
عيشهم وضرمهم ضرعهم • وعيل صبرهم • وعال ضرهم • قالوا انخرج ونبل • ولعل ونصلي •
ونقص ونصدق • ونلقى ونفلق • ونفل ونفلق • ولماز ولعزم • ونمز ونهزم • ونجرب
ونجربى • ونبرى ونبتري • ونزحف ونحفز • ونزعج ولعجز • ونجد ونجهل • ونحصى
ونحمل • ونقطع ونوصل • ونشور ونشر • ونذور وندير • ونشصف ونصصف • ولعفر
ونزغف • ونقرح ونحرق • ولعقر ولعرق • ونخرج ونخرج • ونلج ونلجج • ولضرى
ولضرب • ولغلى ونغلب • ونجن ونجني • ونثيف ونثني • وزرد وزردي • ونجد ونجدى •
ونقد ونقدم • ولعدو ولعدو • ونصد ونصدع • ونقد ونقدع • ونجد ونجدع • ونصر
ونصرع • ونسل ونساب • ونزوع ونزع • ونبدو ونبد • ونصدي ولصيد •
ولظفر ونظفر • ونرق ونقر • ولقسو ونقسر • ونسكر ونكسر • ونخرجوا في عدد خارج عن
العد • واستقاموا مع الاعوجاج على جدد الجد • وذلك يوم الاثنين حادى عشر شوال
بعد ان رتبوا على البلد من لازم القتال • وأخذوا معهم عقيق أربعة أيام وزادها •
واستصبحوا اتحاب الكريمة وأجادها • وكان البرك على تل المياضية فركبوا • وأشعلوا
القوم بنيران التصل وألهبوا • فنزل العدو تلك الليلة على آبار كنا حفرناها عند نزولنا
هناك • والحامية الحامية المنبثة على تلك البعوث ماتركت الاتراك • فباتوا حول القوم
يرمون ويدمون • ويشنون ويصبون • ولما اتصل خبرهم بالسلطان رحل الثقل الى
ناحية القيمون • وثبت الله القلوب على الأمن والسكون • وبقي الناس على خيلهم
جراند • وقد استعدوا من مر الكريمة الموارد • وركب العدو يوم الثلاثاء سائراً •
وقد عب عبايه زاخراً • وهب نايه زاراً • وطما يحمره مانجاً • ومما جمره مارجا •
وعساكرنا في أحسن تسيه • وللهاء القراع في أوحى تليه • وقد امتزجت زجرات
الجاوش • بنترات الجيوش • والميمنة الى الحيل ممتدة • والميسرة الى التهر بقرب
البحر وصفوفها مشتدة مستدة • والسلطان في القلب كالقمر في الهاله • عليه اكليل من
أنوار الجلاله • فسار حتى وقف على تل عند الحروب • على المهابة الحالية والحالة المحبوبة •
ومقدموا ميمته • عظماء دولته • صاحب دمشق ولده للبجل • الملك الانضلي •

وصاحب حلب الملك الظاهر • وصاحب بصرى ولده الملك الظاهر • وأخوه الملك
العادل في آخرها • والأمراء بما كرها • إلى حسام الدين بن لاجين • قايمآز النجفي
صارم الدين • والأمير بشاره صاحب بانياس • وهو الذي لا يرجو مناوئته إلا من فيه
بان الياس • ثم بدر الدين دلدزم الياروقي صاحب تل بامر • وقد طلبا بشر الاسلام
بما بامر • وعدة بكثرة من الأمراء يطول ذكرها • على أنه يطيب لشرها • وعظماة
الميسرة ومقدموها • وأمراؤها ومقدموها • الملك عماد الدين صاحب سنجار • وهو
العادل للاسلام وعلى الكفر جار • وابن أخيه معز الدين سنجر شاه صاحب الجزيرة •
والملك المظفر تقي الدين ذو السطوة الميمنة الميمنة • وسيف الدين علي المشطوب • الذي
نشب بناره الحروب • ونصب على العدا منه الكروب • والمهكرية والمهرانية • والحيدية
والزرزارية • وأمراء القبائل من الأكراد • أقتال القتال وأجادل الجلال • ورجال
الحلقة المنصورة واقفون في القلب • لابسى الحلق المردي خائفى بحر الحرب • من كل
قارس فراس • وهرماس رماس • وضيف ضاعم • وضرقام غارم • وليث قضا •
ملوث بفضاض • وقصور قاسر • وهزير زابر زائر • وأسدي في غاب الأسل •
وقارع في القراع باب الاجل • وقار ثمالب الحرسان وذباب الظبا من دم الاقران • وقار
على الثبات على قلق نبات الشجمان • وقارى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم
ثقة بوعد القرآن • وقارن حجج النجج بعمرة عمره وبذله في الجهاد للتمتع بعمر الجنان •
وسابق الى حلبة الشهادة • وسامق على ذروة السعادة • وملابس للروع مباسل • وعاسل
كالذئب الى ذب العدا عن الهدي بماسل • وسار الفريخ شرقي النهر لنا مواجبهين •
وللكريهة غير كارهين • حتي وسلوا الى رأس النهر • وأشفقوا من بأس القهر • فاقبلوا
الى غريبه ونزلوا على التل بينه وبين البحر • والجاليشية الرماة منا حولهم جائله •
وعيون أعينهم على إصانائنا • وجرح في ذلك اليوم وهو الثلاثة خلق من أهل
الثلاث • وما نبأ عن كثير منهم ناب النائب الكريث • والسلطان في خيمة لطيفة بحيث
يشاهد • والله منه الجاهد المجاهد • وأصبح الفريخ يوم الاربعاء راكين • وعن سيل
اللقاء ناكين • ووقفوا على سهوات الخيل الى فحوة النهار • والراجل مطيف محقق
بهم كالاسوار • وأصحابنا قد قروا منهم حتى كادوا أن يخاطبوا • وأرادوا يباسطونهم •
والسلطان يمد الرماة بالرماة • والكجاة بالكجاء • وهم ثابتون ثابتون • ساكنون

سا كتون * ونحن نقول لملهم يحملون * ويقضون فيجهلون * فتمكن من تفصيل
 جعلهم بمحلتهم * وتفرق جماعتهم * وتفرج الغمة بنزع جتهم * وأحسن العدو بالضعف *
 وانه متورط في الخلف * فسار موليا * ولمذره لدعوه مبليا * ومضى على مضض * ومر
 بأشد مرض * والنهر عن يمينه والبحر عن يساره * وقد أيقن إن صبح منه الثبات
 بانكساره * وعسكرنا يصاحفهم بالصفاح * ويكفهم بالكفاح * ويشعلهم بحمرات السهام *
 ويلهمهم بخدمات الضرام * ويحرقهم ويشويهم * ويصمهم ويشويهم * وفيض على غدران
 السوابغ منهم جداول القواضب * ويخض في دماء الدماء منهم سواج السلاهب * ويقض
 في ماء الوريد منهم ماء الفرند * ويضبط بني الكفر في الجمع بين الاختين عليهم ابني الغمد
 والزند * وادبروا مولين * وارخصوا من مهجهم ما كانوا له مقلين * وعسكرنا يتبعهم *
 ويملق بهم ويقلعهم * وهم مجتمعون في مسيرهم * محتمون في تقديمهم وتأخيرهم *
 يحركون في سكون * ويتظاهرون في كون * وتطلعون في غروب * وتفللون بغروب *
 ويتذوبون في جود * ويتلهبون في خمود * وكلما صرع منهم قتل حمولة وسفرو *
 وطموا مدقنه وطمروه * حتى يخفى أمرهم * ولا يصح لدينا كسرهم * وتزلو اليلة الخيس
 على جسر دعوق * وقطعوا الجسر حتى يمنع عبورنا اليهم ويعوق * وأبلى المسلمون في
 ذلك اليوم في الجهاد بلا حستا * واتوا كل ما كان فيه مستطاعا ممكننا * وقام اياز الطويل
 في ذلك اليوم مقاما أقمد فيه من الكفرة كل قائم * وأنبه به من العزائم كل قائم * وكان
 مقداما هاما * واسدا ضرقاما * يطير وحده الى الروح اذا أبدى له ناجذيه * ويحبب
 المستصرخ ولا يسأله عما يدعوه اليه * وهو في كل يوم يصبح في سلاحه شاكيا * وبتار
 عزمه ذاكيا * ويقف بين الصفيين * ويدعوا الى المبارزة والحين * فسا يبرز اليه الامن
 يصرع * ولا يصل اليه الامن يقطع * فعرقه الفرنج وتحاموه * فما راموه بعد ذلك ولا
 راموه . وبذل هذا اليوم جهده . وقل في قل حدم حده . واصابته جراحات . وأصابته
 اجترحات . وكذلك سيف الدين يازكوج ابلي في الجهاد ذلك اليوم . ووقم بصلاله وفضاله
 القوم . وخرج وبه جرح . وفي قلب العدو وعينه من مهابة انتقامه واصابة سهامه
 قرح . واصبحوا بكرة الخيس . وقد بكر الخيس . وحمي الوطيس . وسار في أسده
 العريس . فاشرفنا عليهم واذا هم داخلون الى مخيمهم . سائرون الى مخيمهم . فعاد السلطان
 الى سراقه . حامدا خلائقي خلائقه . مسفرا في ليل العجاج فلق قبالته . وأستعاد الاقبال

الى معسكره . واستزاد من الله له الاقبال في مورده ومصدره . ونفر بتفرده عن ملوك الارض بنون ملائكة السماء وتفرّد بمفخره * وكان مع الفرنج الخارجين المراكيس والكند هري * واقام ملك الالمان على عكا . يبرى ويفرى *

﴿ فصل من كتاب في المعنى ﴾

خرج الفرنج يوم الاثنين حادى عشر الشهر * واتقين من ملوكهم الحاضرين بالظهور وقوة الظهر . وفي مرج عكا عين غزيرة الماء .
يجرى منها نهر كبير الى البحر انخرجوا الى شرقي النهر ، وباتوا بالقرب من مخيمهم على البلد ، وقد تخلف لحفظ حصره الوف من اهل الجبل . ثم اصبحوا يوم الثلاثاء والنهر عن يمينهم ، والاسد سائرة بالاسل في عربتهم ، والحمة مشتملة في عيونهم وعرايتهم ، ونزلوا رأس العين ، وتطرق بها اليهم من عساكرنا المنصورة طارق الحين ، ولما اصبحوا وجدوها بهم محدة ، وبيران النصال والمتاصل لهم محرقه ، وكنا نقول انهم يحركون للمصاف * والامر بالخلاف ، وانهم لسهام التون من الاهداف ، وما دارت بهم الا الجاليشية تحول وتصول ، ونصيب وتصوب وتطل وتطول . وكانت الاطلاب وافقة تنظر حملاتهم ، وتستعد لوثباتها وثباتها ، فلما ابصر الفرنج ما حل بهم من العذاب . عدوا الفتيمة في الاياب ، وشرعوا في طريق الذهاب فعادوا من ضربى لنهر را جين . وساروا صوب خيامهم مسارعين ، واصحابنا وراءهم يرمونهم ؟ ويشوونهم ويصمونهم ، وقتل منهم خلق ، وسرى في حجب حياتهم خرق ؟ ونزلوا تلك الليلة على الجسر وقطعوه وباتوا خائفين هائبين ، ورحلوا سحرا خاشئين خائبين ، وخيولهم الناحية مجرحة ، وقلوبهم الزاجفة مقرحة ، واشلائهم من كسوة الحياة عارية والعراء مطرحة ، وعرفوا ان حركتهم للهلكه ، وان هلكتهم في الحركة ، واقاموا على الضر والزاد معدوم ؟ والبلاء لكل منهم منفرد وعليهم مقسوم ، ولا طعم لهم الا من لحوم الخيل ، وهم يدعون بالثبور والويل . ومع كثرتهم قلوا عناء ، وضلوا رجاء ، وذلوا بلاء ، واعتلوا جدبا وغلاء ، ولما عاد الفرنج الى خيامهم ، خائفين من صرايحهم مخفقين من صرايحهم ، وابصر المقيمون بها اصحابنا وراءهم ، يطلبون اردادهم ، متعطشين الى دماهم يرومون ارواءهم ، وشبوا على حياتهم ، وناروا المراد مرادهم ، ولاقوا اجمننا بأجمعهم وقاضوا لقيضنا من منبعهم *

فاندفع الاصحاب حتى تبرزوا ، ثم ردوا عليهم الكرة فأتحنوا واجهزوا ! وقتل في تلك المعركة كند كبير ! وشيطان ثار شره من سعيه مستعير ، وطلبوا بعد انفصال الحرب جثته فأعطوها ! والتسوا هامته فلم يجدوها . وكان رجلا يعد رجالا ! وسلبه قوم بأموال ، ولولا ما اتفق من التياث مزاج السلطان ، ما سلم من سلم من حزب الشيطان ! ولله في كل قضية سر * وفي كل بلية بر *

ذكر وقعة الكمين

وما زال السلطان موفقا في آرائه . مشرقا بلالا . آلا ! ومن آرائه الراجحة * ومساغيه التاجحة . ومتاجره الراجحة ، انه رأى ان يرتب على العدو كينا ، وعلم ان الله يكون لنجبهه ضمينا . فجمع يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال متنجي رجاله او متنجي أبطاله ، وخواص اتراكه ، وعوام قناكه . فانتخب منهم كل من عرفت سابقته ، وسبقت معرفته * واحدث في الجلال جلادته ، وفي لقاء المدا مادته ؟ وعلمت في الفتك جهالته * وامرهم بان يكمنوا على ساحل البحر بقرب المنزلة العادلية القديمة * ففضوا واكمنوا ليلة السبت منتبهي الهمة متيقظي الزميمة ؟ وخرجت منهم عدة يسيرة بعد الصباح * منادية بجي على الفلاح * ودنوا من حندق القوم * ونادوا لا قعود بعد اليوم * ومطروهم سهاما * واسرعوهم ضراما * فقطع الفرنج فيهم * وظننت انها تلاقيهم * وخالتم صبيدا قد سح * وسربا قد سرح * فقطعت خيادقها * وبقت علائقها * وحثت سوابقها * واخاضت بحر الحرب سوابقها * وقد افاضت سوابقها وشامت صفائحها * وتجردت عن رجالها * وتفردت بضاللتها * وحملت بجهاالتها * واقبلت بادلالها لا بدلائلها * وتطارد اصحابنا امامها * وانهمزوا قدامها * حتي وقفوها على الكمين . واوقعوها في الهلك المكين * فخرج الكمين عليها * وتبادر اليها * فلم يستطع فارس منها فرار * ولم يطق من غرته ان يعصي غرارا * وكانت في مائتي قطاري * من كل مقدم باروني وبطل داوي واستباري * فقتل معظمهم * ووقع في الاسر خازن الملك وعدة من الافرنسيية ومقدمهم * وملكوا وسلبوا وملك سلبهم * وقطع بهم سلبهم * وما وصلهم اربهم * وجاء الخبر اليها * فركب السلطان وركبنا * وسار ووقف على تل كيسان * فشاهد من الله هناك الاحسان * وجاءه مماليكه يتودون أولئك الاغزة بخزائن الذل . ويجودون بما استخلصوه من ذلك

القل * ويقدمون المتقدمين من سراة الاساري * وتلونا لما شاهدناهم وترى الناس سكارى
وما هم بسكارى * فقد رزتهم القنوت وقصفتهم اليبوت * وبشتم الى مصارعهم الظاهرة
من مكامن الآجال البعوت * وترك السلطان الاسلاب والخيول لاخذها * وكانت بأموال
عظيمة * فاعارها نظرة ولا ترد امره فيها * وفيها حصن كانه حصون * وزر دموعه
وخوذ منها مذهب وهدهون * وسيوف ذكور تنول منها الثون * وملابس رائحات
تجار فيها العيون * وابنا بالملك مصفدين . وحمدنا الله الذي بارشاده هدينا ، وجلس السلطان
في خيمته على دست ملكه ، وقد انتظم له عقد النصر في سلكه ، فن كان عنده اسيراً
أحضره ، فاعلم عليه وشكره ، وكنت عند السلطان جالسا ، ولجير الجبور لايبا ، وقد
جمع اولئك الاسراء وما اسعد الله الا في تلك الساعة أولئك الانقياء ، ودامت محاورته
لهم مشافه ، واطعمهم بعدما آتوا فأكبه ، ثم بسطهم بسط الخوان وأشبعهم وأرواهم
ثم احضر لهم كسوة وكساهم ، والبس للمقدم الكبير فروته الخاصة فقد كان الزمان قد برد ،
وفصل الشتاء قد ورد ، وأذن لهم في ان يسيرا غلمانهم لاحضار ما يريدون احضاره ،
ولا اعلام من يؤثرون ان تعرف معارفه اخباره ، ثم نقلهم الى دمشق للاعتقال ،
وحفظهم بالقيود الثقال ،

❖ فصل من كتاب بشرح الحال ووصف المقام مع الاعتلال ❖

ولما كانت ليلة السبت ثالث عشرى شوال كانت نوبة البرك لاختنا الملك العادل فأشار بانقاذ
عدة اليه تكون في الكمين * وتقيم في المكمن اقامة خادرات الاسود في العرين . فانفذنا
اليه من مماليكنا سرية سرية سرا واستسرت وسرت ، وقرت في مكمنها الي ان
طابت الانفس بصنعها وقرت . ولما أصبح الفرنج يوم السبت خرجوا على العادة عادين .
ولانما الي ناديمهم منادين . فاستطرد من حضر من العرب واليزكية قدامهم *
واظهروا أنهم قد ظهروا عليهم وهربوا وهربوا اقدامهم * وما زالوا ينهزمون وهم وراءهم *
يقوون فيهم رجاءهم * حتى أبعدوهم عن المأمن * وعبروا بهم عن الكمن * فخرج عليهم
الكمين من خلفهم . وفتح عليهم أبواب حقتهم ، وأروهم وجوه المنايا في مرايا غرر
الحديد . ونزعوا عنهم لباس الجلد لباس الجلال . وفلقوا البيض بالبيض وفلحوا الحديد
بالحديد . وأشعلوا نار الغيا في ماء الوريد . وفضوهم بالفضاء . وعروهم بالبراء وتلوهم

بالتوت . وبثوا أعناقهم من جبل الوتين المتبوت . فلم ينج منهم ناج * ولم يبق منهم
 للبقاء راج * وأسرت عدة من مقدميهم * ومعروفهم وعخشيمهم وكانت هذه بحمد الله نوبة
 بغير نبوءة * وكرة بغير كبوءة * وغزوة أذنت بأوفر حظوءة * ووقعة أدنت بل أجنحت كل
 لصرة لضررة عذبة حلوءة * والحمد لله الذي تزكو أنعمه بسبقا الحمد ، وتوضح عوارفه
 لشاكرها جبيد الجبد . ولولا مرضنا في التوبة الاولى التي خرجوا فيها باجمعهم .
 لما نجوا بجشاشهم بل تسجل مصيرهم الى مصرعهم . لكننا ما قدرنا في ذلك اليوم على
 الركوب . وجلسنا على تلة قرية من المعركة فننظر ما يكون من السكر المتدوب .
 والآن بحمد الله قد توفرت حصة الصحة ، ولزمت منة المنحة . وكذلك مرضنا عام
 أول شهرين . والحمد لله على المهلة في السنتين . فاقنا مع السقام ، وسقمنا في المقام ،
 وصبرنا وصابرنا . وجاهدنا وجاهدنا . ومقمانا في هذه المدة المديدة في بلد الفور . والوخم
 فيه يقضى على ماء الصحة بالفور ، وما منا الا من التاث . فاعانه الله بغيث فضله المديدة
 ديمته الالاث . والحمد لله الذي أمان وأغاث .

ذكر هجوم الشتاء ومقام السلطان على الجهاد

وعود من سار من المسافر الى البلاد

على رسم الاستراحة والاستعداد

ولما تشتت شمل الصيف الرقيق . بشمول الشتاء العنيف . وانحرف حريف
 الحريف كأنحراف مضيف الصيف . واشتعلت رؤس الحيايل شيدا للتلج ، وحل الوحل
 الخجيم حيشه الجمر بالمرج . والتحف كل هضبة ببرد البرد . واكتست القدران من الجليد
 بالزرد السرد . ولبست سود الذرا ببيض الفرا ، وجر السيل الذيل وجرى . وطمر
 المطر هوادي الوهاد . وقبض أنامل الآنام عن البسط للجهاد . وجد الجمر . وخد الجمر .
 وارتمدت الفرائص . وارتمدت الاخامص . وقرست الايدي ، وأمسى الجو بالجوى
 المسيء يمدو ويمدى ، وحل الهواء بالوهاد عقود القوى ، وعقد المسترفون على حب
 الاصطلاء الجبا ، واشتغل الملوك بملازمة المشاتي ، ومنادمة المواتي ، ومناقلة المتأفل ،
 ومعاقة العقائل ، ومعاقة المقار ، ومسامرة السمار ، ومدانة الدنان ، واحتفاء الجنان *
 ومناقة الفواني ، ومناقة المتالك والمتاني ، وملاسة السوالف والسلاف ، وملاسة

العلائق والاصناف ، قلت نار عزم السلطان حد الشتاء العاقى ، ووقف مع عزائه الماضية
 وهجر من مشى الى المشائى ، وما صده البرد عن مقصده ، ولا رده عن مورده ، ولم
 يحتفل باحتفاله ، ولم يبال ببلائه ، ولم يكثر بكارهه ، ولم يحدث أسرا لحادثه ، فاعتاض
 الاصطلاء بحرب عن الاصطلاء بناره ، وجرى على عادته في مصابرة الاعداء
 والجرى لها في مضاره ، وما لها عن الله ولا رفض فرضه ، وسما الى سماء الآلاء
 وأرضاه لما ظهر بدم أعجاس أعدائه أرضه * واستمر على بذل جهده في الجهاد *
 ووفي بعهده ولم يشه جفاء العهد * وقال انما أربأ بهذا العرب * وأري راحتي في هذا
 التعب * ويثني يقينى في ثلج صدرى بلطف الله عنف الثلج * وما يبرد قلبي مع قلب الحر
 والبرد الا برد النصر والفلاح * لكنه رأى ان مقام المساكر بجمعتها * وصرفها عن
 العود الى البلاد ومنعها * يوزن علاها * واختلال امورها وانحلالها . والفرنج قد أمنت
 غائلها ، وتكفى فى مداومة قتالها في نوبها مقاتلتها * فاذن للجماعة في الانصراف على
 المعاودة في المعاودة في الربيع * والرجوع الى مراد الروع المريع * وليأخذوا اسباب
 الاستعداد لأوقات الاستدعاء * وليستكثروا من الرجال المحققين في نصرة الحق للرجاء .
 من أهل الفنى والغناء . والمضارب والمضاء . فسار صاحب سنجار عماد الدين زكى خامس
 عشرى شوال يوم الاثنين . وتلاه صاحب الجزيرة ابن أخيه سنجار شاه ليكونا
 مصطحبين . وسار بعدهما ابن صاحب الموصل علاء الدين غرة ذى القعدة . وما انصرفوا
 الا بالثريف والخلع المعد . وشيعهم السلطان بكل مكرمة شاققة شائمه . وخلعة راققة
 رائعه . ومستعلمات مصر . ومصوفات تبر . وخيل عتاق . وخير واطلاق *

❖ فصل من كتاب الى صاحب الموصل عند عود ولده اليه .

وينعت بالملك السعيد علاء الدين ❖

ما كان أسعدنا بقرب الملك السعيد وما أجدجدا بانارة نوره . وافر حورنا بحضوره .
 وأصدق شهود صدق ولائه بحكم شهوده . وما أبهج الاسلام بنصرة ناصره ونجدة وليه .
 وودوده * ولقد تمت بيايمن أيامه وبركات مقامه في العدو نكايات . وظهرت لاولياء الله من
 العلاف كفافاته آيات . ووقعت بالمشركين روعات . وراعت وقصات . وقادأردنا أن نستظهر
 بمرافقته . ونبي الامور على موافقته . فما أئمن سعده . وما أسعدتني . وما أوفر وزنه .

وأغزر مزنه • لكنا عرفنا شوق المجلس الى اجتلاء سناه • بمقتضى آدابه التي استكملها
أدوات الارتقاء في مطالع علاه • فقد فاق بسداد رأيه الكهول • وما أوزكى الفروع الطيبة
إذا أشبهت الأصول • وما أسعد الملك بالملك السعيد علاه الدين آدم الله علاه • وسر
بفضائله أوليائه • وقد توجه والقلوب معه متوجهه • والنفوس لغيته منكهره • والعيون
لتزقب ورود البشائر عنه متبته • والأيام لظلمة الاستيحاش باليالي مقشبه • والموارد الى
أن يمن الله بعمود الاليس بمودته مقسنه • والالسن يذكر أخلاقه الطاهرة والافاضة في
شكر محاسنه الزاهرة متفوهه • والحواطر فيما تمثله أيام الاستعداد به من مبهجات آلائه
متزهره • ولا شك أنه يصف بلهجة الفصيحة • ما اقتناه من للتاجر الريحه • وقدمه
من المساعي التحججه • واستججه في الفزاة من مقاربه الصجيحه • وأبداه في البأس من
بسالته المشيحه • وأطلعه في ليل المعجاج من محبيحه بهجة الصبيحه • وله في كل نصرة
وهبها الله للإسلام أوفي نصيب • فقد أصعب مقتل الكفر بكل سهم مصيب • وهو لم يستريح
الهدى أسبق ملب وأسرع مجيب • وإن الله له بسفور صبح سعادته ووفور نوحج ارادته
أفضل مثيب •

﴿ ذكر ما تجد بمد ذلك في هذه السنة ﴾

لما هاج البحر وماج • وأظهر الارتجاج والارتجاج • تقل الفرنج سفنهم خوفاً عليها
الى صور فربطوها بها • وأخلو ساحل عكا من أوطائها وأرهاها • فوخلنا وجه البحر
وغابت عن الساحل مراكب الكفر • فاشتغل السلطان بانفاذ البدل الى البلد • من الثابتين
في الجلاد على الجبل • فالتقل الملك العادل بمخيمه الى جانب الرمل ونزل قاطع نهر حيفا
في سفح الجبل • لتسهيل طريق من يسيره الى البلد من البدل • فإن المقيمين في عكا شكوا
أمراضاً معترضة • وأعراضاً ممرضة • وكثرت السواد • مع قلة التفقه والزاد • وكان في
البلد زهاء عشرين ألف رجل من أمير ومقدم وجندي • واسطولي وبحري • ومتعيش
وتاجر وبطلان • وغلمان ونواب وعمال • وقد تمذر عليهم الخروج فسكنوا • وإذا غابوا
خوفاً على الموضع موئناً طأونوا وماوئنا • فرأى السلطان أن يسخس لهم في الخروج رفقاً
بهم ورأف • وما أفكر ان في ذلك مخافة وآفة • فقد كان فيه أمراء أمروا الأمر والقوا الصبر
والمناو الحصر • واجترأوا • وتجاسروا • وصبروا وصابروا • وحاربوا وخربوا • وجاروا

وجربوا ، وزاولوا وازالوا وحاولوا وعرفوا مكامن المكابذ ، وكشفوا كوامن المقاصد ، واخذ كل موضع في الحرس على الحراسه ، وشاعوا بالسباحة والحماسه . وكان فيهم من يطعم وينفق ، ويجمع الرجال وقلوبهم بما عليهم يفرق ، مثل حسام الدين ابى الهيثم السمين ، فانه اتفق ما ادخره من الالوف والمئين ، مستمرأ على اتقاق ، لانه تربه فيه خشية املاق ، وهناك ستون اميرا ومقدما ، وكلهم يرى المكرم في سبيل الله مغبأ ، وكانوا ينقمون بالعوام وكثرة الناس في جذب المجانيق ، والاعانة على ما يتفق في الحصر من التصديق ، فلما خرج الخواص خرج معهم العوام * وتبدد بتدبير نظمهم النظام * وألزم السلطان جماعة من الاسراء بالدخول * فقدموا على ان يعفيهم بالبدول * فلم يقبل منهم بذلا * وألزم بنقل الازواد لبعض سنتهم كلا * فلم يدخلوا الا بعد لاي * وقد بلغوا في غي الرأي الى أقصى غاي * وأكثرهم صرف رجاله المعروفين المستخلصين * واقتنع بمن استجد استخدامه من المسترخسين * وأذهبوا الايام بالدافسه * وأبطأوا عن فرض المسارعه * والملوك العادل هناك يحثهم ويحضهم ويحرضهم * ويمنهم على تحصيل المراكب لهم ونهضهم * حتى لم يبلغ من دخل عشرين اميرا مقدمهم الاحد * سيف الدين المشطوب على بن احمد * وأمر السلطان بالمناداة في الابطال البطالين * ليحضروا لقبض النفقات وكان يحضر الجاوش في كل يوم مئين * ويصيح نواب الديوان في أمرهم مرسين ، لحرضهم على توفير الدرهم * ويحثلهم بالتفقه ويمدونهم من المتكرم * ومعظمهم من نصارى مصر ومن هو مصر في نصرة النصارى * وفي تفسير ما يجب تسهيله وتمقيد ما يجب تحصيله لايجاري ولا يبارى * وكل واحد منهم للقبض قلب * وفي الخطب خطب * وللشر شرك * وفي الحسن حسك * وللمشرك مشارك * وللدين تارك فارك * ولهم أخلاق أخلاق * وطباع بالطبع أغلاق * تأوي للبخل والتبخل الى التأويل * وتقل لتكثير السوء في الخير سوى التقليل ، وهم يجالبون للنبي * طالبون للنبي * كاسبون للذم * مناسبون للضم * والمسلم فيهم متولى الخزانة . رى الشح بما يجوده به السلطان من الامانه * وأضعفهم في الكفاية عندهم أمنهم للإطلاق وأعذقهم بالحنق أقذعهم * وأعقدتهم للحق أقذعهم * وأجودهم أرداهم * وأضاهم أهداهم * وهم متفقون فيما بينهم على الخيانة . مختلفون في الظاهر لابتداء الصيانة . وكان يحضر هؤلاء لمرض البطالين واستخدامهم * ووجشونهم بخطائهم وينفرونهم بكلامهم * ويقابلونهم بالحيه ويعاملونهم بالثجه * ويواجهونهم بالسوء ويسؤونهم في

الوجه • ويشتملون في طلب الضمان • ويشترطون ما ليس في الامكان • ويطردونهم بتييح
 الزجر • • ويكسرونهم في صحيح الاجرة • والسلطان يوجد جود السحاب • ويأمر
 بالمطاء الحساب • ويجد حث التواب • ويجد في بثت الاحباب • ويقول أنفقوا ولا
 تحشوا اقلالا • وأنهبوا الرجال خفافا وثقالا • ولا تؤخروا شغل اليوم الى غداهم الا
 إهمالا • ولا تقدموا على هذا الفرض فرضاً ولا نقلاً • ولا تمقدوا ان لنا اهم من هذا
 الشغل شغلا • ونواب الديوان على عادة جهاتهم • وعادية ضلاتهم • فما قبل المطاء
 غير مضطر فقير • وما دخل الثمر الا قليل من كثير • وما صح من البذل الا بعضه •
 مضطر فقير • وما دخل الثمر الا قليل من كثير • وما صح من البذل الا بعضه • وما
 قضى حق الواجب المتعين فرضه • وكان هذا من أقوى أسباب الضعف • وأوفق دلائل
 الخلف • وسيأتي ذكر ذلك في موضعه في سنة سبع • فانه عاد كل ما دبر بصرى على
 التمر لا ينفع • وأقام الملك العادل على البحر لازاحة لعل الداخلين • واراحة قلوب
 الواصلين • حتى عاد الفرنج بمرأهم • واقطع بوصولهم الطريق من جانبهم • واقتنع
 البلد بمن اليه تحول • وعلى حفظه من الله بعصمته عول •

وبتاريخ يوم الاثنين ثاني ذى الحجة وصلت من مصر بالغة بطس سبع • وكان للحاجة
 اليها وقع • وقيل قد تم بها للجائعين شبع • واقلب أهل البلد الى البحر لمشاهدتها •
 ومعاونة جماعها ومساعدتها • وقل ما فيها من بضائع وحوادث • وسلع روائج • وما كؤل
 ومطعم • ومشروب ومشوم • فقد طال بذلك كله عهدهم • وأتتهى الى الغاية جدهم •
 فلما تسامعوا بالبطس • تسارعوا الى الملتص • فعلم الفرنج باقتراب أهبل التمر • الى
 جانب البحر • فزحفوا زحفاً شديداً وحلوا جندلاً وحديداً • وأنوا بسلام لينصبوها
 على الاسوار • وصارت عكا وهم حولها كالصم في السوار • وترقوا في سلم واحد
 متزاحمين • والضيق متصادمين • فاندق بهم السلم المنسوب • وسطا بمصابهم المنسوب
 بها لنصب سوط العذاب المنسوب • وتدارك الناس وتلافوا وتلاقوا • وتقاطوا
 كؤوس المتايا وتساقوا • ورأوا غمرات الموت فزاروها • وداروا حول رحى الحرب
 وأداروها • واستحلوا شهد الشهادة فشاروه • وألقوا الاجل كامناً قاتاروه •
 وتواثبوا عليهم • تواب السباع على الضباع • ورفقوا لقرى العواسل الحياض نار القراع
 وأطالوا بشيا العواالي للموافي باع الاشباع • وأنبعوا عيون التيجع من عيون الجميع

جداول البيض • وأفاضوا فيوض الدم القاني بالصارم المفيض • وقتلوا وسفكوا • وقتكوا
 وحتكوا • وردوهم على أعقابهم ناكسين • ومن حسابهم ناقسين • ولاشتغال الناس
 بكشف ماعرا من الغمه • وأظلم من الظلمه • والتهائم بنقل الغله • عن قتل الغله •
 تركوا البطس بجالها • مملوءة بغلالها • حتى هاج البحر فضرب به الحشف • وأذهب
 بكسرها كل ما فيها وأتلف • وغرق من كان فيها • وأنى الفرق على الامتعة التي تحويها •
 حتى قيل هلك بها زهاء ستين نفساً • عدموا ولم نجد لهم حساً • ناموا والقدر متنبه •
 وذهلوا وحكم القضاء اليهم متوجه • وفي ليلة السبت سابع ذى الحجة وقعت قطعة
 عظيمة من سور عكا على فصيلها فهدمته • ونفرت الثغر وثلمته • فبان منها الضوء
 لاهل الظلمه • فتبادروا اليها طمعاً في هجم التلمه • فجاء أهل البلد وسدوها بصدورهم
 وصدوا عنها بنحورهم • وبنوها بأبدانهم الى أن بنوا ذلك البدن • وغمرها ماخرب
 وقوا ماوهم • وقتلوا وجرحوا من العدو خلقاً • وأوسعوا بالمضايقة في كل ذى خرق
 خرقة • فالتجلت الحرب عن طريق صريع • وجريخ الى الهزيمة سريع • وطلب ليعقير
 قريع • وعاد الثغر أقوى مما كان وأحكم • وكل ذلك مجده بهاء الدين قراقوش حيث
 كان المقدم المقدم • وهذا الامير قراقوش لما خبر الامراء ونحوا • وطلبوا الخروج
 ولجوا • أقام ولم يرم • ولم ينحل عقد نيابة ولم ينخرم • وفي ثاني عشر ذى الحجة هلك
 ابن ملك الالمان بمرض الجوف • ولمسه من مرض الخوف • وأدرك أباه في الدرك
 الاسفل من النار • وأبصر في جهنم مصائر أمثاله من الكفار • وزاد بهلاكه ألم الالمانية •
 وانسدت بموته فرج الفرنجية • وتبعه في السفر الى سقر • كند كبير يقال له كندتيباط
 دافع القدر فما قدر • وهلك منهم بالامراض المختلفة المدد الكثير • واستغلت بهم
 الجحيم واشتعلت عليهم السمير • وفي يوم الاثنين ثاني عشرى ذى الحجة عاد المستأمنون
 من الفرنج الذين آبهضهم السلطان في برا كيس • ليغزوا في البحر ويكونوا أيضاً لنا
 جواسيس • فرجموا وقد غنموا وغلبوا • وكسروا وكسبوا • وسروا وأسروا •
 وقسروا ظفروا • وذكروا أنهم وقعوا بمحاربة كبيرة ومعها برا كيس • وفيها تجار
 فرنج ومعهم من المال الجليل النفيس • وأسروا التجار وأخذ المال وحيزت تلك
 المراكب وجذبته الى الساحل • فاذا هي مشحونة بالكرائم الجلائل • من كل آنية
 مملوغة ذهبية • وحلية مصوغة فضائية • وآلة فضية • وأباريق وأكواب وأقداح •

وأطباق وموائد وسبائك وصفاح * وكاسات وطاسات * ومرافع وشربات * فوفر
السلطان عليهم هذه الأكساب * ولم يحرمهم حيث حرموا لكفرهم الثواب * وأظهروا
بهذه النهضة أنهم مناصحون * وليمين الإيمان مصاحفون * فلما أكرموا بتلك المكرمه *
أنشأوا على اليد المنعمه * وأسلم منهم شطرهم * وحسن ينشأ ذكرهم * ووبركات الكرم
السلطاني كرموا * وأسوا وأسلموا * وكانوا قد أحضروا برسم الهدية مائدة فضة
عظيمة وعليها مكبة عالية * ولها قيمة غالية * ومها طبق بمثلها في الوزن * ويتعذر
وجود ذلك للملوك في الخزن * ولو وزنت تلك الفضيات قاربت قطارا * فأطارها
السلطان طرفه احتقارا * وقال لهم خذوها قائم بها أولى * وكان أول من أسدى هذا
المعروف وأولى * وكنت عنده جالسا * وبلغفه مستأنسا * فقلت له ماأظن في الوجود
ملكاً يسمح بمثل هذا المال * خصوصاً وقد أغنمه الله من الحلال * فتبسم لقولي غير
معجب به * وما قضيت العجب مما قضاء كرمه من أربه * وفي الرابع والعشرين من
ذي الحجة أخذ من الفرنج بركوسان فيهما نيف وخمسون نفرا * فجلا لنا نصرا وعلا
نجحاً وحلا ظفرا * وفي الخامس والعشرين منه أخذ أيضاً بركوس * فيه من الفرنج
مقدمون وزووس * ومم نيف وعشرون منهم أربعة خياله * ضمنهم من الاسرجاله *
ومعهم دلوطة * مكللة بالؤلؤ منوطه * وبأزوار الجواهر مربوطه * قبل أنها كانت من
نياب ملك الالمان * وأسره فيه رجل كبير قيل انه ابن أخته وهو كبير الشأن * وفي
هذا الشهر كان قدوم القاضي الاجل الفاضل رب الفضائل والفواضل من مصر فاشرفت
المطالع * وأشرفت الصنائع * وبشرت المطالب بنجاحه * وغزرت المواهب بسماحه *
وظابت بحضور مكارمه المكاره * ونزع بلبسة إفضاله لباس التحول ذوو الفضل التابه *
وأعاد روح الساطعان بأعادة الروح الى سلطانه * وسر يحكاه واقترن احسانه بإحسانه *
وظهرت في وجهه به الطلاقة * وفي قلبه العسلافة * وروى رأيي رأيه وأبته وتلقن آيات
النصر من نص آيه * وانتش عثاري بمقدمه * وانتش خط فخاري بكرمه * وحلى
عطلى * وحيا أملى * وقوى عملى * ووضع منهاج مناي * وصح مزاج غنای * ونبه
قدري * ونوه بذكري * وسعي في رفع رتبتي وزيادة راتبي * وسن غربي وأسنى غاربي
* وأقرني * وقربني * واستكتب الخطوط بالخطوط كما كان استكتبني * فمشت ولعشت
* وفرشت بساط النفي فرشت * ولولا انني قويت به لاقويت * ولولا انه أولاني عارفه

لما صرقت ولا توليت * فانا شاكر نعمه عمرى * ونامر كرمه بشكرى *

﴿ذكر جماعة من المستشهدين في هذه السنة﴾

استشهد في عكا سبعة من الامراء كل منهم سبع • مافي لقائه للقرن طمع • ومن
جائهم سوار من الممالك الخواص • ومن ذوى الاستخلاص • وكان هذا سوار في كل
خرب مساورا • ولكل هول مباشرا • وبكل بوس عبوس باشرا • نجاة • سهم عائر •
فاذا هو الى الجنة سائر • وكذلك عدة من امراء الاكراد • كانوا من الآساد • ففازوا
بحظ الاستشهاد • وخرج اسطولنا في هذه السنة • بشوانيسه المعجبة المحسنة • ليكبس
شواني الفرنج في مواضع الربط • واحرقها بقوارير النفط • فخرجوا الي شوانينا بشوانيسهم
• ولقوا عواديا بعواديسهم • وظفرت اساطيلنا وطالت • ووصلت اليها وصالت • ونالت
من الظفرمانالت • واحرقت للكفر شواني برجالها • وغرقها بأبطالها • وكان عند
المود تأخر لنا شينى مقدمه أمير مبارز كالاسد البخادر لا يصحر الا للفريسة ولا يبرز •
وهو يعرف بجمال الدين محمد بن أرككز • فشين الشينى وشأنه • وما اعانته أعوانه •
وامتلأت بالاعطاب أعطانه • واضطربت للانكار أركانه • واضطربت باهل النار نيرانه
• فتواقع من فيه الى الماء • واحتزروا من البلاء بالبلاء • ووقف الامير على قدم جلده
يحالده • ويجد ويجاهد • وقد أهله بلبس البسالة الحديد • وخف به العزم الشديد السديد
• وقد دماه الى أمانة اللئيم الذكر الحميد والاجر العتيد • فبارتاع للروع • ولا استطاع
الانقياد بالطوع • ولا مكن العدو من مكانه • وأخذ مع الشافى بشنانه • ولولا ان ملاحيه
جينوا وفروا • ومناحيه خذلوه وما قروا • لجنى بسيفه ثمر النجاه • لكن الاجل قطع
عليه طريق الحياه • فاجتمعت على مركبه مراكب الجمع • وسدوا عليه سبل البصر والسمع
• وقالوا اخذ منا الامان واستأمر • وهون الامر عليك ولا تسر ويسر • قالماقل يختار
البقاء على الفناء والوجود على العدم • وانت في عين الهلاك ان لم تعطنا اليد وثبت على هذه
القدم • فقال ماأضع يدي الا في يد مقدمكم الكبير • ولا يخاطر الخطير الا مع الخطير •
فسموا له كندا أرضاه • وأراد ان يشرکه فيما الله قضاء • فلما دنا ليأخذ يده ازمه وعاقه •
وقوى عليه وما قارقه • ووقع الى البحر وغرقا • وترافقا في الحمام واتفقا • وعلى طريق
الجنة والنار افترقا • فارتوى الشهيد السعيد بماء التميم • وصلى الكند الكندود • بنار الجحيم

واستشهد أيضاً في ذلك اليوم الأمير نصير الحميدى جرح فضى حيداً • وشهد مقامه في
الجنة شهيداً • وسي دهره حتى قضى سعيداً • ولم تخل وقائع هذه السنة من استشهاد
جماعة من أمراء السكر • وسعداء المعشر • وكرماء المحشر • وندماء الكوثر • وحلفاء
المفخر • واستشهد يوم ناسع جمادى الأولى القاضى المرتضى ابن قريش الكاتب • وكان
صدراً تجمل به المراتب • جرياً جارى القلم • بليفاً بالغ الحكم • همياً يخشى • مرهوباً
لا يفتشى • وهو في أهبة من المهابة • وكتيبة من الكتابة • صوبه في الصواب متجع • وخطابه
في الخطب مستمع • ولرأيه رى وريراً • وتديره للأمر بتففيذ الاوامر السلطانية ديناً
ودنياً • ولم يكن له في الكفاية كفاء • ولم يزل لخروق الخطوب بقله رفاً • وكان رجل
دمشقى بناهلس له ملك بدشقى قد تركه • ورغب في ايتاعه القاضى المرتضى لملكه فقاضى
قاضى ناهلس مراراً باحضاره • فلما حضر رغبه في البيع على ابتاره باضماف الثمن وتقد
ديناره • فاتفصلا على التراضى • ونجح سعى القاضى للقاضى • وبكر البائع الى سلام المشتري •
ووثب وثوب المجترى • وطنه بمديته • وهو آمن في خيمته • وقتك به فتك اللعين أبى
لؤلؤة بالفاروق • وخرج من الخيمة كالسهم في المروق • فلقى قاضى ناهلس فقتله • وفى
يسلك سبله • فادركه الناس وقتلوه • وكاد يفلت لو لم يماجلوه • ففجع المنصب بمصابه وناوب
عنه أخوه مع نوابه

ودخلت سنة سبع وثمانين والشتاء لم يشمله شتات شمله • وعقد البرد لم يقرب محل حله •
وللغيث عيث • ولزور الربيع ريث • وللسحب سح • وللضح شح • ولعين الشمس غص •
ولووجه القيم ومض • ولايدى العارض بسط وقبض • ولناظر البرق تلبه وغمض • ولناوجد
البرد كشر وعض • ولغص الفصل ختم وفص • وكل صاد في بحر كانون كنون • وكل ماء
بالجليد كانه زرد مسنون • وللأحوال أحوال • وللأهواء أهوال • وللشمال شمول • وما
للقبول قبول • وللجذب ذنوب • وللدبور في أديارها واقبالها هبوب • وللصبا صبايات •
وللندى الندى جنايات • وسرايات • وللجو الجوى آيات • ونكليات • وللقبائم غماغم • وهام
الربا من هامى الرباب عمام • وللنكباء نكبات • ولشبا شباط شبات • والرواعد رواعف •
والهوان هوانف • وللارواح رواح وغدو • وحرمة هدد • وحبة وسلو • ونزول
وعلو • ونصفه وعنو • وللرايا الرايا من الرياح الحيارى رذايا أذايا • وخيايا المروج
النايبة في زوايا التالوج النازلة خفايا • والمواصف القواصف عواصف غير قواصف •

والعارض عارض للجب في العراض عراض ، والقوارس قوارس * والخوالس
خوالس * والبحز في هيجانه * والقيم في هطلانه * والسلطان مقيم بمخيمه على شفر
عم ، ولطف الله به قد خص وعم ، الملك العادل سيف الدين تازل على الساحل عند
نهر حيفا ، لتجهيز البدل في المراكب الى عكا ، والسفن تدخل اليها بالازواد . وتعود
وترجع اليها بالاجناد . ويحرص ويحرص ، ويرسل الى السلطان ويستنهض . والسلطان
يفاض الثواب في ذلك والبهس يفوض . وفي كل يوم يمرض الرجال . وينفق فيهم
الاموال ، والامر مستمر * والقرار مستقر ، والبركه زكيه ، وسنهم في المناوبة سنيه ،
ولوايح عن ماتهم ذاكه ونوايح مكر ماتهم ذكيه . والممالك الخواص . ومن خصهم
وعصم الاستخلاص * يفادون القتال ويراوحونه * ويكافئون البدو ويكافونه ويجارونه
ويجارحونه * وييرحون به ولا ييارحونه * والمدو على عكاه حاشد * ولضالة ضلاله
ناشد * يحنون ويحنون * ويرامون ويرمون * ويذبون ويشبون * ويخبون الى الكفرة
يسوط العذاب ويصبون * وقد قسموا الاسوار على الاجناد والابرار على الامراء . واستقبلوا
التمة في البلاء والسعادة في المشقة التي تعدها الاشقياء من الشقاء * ان جدوا غرة اهتبلوها *
او استوعروا كراسته لهلوها او صادفوا ملمة صدقوها * اولقوا غمة كشفوها * او صرفوا
اوجههم الى نائمة صرفوها

ذكر ما تجدد من الحوادث وتكرر المعزائم من البواعث

في يوم الاربعاء تاسع المحرم * سار الملك الظاهر لقصد بلد صافينا بالعزم المصمم والرأى المحكم *
وفي ثالث صفر * حزم من بقي من أصحاب الاطراف السفر . فان السلطان رخص لهم في ذلك *
فاتهيجوا في عودهم الى بلادهم المسالك * واقام السلطان في اصحابه . وخواصه وملازمي
بابه . وملابسي جنابه . وزجال رجائه * وخلص أوليائه ومقربي امرائه . وفي هذا اليوم رحل
الملك المظفر تقي الدين ليتسلم ما في شرقي القرا من البلاد التي كانت مع مظفر الدين * مضافة
الى ميافارقين * فصارت معه جيلة والاذقية والممرة وحماة وسلمية والرها وحران وسميساط
والموزر وميافارقين * وشرط معه ان يحافظ على عهد صاحبي آمد وماوردين * والبلاد المظفرية
كانت قد بقيت الى هذه الغاية * مع كثرة الطالبيين لتلك الولاية * مضموناً بها على الخطاب
غير مسموح بشيء منها للطلاب * فانه مرامها من الملوك أخي السلطان وأولاده * الا

من بشرط الفسحة له في استضافة ديار بكر الى بلاده * ويقال له لاسيل الى قصد أحد ولا اختراع بلد ولا ازالة يد * فان ارباب البلاد أكثرهم لنا معاهد * وعلى ودنا معاهد، وفي شغلنا مساعد * فلما من هو عنا متقاعد * ومنا متباعد * فاهذا أو ان مكافاته ولا زمان كف آفاته * وهو منا في حصر مخافاته * وهذا العدو الكافر شغلنا به مستغرق وعزنا في قعره متحقق * فلا تير علينا من المسلم الكاشع والحاسد الحاشد * من يشغلنا عن هذا المهم الفرض والرأى الراشد * فقال تقى الدين انا لى في ذلك الجانب مياقارقين فاذا أخذت حران وسميساط والرها * ادركت من تكثير الساكر وتقويتها المنتهى * وبلغت المنتهى ، وأنا ادخل على الشرط وغن لا اخرج * واجمع الساكر والى لصركم أخرج * وآتيكم بعد اشهر باوفي عسكر * واكرم معشر * من لابسى سنور * وملابسى مورد في الروع ومصدر * وما زال يستسعف السلطان عمه * ويستهدف في تخصيصه بتلك الولاية عزوه * ويسأل ويتوسل * ويرسل ويتوصل * حتى أخذ دستوره * واستكتب منشوره * وسار على أنه يسرع اياه * ويحكم في العود أسبابه * وانما يلبث ريثما يقسم تلك البلاد على مة طعنها * ويرسم ترتيب نوبه فيها * ثم يطلع علينا طلوع السحاب * ويأتي بالأني المباب * ويمرض عساكر لا تدخل في الحساب * وسارع الى الرحيل وسار * بعد ما استشار ولله استخار

وفي يوم السبت رابع صفر وصل كتاب الملك المجاهد * الجواد الماجد * أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه * وهو الجرى الذى اذا جاري اضرايه من الملوك في حلبه الجدم يدركوه ولم يشركوه * ومضمون الكتاب أنه خرج في آخر المحرم على جيشير العدو بطرابلس واستاق * ولم يطق الكفار لحاقه * واقطع لخاصه منه اربعمائة رأس تلب منها في الطريق اربعمون * غير ما كان أصحابه منها يقتطعون * وانه غم أيضاً ابقاراً وآب قارا * وسار بالغنمة سارا * واهدى لى من ذلك بنلة سرجة * عالية فارحة فرنجيه * وقال رسوله لما ابصرها واستحسنها * قال تصلح للعماد فانه اذا ركبها زينها * وفي ليلة هذا اليوم وهو السبت * كتبت الریح سفينة للفرج على ساحل الزيب وخالها الكبت، وكان فيها من الفرنج خلق * فغرق في بحر الاسمر من لم يسر اليه في البحر غرق * وفيهم امرأتان سييتا * وما هديتا بل أهديتا * وشاهدت الاسارى * قد ام السلطان وقد احضروا فردهم على الذين اسروا

وفي أول ليلة من شهر ربيع الاول * خرج اصحابنا من البلد على العدو بالنائب الاعضل
والنائب الاعضل * وكبسوه في خيمه * وخيموا عليه في مجتمه * فما اتهموا لهم حتى اسروا
من الفرنج وقتلوا جمعا * واوسعوهم الى ان ضيقوا قعاً * وعادوا سالمين غانمين * كما مرين
كاسبين * ومعهم اثنتا عشرة امرأة في السبي * وعرف الله لهم حق ذلك السبي
وفي الاحد ثالث هذا الشهر * شهر سلاح الحرب اهل الكفر * وخرجوا على البرك
وكانت التوبة للحلقة المتصورة خواص السلطان مساعير المعترك * وعظمت الوقعة *
ونظمت الروعة * وصدمت الصدعة * واحتدمت على الفرج نارها الصرعة * وهلك
منهم عالم كثير * وقتل منهم مقدم معروف كبير * ولم يفقد منا الا خادم رومي صغير
عثر به في الحلقة فرسه فلم ينعش * واستشهد ليعيش في الآخرة من في الدنيا مات في
سبيل الله ولم يمض * وهذا الخصى كان خلفاً من الفحول * ناهضاً على الكفر
للاسلام بحمل الذحول * وانتهى الينا أن الفرنج على عزم الخروج * ليحتشوا ويحتطبوا
مما حولهم من المروج * فلا مرعي لدوابهم ولا علف * وان لم يتلافوها بالاحتشاش
خشوا عليها التلف * فامر السلطان أخاه الملك العادل * أن يذهب ويقصد الساحل *
ويكمن بعسكره وراء الال الذي كانت فيه قديماً منزلته * وهناك نصرت وقته ووقعت
نصرته * ومضي السلطان بنفسه في خواصه واجناده وأقاربه وأولاده * فكمن وراء
تل العياضه * في العصبة المتصورة الناصرية * وذلك يوم السبت تاسع شهر ربيع
الاول * مستظهِراً بصحبة ولده الملك الافضل * ومعه أيضاً أولاده الصغار ليستأنسوا
بالحرب * ويدمنوا على مباشرة الطعن والضرب * فعرف العدو الخبر * فأقدم على الخروج
ولا جسر * فضربت للسلطان على التل خيمة حراء * فبات فيها وحوله الملوك والامراء *
ووصل اليه من بيروت خمسة وأربعون أسيراً من الفرنج * أخذوا بالمرأى في البحر
من اللج * وفيهم شيخهم همهم * عمره في الكفر منصرم * قد طعن في السن * ووهن
كالشئ * وأتخى كالحية * وما أمن من المنية * ونحماه الحماة * وطامت في بحر لباليه
وأيامه الاعوام * وهو ممسوخ الحليه * ممسوح اللحية * قد يلي بما يلي * وقي من طول
مآلتي * وسئم حياته وسئم * وعدم لذاته ولذاته وما عدم * وكما جاوز قراوعبره الى قرن *
وبارز قرنا ونازله بعد قرن * حتى لم يبق منه الا إهابه * ولم يبق منه الا ذهابه * فتعجب
السلطان من مجيئه من البلاد الشاسعه * واختياره الضيق على الأرجاء الواسعه * فسأله

كم يثنه وبين وطنه * ولأى سبب حركته من سكنه * فقال أما بلدى فعلى مسافة شهور *
ولما خرجت بقصد كنيسة القيامة لأظفر بالحج المبرور * فرق له ومن عليه بالاطلاق *
وأخرجه من ذل الرق الى عز العناق * وورده الى الفرنج راكباً على فرس * ولم يرقله
ولا أسره حيث رأى نفساً مرتنة بنفس * وسأله خدام أولاده الصغار * ان يأذن لهم
بني تجريب سيوفهم ببحر الاسارى الكفار * فلم يأذن لهم في ذلك وأباه * فأرضى كل
منهم بامثال الامر أباه * فقيل له لاي سبب منعهم من ثواب الجهاد المقيم * فقال لئلا
يجترؤا من الصغر على سفك الدم * فالنظر ما تحت هذا القول من الرأفة والكرم *

﴿ ذكر جماعة وصلوا من عسكر الاسلام ﴾

أول من قدم من الساكر الاسلامية علم الدين سليمان بن جندر * وكان بحلب
المقدم المؤثر * وهو شيخ له رأي وتجربة * ومنزلة كبيرة ومرتبته * ومعه حصان عزاز
وبراس * وللسلطان بقره ومجاورته الاستئناس * فقدم في شهر ربيع الأول في عسكره .
وأبيضه وأسمره وببيضه ومغفره * وحجني جنده وسني سنوره * وجلبه ولحيه * وزمره
وعصبه * وبيارقه وبلبه * وبيارقه وسجبه * وقدم في ذلك التاريخ بقدمه الملك الامجد
محمد الدين بهرام شاه صاحب بلبك . وقد استصحب معه ممالكة الترك . وقد نوي بالشرى كين الفتك .
ولستهم اهتك * ولدما هم السفك . فوصل بقواطع وقواضيه وصواقه وسلاجه * وطلائحه
ومقابه . وحضر من المحاسن بكل ما يعرب عن مناقبه . وقد زين ليل القساطل من اسنة العوامل
بكوا كيه . واطماً جواده ليرديه دماء أهل الكفر فانه يعدها من مشاربه فمن ذلك اليوم من
القادمين والمستقبلين بذلك القضاء . جيش زرت الرباعليه حيوها وغطته من العجاج بالرداء .
وجرى ذلك الوادى مع الاجناد والأمراء بسيل خيل ترد دأماً الدماء * وخرق ذلك
الحرق أرعن في حافاته الحرق * ومن عاداته بعداته الحرق * ومن آفاته عند موافاته من
فرق الكفر الفرق * ومن علاقته عند الظماء أن لا يرويه الا العلق * ومن صبابته بالسير
الى عناق الاعضاء بسواعد سيوفه الحبيب والعنق * ومن شيمته عوض التغلف بالغير
التضخم بالتجميع * ومن ديمته وبل النبل من الاحداق والنواظر في نواضر حدائق الربيع *
ومن صنعته اسماء حنين الخنية بسهمه * واسماع انين المنية لحصمه * وجلونا في ذلك اليوم
فوارس لاصرائس * وقوانس لاعوانس * وقدم بدر الدين مودود والى دمشق بعد

ذلك في سابع عشر شهر ربيع الآخر * وبشر بورود الساكر ووصول الجمع الوافر *
 ﴿ ذكر وصول ملك أفرنسيس لنجدة الفرنج على عكا * واسمه فليب ﴾
 وفي ثاني عشر ربيع الأول وصل ملك أفرنسيس الى القوم وصان جبلهم وشملهم
 من البت والثت * وكان وصوله في بطس ست حلت من الفرنج كل ذى شؤم ومقت *
 وقد كانوا يهددون بوصوله وصوله * ويقولون لنا من تهديده ووعيده مايجرى على قوله *
 وانه اذا جاء حكم وأحكم * ونقض وأبرم * وقدم ماقدم به من المال وأقدم * ونحن منه
 على مواعده * فهو يأتينا بكل نجدة مساعده * ووجدة عن الفقر مباعده * فقلنا لهم رب
 صلف تحت راعده * وما هذه الراحيف منكم بواحدة * فلما وصل في العدد القليل *
 والنظر الكلبل * أعجبنا قوته * وتشابهت عندنا عزته وذئته * وقلنا مايكاد تصل صولته *
 أو تدوم دولته *

﴿ نادرة ﴾

وكان مع هذا الملك باز أشهب * كانه عند ارساله نار تلهب * فقارقه يوم وصوله *
 بحيث يحجز عن حصوله * وأفلت من يده وطار * وحشا حشاه الباز الذي نار النار * ووقع
 على سور عكا * وحزن الملك يوم سروره بفراقه وأبكي * واستجابه فما استجاب * وأبني
 وما آب * وثبت وما تاب * فبصر به أمحباينا فأخذوه * والى السلطان أنفذوه * فابدى
 للسرور به الاهتزاز * وجل بتشريفه بزة من بز الباز * وأظهر به احتفالا * وغده
 للظفر والمنحة قالا * وبذل فيه الملك الف دينار فأجيب * ولا وهب له ولا هيب *
 وما يبيع ولا عيب *

﴿ خبر نادرة في غنيمة وافرة ﴾

كان المستأمنون من الفرنج الينا * تسلموا برا كيس يتزون فيها * ويمجرون بجواربها *
 وينهضون بسواربها ورواسبها * وينهشون بقاربها وأفاعبها * ووصلوا الى ناحية من
 جزيرة قبرس يوم عيدهم * وقد جمع القس في كنيسة لاهلها شمل قريبهم وبيدهم *
 فصلوا معهم فيها صلاتهم * ثم أغلقوا أبواب الكنيسة عليهم ليأمنوا افلاتهم * وأسروهم
 بأسرهم وسبواهم * وبتوهم من البلاء بما أتوهم به وبلوهم * وكنسوا كل ماكان في
 الكنيسة * من الاعلاق النفيسة * وقسوا على قسيسهم * وعادوا بهاوهم الى برا كيسهم *

ولاذوا باللاذقية وباعوا بها كل مأخذوه من البيه ومن الجملة سبع وعشرون نسوة سبايا * وصبيان وصبايا * فباعوها رخصا . واقتسموها خرسا . وزادوا بمائتة حرسا * واستقنوا بما استغنموه * وأثروا بما أثاروه . وأثروه وفرحوا بما راحوا به من مقيم . وقيل حصل لكل واحد منهم على كثرتهم اربعمائة درهم * وفي سادس عشر شهر ربيع الآخر هجم جماعة من العسكرية السرية فاقطعوا قسطيا من غنم الفرنج غنيمه * وخالطوهم في خيامهم وامطروهم من وبل الثبل ديمه . وركبوا بأسرهم . بخيلهم ورجلهم في إثرهم * فلم يظفروا بباطل ، ولم يرجعوا بمحصل *

﴿ خبر وصول ملك الانكثير واسمه ليحبرت ﴾

﴿ الى قبرس واستيلائه عليها ﴾ .

وصل الخبر ان ملك الانكثير وصل الى جزيرة قبرس في السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر . في الجمع الوافر * حاملا جموعا كالسيل الجارف في البحر الزاخر . وتقدمته الى الجزيرة . مراكب وشوان على قصد الجزيرة . فخرج صاحب قبرس اليها . واستولى عليها . وغنم أموالها . وصدم رجالها . فلما وصل ارهف حد عزمه . وأقضي فيض غيظه الى غيظ حلمه ، وهو مغضب غير مغض . مريض من ألم الحقد ماله سوى التشفي شاف مرض . قلبت مفكرا . ومكث متحيرا . وتروي متخيرا ، فرأى أن قبرس في يده . فاستن من جده في جده . وناشب القتال ، وواظب التزال ، وقارع بالنصال الاتصال . وحلبت المنايا حياها لاحتباء البيض بالاعتاق . واعتناق الفلاظ مع الرقاق . وتنفذ يطلب من الفرنج على عكا نجده . ليجد شدة . ويوجد شدة . قنفذوا له جفري أخا الملك العتيق ، في جموع مترافقة الرفيق ، وامتدت الحروب ، واشتدت الكروب ، ورأى ان فريضته نعمول ، وان حاله تحول ، وان شغله يطول ، واتفق أيضاً انه كان رام الروم من الفرنج الفرنج . وخطب كل واحد من ضيق الخطب المخرج المخرج ، فتراسلوا في الصلح ، وخرجوا من ليل الحرب المظلم في سقى السلم الى أسفار الصبح . واجتمع صاحب الجزيرة بملك الانكثير . واتفقا بماسم من التقريب والتقريب . وحمل له هدايا . ونحفا سنايا . ووسع له الأزواد . وبذل له الامداد ، فأخذته في مأمنه ، وابرزله مكره من مكمنه ، وغله ثم غله . وشده وما حله . وجازاه لما أعزته بأن اذله ، وقادره بقدره

في القد والقيد ، وما يطشت يد عادمة الا يد كيد الكيد • واستولي بالاستيلاء عليه على تلك الجزيرة ، وضرق في جات امواله الفزيرة • وسيأتي ذكر وروده ، وماتمة
لاحزاب الشيطان وجنوده ،

وبتاريخ انسلاخ شهر ربيع الآخر يوم الاخذ • وصلت من ثغر بيروت كتب مبشرة
وبالتجسس المتجدد • وهو ان اطمحنا اخذوا عند الثغر بمراكبهم الغازية في البحر من
مراكب الانكبتير خمسة وطراد • ولم تكن لولا اياه رجالها للضيغ • متاده • وبجزام
القهر مقتاده • وكان فيها خلق كثير من نساء ورجال • وذخائر اخبر من عدة ومال ،
وأثقال وأثقال • وأخشاب وآلات وأحمال وأحوال • وفي الطرادة أربعون رأساً من
الخيول الحيات • قد جلبوا البلاء بحلبها من البلاد • فحزرت وحيزوا • وأحيزت الي بيروت
وأحيزوا • فاما السبايا • فقد أخرجن على السبع بالنقود والنساي ، واما الاسراء فقد عمتا
بخصوص ضرلهم السراء

وفي يوم الخميس رابع جمادى الاولى زحف المدو الى البلد • بالجد والجهد • والعدد والعدد
والمدى والمدد • والجمع المختشد والجمر المتقصد • والبيض واليب • والبيض والقضب •
والسمر السلب • والحب والحب • والصياح والضجيج • والمجاج والمجيج
والوشج بالوشج والامر المريج ، والقصد بالقصد • والزغف والزرد ، والحديد والعديد •
والقريب والبعيد ، والاتباع والعيد ، والايوش والايوشاب ، والكلاب والذئاب • والسباع
والضباع ، والضواري الحياض ، والاسود والاسود ، والزرق والحمر والسود ، ودبوا
وذبوا ، وشبوا وسبوا ، وصابوا وصبوا • ونابوا ونبوا ، وعبوا وعبوا ، وجابوا وجبوا ،
وزحموا وزحموا ، واقدماوا وقدموا ، وقدموا سبعة مجانيق وقربوها • ونصبوا فيها
ونصبوها ، فملت كلها قلاع ، وارقت على التلاع كلها تلاع ، وهي في الجو مترامية ،
وبالجو رامية ، وفي السماء سامية ، ولاهل النار الحامية حامية ، مرتفعة على مرافعها ،
مقتلعة بمقلعها ، منقضة أحجارها لانقضاء الجدار ، منقضة أسوارها لانقضاء الاسوار ،
حاصرة حاصبه • عاملة ناصبه • قائمة قاعده • بارقة راعده • صادمة صادعه • صارمة
صارعه • جبال من الخيال أجتها • وحنايا للحنين على سهامها من الحجارة رتها • ومواقع
في حجوورها الاحجار • ومرايع تنهد بدواثرها الربوع والديار • حوامل على العلق •
صوائل بالفلق على الخلق • مطايا للمنايا • روايا لحياتها البلياء • في كفاتها آفاتهما • وفي حركاتها

ادراكاتها * وللعذيب عذابها . وللترهيب جذبتها . وما أعظم جنائات جنادها . وأظلم غوايات غوائلها . وهي الروائم الروامي . والحوائم الحوامي . والهوادم بالهوادي . والصوادم الصوادي * ودواعي العوادي * ونواعي النوادي * والتواعب بالتوي . والجوائب بالجوى . والصوائب بالمصاب . والتوائب بالشوائب . إذا جذبت جذت . وإذا قذفت أقذت . وإذا طوحت طرحت * وإذا حلفت حلفت * وإذا أطارت أبارت . وإذا ألقت ألقت * فشق على أمحابتنا بالبلد شقاقها * وكادت تفتح اليه الطرق طوارقها وطرقها * قاستصرخوا بنا واستهضوا * وحضوا على حفظنا وحفظهم وحرصوا * واستنفروا . واستصروا . واستعدوا . واستدعوا . فاصبح السلطان راكباً في المساكر * طالباشل العدو الكافر الحاضر الحاصر . وسير من كشف هل لاعدو كين . أو كيد دفين * ثم وقفت المساكر عنه ومر الى تل الفضول بالقرب . وشاهد المجانيق وكيفية رفعها والنصب * ونكايتها في الضر والضرب . وعرف أما كن القتال . ومكامن الرجال . وكلأ شاهد الفرج عسكرنا قد أطل وأظلم . ذل جمعهم وكل * وترك الزحف وأنفل . وإناعادوا وعدوا * وأناروا في الحرب واسدوا *

﴿ قصة الرضيع ﴾

كان لصوصنا في الليل استلبوا طفلاً من يده أمه * وفطموه رضيعاً له ثلاثة أشهر في غير أوان فطمه . واستحلوا بحكم الجهاد في جنح الظلام جناح ظلمه * ونجموها بواحداه وساعدها . وكدروا صفو مواردها . وقطعوا عنها فليذة كبدها ، وأسعروا عليها جذوة كدها ، وحرموه در لبها قدر دمعها . وأبعدوه عن منافعها ومناجتها فوق نين كل حديث سمعها ، نفرت واليه ، وللحياة كارهه ، وللخذ خادشه ، وللوجه خامشه . معولة مولوله . مذهلة مشتغله ، قد شدهت ودهشت ، وتاهت واستوحشت * قد سلب عقلها ، مذ سلب طفليها . وغاب ذهنها ، مذ غاب أبها ، وتكرر بالحنين والابن ترجعها . وتردد للقلوب مما فجأها ونجمها من الكروب فتجميعها . وهي نائمة في كل ناحية نادية في كل ناد نادية لكل فؤاد عادية في كل واد * فلم يشعر السلطان الا بامرأة بالباب واقفه . وبالنحيب هاتفه . وللدموع حادرة بتساعد أنفاسها * ومن الخلق مستوحشة لذهاب استئناسها * قارضة صدرها بتقطيعها ، ضارعة لفقد رضيعها ، معولة على الطفل معولة

على اللطف * متكررة من التكر متعرفة الى العرف * فاحضرها السلطان وهي باكية ،
ونار اكثابها ذاكه ، تحدر عبراتها * وتنصعد زفراتها * وتلهب حشراتنا * تنكي
بيكاتها ، وتشتكي من دأها ، وتشد ضالتها * وتطلب مهجتها ، وتسال عن حشاشتها .
وتشتعل نار قلبها على فراشتها . فلما شاهدنا السلطان حربية حزينة * مسكينة مستكينة .
متجنتة متحننة مولمة موله ، موجعة متوهمه ، سمع شكواها وفهمها ، ورثى لبلواها
وررحها ، ورق بلطفه للطفل الرقيق ، وسلك بفضله طريق التوفيق ، وطلب الرضيع ،
فقيل له انه بيع وأضيع ، فان آخذه باعوه بثن نحس ، ولم يمرضوه في سوق بز ولا
سوق نحس ، فا زال بيعت ويحث عنه ، ويلوم باذله كيف لم يصنه ، حتى حيي به في قاطله ،
وقد كاد يلف في عبادة اعتباطه ، فلما أبصرت واحدها ، ضمت عليه ساعدها ، ودعت
وعدت ، وشدت يدها به وشدت ، فاعادها ، وبنواله أفادها ، وبرد حرها برد روحها ،
وأسا ما أساء الاسى من جروحها وقروحها ، وروحها بروحها ، وفرع دوحها ، وأغناها
بنفائها للشكر عن نوحها ، وظهر سحر سرورها عليها ببوحها ، وشيع معها من أوصلها
الى موضعها ، وقد اجتمع شمل المرضعة بمرضعها . وما رد الطفل الا بعد ما اشتراه من
مشتريه بثن يرقيه . وهذه نادرة من جملة أياديه .

﴿ ذكر انتقال السلطان الى تل المياضية ﴾

لما أصر الفرنج على مضايقة عكا في كل يوم ، وخطبوا متاع متاعهم في ابتياعها بكل
سوم ، وواظبوا ركوب بحرب الحرب بكل خوض وعوم ، وداروا حول حمى دارها بكل
حوم . ولم يكن بد من ركوب السلطان بالصاكر اليهم في كل بكرة وعشى . وارتاب
القوم بكل حد مرهوب وجد مخفى ، وكانت المسافة تأليه ، والآفة دائيه . انتقل
السلطان الى تل المياضية * بمساكره وأقاله بالكلية * بالزائم والصرائم الماضية المضيه .
الراضية المرضيه * ولم يكن انتقاله دفعة واحدة * بل مهد له قاعده * فان يوم الثلاثاء تاسع
جمادى الاولى بلغه أن القوم قد عاودوا الموادي * ورفعوا من ضلالهم الموادي * وشاقبوا
البلد أشد مضايقه * وعالقه أجده ممالقه * فأمر الجاوش حتى نادي * وباكر القدو
بالمساكر وفادي . ووصل بالفارس والراجل الى الحزوبة وقوى الزك * وألزم المقدمين
والامراء بحفظ توهم الدرك * وقدم جماعة من الخيل لعل العدو اذا طابن قائم خرج

بالسكثرة * وتورط في العثرة * فلم يشغل بها بالا * ولم يلفت إليها جنانا * بل تصرف على عناده
ولم يصرف نحوها غنائاً * واشتد على البلد زحفه * وامتدعفه * فساق السلطان بالمساكر
وهجم وترك العدو الحصار واجهم * فلما جاء الظهر رجع العدو الى عجمه * والسلطان
على قصد العدو الى عجمه * ولما وصل الى تل الخروبه * ونزل في خيمة لطيفة لاجله مضروبه ،
وصل من اليزك من أخبر بان العدو لما علم انه قد انصرف * عاد الى أشد ما كان فيه وزحف ،
وانه قد أربع وأرفع * وأرهق وأرهف * والهي وألحف * وأرهب وأرهج * وأعجز
وأزعج * وثار وأثار ، وألحم الملحمة بناره وأثار * فبعث السلطان هذا الخبر على ان
بعث اليه المساكر بالخم فأتاعدها * واستنهض الى الفريضة آساده * وأجرى في حلبة
الحية جيادها * ودعاه الى طعن يبرح بالنوابل * وضرب يرغ اعطاف المناصل * وأمرها
من الحرب بأمورها * وأدازها من مري أخلاف الدم بأدورها * ثم سار آخر ليلة الاربعاء
فاشر جهادى الاولى الى تل المياضية قبالة العدو * وضرب خيمته بأعلاء ظاهر العلو ،
والعدو بالحصر والزحف مصر مصر * وعلى عنائه وعناده مستمر * والسلطان في كل
يوم يصاح القوم بالقتال ويماسهم * ويراوحهم ويفادهم * ويفتحهم ويأديهم ، بضرب
كما اشترطته حدود الضبا * وطعن كما اقترحته كموب القنا * وقتك كما غتته المنية * ورمى
كما حنت اليه الحنية * هذا وبجانب الكفر على التي مقيمه * والرمي مدبمه * وبالحجار
مقاطره * وعلى الاقطار حاجره * وللجلاليد للجلاليد قارعه * وللصخور بالصخور
قاله * وتمكن الفريخ بها من الخندق * فدنوا منه دنوا الخندق * وشرعوا في هجمه * وأسرعوا
الى طمسه * وداموا يرمون فيه جثث الاموات ، وحيف الخنازير والدواب النافقات * حتي
ضاروا يلقون فيه قتلاهم * ويحملون اليه موتاهم * وأحبابا في مقابلتهم ومقاتلتهم قد
انقسموا فريقين * وافترقوا قسمين ففريق يلقى من الخندق ما ألقى فيه * وفريق يقارع
العدو ويلاقيه .

﴿ ذکر وصول ملک الانبکتر ﴾

وفي يوم السبت ثالث عشر الشهر المذكور * اشاع اشياع الكفر سر السرور وعقدوا
حبا الحبور * ووصل ملك الانكيتير * وأظهروا انه في الجمع الكثير والجم النفير *
وكانت معه من الشواني خمس وعشرون قطعه * كل واحدة منها تضاهي ثلعة توازي قلعه.

وأحدث في القلوب روعه * وأرث في النفوس لوعه * ولمت لنا من خيامهم تلك الليلة
نيران زائده . وأنفاس للشرار متصاعده * وألسنة للشعل نضاضه * واشعة على الجو
مفاضه * فكانما أوردت الجحيم لقدم وارد نارها نارها . وأوصلت لوصول أولئك
الشرار شرارها * وأوردت لهم أوارها * وشاهدنا تلك البسيطة قد بسطت على أهل
الدياجير الاضواء . وهتكت عنها لهلك ستر ظلام ضلالهم الظلماء * فمرقنا كثيرهم بكثرة
نيرانهم * ولما كانوا من أهل النار ببرهانهم * وأتسمم بآتيانهم * واضاعتهم في مكانهم *
وملك الملك بأمره أمرهم * وأراهم ان بيده نفعهم وضرهم وملأ عين الملاعين ، وأطال
لتطاولهم اشطان الشياطين * وحفر للمكابد آبارا * وآثر في المكر آثارا * وارث للشر
نارا * وأثار لنصرة النصرانية نارا * وتحدث الناس بمجاده وحديثه * وبما تأثرت القلوب
به من تأثيره وتأثر به * وارتابوا وارتاعوا * والتأحوا والتاعوا * وغدت الالسة ترجف
والقلوب تحجف * وكاد الباسل يحجبن * والباطل يخشن . والحق يلين ، والدين يدين
والسلطان قوي الجبان . روى الايمان . صاف يقينه ، واف دينه . شاف نصحه ، كاف
نجحه . مسفر لعين الاسلام صبيحه . مسرف في قلب الكفر جرحه . ماض عزمه .
قاض حكمه ، مثبت حيثه ، بثبات جاشه . عامل لمعاده ، ونصر الحق في معاشه . متأن في تفكره ،
متأن في تدبره . متوكل على ربه في نصر دينه ، متوسل اليه في تأييده وتمكينه لآروعه الخفافات
ولاتخيفه الرائمات . ولا زعزع الحطوب طود . وقاره . ولا تنفض التوائب ختم ذماره . ولا
ولا يلين للشدائد . ولا يستكين للروائح الرواعد ، ولمسكن الاسلام بحر كانه . واخصبت
الايام ببركاته ونام الانام ليقظانه ، وأمنت مصر والشام بهضاته . فما راعه ما عمرا . وما
درا عزمه لما درى ، ولا رد وجهه عما قصده . ولا صدف رأيه عما عليه اعتمد . بل ازداد
قوة بصيره ، وازدان بسريرة لكشف اسرار الغيب مستبده . وعمد الى السماء فاستعار
من أنجمها اسنة الذبل . ودلف في الارض فوهب ترها للقسطل . وأعلم ملك الانكبتير
ان جمع كفره للتبشير * وان نشاط سره للتفتير . وان أسنة أهل التوحيد . ومولمة من
محور أهل الاشرار هتك الستير . وركب في مراكب حلت المنايا الحبا في كتابها .
لتحتجب اعناق العدا وطلاها وتصل بقواطعها وقواضها * بخيل تأتي الضيم مثل ابائه ونفر
منار التقع ينوب عن لوائه . ووجه كلج البرق في ضيائه ، وقلب كصدر العصب في مضائه
وأقام السلطان علي هذه الحالة . سامياً في مطالع الجلاله . لم ينض سلاحه . ولم يخفض

جناحه • ولم يركز رماحه • ولم يردع للروع مراحه •

﴿ ذكر غرق البطسة ﴾

كان السلطان قد عمر في بيروت بطسه • وزادها من العدد والآلات بسطه • وادعها من كل نوع، يره، وملاها غلة وذخيره • واركب فيها زهاء سبعمائة رجل مقاتلة لمكا، من كل من طهر وتزكي • وشكره الاسلام اذ الكفر منه تشكى • فلما توسطت ثبج الماجة • وتورطت على نهج المحجة • صادفها ملك الانكتر • بحكم قضاء الله والتقدير • وأحدثت بها شوانيه • وعدتها عواديه • وقاتلتها نصف نهار • وهي لا تدعن لافسار • فأكبت من الدوسراكب • وجبت لها غوارب • وأحرقت وأغرقت • وهتكت وخرقت وفرقت ومافرقت • وقتل من الفرنج خلق عليها • وما امتدت يد عدوانهم اليها • فلما يئست من سلامتها • وزلت عن استقامتها • وانحأت عرى وثاقها • وانحطت ذرى اعتلائها واعتلاقيها • ومالت الى الاستسلام • وجالت على الاصطلام • قال مقدمها • علام نسلمها والموت بالمر خير لنا من الحياة بالقتل • والشج بالدين احب اليها من البذل • فنزل الى البطسة فغرقها • ومانع عنها حتى اغرقها • وسعد أهلها • وأفرقت وسيجتمع في دار التميم شملها • ووصل اليها خبرها اليوم السادس عشر من جمادى الاولى • فقلنا الدهر يومان لعمري وبؤسى • وما يزا الان على ذلك حتى يزولا • وكانت هذه الواقعة أولى حادثة للوهن محدثه • ولهم مورثه • ولنا الامي مؤرثه •

﴿ ذكر حريق الدبابة ﴾

وكان الفرنج قد اتخذوا دبابة عظيمة هائلة • فد أظهرت لها في الشر غائلة • ولها أربع طباق • شدّها على الارتباط باق • ولها من الاحكام باس ولباس • وهي خشب ورصاص وحديد ونحاس • وقربوها الى أن بقيت بينها وبين البلد أذرع خمس • وفي طباقها سباع خوار وذئاب طلس • وبلى البلد منها بكل بلى • ورزى بكل رزية • وكانت هذه الدبابة على المجل • ليقربوا بتقريبها اسباب الاجل • فباتت القلوب منها على الوجل • وكاد انحابنا يطلبون الامان • وخضع كل أبي واستكان • فقارعوها عندها أشد قراغ • وماصعوا أشد مصاع • وتوالت عليها من مساعير الرهط • قوارير النفط • وهي تضرب في حديد بارد • وتضرب عن كل شيطان بارد • وتنبو عن الاحراق وتنبو عن الاخفاق •

حتى بدرت قارورة انقضت على شيطانها كالشهاب • فاخذت الدابة وقلوبهم قبل جسمهم
في الالتها • فموضناها بسورة والنجم • اذا هوى • ما ضل صاحبكم وما غوي • نجاء
من انقلاب القارورة قرار القلوب • ومن حر أنفاسها برد النفوس • وكشف شعاعها
ظلم الكروب • ونزعت بشاشتها عن الوجوه لبؤس العُوس • وأتارت نارها لنا بكل
نور • ولهم بيوار قوم بُور • ودبت شعلها في أضلاع الدابة وجنوبها • فاحرقها الله احراق
أهلها بذنوبها • وكما أضاعت الاقاق بينراها • اظلمت بدخانها • فجلت لنا ياض العصر في
السواد • فكانه سواد التاخر أو سويداء الفؤاد • بل سواد الملداديأت من أنواره بالامداد
فجلا حريق هذه الدابة صدأ قلوبنا المقتمة بالبطسة التعريقة • وأحتت نارها في حامية الحق
حسية حماة الحقيقة • فانما احترقت الدابة يوم وصول خبر غرق البطسة • فكان تشميتاً
لذلك المطسة •

❖ ذكر وقعتات في هذا الشهر ❖

كانت العلامة يتنا وين أصحابنا في عكاء عند زحف العدو دق الكؤوس • حتي اذا
سمعناه جدنا في الزحف الى العدو بالفائس والنفوس • ولما أصبحنا يوم السبت التاسع
عشر من الشهر سمعنا من كوس البلد لمراته • ونظرنا من جانب العدو مشار غبراته •
فعلمنا بزحفه • وعملنا في حقه • وضرب الكوس السلطاني اصراخ الصراخ ذلك الكوس •
تقابلت أعطاف ذوى الحمية من حيا الزائم لامن حيا الكؤوس • وركب السلطان في كل
شمر للبرء • مضمحل للجرد • فضفاض السرد • قضااض كالاسد الورد • مشتاق الى الطرد •
ملتاح من ماء الوريد الى الورد • من الترك والاكاديش والعرب والكرد • يهوي الى
الاقران هوي المصلمات الى الرقاب • ويظلم الى إرواء الاسل الظماء فيطيل
صدى الخيل المراب • وكل ثمل كانه نريف الحما • يعيد آلهاء من الارض يركضه شاحبة
الحما • وكل ضرب تكاد تقيض مضارب لصله من خفة الطرب لولا وقاره • وكل طلاع
مع الثوب لا ينام تاره • ولا يثبت في الجفن ضراره • وكل منصلت ينير في ظلام العجاج بنجوم
الاسنه • وكل مطرد يميم السوايح السوابق في محور الاعنه • وكل رام فروج المازق حتى
تقرى بأبدى المذاكي • وكل شاك في السلاح مشكور في اشكاء الحق الشاكي • وكل مصمم
مصمم درعه غير محقه • وسهامه غير محببه • وسيفه غير مقروبه • وقبائه لمدومة اجراء

قبة غير مضرويه • وسار السلطان وقد اسودت لوقع السنايك جوانب جحفله • وأبيضنت
بلمع الترائك مذاهب قسطله • وأشتبت في النقع الوان خيله • وامتدت الى قرار الاقاء
أعناق سيله • فكأنما غارت الشمس من شمس شمسه فتوارت بالحجاب • وعد النقع في
وبل النبل من حساب السحاب • وولجت الصاكر عليهم في خيامهم • وحملت الياالي القتام
الى أيامهم • وغلت الصدور بما فيها • حتى وصلوا الى القدور على أنافها • وهتكوا وقتكوا •
وأدر كوا وسفكوا • فتراجع الفرنج وأصطقوا على خنادقهم • ووقفوا بقطار ياتهم وطوارقهم •
واجتمع عسكرنا لهمم يحتمون ويحملون • ويلون من دماهم وينهلون • ودخل الظهر •
وحى الحر • فافترق الفرعان • وتراجع الى خيامهم الجمعان •

❖ وقعة اخري ❖

وفي يوم الاثنين الثالث والعشرين من الشهر ضايق أهل الكفر البلد على الحصر • وكانت
الوقعة بالوقعة السابقة شبهة • وكانت من أشدها واجدها كربه • غير أنه في هذه التوبة
هرضت نبوه • وكادت تتم كبوه • فان الفرنج لما تراجعوا عن البلد وجدوا فئة من عسكرنا
داخل خنادقهم • فحملوا عليها بسباق رجلهم وراكبي سوابقهم • فانتشب الحرب • واشتجر
الطعن والضرب • وكثرت الجراحات • وكثرت الاجترحات • واستشهد من عرف من
المسلمين اثنان تسليهما رضوان الى الجنان • وقتل من المشركين جماعة أسرع بهم مالك
الى التيران •

ومن عجائب هذه الوقعة • أن رجلا من مازندران من أهل الرفعة • وصل في تلك
الساعة وافدا • واستأذن وقت السلام على السلطان ان يقدم مجاهدا • فحين شهد الوقعة
استشهد • فلقى الله بعهد كما عهد

❖ وقعة أخرى ❖

وفي يوم السبت الثامن والعشرين من الشهر خرج العدو فارسا وراجلا • وراحا
ونابلا • وامتدوا من جانب البحر اطلاقا • ونحزبوا في ذلك الفضاء أحزابا • وركب
السلطان من مجالس عاده • الى مجال سعادته • موقنا ان أداء عبادته • في إبرة العدو
وإبادته • وقدمت المقدمة وأقدمت • وجيحت نار اقدامها وما أخجعت • وما زالت
نجوم النصول تنفض • وحتم التحور تنفض • وعيون الميون ترفض • وديون الدخول

وحقوق الحقود تقتضي وابكار الدروع بمحدود الذكور تقتض . في شعواء خضرها
 التباب الغائب ، ونكباء لها من القوابل ذوائب . وبحر تسبح فيه السوايح . وشرب بكاس
 اللثية منها المهيج غوايق صوايح . وغيره اسواود نبالها تتوايب عن عقارب القسي .
 وتغالب لهازم صمادها تتلاعب في أراقم السميري . وذباب طلبها تطن في مسامع الذئاب
 وعقبان راياتها تخلق الى مطالع السحاب ، وغدران سوابقها تفيض عليها جداول القواضب .
 وغران سوابقها تفيض في غمامط الفياهب . وارواح اغمادها البارية عن الاجسام
 بريه . وقلوب أسادها الضارية على الردى جريه . حتى دخل على ليل النقع الاليل . وجرى
 من ديمة الدم السيل . والتفت لها التفت بالخليل الحليل . وأفرج المأزق عن قتلى جرى
 عليها من السواقي الذليل . واستشهد من المسلمين بدوى وكردى . ولكم وقع من المشركين
 رد ردى . له في الهاوية هوى . وعلمهم من زفير جهنم دوى ، وأسرهم العدو فارس بفرسه .
 ولامته وقولسه وتفرق الفريخان عن المعتك عند معسكر الدجي . وقد عم من الشجب ماشجا

﴿ وقعة اخرى ﴾

واصبح العدو يوم الاحد التاسع والعشرين . وقد أخرج من جانب النهر راجلا في عدد
 رمـل يبرين . بقواطع يبرين . وقواضب يفرين . وطوال غروب في الطلي يفرين
 وبالردي يفرين . وانقشروا ممتدين . وامتدوا منتشرين . فلقبهم اليزك بكل من يزكه عند
 شهوده . مضاء كالقضاء . ويوافق القضاء في المضاء وكل معتقل لارديني اخف الى الوضي
 من سنانة . وكل مشتمل للمشرقي خضيب الفرار ويانه . وكل ملتئم يمشير حصانه . متيق
 لعطف مرانه . وكل صبح كالصباح تضارة وجهه في شحوبه مدفونه . وكل قارح على قارح
 شرارة عزه في سكونه مكثونه . وامتد راجلا امامهم . واثبتوا قدامهم اقدامهم . وطال القتال .
 وطارت النبال . وحاضت الذكور . وقاض التامور . وأعمى العير وجه الشور . واسروا منتا
 واحدا فاحرقوه فصحب نوره بين يديه الى دار القرار . وأسروا منهم واحدا فاحرقناه
 فشبث به تلك النار الى النار . وشاهدنا الثارين في حالة واحدة تشعلان . والصفان واقفان
 يقتتلان .

وفي يوم السبت الماضي هرب خادمان ذكرا أنهما لاخت ملك الانكثير وانهما كانا يكتبان
 ايمانهما في سر الضمير . وأخبرا أنها زوجة صاحب مقلية فلما هلك . صادقت في الاجتيار

بها أخاها هذا الملك ، فألزما بان تبعه واستصحباهما . وقدراما الحاجة من تلك الفاجرة
لحاجة الآخرة ، فأكرم السلطان وقادتهما . واجزل بالاحسان إقادتتهما .

﴿ ذكر المركيس ومفارقة القوم ووصف السبب في ذلك ﴾

وفي الاثنين السلاخ الشهر ذكر عن المرقيس انه هرب الى صور . وانه كشف
للجماعة المستور . ونفذوا وراءه قسوساً . وألقوا عليه من الضلالة في الاستمالة دروساً .
فبنا قبوله . وانقطع وصوله . وكان سبب نفاذه . وموجب استنصاره . ان هنفري كانت
زوجه ابنة الملك الذي هلك والقدس في يده . وعادتهم انه اذا مات ملك ينتقل ملكه الى
ولده . وسواء في هذا الميراث . بين الذكور والاناث . فيكون الملك بعد الابن اذا لم
يخلف ابناً للكبرى فاذا توفيت عن غير عقب كان للصغرى وكان الملك الصغرى كي أخذ
الملك بسبب زوجته الملكة فمزله عن الملك لما احتوت عليه يد الملكة وبقيت هذه زوجة
هنفري . فاصبح المركيس عليه يجترى . ويقول لست من أهل الملك لتكون الملكة لك
زوجه . ولا بدلي من قوم هذا الامر حتى لأبقي فيه عوجه . وغصبها منه وصرها عنه
وانخذها له مروساً . وأحضر لتكاحها قسوساً . وقيل انها كانت حبلى ولم تخرج من
حباله الجبل . فاشغلهم حرمة الرحم المشتغل . وادعى المركيس ان الملك انتقل بها اليه .
وان أمر الفرنج بشرعهم في يديه . فلما جاء ملك الانكثير نظم اليه . هنفري والملك الصغرى
فانتح بذلك له الى مؤاخذه المركيس الطريق فاستشعر المركيس منه وما قره وأخذ معه
الملكة وفر *

﴿ ذكر من وصل في هذا التاريخ من العساكر الاسلامية ﴾

وفي يوم الاثنين انسلاخ جمادى الاولى قدم عسكر سنجار . وقد سد بسواد عديده النهار .
وأفاض بياض حديده الانوار . ومقدمه مجاهد الدين يرتقش الشهم الشديد . والسهم السديد .
والاممي اللوذعي . والكيش الكمي . والثقاب التقي . والنف التقي . وهو ذوهمة في الغزو
طال . وعزمه بالباطل المضى حاليه . وقيمة في سوم السلطان لقره غاليه . وسريرة خالصة
صافية من الكدر خاليه . وأكرمه السلطان في استقباله بنفسه . واقباله عليه بانسه . وسار
بمسكره الى ان وقف تجاه العدو من جانب البحر مما يلي الذيب . وقد أحسن في عرضه
التدبير والترتيب . ثم عاد في خدمة السلطان مكرماً الى جنبه . مقدماً على محبه . فأنزله في

خيمته وخصه بمواكلته * وتقدم اليه بالزول في ميسرته وفي (يوم الاربعاء) ثاني جمادى الآخرة * وصل جماعة من عسكر مصر والقاهرة * بالعدة الوفرة والقوة الظاهرة * مثل علم الدين كرجي * الذي يسرع الى لقاء أقرانه ولا يرجي * وكسيف الدين سنقر الدروي ذى الزند الورى والسيف الروى وأمثالهما من الممالك الناصرية * والمساعير الاسديّة * أسد العين * النثم العرائن * الفر الميامين * (وفي عصر هذا اليوم) وصل علاء الدين بن صاحب الموصل الى الحرورية ونزل بها * ليصل بكرة الى المعسكر بالمساكر في أحسن أهبها * فركب السلطان اليه ولقيه واد * وكل لكرامته وضيافته الاستعداد * وأصبح يوم الخميس في خميسه * سائراً بأساده في عريسه * مقبلاً بكل فارس من جيشه فارس من خيسه * في غلب كلهم أجادل والحياد مراقبها وخيل كأنها الظلماء والتراثك كواكبها * وتقع كأنه الاقي والمقربات قواربه * ومجر تصادم منابك الآكام منابك * وتغماً الوهاد طولاه وغواربه. طاريات غروبه طاليات غواربه * فقال ماذا كيه باعباء عواليه * كأنما نهضت لاذكاء نار الهياج حواطبه * وعبرت علينا كتابه وأصربت عن مناقبه مقانبه * وتلقاه من أولاد السلطان الملك المنزق فتح الدين اسحق، وهو من جلتهم البحر بل القيداق * والملك المؤيد نجم الدين مسعود، وهو كاسمه مسعود مجدود، وتلقاه الامراء والعظماء والخواص والاولياء * وساق على أميته، واجابته دعوة الاسلام وتليته - الى جانب البحر * ليرعب أهل الكفر * وعرض وتعرض وعلم العدو بانه اليه نهض واستنهض، ولما انفصل السلطان أخذه معه الى خيمته وأحضّر له أسباب تكرمته * وأنسه بانيساطه * ونظمه مع أمهائه في سبط سباطه * وأجلسه الى جنبه * وعقد له جاجبه * وخصه بخلع وثياب * وحصن هراب * وما يليق به من كل باب * وانصرف عنه ونزل على ميمته * نزوله عام أول في منزلته * (وفي يوم الجمعة) رابع جمادى الآخرة وردت من مصر كتية ثانية، صارفة أغنة خيلها الى الجهاد ثانية * ساطية على الكفر بأسها جانيه * وقد علمت الوقائع انها لقراتها الياالة من ورق الحديد الاخضر جانيه، فانزلت حتى عرضت على العدو مقانبها * وأبرزت لعينه قناها وقواضيهها * وأرنت برسل المنية اليه قسيها * ثم جاءت وألقت بمضاربها عصيها * وكانت المساکر تتوارد * والجوع تتوافد

ذكر ضعف البلد

والفرنج قد ضايقوا البلد مضايقة آبست منه * وأسكت القلوب عنه * والهانيق قد

رمت شرافاته • وسمت اليها بأفاته • وأعدت جوابه مهدومه • ونواجزه مهتومه • وانحطت عنه بمقدار قامه • فلم يتمكن أحد من عليه من إقامه • وضعف البلد والجلد • وخلا بهم عليه الخلد • وقد حفظ القوم من جانبنا خنادقهم • ووكلوا بها فيالقهم • ونحن لا نألو في الجهاد جهداً ولا نترك جداً • ولا نجد من مضايقتهم بكل نوع بدا • وجاء الخبر ان ملك الانكتير قد أشفى من المرض • وأشرف من المضض • حتى حلق رأسه حلق لحيته • واستلقى لانتظار منيته • قنبط الفرنج وتبثوا • وسكنوا وسكنوا • إلى أن يركب فيركبوا • ويثب فيثبوا • وكان في هذه الفترة للبلد بقاء رمق • وزوال فرق • وانتعاش عثره • وانحيار كسره • وانطفاء جهره • وانسداد نفوه •

فصل من كتاب الى صاحب الموصل

في شكر وصول ولده ووصف الحال في ضعف البلد

قدم علاء الدين دام علاؤه في مقدمي الجنود الانجاد • ووقف اجتاده على موقف الجهاد • وما أكرمه قائماً في المقام الكريم • وعظيماً خاطباً دفاع الخطب العظيم • ووصل فوصل جناح التجاح • وأثر الصدور بما صدر بها من ثمر الاشرار • وجاء الكربة ذاهبة بالارواح • والحرب ساقية طلاء الطلى في محاف الصفاح • وقدرت بنات الاغمار الذكور على أ كُف أ كفاء الكفاح • لتكاح الهام بالسفاح • وشارك في الجهاد وشد الازر • وسدد الامر • وآزر وعضد • وظاهر وأسعد • ولا خفاء عن العلم بحال الفرنج في هذه السنة واجتماع ملوكهم وكنودهم • وتوافد أمداد حشودهم • وقد استثنى شرمهم • واستضري ضرهم • وأعضل خطبهم واستفحل أمرهم • واشتغلوا منذ وصلوا بنصب منجنيقات • وتركب آلات ودبابات • وزحفوا إلى بلد عكا بمجمعهم • ووقدوا بحجرهم • وأخذوا فيه نقوبا • وحكموا في الاسوار من الاسواء بضرب المجانيق ضروبا • والتثر الآن قد أشرف • والمدود قد أسرف • وكلما زحف إلى التثر زحفت المساكر الاسلامية اليه • وهجمت عليه • والمدود بخندقه محتجز • ولقرصة الفيلة عنه منهز • ومن جثوم الموت عليه في مجتمه محترز • ولم يبق إلا أن يتدارك الله التثر بلطفه • ويحجبه على المعروف من عادة نصره وعرفه • والمجاهدون فيه قد هانت عليهم المنهج • ووضع لهم في ثبات جناتهم المنهج • وفي كل يوم يسدون بأشلاء المهاجرين عليهم السلم • ويحلون

عنهم بما يشبونه من نيران الظبا الظلم • والعدو قد لج • والحديد من قرع الحديد قد ضج •
والبلد مشف • والبلاء عليه موف • والمأمول من الله أن يأتي من نصره بما ليس في الحساب •
وأن يمد ما جح من أمر الاصحاب إلى الاصحاب • ويكفي هذه التوبة الصعبة فهو كافي
التوب الصعاب •

فصل في وصف عسكر عماد الدين

وصلت السكاكر التي وقت بعدتها المتاجده • ووافت بعدتها المتى جده • وأقبلت إقبال
الأساد في عربن الوشيح • وماجت موج البحار في غدير الزغف النسيح • واستهلت
استهلال الرواعد البوارق • والمث بالعدا إلام العوادي الطوارق • ولقد جاءت في وقتها
منجدة من جده • موحدة للانتقام من الكفر بكل موحده • واستظهر الاسلام بظهورها •
وسفرت وجوه النصر بسفورها • فاحجم الكفر بأقدامها • وانتظمت أحداق المنكرين
في عقود سهامها • وخيست مضارب المضاء بمضارب خيامها • وفض بالفضاء ختام قوامها •
وما أشكر الدين والاسلام لعزائم عماده وغياته • وأبعث أمداد الظفر لاهتزاز نصل
نصره وانبعائه •

فصل في الاستنفار

قد عرف أن العدو قد احتشد بجميع ملوكه • وغصت مسالكه وطرقه بطوارق
سلوكه • وهو حديد الشوك • شديد الشكة • قد لج في حصر الثغر ونصب آلاله • وربك
عليه منجتيه • ووالى الضروب من الضرب • وأخذ منه مواضع في الثقب • وقد أشفى
على خطر عظيم • وخطب جسم • وإذا لم يصل في هذا الوقت فتي • ومن أتى في غير
الوقت المحتاج إليه فأتى • وهذا أرا أن رفض التواني • ونهوض المسلمين من الاقاصي
او الاداني • والوصول بكل ما يقدر عليه من العسكر • والظهور لمظاهرة المسلمين بالعزم
الانظهر والجد الاوفر • وهذا يوم الحاجة وأوان الضرورة • والهوض بعسكره إلى
نصرة عساكرنا المتصوره • فلا ينجح إلى عذر قلة اعذار أوقات • ولا يلتفت إلى غير
هذا المهم الذي ليس للمسلمين إلى سواء التفات • وكيف يتأخر عن هذا الموقف الكريم
وهو كريم • ويتقاعد عن هذا المقام العظيم وهو عظيم •

ذكر خروج رسل الافرنج

كان قد خرج منذ أيام رسول • وسأل أن يكون له إلى السلطان وصول • فاجتمع به الملكان العادل والافضل • وقالوا له لا يمكن لقاء السلطان لكل من يرسل • وما كل مقصود عليه يعرض • ليعلم في الاول هل هو عما يقبل أو عنه يعرض • فأعلمهما الحال • وعرفهما ما سبب الارسال • فأحضراه بالنادي السلطاني فثل بين يديه • وأوصل تحية ملك الانكثير اليه • وقال هو يؤثر بك الاجتماع • ولخطابك الاستماع • فان أعطيتيه أمانا خرج اليك • وأورد مقصوده عليك • أو شئت كان الاجتماع به في المرج • خالين من مقتضيات المرج • وكلا كما عن عسكره منفرد • ولحديثه في الخلوة • مورد • فاجابه السلطان وقال لو اجتمعنا فهو لا يفهم بلساني وأنا لا أفهم بلسانه • ونحيل باليان على ترجماني وترجمانه • فيكون ذلك الترجمان رسولا • فلمله يرد رسول ويصدر رسولا • فلما لج في الطلب • والح في الارب • استقر أن يكون الحديث مع الملك العادل • وإن تخرج من عنده وسائل الرسائل • ودخل وقد أخذ أمانا • وانقطع بعد ذلك زمانا • فشاع عندنا ان ملوكهم منعه • ومن ركوب الخطر فزعوه • فأنفذ ملك الانكثير رسوله بعد أيام • ينكر ما شاع من تأمر للفرنج عليه وأحكام • وقال الامور مفوضة إلى • وأنا أحكم ولا يحكم على • وإنما تأخرت بسبب مرض عرض • فأقانتني الغرض • ثم قال الرسول من عادات الملوك المهاداة • وإن دامت بينهم الحرب والمعاداة • وعند الملك ما يصلح للسلطان فهل تأذنون في حله وقبوله • وأخذه من يد رسوله • فقال الملك العادل قبل الهندية بشرط المجازاة • واستدامة المكافأة للموازاة • فقال عندنا بزة وجوارح • قد لقيتها في سفر البحر جوارح • وقد ضعفت فهي طلائع روازح • وزيد طيراً • ووجاجا تصلخ لطمحها • فاذا استوت حملناها للهدية على رسمها • فقال العادل لا شك ان الملك مريض وقد احتاج إلى دجاج وفراريج • ونحن نحمل له منها كل ما اليه احتيج • فلا نحصل حاجة طعم البزة في طلبها حجة • وأسلك غير هذه المحجة بحجة • وانفصل حديث الرسالة على قول الرسول هل لكم حديث • فقلنا أئتم طلبتمونا لا نحن طلبناكم وما لنا معكم حديث قديم ولا حديث • ثم انقطع حديث الرسالة إلى يوم الاثنين سادس جمادى الآخرة فخرج من عند الملك في الرسالة مقدم • ومعه أسير مغربي مسلم • وأحضره على سبيل

الهدية • وأوصل إلى السلطان ما حمل من التحية • فشرفه بمخلته • واعتد له بهديته *
ثم خرج يوم الخميس تاسع الشهر رسل ثلثة * وما كانت رسالتهم تسفر عن مقصود بل
فيها رثانة وغيثه * وهؤلاء طلبوا للملك فأكهة وثلجاً * ولم يسلكوا في غير هذه الحاجة
نهباً * فأكرمهم السلطان بما سألوا • ووفر لهم منه غملوا * وسألوا أن يتفرجوا في
الاسواق • ففسح لهم فيه على الإطلاق *

ذكر ضعف الثغر من قوة الحصر

وكان غرض الفرنج من تكرير الرسائل تفجير العزمات * وهم مشتغلون بموالاة
الرمي بالمنجنيقات * وتسوية التصويات وتعيه الآلات • وتعديل العرادات وتثقل الحجارات •
حتى تحلحل السور وحان تهدامه • وتخلخل ويان انتلامه • وتزعزعت أركانه • وتضعفت
أبدانه * وكاد يبى لهوي * ولا يقي ولا يقوى • كي يشوي • وأهل المدينة قد كثرتهم
لكثرة الثوب ولقلة السدد والحجر هاتك • والسهر ناهك * والعمل دائم * والحلل
لازم * والقلوب قلقه • والظنون مخفقه * والمتاعب شاقة والمشاق متعبة * والأحوال متصعبة *
والأهوال مرهبة * وكانت في البلد منجنيقات تنصب * وتفيض بها قوى الرجال وتنصب *
فلما اشتد الزحف * وزاد الضعف * احتاجوا إلى رجال المنجنيق للمقاتلة * والتناوب
على المنازل * وهناك ظهر إن العدد لا يقي ولا يفي * وإن القليل لا يكف ولا يكفي *
وإن خروج من كان في البلد لأجل دخول البدل لم يكن صواباً * وإن تقصير الثواب
ابتداء في الاعطاء جلب في الانتهاء اعطاباً * ولما علم السلطان سابع جمادى الآخرة يوم
الثلاثاء * بما عليه البلد من غلبة البلاء * زحف بيسكره • ولج حتى ولج حنادقهم * وطرق
اليهم بواقهم * ونهب من خيامهم ما تطرف * وأسرف في إرهابهم بما أسرف * وحمل
الملك العادل بنفسه مراراً * وأجري من الدم أنهاراً * وأراهم بالقع النهار ليلاً وبالبيض
الليل نهاراً * وأمسى السلطان تلك الليلة ساهداً لم يذق طعاماً * ولم يستطب مناماً * ثم
إمر بدق الكوس سحراً حتى عادت الصاكر إلى الركوب والقساور إلى الوثوب والقوارس
ألى الفرس والانذاب إلى الدوب * وأعادت إلى الطلوع غروبها بعد الغروب * بكل من
يلقى الحيوش على الحيوش * ويرمي الوحوش على الوحوش * ويرعب الصدور بصدور
الرواعف * ويشير بالأمن عن مواقف المخاوف * وكل من للضرب في حينه شامه *

والطعن في جبينه علامة على خيل كأمثال القنا تحمل القنا * وضمير كالحنايا تهوى هوى
السهم إلى الوخي

في غداة صباحها في حداد * لسجتها أيدى المظلمة القب
وظلام يجلوه يريق اليمانية القضب * فجرى ذلك اليوم من القتال أشد مما كان آمن *
واتصل من طلوع الفجر الى غروب الشمس *

وفي هذا اليوم وصلت من البلد مطالعة مضمونها أن العجز بلغ بهم الى غايته *
وانتهى الضعف بهم الى نهايته * ولم يبق الاتسليم البلد ان لم تعملوا شيئاً ولم تجحوا في
الذب عنه سعيًا * فضقت بهذا الكتاب ذرماً وقلنا لاجول ولا قوة الا بالله لانك لا تفلسنا
ضراً ولا نفعاً * والسلطان من هذا في أمر عظيم * وهم مقعد مقبم * وهو مجتهد في بذل
وسعه * سائل من الله لعلف صنمه * معاود الى الحرب في كل صباح * طائر الى اللقاء
بجناح كل نجاح * وفي هذا يوم الاربعاء * بعث الساكر على اللقاء * ودخل راجلنا الى
خنادقهم وخالطوهم * وتقابضوا على بسيلة واحدة وبأسطوهم * وذكر انه وقف في
ثغرة من تلك الثغرات افرنجي * كانه جنى مستشيط للشيطان نجبي * وهو يدافع ويمنع * ويكافح
على تلك الثغرة ويقارع * قد اتخذ طارقه لجسمه صدفاً * وصار لسهام المنية هدفاً * وهو
كانه مما لشب فيه الشباب القنفذ * وتلك السهام من لبس الحديد لا تنفذ فلم يزل واقفاً
الى أن أحرقه بكارورة النفط زراق * قامسى وهو حراق ، ووقفت أيضاً امرأة بقوس
من الحشب ترمي * وتديم اصباها وتدمي * فلم يزل تقاتل حتى قتلت * والى سقر انتقلت

﴿ ذكر خروج سيف الدين علي المشطوب الى ملك الافرنسيس ﴾

ولما تمكن الفرنج وتكاثروا على عكاه من جانب * وعروه بكل نائب * ومل إصحبنا
فيها لكثرة من استشهد وجرح * وقلة البدل الذي كان قد اقترح * ونقب المدو بالباشورة
حتى وقعت منها بدنه ، وزادت الخفاة فلم يبق معها أمته ، خرج للمشطوب الى ملك
الافرنسيس بأمان * وحضر عنده بترجان * وقال له قد علمت ما عاملناكم به عند أخذ
بلادكم * من التزول عند طلب أهلها الامان على مرادكم وانا كنا نؤمنهم * ومن المسير
الى ما منهم نمكنهم * ونحن نسلم اليك البلد على ان تعطينا الامان ونسلم * واذا فعلت هذا
فقد حزت المغنم * فقال ان أولئك الملوك كانوا عبيدى * وأنتم اليوم عماليكي وعبيدى

فأري فيكم رأيي من وعدى ووعدى • فقام المشطوب من عنده • متناظراً ولم يلبث لحظة • وأغلظ له في القول عملاً بقول الله تعالى وليجدوا فيكم غلظاً • وقال نحن لانسلم البلد حتى نقتل باجمنا • فيكون مصرعكم قبل مصرعنا • ولا يقتل منا واحد حتى يقتل خمسين • وهى حرف ان الاسد يسلم العرين •

﴿ ذكر هرب جماعة من الامراء والاجناد من البلد ﴾

ولما عرف رجوع المشطوب • ولم يظفر بالقرض المطلوب • قال جماعة من الامراء قد تضجروا بما هم فيه من التعب والعناء • هذا الامير الكبير • والمستشار والمشير • قد اشتغل باله • فسواه مباله • وعمره بركوساً • ورأوا في هربهم رأياً منكوساً • ورجحاً في دار البقاء مبخوساً • وذلك ليلة الخميس التاسع • وقربوا عليهم الامر الشاسع • وجاؤا الى العسكر مخففين • ومن رفقاتهم في نسب الوفاء والوقاي متقين • فمضى الى السلطان الخبر بهرب الجماعة • وانهم خرجوا لله وله عن الطاعة • وانهم جبنوا عن بذل الاستطاعة • وحفضوا عنهم صيت الشجاعة • وابدلوا الاضاعة بالظلمة والحفظ بالاضاعة وكان فيهم من الامراء المعروفين • وذوى الشهامة الموصوفين • عز الدين أرسل • وهو الذى كان المثل بشهامته يرسل • وحسام الدين تمر تاش بن جاولى • وهو شاب أول ما توفي والده وجاوى • وسنقر الوشاقى من الاسدية الاكابر • ومقدمى الساکر • وكل منهم محظوظ بالاقطاع الوافر فقطع السلطان اقطاعهم وأقطعها • وحبس عنهم عذر الرضا بعد مدة مديدة بشاشة وجهه ومنعها • واستأذ أرسل بالاسدية ثم بالملك الافضل • المفضل المؤمل • وتوسل ابن جاولى بالملك العادل • وكلهم توسل بفضل الاجل الفاضل فلم تعد نعيمتهم • ولم تعذب عيشتهم • وعادوا محقوتين • ومجدود السن الذم منحوتين • وبضعف القلب وقوة الخور منعتين • وكان من جملة الهاربين عبد القاهر الحلبي قبيب الجبائرية الناصرية ومقدمها • فشفع فيه على أنه يضمن على نفسه العودة ويلتزمها • فاد في ليلته • وأسقط عنه المذمة بأوبته • ووقع بعد ذلك فى الاسار • واستفدك السلطان بعد سنة بشاماعة دينار •

﴿ فصل من كتاب الى مظفر الدين صاحب اربل في المعنى ووصف الحال ﴾

قد سبقت مكاتبتا اليه بشرح الاحوال • وما نحن عليه من رجاء النصر الذى هو

متعلق الآمال • وإن ملوك الفرنج وجوعهم قد وصلوا • ونالوا التفرح واحتفلوا • والآل
 فان متجيفاتهم حذته بكثرة الضرب • وكثرت لهم السور في مواضع القرب • وعظم الخطب •
 وأشدت الحرب • وأشتى البلد وأشرف • وأشتى العدو بما فيه أسرف • ولما لج العدو
 في الزحف • وأستسهل في التطرق الى البلد طريق الحنف • ركبنا في عسكرنا اليه •
 وهجمنا عليه • لكنه بسوره وخندقه محتم • والى مطعمه البعيد من أمره مرتهم • ولما
 عين أمحبنا بالبلد ما عليه من الخطر • وأنهم قد أشفوا على الفرر • فر من جماعة الامراء
 من قل بالله وثوقه • وأعمى قلبه فجوره وفسوقه • ولقد خائوا المسلمين في ثفرهم •
 وبلغوا بوبال غدرهم • وما قوى طمع العدو في البلد الا هربهم • وما ارب قلوب الباقيين
 من مقاتلته الا رهيبهم • والمقيمون من أمحبنا الكرام • قد استحلوا سر الحام • واجمعوا
 انهم لا يسلمون حتى يقتلوا من الاعداء اضعاف اعدادهم • وأنهم يبذلون في صون ثفرهم
 غاية اجتهادهم • وكانوا قد تخذلوا مع الفرنج في التسليم قاشتطوا واشترطوا • فصبروا بعد
 ذلك وصابروا ومدوا أيديهم في القوم وبسطوا • فتارة يخرجونهم من الباشورة وتارة
 من النقوب • والله تعالى يسهل تنفيس ما هم فيه من الكروب • ونحن وإن كنا للقوم
 مضايقين وبهم محققين • وعلى جوعهم من الجواب متفرقين • فانهم يقاتلوننا من وراء
 جدار • ويعلمون أنهم ان خرجوا إلينا في تبار • والهجوم على جمعهم مستصعب ممتع •
 والعسكر على مركزهم متألف مجتمع • والله قدر لا يرد • وقضاء لا يصد • وسر لا يشارك
 في علمه • وأمر لا يغالب في حكمه • وعلى الله قصد السيل • ونحج التأمل • وتدقيق
 الطافه في دفع الخطب الجليل • وما توفيقنا الا بالله وعليه توكلنا وهو لم الوكيل *

﴿ ذكر ما جري من الحال ﴾

وفي ذلك اليوم وهو الخميس زحف الخميس • وحى الوطيس • وتحرك بالضرغام
 الخميس • واسود الجو • وأسد الضو • وأقضت القضب اقتضاض الشهب • وأشتبت الدهم
 والكمث بالشقر والشهب • واختضبت البيض • وتآلق من بوارقها الويض • ورقت قدود
 السمر على غناء الصواهل • وحركت رياح السوابق ذوائب الدوابل • فللدروع من
 الضرب قماص • ولمواصف الاولية زعازع • ولغريان الرماح نيب • ولغيران المقرات
 لتقريب النصر البعيد تقرب • ولحريق الظلماء معمه • ولرحي الحرب الزيون جمجمه •

واللاحقيات سابعة ولاحقه • والسريحيات رابعة وبارقه • وشموس التراثك على بدور
الاراك شارقه • ونبال النبل من عيون أعيان الكفر مارقة • وأيدي الاسنة هاتكة
لحرز التحور سارقة • وثمانب الاسل في لبة الأسد ضابحه • ونشأوى اللدان من نحيب
الأقران غائقة ضابحه • في رايات يجاذبها ذراع الفلك فتقود عقباها العقبان • وصفاح
يصاحفها شعاع الشمع فيكسو لحينها العقبان • وتقدم السلطان الى الامراء فترجلوا • ونازلوا
حين نزلوا • وهجموا على الضراغم في آجامها • واحوجوها بمجد الاقدام الى احجامها •
وانصب صارم الدين قائماز التجبى علمه على سور الفرنج بيده • ووقف عنده بجلاده
وجلده • ووصل في ذلك اليوم من الدين جورديك • ومعه من الزورية للممالك • فترجل
وقاتل وأبلى • وأضرمر نار الوغى وأصلى • وما ترك من جهده شيئا • ولاخلى • وبات العسكر
تلك الليلة على الحيل تحت الحديد • منتظرا لنجح الأمل البعيد • فقد كنا تواعدنا مع
أهل البلد انهم يخرجون تحت الليل ورجالهم وعلى الحيل • ويسرون بأجمعهم على جانب
البحر سرى النبل • ويذوبون عن أنفسهم بسيفهم • ويخون بأنفهم • وعز أنوفهم • ولوصح
هذا الموعد • لنجح الم قصد • لكن الفرنج اطلعوا على السر • فاضطلموا بالشر • وحرسوا
الجوانب والابواب • وارتابوا بما أراب • وكان سبب علمهم أنسان من غلمان
الهاربين • خرجا الى الملاعين • واخبراهم بحيلة الحال • وعز بعة الرجال • وأصبح العسكر
يوم الجمعة الماشر • وقد جمع من الحيل والرجل المعاصر • وافقة على ترتيبه صفوفه •
مرهفة على عدوه أسنته وسيفه • ودام ذلك اليوم على التمية وقوفه • ولم يتحرك من
القوم ساكن • ولم يظهر من المدوكامن • بل خرج ثلثة من الرسل واجتمعوا بالملك
العادل • فنادوا بعد ساعات ولم يفصلوا قسما من أقسام الرسائل • وانقضى النهار والعسكر
بالمدة المحيطة بالبلد المحيطة • ولاذى مقامه بمقامه محيط • وبتنا على تلك الحالة • وأهل الهدى
مراصدون لاهل الضلالة • وأصبحنا يوم السبت وقد ركبت الافرنجية وتدرعت • ونحزبت
وتجمعت • حتى ظننا أنهم على عزم اللقاء • فهاجت المزائم منا الى الهيجاء • وخرج من
بابهم أربعون فارساً وقفوا واستوقفوا • واستدعوا ببعض الممالك الناصرية فلما عطف
اليهم • عطفوا اليه وأخبروه أن الخارج صاحب صيداء في أعجابه • وهو يستدعي نقيب الدين أبا
محمد العدل لحطابه • وهذا العدل من أمناء السلطان • وقد أنس الفرنجيه لترده في الرسائل
نحوهم في سالف الازمان • فلما حضر أرسله الى السلطان • ليتحدث في خروج من إمكاه

بأنفسهم بحكم الامان، وطلبوا في مقابلة ذلك ما لا يدخل تحت الامكان، وزادوا في الاشتراط.
وتناهوا في الاشتراط، فأبذ السلطان للملكين العادل والافضل، ليفصلا الجميل، وويجمل اذا
حزنا المفضل، فتردد العدل مراراً، ووجد منهم على الاضرار اصراراً، ولم يتحرر قاعده *
ولم تظهر فائده، وانفصلوا على غير قرار * وعادوا والامر بغير اصرار *

﴿ ذكر جماعة من العسكرية وصلوا ﴾

في يوم الثلاثاء رابع عشر الشهر وصل سابق الدين صاحب شيرز، وفي يوم الاربعاء بدر
الدين أيوب بن كنان وقد حشد وحضر، وفي يوم الخميس أسد الدين شيركوه، وقد أبهج
بقدمه المسكر، وفي هذا التاريخ ضف البلد وعجز من فيه، ضعفا لا يمكن تلافيه، ووقف
كرام أصحابنا وسدوا الثغر بصدورهم، وبأثروا الاسنة المشرقة اليهم بخورهم، وشرعوا
في بناء سور يقطع جانباً، حتى ينتقلوا اليه اذا شاهدوا العدو غالباً *

﴿ ذكر ما طلبه الفرنج في المصالحة على البلد ﴾

وكانوا اشترطوا اعادة جميع البلاد، واطلاق أسرارهم من الاقباد، فبذل لهم تسليم عكا،
بما فيها دون من فيها فلم يفعلوا، وبذل لهم في مقابلة كل شخص أسير فلم يقبلوا، وسمح لهم
برد صليب الصليبيات اليهم فافصلوا عن الامر، ولم يفصلوا *

﴿ ذكر استيلاء الفرنج على عكا، وكيفية دخولها ﴾

وفي يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة، ماجت الفرنج بجور جموعها الزاخرة
وسالت الى ثغر البلد سبل الاتي الى القرار، وطلعت في السور المهسوم طلوع الاوطال في
فرج الاوعار، وانحدر عليهم أصحابنا انحدار الصخور المدهده، وفرسوهم فرس الاساد
المحيرة المكره، وردوهم أقيحرد، وصدوهم أقطع صد، وما زالت الكرات تتناوب
والحملات تتعاقب، حتى كلت الرجال، وفلت التصال، وعرفوا ان الفرنج يستولون، وعلى
أحد منهم لاييقون، ولا ينجون، فخرج سيف الدين على ابن أحمد المشطوب وحسام الدين
حسين بن باريك وأخذوا أمان الفرنج على أن يخرجوا باموالهم وأنفسهم على تسليم البلد
وماتي ألف دينار وألف وخمسة أسير من المجهولين ومائة أسير من المعروفين وصليب
الصليبيات وعشرة آلاف دينار للمركيس وأربعة آلاف دينار لخجابه فلم لشعر الابارايات
الفرنجية على عكا، مركزه، وأعطاف أعلامها، مهزوزه، وما عندنا علم بما جرت عليه

الحال . وما أحد منا الا والبال منه قد صراه الوبال . وعم البلاء . وتم القضاء . وعز العزاء . وقطع الرجاء . ولوت أغناق المسار اللاؤاء . ونسب السلطان ذلك بمد قضاء الله وقدره الى تقي الدين وما عن له في سفره . فانه مضى على أن يعود باضعاف عسكره . فاشتغل بقصد خلط . وأثار في ديار بكر الاحتباط . والاختلال والاحتلاط . وتأخرت عساكرها عن القدوم . فتج تأخر نصف العساكر فوات الفرض للروم . وكذلك لم يكن في البلد عدد يفي بصونه . وما كان يضبطه السلطان الى هذه الغاية لولم يكن الله في عونته . وتقل الثقل تلك الليلة الى منزله الاول بشفر عم . وأقام بحجة لطيفة متلفهاً متلهاً على ماتم . ثم انتقل سحرة ليلة الاحد تاسع عشر الشهر الى الحجيم . صابراً على حكم القضاء المبرم . وحضرنا عنده وهو مفتم . وبالتدبير للمستقبل مهم . فمزينا وسلينا . وقلنا هذه بلدة بما فتحه الله وقد استعادها عدا . وقلت له ان ذهبت مدينة فما ذهب الدين . ولا ضعف في نصر الله اليقين . وما وعكت بمكاء القلوب الا ولكرهما يوم التصر على الاعداء تنفيس . ولوحشتها بمد هذه الحادثة الموحشة تأيس . ولهذا الدين وان تداعت قواعد بقعة من بقاعه بالعز ليعافه تأسيس . وخرج في هذا اليوم أقوش . رسولاً نذبه بهاء الدين قراقوش . يخبر ما فروه من القطيع . ويصف كيفية الملة الفظيعة . وقال ادركونا بنصف المسال وجميع الاسارى وصليب الصليوت قبل خروج الشهر . وان تأخر شيء من ذلك بقينا تحت الاسر . ونصف المال يصبرون به الى شهر آخر . فاحضر السلطان الاكابر وقاوضهم في ذلك وشاور . فقالوا اخواننا المؤمنون ورفقاؤنا المسلمون . وهل لنا عذر ونحن لهم مسلمون . فقبل السلطان بحصيله . وتسجيله بمجملته وتفصيله .

❦ وأنشأت في استيلاء الفرنج على عكا هذه الرسالة وسيرت بها كتباً ❦

قد عرف امر عكا وان العدو قصدوا ورصدها ونزلها ونازلها . وقابلها وقتلها . وبرك عليها بكليلة . وحفل عندها بمجفله . وتواصلت اليها جموع أقواجا . وجلب البحر نحوها على أنباج امثال امواجه امواج . وجاءت رابضة امامها . ضاربة خيامها . ملهية بها غرامها . ملهية فيها ضارمها وانتهت المدة الى عاملين ككل عام تحمل مدود البحر من أمدادها بخاراً . وبرد الماء باهل النار مستصحين من ماء الحديد الجارداً رآ . وتصل مرابكم كانوا الاعلام السود . والامواج ناشرة بيض اعلامها . مائة جبالها كامها

مازجة اصباحها باظلامها * وتتافس ملوكهم الباغية * وطواغيثهم الطاغية * في الورود
بنفوسها وفنائها * والوصول بما نقصت فيه كنان كنائسها * مستخرجة ضماثر خزائنها *
مستفرغة ذخائر مكانها * موضحة ظلمات ضفائنها * مستبضئة متاع متاعها * مسرعة
الى معاطن معاطنها * وترد بقناطير أموالها * وجاهير رجالها * ومسايعر مصالها * ومشاهير
أبطالها * ويحدقون بها من برها وبحرها * ويحنمون بين سحرها ونحرها * ومازالوا
يقاتلون ابراجها بالابرار * ويسومون جنتها بالانهاج * ويرومون علاج كرامها بمرامة
الأعلاج ، ويقارعونها ليلا ونهاراً . ويقلمون أفواء خنادقها أحجاراً * ويناجونها بالسنة
النجاسات الطوال ، ويظفرون اليها على حمام الحمام كتب الآجال . ويكافحونها قراعا *
ويديون اليها المضائق خطاً وساطاً . ويناطحونها بالكباش . ويقارعونها من حرايتهم وحرايهم
بكلاب الهراش ، وحيات الهاش . ويرامونها بكل منجنيق عظيم الخلق . كانه حامل على
الطلق * لا تله إلا أمان الدواحي . ولا تدع الراسخ الراسي إذا قابله غير الواهي .
ويقتل الله منهم العدد الدم . والجمع الجم . ويهلك ألقا . حتى يموتوا فرهم للمنون ألقا .
وقد تجاوزت عدة القتلى منهم في هذه المدة . سوى من هلك بالضائقة والشدة ، خمسين
ألفاً قولاً لا يتسمح فيه المعبر بالبيان بل يتصفحه المحرر بالبيان إلى هذه السنة . والحالة في
في تحقيق قعيمهم وتفريق جهمهم جارية على الوثيرة الحسنة ، واشتعلت في قلوب أهل الثار نار
البواعث . وتحدثوا في الحادث ، وناروا للثار . وزاروا بالزار ، وانبرى ملكا افرئيس
وانكتير ، وملوك آخرون دبوا أحكامهم وأحكموا التدبير . وجاؤا في مراكب بحرية
حربية * وبطس حاملة فرغية ، وأجروا في البحر منها السيول . وجروا من ذوات الشراع
عليها الذبول . وحملوا فيها الحثالة والحيول . ووصلت كل قطعة كأنها قلمه * وكل بطسة
كأنها تلمه . وكل سفينة فيها مدينه . وكل بحيرة على سماء البحر بنجوم الرجوم مزينة *
فأحدثت بالثر من من البر والبحر . وأحاطت بمركز الاسلام دائرة الكفر . وأطافت
منها الاسواء بالاسوار . والظلمات بالانوار * ومنعت الداخل والخارج ، وبسدت على ناقل
الميرة وحامل السلاح . الموالج والمناهج * وزاحفوه بكل منجنيق كنيق . وكل برج
وشيق . وكل دبابه كأنها دابة الأرض التي تقوم عندها القيامه . وكل سلم لا ترجي معه
السلامه . وكل آلة آلت ان الفتخ منها بالتحف . وأقسمت أنها قسم سهام سهامها لنوي
الحفز بالزحف . وهذا والمدود قد حفر من جانبنا وعمق . وسور وحندق ، وتدرع

باسواره وخداده • وتستتر عن طوارق البلاء بستانه وطوارقه • فلا يخرج منه الى معاركه • ولا يدخل اليه لضيق مسالكه • وهو متحر متحرس • بتستر متترس • عاص على الهجم • عاص على العجم • لا يقتحم سده • ولا يتسلم حده • ولم تزل الحالة تتحدى والواقعة وليدها لا ينادي • والمدى يتناول • والمدد يتواصل • والقضية تتراعى • والرمية تتفاضى • ومقاتلة الثغر صابرون مضايرون • مكابرون مضايرون • فمن مستشهد عدله الجرح • ومن مستجبد عطله القرع • ومن دام بالحرح رام عنه • ومن نازع في القوس نازع منه • ومن معرض للثوت خوف طار عارض • ومن ناه عن السلم أمر بالحرب ناهض • ومن نذب فيه ندوب • ومن ضرب فيه من أثر الضرب ضروب • حتى ضج الحديد من قرع الحديد • ومجت الشفار الظامئة ورد الوريد • هذا وعدد المقاتلة في كل يوم ينقص • وظل المصاهرة يقلص • والعدم يتمكن من الوجود • والقيام للأنحان في زي القعود • وكاد البقاء يودع الباقي • والمتون تلاقي للملاقين • فلم يشعروا إلا وبعض المقدمين المشهورين قد تأخر وتستر • واستشعر الذعر فتعذر وتعذر • واستبدل الحين من الشجاعه • واستملى العجز من الاستطاعة • وقدم النصيان على الطاعة • وظن أنه لا نجاح له في العزيمة • ولا نجاة له إلا في الهزيمة • وجنب أمثاله من الحيناء • وجمع إلى أمره جماعة من الامراء • نفخ بهم من الثغر فارًا وذهب على وجهه منهم مازًا • ورهب فهرب • وحسب قسح • فاضغف قلوب البقية استشعارًا • واعدمهم عدم قراره • لكنهم تابوا إلى صبرهم • وثبتوا على أمرهم • ودفعوا مكر العدو بمكرهم • وما برحوا على مصابرة ومكابره • ومبارعة ومعاقره • ومكافحة وملاضحه • ومواقعة ومواقحة • ومطاحنة ومناطحة • وجلد على الخنادق التي طمت • ورمي في خروقتها التراب ورمت • وطرقها العدو بالسوء إلى السور • وطرق الظلمة إلى الثور • وهجم على السني بالديجور • وكشف نقاب عروس البلد بالقب • وأسعر بمسايره حر الحرب • حتى ظم حصى الثغر وكل حامي • وأشرفت مراميه • وكثرت ندوب تقويه • وكرت خطاب خطوبه • ودخل العدو في الثقب فلم يجد لكونه مجدلًا أو مجرحًا مخرجًا • وتوغل في الباب فوجد باب الخلاص المرجى مرجيًا • وكل من اصحابنا قد سد الثغرة بنفسه ولقى الوحشة بأنه • وقارق لوصال أهل الجنة أهله • وأثبت في مستنقع الموت رجله ولم يزل الثغابون يسمعون ويمشون • ويعلمون ويحشون ويحرقون ويحرقون • ويجمعون ويفرقون • حتى

تساقطت الابدان فمادت تلولا * وتماقت الاسياف فزادت قلولا ، وتكشفت الوجوه
لقبل الطعان فبردت بحرارة الدم قوائم اليمانية في الايمان ويردت بمجالد اجداد الشرك
أيمان أنجاذ الايمان وأنجأنا لايوهم الهائل ولا يميلهم الى الخذار الجدار المائل ،
ولا يزعمهم الخطب الوازع ، ولا يردعهم الرعب الرادع ، يواصلون بالقواطع ويتواقعون
على الوقائع ، ويردون بفرهم الطالع ، ويقدون بحدهم الدارع . اذا انتظموا مع العدو
نثروه * واذا نهضوا له أقعدوه وعثروه . واذا صعد اليهم حذروه . واذا باذر اليهم
بدره وندروه * حتى أقاموا منه عوض أبد ان السور أبدياً * ولم تركوا على تلك المصارع
من جانيها جنباً * وما زالوا يقتلون ويقتلون * وينهلون من ورد النجيع وينهلون *
ويصلون ويقطعون * ويشعرون ويصدعون * ويكيلون بصاع المعاص * ويحييون للعمر
الراجل داعي الوداع . ويتأججون بالنسنة المناصل * ويتقابلون بوجوه الصواقل ويقشاكون
بكلام الكلام . ويتلاقون بسلام السلام . ويتساقون بصحاف الصفاح . ويتماشون
بمراح الرماح * ويستحلون ضرب الضراب : ويستحلون صفحات الصفائح من قراب
الرقاب : الى أن انتقل القتال من السور الى الدور . ومن الستائر الى الستور * ومن
الطوارق الى الطرق والسطوح : ومن المضايق الى الفساح . ومن المراقب الى السفوح حتى لم
يبق من المجاهدين الا سبائك زحوف * وترائك حنوف : وبقياً طرائع * ورفاً طلائع *
ومسوق جرائع : ومشقوق ضرائع : قد فصاتهم المشرفيات : وخاطتهم الحطيات . ورشقتهم
القسي القاسية . ورشفتهم القبا الظامية . لا ينهض قويمهم من السكول ولا يفرى فريهم من
القلول : وقد شغلوا بسد تلك المضايق . ورد أولئك الخلائق . فما شعروا الا وقد دخلت
من أقطارها * وتوغت من أسوارها . وازدهم العدو في مشارعها وسبلها ، ودخل المدينة
على حين غفلة من أهلها ، ولما صرف العدو الداخل . والمادى الوافل . ان القوم مستقنون
وللموت مستقبلون . وانه لا طاعة له بمقاومتهم . ولا قوام له بطاقتهم . وانهم لا يسلمون
وهم يسلمون . ولا يبقون وهم يبقون . اعطاهم أماناً أخطر من الخفاقة ودخل على الاغارة
باسم الضيافة ، وعزأهم بما بذلوه من الوسع وما هانوا . وما وهنوا لما أصابهم في سبيل
الله وماضعفوا وما استكانوا . ولا مرد لما فيه الله من المراد . ولا مدفع لحكمه في البلاد
والعباد ، وان ذهبت مدينة فلم يذهب الدين . وان طامس معين فاقاب المعين . وان ارتاب
المبتلون فما فارق الحق اليقين . وان فتح المريج فما فات المرنجي ، وان أدلهم الديبور فلا بد

ان يسفر عن الصبح الديجي ، ولا يشمت عدو بما جرى ، فعند الصباح يحمدا القوم السرى

﴿ فصل من كتاب ﴾

الى قطب الدين بن نور الدين بن قرا أرسلان ﴿

قد احاط علم المجلس بما حشده الكفر في هذه السنة من مدد ملوكه ، وكثر على
نهار الاسلام باطلام ليل الكفر وحلوكه ، فالاسلام ينشد ظهيره ، ويطلب الدين لكشف
غمته من ابن نوره نوره . وهذه عكاه التي كذا عنها ندافع ، وعن نفرها تمانع ونجوى
دماء الوادين في البحر لقصدها في بحرها . وترد للرد عنها مكاييد العداة في بحرها . قد
تمكن منها الكفر على كره من الاسلام . واحتاج من أبي اسلامها بعد ان صابر وصبر الى
الاسلام . وكانت مودودة فمادت مووده . وصارت مقصوبة بعد ان كانت مارية من الكفر
مردوده . واذا أفكر من خذلها . وما أخذ لها وغاب عنها وما حضرها . علم أنها اسيرة
اهماله . واخذة اغفاله . وحاشي ان يكون المجلس بالغية عنا راضياً . وعن النجدة
عند تحقق الحاجة اليها متفاضياً . وما بقى للفرج مع استيلائها على الموضع ، الا زائد قوة
في المطمع والمطمع . وقد عزمتا على المصاف وصد صدمة الكافر بالجبد الكافي الكاف
واقه كافل دينه بالنصر . والمردى بمكره اهل المكر وما هذا اوان الوفي بل هو زمان
استباح المني . فان السدو الخادو قد آن اوان ان يصحر . وليس له الهدي قد قرب
ان يسفر .

﴿ ومن رسالة اخرى في استدعاء مظفر الدين من اربل ﴾

تشمّل على حادثة عكاه ووصف الحال الجارية فيها ﴿

قد علم مادهم المسلمون من العدو الكافر . والطاغية الحاشد الحاشر . وانه ورد
في البحر بكل من للكفر في البلاد والجزائر . وما قصده الا ببيعة الاسلام وحوزته
وان الله تعالى هو الذي تكفل بذلة اعدائه عزته . ولا شك انه صرف ماتم منه على
عكاه بعد ذبنا عنها في هاتين السنتين . والمضايقة للفرض من بكاه ومنا بين الحصارين
وانهم كلا دبروا امراً دمرناه . وكلا حققوا كيذا بطلناه . وكلا قدموا منحنيقاً آخرناه
وعطلناه . وكلا ركبوا برجا احرقناه ، وكلا كنفوا حجباباً خرقناه . وكلا أوقدوا ناراً

للحرب أطفأها الله ، حتى لم يبق لمسكرهم مكر ولا لسكيدهم مجال ، ولم يتسقى في هذه المدة لهم حال . وقتل منهم في عدة دفعات زهاء خمسين ألف مقاتل * من فارس وراجل * ولم تلتك في استياعهم بالردى * وان حزب الضلال قد أقام حزب الهدى ، وحسبنا أنهم يبدون ، فاذا هم زائدون ، وظننا أنهم هالكون ، فاذا هم في نهج القتال سالكون ، وهم حطب نار الحرب ، وطعم الطعن والضرب ، وكلهم بذلوا أرواحهم على حب المقبرة ، وحصلوا تحت المعجز لزعيمهم أنهم يأتون بما فوق المقدرة ، ولما دخلت هذه السنة أشفقنا على من في عكا من الاصحاب والاجناد . وقتلنا هؤلاء قد بذلوا في الجهاد ما كان في وسعهم من الاجتهاد . ورأينا أن نجد للبلد البدل . وان نسد ونسد بما نستأنفه الحلة والحلل . وكان فيه أكثر من عشرة آلاف رجل * من كل ذر مشيخ وكمي بطل ، نفرج هؤلاء . ولم يدخل اليه مثل تلك العدة . ولم يكن أيضاً من دخل بذلك الجبد وبذلك الشدة ، فان البحر قبل استكمالها مع رايه ، وحمي جانبه ، ووصل العدو وعجل مراجه . فاكتفى البلد بمن فيه ومنه كفايه . واتكل على الله الذي عصمته من كل وائمة وقايه ، وجاءت ملوك الفرنج خلاف كل عام ، في جد واعترام . وحدوا اهتمام . وجمعوا هام . ونار تعجلها العدو من جهنمه وضرام . وغرام بالواقعة وعرام . واحتداد للحادثة واحتدام . وبأس واقدام . وناس وأفوام * وجشد ثلاث به سفنها * وأخلت منه مدنها * ووصل ملكا افرنيس وانكثير . وقد أحكما التدبير * وأجلبا بخيلهما ورجلهما . واناها بكل كل كلهما . وبركا بشقلهما * وزحفا بمجهدهما وجهلها . ووافوا بكل رج وثيق . وكل منجنيق كنبق ، وكل آلة هائلة . ودبابة للابلايا حاملة . وانصبوا ثلثة عشر منجنيقاً على موضع واحد . واهبطوا حجارات السور بكل حجر صاعد . وياشروا البشورة بالهدم . والخذق بالطم والسور بالنقب والتلم . وخرج من قناني البلد من ارتد عن الدين . واعان قناني الملاعين * حتي وقت ابدان السور وابعاجه . وتبادر الى التلم اعلام الكفر واعلاجه . واصحابنا مع ذلك ثابتون . ناكبون كابتون . قد سدوا تلك الثغر بنفوسهم . وجعلوا خجارات الفرنج وجراحاتها مغافر رؤوسهم . وكشفوا وجوههم لقبيل السهام . وتلفعوا من وقع بيضها بحجر التام * ترشف شفاه الشفار دماءهم . وتشكر ملائكة السماء سباحهم بالمعج وسخاءهم . كلما انتظموا مع العدو اتتر . وكلما نهضوا لتلقيه غتر . وكلما طلع اليهم ردوه . بفرهم . وكلما اجتمع به فرقوه بطنهم وضربهم . وهم يوافقون ويوافقون . ويكافحون ويكافحون

ويلا فحون • وكل قد وقف في موقف الكرام وسل نضله • وأثبت في مستنقع الموت
رجله • وودع للجنة في لقاء أهل النار أهله • نجاهم بعض الامراء الحيثاء • وأخذ
للحياة بترك الحياء • وفر من البلاء إلى البلاء • وحسب النجاة في النجاء • وهرب في
بركوس قد أعد له لذلك اليوم • وأثر على جراح السيف جراح السب واللوم • واستصحب
أمثاله واستنبح • وأبعد في فراره وأبدع • وأضعف بضعف قلبه قلوب الياقين • وأطمع
أفاعي الكفر في نهش الراقين • على أن الاصحاب ما آذنوا بالاصحاب • ولم يقابلوا الضراب
بالاضراب • وما زالوا يواصلون بالقواطع • ولا يرتاعون للروائع • ولا يرمون مقام
المقامع • ويطالبون من الارواح بالودائع • حتى انتقل القتال من السور إلى الدور ومن
القوارع إلى الشوارع • ودخل العدو المدينة على سلم بالحرب شبهه • وأمن أخوف
وأخطر من كربه • وقطعة فضيحه • كل مئة لها غير مستطيعه • ولولا ما اتفق بعد قضاء
الله من الاسباب الموهنة • لم تكن عكاه بالممكنة للعدو ولا المذعنة • وإن ذهبت المدينة
فالدین لم يذهب • وإن عطبت فالاسلام لم يعطب • وإن ملكت واحتلت فاحتل الملك •
وإن سلكت ووهت فاهي السلك • وإلما نبه الله بها الزائم الراقده • وأجري مباء
الهمم الراكده • وبث الحيات الناعسه • وحرك الخوات المتافسه • وكما أظهر عجزنا
عن قدرته وقدره • سيظهر عزنا بنصرتة وظفره • ونحن إلى الآن كما كنا محذقون
بمخادقهم • آخذون بمخاتقهم • نوسعهم الردى في مضائقهم • ونجذبهم في كل يوم إلى
مصارعهم • ونكدر بملق نعيمهم صفو مشاربهم ومشاربهم • فاخرج منهم من دخل
وما انقطع إلا من وصل • وما أحمر إلا من نديه عريسه وعمرسه • وما برز إلا من
واراه من بطون الخوامع رمسه • فهم مقيمون لا يرمون مخيمهم • ولا يرومون أن يهجرُوا
مخيمهم • وما أنسوا بمرايض المضارب • إلا لتفرتهم من مضارب القواضب • وهم مع
ذلك يرحفون نارة بالحروج إلى المصاف • وآونة بالهوض إلى بعض الاطراف • وفي كلا
القصدین إن شاء الله دمارهم المجل • وبوارهم المؤمل • فأنامترضهم أين واجهوا ولو اواجههم
أين اعترضوا • ونعترضهم أين نهضوا • ونثيرهم للموت أين رضوا • وربما غرهم عكاه
فطمحوا وطعموا • واتفقوا على المصاف واجتمعوا • ووقوا على نار الحرب وقوع
الفراس • وتوضوا مصارع أمثالهم والثرى لهم وثير الفرائس • فان برز العدو فالتون
له بارزه • والغزائم له مناجزه • والعساكر الاسلامية اليه وعليه زاحفة حافزه • والمجلس

أولى من يتخى ويحتمي * وإلى هذا المرام من قهر الكفر يرتقى ويتمى • ويصل بجمعه
اللهام الملتهم • وبجمره الملقب المضطرم • وبمجره المحدث المخدم • وشيقله الفائق ترائك
العدا • السافك السابك في نار الوغي سيائك الظبا • الحاص الحاصد بمحدود الشفارسابل
الطلي • وهو لاشك ينهض ويستنهض من وراءه • ويستدعى من إذا ناداه أجابه وجاءه •

﴿ ذكر لطف من الله في حق خفي ﴾

كان السلطان قبل استيلاء الفرنج على عكا بسنة قد عمل ترجمة تفرد بها القاضى
ابن قريش لمكتابته الاحباب • ليكتب بها اليهم ويعود بها الجواب • فلم يبق المكتابة
ابتداء وجوابا بخطي • وخرج حكم عكا في الكتابة عن شرطى • فقلت لاصحابي ما
صرف الله قلبي عن عكا الاوفى علمه ان الكفر يعود • وان التحوس تحملها وترحل
عنها السمود • واستعاذني الله من استعادتها • ووردها الى شقاوتها بعد سعادتها • ولقد
عصم الله قلبي وكلمى • وعرف شيم غايل الطافه من شيمي • وهذا قلم جمعت به
أشتات العلوم مدة عمرى • وما أجراه الله الا بأجرى • فالحمد لله الذى صانه • وعظم
شأنه • وما ضيع احسانه • وهو للفقه والفتيا • ومصالح الدين في الدنيا • وما صرف
الابصار • فاصرف الاعين صرف • وماسفاره الا في نجح • وما اسفاره الا عن صبح
وما تجارته الا لرب فهو بين الدولة وامنيها • ومعين الملة بل معيها • بمداده يستمد امدادها •
وبسداده للتفوق سداده • ودوائه دواء للمضلات • ويعقده حل المشكلات • ويخطه خط
عوادى الخطوب • وبقطبه قط هوادى القطوب • وببريه بره الامراض • وبدره در
الامراض • وبدره انتظام عقود العقول • وبدراره انقسام الاقبال والقبول • وبمجره
جرى الحياض للجهاد • وبسعيه سعى الاججاد للامجاد • وبمحرته سكون الدماء • وببركته
ركون الرجا • فما كان الله ليضعه في صون مالا يصونه • وعون من لا يمينه • تخفت على
عكا من وقوف قلبي عنها • وكان قد ألهمني الله فانه صانه ولم يصنها • وشكرت الله على
هذه اللطيفه • والمارقه الطريفه •

﴿ ذكر ما جرت عليه الحال بعد استيلاء الفرنج على عكا من الوقائع ﴾

وفي يوم الخميس انسلاخ جمادى الآخرة • خرج الفرنج من جانب البحر بالعدة
الوافره • وانتشروا بالمرج الى الآبار التي كان حفرها المسكر • فضرب القوس السلطاني

قتل المعثر وقام المحشر وأنهب الساطن الى السبك من قواه . وأتبعه بمدد تلاء . وقد
طار فخراب القبار . وتبرقت بالتراب عراب المضمار . وشبت الوغى بكل شوب تـالـع
سوي فارسها ركبا . وتمير الشمس من لـسـج حافرها تقاها . في غلب كالقواضب
يردون القواضب . وطوالع من الغروب يعدن في التوارب غوارب . وحل على ابطال
الباطل حاة الحق . فردوا الكفر بذلك الحرق المتسع مقسع العرق . ونهزم الفرنج
خفالت الرب دوسهم . وحالت بينهم وبين أسوارهم وأحالت عليهم منوسهم . وصرعوا
زهاء خمسين رجلا . كروا عليهم بكاسات المنون نهلا وعللا . وردوهم الى صراكرهم ولم
يبين تقادروهم فضل على حاجزهم . ثم كر الفرنج على المسلمين كرة عظيمة . كادت تحدث
هزيمة . فوقف اصحابنا وثبتوا ثم وثبوا . وأسعدوا نار الحديد وألمهوا . واظفروهم
بالقنا ونثروهم بالظبا . وفرشوا مهم قتلى على الربا . واحتبت سيوفهم بالاعناق والظلى
وحلت من حياة العدا الحبا . ودخل القوم الى خنادقهم ووقفوا وراء أسوارهم . بأنارة
عشرهم وآثار عثارهم . واتصف الاسلام من الكفر في ذلك اليوم بعض الاتصاف . وأخذ
يد التصر على المصافة بمصافة العراف . وفي يوم الجمعة ثامن رجب جات الرسل في تقرير
القطعية المقررة . اخلاص الجماعة المستأجرة . وأخبروا ان ملك افرسيس صار الى صور
ورتب الدوك نائبه وولاه الامور . وانه قد عزم على العود الى بلاده . بعد ما جري
الامر بكاء على مراده . وانه وكل المركيس في قبض نصيبه . ورضي بتديره وترتيبه .
فأنهب اليه السلطان وراه رسولا بحف تليق به . يستخرج ضارته فيما هو من أربه .
وتقل خيمته يوم السبت العاشر الى تل بازاء شفرم وراء التل الذي كان عليه نازلا .
وحلّى الموضع الذي حلّه وَخَلّى الذي أخلاه طائلا . وما زالت الرسل تتردد والرسالات
تجدد . والآراء والآراب تجتمع وتبدد . حتى أحضر مائة ألف دينار والاسارى المطلوبين
وصليب الصلבות . ليوصل ذلك كله الى الفرنج في الاجل المضروب والوقت الموقوت .
ووقع الخلاف في كيفية التسليم والتسلم . وكيف يحصل الوثوق بالكفار مع تحمل هذا
المغرم . فقال السلطان اسلمه اليكم على أن تطلقوا اصحابنا اجمعين . وتأخذوا بباقي
المال على سبيل الرهن قوما معينين . فابوا إلا أخذ الجميع . في الزمان السريع .
والوثوق بأمانهم وأمانتهم . والتفويض في اصحابنا الى خيـرتهم . فقلنا لهم تضمنكم الداوية
فما دخلوا في الضمان . وساء فيهم ظن السلطان . وقال إذا سلم اليهم من غير شرط

الاحتياط عليهم * كان فيه على الاسلام غبن عظيم * وطار الى الابد مقيم * فلو ايقنا خلاص
 أصحابنا * وعرفنا نجاتهم انتظام أسبابنا * سمعناهم في الحال ، بصلب الصليوت والاسارى
 والمال * وبقي الامر واقفاً الى أن لا تقضي الاجل * ولتهي التزم الاول . وجاء الرسل
 وأبصروا الاسارى حضوراً * والمال موزوناً موفوراً * وظنوا إن صليب الصليوت قد
 أرسل إلى دار الخلافة فليس له وجود * فسألوا إحضاره وهم شهود * فلما أحضر
 خروا له ساجدين * وأقروا به شاهدين * وعرفوا أن الشرط بالوفاء مقرون ، وإن
 الاداء بخلاص أسار انا مرهون * وظهرت علامات مكرم * ولاحت أمارات غدرهم *
 وفي يوم الاربعاء العشرين من رجب أخرج الفرنج الى ظاهر المريج خياماً ضربوها *
 وقباً نصبوها * وخرج ملك الانكثير الى خيمته * ومعه خلق من خياله ورجاله *

﴿ ذكر غدر ملك الانكثير وقتل المسلمين المأخوذين بكماء ﴾

وفي عصر يوم الثلاثاء سادس عشر رجب ركب الفرنجية بأسرها * وخرجت من
 مستقرها * وسارت بجيولها ورجلها * وجعلها وحفلها * وجاءت الى المريج الذي بين
 تل البياضية وتل كيسان * وفقد اليك وأخبر السلطان * وركب السكار نحوها متسابقة
 متلاحقة * وشامت صوارم صادقة وعزائم صادقة * وكان الملاعين قد أحضروا أسارى
 المسلمين * في الجبال واقفين * وحلوا عليهم وقتلهم بأجمعهم * وألقوهم على مصرعهم *
 فحمل عليهم السكرو هاجهم * وضرب بامواجه أمواجهم * وقتل منهم خلقاً * وأوسع
 فيهم خرقاً * واستشهد منا كردي حيدى وبدوى * وكلاهما من الموصوفين بالشجاعة
 وهو من ماء الرحمة على الكوثر روي * فلما انصرف العدو الى خيامه ، وركد الروع
 بئثار قتامة * شوهد المستشهدون بالعراء عرياناً * واتما عروا ليكتسوا من حلال الجنان التي
 أكرمهم الله بها وشيا * ومضي الناس اليهم ففرقوا معارفهم * ووصفوا في سبيل الله
 موافقهم * وما أكرمهم رجالاً * وأحسنهم في الشهادة والسعادة حالا * ولما غدر الفرنج
 بسفك الدماء * وهتك ستر الوفاء * تصرف السلطان في ذلك المال * وبسط فيه يد
 التوال * وأعاد أسارى الفرنج الى دمشق لتعاد الى أربابها * وترجع الى أيدي أصحابها *
 فاتهم كانوا جمعوا من أهل البلد للحاجة اليهم * فلما استغنى عنهم ردوا عليهم وأعيد صليب
 الصليوت الى الخزانه * لا للاعزاز بل للإهانة * فان غيظ الكفار بحفظنا * لصليب

شديد * والمصاب به عندهم على مر الجديدين جديد * وقد بذل فيه الروم ثم الكرج
بذولا * وأنفذوا بعد رسول رسولا * فما وجدوا قبولاً ولا صادفوا سولاً *
وفي يوم الخميس الثامن والعشرين من رجب فوضت الفرنج خيمها وعبرت النهر *
وقاربت البحر . وضربت بينهما الخيام * وأثبتت من الرماح المركوزة على سباعها وذباعها
الآجام * فقبل للسلطان * ما حركه القوم الا قصد عسقلان * فحاشت همومه وعب
عبابه * واجتمع بناديه لاجالة قداح الرأي اصحابه * وسح سحابه * وضح حسابه * وحكم
فأحكم * ويرى قارم * واشتار وأشار * واستثار وآثار * وأستوري زناد الآراء *
وامترى مراد الامراء * وقال هذا المدوطني واستكبر * وأصحى له الافق * وأفاق واصحر *
وقد تحرك بعد سكونه * وظهر بعد كونه * وغرته عكا فطعم في عسقلان * واسترق
جانبنا الحشن الشديد عليه واستلان * وهذه جموعه بارزه * وكوبه راكزه * وعوراته
باديه * وثوراته عاديه * ونكراته معروفه * وغسدراته موصوفه . وكنا نقول اذا برز
نارزه * واذا خرج تاجزه * واذا فارق مكانه تمكن من تفرقه * واذا ركب الطريق
نركب الى طريقه * واذا توجه الى موضع أوضنا الى مواجهته * وأغرينا السنة الاسنة
بعشافته ومسافته . والآل الآن الله لنا الشديد . وأدني علينا البعيد . وأخرج العدو
من الضيق الى السعة . وأبرزه من وراء الاسوار والحدائق الممتعة . وان لم نلقه في طريق
مسيره . ونجد في التدبير لتدميره . وصل الى عسقلان فصار لنا منها شغل عكا . وأصعب .
وحينئذ تعب . وصدعنا بها لايشعب . فقالوا هو يسير بالبحر محتثياً . وعن النهج منتثياً .
ويقصد الساحل الساحل . ويقتصر المراحل . والذي يلي الساحل في الطرق اما أجام وغياض
غلقه متأشب . واما رمال وتلال ضيقه متكتبه . وهناك مواضع يمكن فيها مضايقته على
المضايق . ومواقفه بالعوائق * فتقدم السلطان الى علم الدين سليمان بن جندر . وأمير من
أهل الخبرة آخر بالمسير الى تلك المناهج . ومشاهدة مالها من الخارج والمداخل . وكشف
المواضع التي ياتي فيها العدو . ويؤمل بمقاتلته فيها من الله الثصر المرجو . فساراً بنقضان
تلك المسالك ويكشفان الاماكن التي تكون معارك . وتتخذها لمبار المرام مبارك . ولمدار
المراد مدارك . وعادا وقد نظرا بقاع ويقاع وعيننا على أاماكن ومكامن . ومواطن
ومواطن . ووقع الاجماع على الاجتماع على اللقاء والقراع . في مذاهب تعمقت . ومسارب
نبئت * وسهول عرفت . ومهوت وصفت . وصمم العزم على أن الفرنج اذا ساروا سراً على

هراضهم* واستقمنا على جدد الجدد في اعتراضهم واعتراضهم *

﴿ ذكر رحيل الفرنج صوب عسقلان ورحيلنا للعراق ﴾

وفي سحرة الاحد غرة شعبان • أضرم الفرنج في منازلهم النيران • وأصبحوا على
الرحيل • والاصوات مختلطة بالصهيل • والارض مضطربة • والسماء محتجبة • والقباب
تقوض • والعياب تنفض • والجباب قتل • والهضاب تنقل • والذئاب تفسل • والزغف يقاض •
والخلف يخاض • والحيل تسرج • والسيل يمرج • وذوالب تنشر • وانبات الثواب
تكشر • ولواء اللوا، يعقد • وضرام الضراء يوقد • واليارق مختف • والبوارق
تألق • والدودو • والجوجو • وللحديد تبوج • وللعديد تبوج • وقد تارت الجواء •
وفارت الجأواء • ودجت الاضواء • ورجت الضوضاء • وسال الوادى • وعدت
العوادى • وسار الامادى • وعلم السلطان تديرهم • وعرف مسيرهم • فرعدت
كوساته • وغردت بوقاته • وصاحت طيوله • وساحت سيوله • وأنسجت ذيله •
وأصلخت خيوله • وبرقت ألومعه • وأشرفت طولعه • ومضت عزائمه • وومضت
صوارمه • وحلقت العقبان الى مطار مطارده • وتألقت الخرصان في معادل معاقده •
وسار وأرضه جرد الضوامر • وسماؤه تسج الحوافر • في بحار سواج بموج على شكاغها
اللعب • وغدران سوايف كالزال لملع الحباب • ومجر ملتهب الجوانب • مشتل القواضب •
وقب معقودة السائب • مقودة الجنائب • • معصوبة الهوادى هادية العصاب • وعرب
ملوية العمام بالشهب ملونة البرود بالقضب • وترك كالأقار في حالات التروك • وماليك في
حالات الملوك • عناق الوجوه على الوجيهمات العناق • قد خلقوا للثبات مع قلق الاخلاق •
وأحاج على العرب • هضاب على هضاب • وكرد يحصون الدروح محتمين • وبقباب اليب
مستعصمين • في مسرودة الحلق • مسدودة الحلق • تفقر عنها اللهام • وتقهره اذا
فلت بها الصوارم • وجيش يصيب العدو ولا يصاب • ويميع الاقران ولا يعاب • من كل
ناصر للحق على ضامر للسبق • خارق للتعق راقع للخرق • فائق للرق رائق للفق •
منق الى الضرب ضارب للفق • وفياق همه قلق الهام • وجحفل ملتهم للجحفل اللهم •
يحوي كل أغلب عبل الزراع • وأشم رجب الباع • خواض الكتائب • فياض القواضب •
رواض الرمان • نهضاض السنان • موار العنان • فوار الجنان • قائد الحيل زائد السيل •

رائد الليل * وهاجت العساكر وهاجت الزواجر * فزارت القساوير وأزهرت الزواهر *
وتناوحت جذبات الحديد وعذبات الحرير * واشتبه سهك الماذي بسبق العير * وكانت نوبة
اليزك في ذلك اليوم الملك الافضل * وهو في نجة الحيفل بدور ليل القسطل وشموس
يوم الحيفل * فوق لهم وفقاً أثرهم وألمهم بنيران النصال وأسحرمهم وقطع طريقهم *
وقصد تفرقهم * وسطا على أوساطهم * ونادي بإبراء زناد لإراطهم * فاقطعت أواخرهم
عن أوائلمهم * وسدد سهام المتون إلى مقاتلهم وأرهم اليهم الاجل * وأحرق عليهم العجل *
وطرق نحوهم الوحل * وانهمز من تقدم ولحق الاول وتعكس من تأخر وانخزل وانخزل،
وأوقد ناراً على أهلها مشعله * وترك تلك الوقعة للمجاهدين الحاضرين مشعله * ونفذ
إلى والده يستجده * حتى يسرع إليه مدده * ويقول إن أمددت بالف ما أقيت من
هؤلاء واحداً * ومتى يتفق مثل هذه الفرصه لو أري لي مساعداً * وترددت إلى السلطان
رسل استجداده واستمداده * وهو متحقق أنه لو ساعده القدر بالقدره لمري در التصر
على مراده * فسار من كان حاضراً من السكر على عزم لإنجاده وإسعاده * ثم قيل
للسلطان ما كنا ربكنا بنية المصاف في هذه المرحله * والتاس قد سبقوا إلى المنزل * وهناك
عند قبسارية الحرب أمكن * والقلب إلى انتهاء الفرصه أسكن * وأبطأوا عن الاصراخ *
فأذن روع الفرنج بالافراخ * وعرف ملك الانكتير بما تم على ساقته * وإن الذي وراءه
في عاقته * فصرف غنائه وصرف غناؤه * وعاد طاديا بجماه * فحبي بمدده أمداده *
والملك الافضل قد بذل وسعه * وأوضح في الجبد شرعه * وقتل من وصلت إليه يده *
ولقد كان يضعف عدد الاعداء لو تضاعف عدده * وبقي يتلطف على مافاته من الفرصه *
وأعوزه من حصه تلك الحصه * فقد أنهاض بانهاضه جناح الكفر * وكاد يتفتح لارتجائه
رتاج التجاح في النصر * ومن جملة من كان مع الملك الافضل من خواص الامراء والممالك *
سيف الدين يازكوج وعز الدين جرديك * واتفق قولهم على ان العدو كان قد انكسر *
وتبدد نظامه وتبتر * وأنه لو اتصل بهم مدد * لم يبق من الاعداء أحد * ونزلنا تلك الليلة
بالتقيمون * في الوقت الميمون * وعلى الساقة للنصورة لحفظ الاقتال لتؤمن على ما تخلف
فيها من العدو الغارة * علم الدين سليمان وحسام الدين بشاره ، ورحلنا يوم الاثنين ثاني
شعبان ونزلنا بقرية يقال لها الصباغين وتنا بمنزلة يقول لها عيون الاسود * وأمر السلطان
للمشورة بحضور أوليائه وأمرائه الإماجد الاجاود . والفرنج لما وصلوا الي حيفا وقد

وصل اليهم الحيف * وساق ساقهم السيف • وخلصوا من نواجد التصال • وأنياب
النبال • أقاموا بها حتي يتدمل جرحهم • ويستريح طليحهم • وتهب بعد الركود ربحهم
وركب السلطان الى الملاحة • وحى بعد حيفا منزلة القوم • وكشف ماحولها بالحو •
وعرف هل عليهم منها مدخل • وهل يصاب منهم فيها مقتل • ثم عاد الى منزلته وأقام
بها يوم الثلاثاء • وسير الاقال الى مجدل بإيالة الاربعاء • وأصبح راحلا • فاحل حياه
بأرض الأحياء ماحلا • ونزل على النهر الذي يجري الى قيساريه • وعسكره قد طبق
تلك البرية • وكان العدو قد تحول الى الملاحة • ومكث بها للاستراحة • وأقام السلطان
بتلك الناحية تحول من رابية الى رابية • ويرهف للقاء الفرنج بحضه وحته كل عزيزة
نايه • وأتي سرايا بأساري خطفوا من مواقعهم وقطفوا من منابئهم • وطرق
الانكدار الى نواقب ثوابهم • فامر باراقه دهم • واطاحة رجمهم • وأخبره بعض
الأسارى • انهم يوم رحلوا وصلوا الى حيفا حيارى • وطرح منهم وجرح كثير • سوى
من أخذ فهو الآن أسير • وهلك بين عكاه وحيفا أربعائة فرس • ونجوا منكم
بأنفسهم علي آخر نفس • ولو انكم كبستم كبستم • وأعرضتموه من الحياة لو انكم
بهم التبتسم •

فصل من كتاب الي مظهر الدين

بذكر ماجرى بعد الرحيل من عكاه الى هذه الناية لاستدعائه *

ولما فرغ العدو من شغل عكاه حسب ان كل بيضاء شحمه • وان كل سوداء لحمه •
فرحل على صوب حيفا واقعا في حيفه • باحثا عن حقه بظلفه • زاعما انه على قصد
عسقلان خذله الله وخيه في قصده وزعمه • وهو حاصل منا علي صده ورغمة • وكان
رحيلهم من سهل شعبان وملك انكثير قائدهم الى البوار • ووافد أهل النار الى النار •
ولقيناهم من بواترنا بواتر التبار • وقد رحلنا في عراضهم لاعتراضهم • وتثيرهم في
طريق انتهاضهم • ولقوا يوم رحيلهم من الزكية الزكية كل نكاية فيهم شديدة • وكل
روعة لهم مييدة • فاتهم قطعوا ساقه العدو عن اللحاق بمقدته • وفلوا عن الحدة في
الحركة حد عزمتهم • وقتلوا خيلا وخياله • وقوارس ورجاله • وقدروا وتمكنوا •
وجرحوا فاقنحوا • ونهبوا وسلبوا وأخذوا رؤوسا قلموها • ووقدوا نفوسا قلموها *

وغمموا أقشة وأسلحة • وحصوا من اللاحقين بهم قوادم وأجنحه • ونزلوا على نهر
 حيفا وقد تم عليهم الحيف • وتحكم في قلم السيف فاقموا الى هذه الغاية لمدواة جريحهم
 ومواراة طريحهم • واراحة طليحهم • واثارة ماركد من ريحهم • وقد رحلنا وسبقناهم
 الى طريقهم • عازمين على تبديدهم وتفريقهم • وتشتيتهم أيدي سبا وتمزيقهم • فقد
 تمكنت بتأييد الله أبدى الأيد من سيهم وقتلهم • والله يجمع شملنا لتفريق شملهم • وما
 يجده الله لنا بعد هذا اليوم من غبطة • ولاعدائنا من عبطة • الأونادر بشراه الى
 المجلس لتقوى في بصرتنا عزيمته • وتشيم بارق التوفيق في مواقفنا شيمته • وتروض
 مواحل الآمال مع أوان الديمة الربيعة ديمته • ويقفوا في سوق رواجه من الدين ماظن
 انه رخصت قيعته * وكيف لا يأخذ ذلك الكريم بشار الاسلام وقد سيئت من عكاه
 كريمته * واذا تأمل عرف ان الخطب عظيم وما لدفعه الا العظيم • والهم مقيم وما لرفعه
 الا بأسه المقعد المقيم • وسيفتضى دين هذا الدين الغريم الزعيم

﴿وقعة فيسارية﴾

وفي غدوة الاثنين تاسع شعبان • جاء من اخبر برحيل الفرنج السلطان • وانهم
 سائرون ناثرون • وعلى أجنحة الجرد طائرون • وحول رجالهم بخيلهم دائرون * وهم
 في جمع لهام • وقد انقسموا ثلثة أقسام • كل قسم واجله • بخيله محفوظ • وبأعين القسمين
 الآخرين من خلفه وقدماه ملحوظ • وكان السلطان تقدم من الليل • بركوب الخيل *
 فركب في كل خواض للغمرات • فياض بالغمزات • رواض للجامحات • نهاض بالجائحات *
 ملتئم مع اللثم بالثقع والدجى • ملتحف لولا الروع بالحلم والحجا • مقتحم في حومة الوغى *
 مضطرم بمجرة الظبا • على زرائع يتقلن الردى على صهواتها • وصواهل يقذفن الحما
 من لهواتها • ويكشفن الظلام بمجباتها • ويبارين الصفاح بصفحاتها • وتماسل الرماح
 باغصاقها وطلاتها • وفيهم من رجال الحلقة المنصورة كل سابق إلى التون على سابق *
 وكل تائق إلى المازق مازق • وكل طائر في النار على ساج • وكل غابق بالنجيع صابج •
 في عراب متعطية بالعراب • ووقاق متخطية إلى الرقاب • وسار المدووسر نائيره ونبايره *
 ومجترى عليه ونجاره • والجاليشيه ترمي وتدعي • وتصمم وتصمي • وطيور السهام تقصد
 من الاحداق أوكارها • والواتار تشد بالارتان أوتارها • وهم في لباس حديد سد على

السهم المنافذ • واشتك النشاب فيهم فاشبهوا قنافذ • وكانت هناك بركة كبيرة • ومياهها
غزيرة • وهم على عزم ورودها • والجاطقة بمحدودها • فحلاً ناهم عنها • وأبعدناهم منها •
وكان الحزم تركهم حتى يخرجوا إلى الفضاء • فدخلوا من تمكنتنا منهم تحت حكم القضاء •
لكنهم ارتابوا وارتاعوا • وطلبوا النزول بها فبا استطاعوا • فانحرفوا إلى الساحل •
وانصرفوا بالفارس والراجل • واجتمعوا سائرين • وساروا مجتمعين • وما زلنا نلزمهم
ونهمزهم • ونحفزهم ونخزهم • حتى تمت مرحلتهم • وعمت مقتلهم • وتثلثت الصفاح •
ومحطمت الرماح • وأجرت الانهار الجراح • وجري بالارواح السباح • وحضر السلطان
مع الجالبيه • تاجح الارادة نافذ المشيه • ونزلوا على نهر يقال له نهر القصب • وقد
انصبوا إلى النصب • وما كانوا يرجون • وما كادوا ينجون • ولما نزلت بهم في مسيرهم
التوازل نزلوا • وحين وليتهم نصالنا ومناصلنا انزلوا •

مقتل أياز الطويل

واستشهد في ذلك اليوم الهمام المقدام • الاسدالضرغام • الطاعن الضارب • الباسل
السالب • الفضنفر الهرماس • الفارس الفراس • أياز الطويل وطلما عرض نفسه في سوق
الشهادة • وأقدم لإقدام الساعي إلى السعاده • وكان إلى الصريح أسمع متتص • ولعطاس
التقع أسرع مشمت • وإلى ضيف الحمام أسبق متلفت • ولسيف الاقدام أرشق مضلت •
لا يروعه الروح إذا حفزته عزمته • ولا يهوله الهول إذ همت به همته • وهو أول من
يركب وآخر من ينزل • ويدبر سواء وهو يقبل • ويسابق إلى المضار ولا يمهل • وهو
أبدأ يدعو إلى المبارزه • ويمدو على المتاجزه • ويقف بين الصفين على صاقته • ويرحل
على مطايا الحنايا من بنات كنانته إلى مقاتل المقاتلين طعان ضفائنه • فابرز اليه لإلّا من
برزت اليه منونه • وفاضت بالدم من عيونه عيونه • فكف لكفر كفها • ويكفر
للتصر زفها • وأقف للشرك جده • وذى أقف للقتك صرعه • وله للفضنفر ضبعت
لثعالب رماحه • وطلية للمتفشم طنت فيها أذبة صفاحه • وأجفان للاقران نبئت فيها
أهداب سهامه • ووجوه للشجعان تفصلت في حساب حسامه • فلما جاءه الاجل ما أجل •
ولكن إلى الجنة به عجل • فان حصانه • خانه وما صانه • فمتر به في حالة الاقدام • وجلا
قره في هالة الحمام • ولم يخف لثقل الحديد للقيام • وطعن وضرب • وأتاه من الكوثر

سلسيله فشرب • ولما أدركه الاصحاب ألفوه • وقد فات • ورافق في عليين الاحياء في سبيل الله لا الاموات • وزلنا نحن بعد انقضاء الحرب على البركة • شديدي الشوكة حديدي الشكة • ثم رحلنا وزلنا على أعلى نهر القصب في أوله • وهو الذي نزل العدو في أسفله • وتقاربت ما بيننا تلك الليلة المسافه • وعندنا الامن وعند العدو الخفافه • ولما أصبح السلطان يوم الثلاثاء مكث على الثبات والهدوء • ينتظر ما يكون من خبر العدو • وأقام الفرنج على حالهم • تصبهم وكلاهم • ولا سباب منها جراحهم • عدموا منها مناج راحتهم • وكذلك ما ملكهم من رعب الهلاك • والابتراك في الارتباك •

وقعة لعز الدين بن المقدم

وكان عز الدين بن المقدم في ساقه اليزك • مستيقظاً للحفظ والدرك • فبصر بجماعة من الفرنج مقبلين • ركبو بغير عدة مسترسلين • ولاخبار عسكرنا مستترفين • وهم مما تم عليهم غير متخوفين • فبصر اليهم الهر من ورائهم • واستظهر عليهم في لقائهم • فقتل منهم عدة • ولقوا منه شدة • وأسر ثلثه • قبل أن ينالوا إغاثه • ثم ركب الفرنج اليه • وحملوا عليه • وكانت وقعة عظيمة • جلبت لنا غنيمة وعليهم هزيمة • وأحضر الاسارى عند السلطان • بحزام الذل والهوان • فاخبروا أنه جرح بالامس منهم الف • وسرى فيهم وهن وضعف • وقد جرى عليهم أمر عظيم • وبلاء مقعد مقيم • ورحلنا وقت الظهر • وعبرنا شعراء أرسوف في الطريق الوعر • وزلنا وقت غروب الشمس بعد الخروج من تلك المذاهب • على قرية يقال لها دير الراهب • ومضى السلطان جريده إلى قرب أرسوف • وأطال هناك الوقوف • حتى رأى أرضاً في طريق العدو تصلح لقاته • والاحداق به من أمامه وورائه • وأقام يوم الاربعاء في ذلك المنزل • والعدو في منزله الاول •

ذكر اجتماع الملك العادل وملك الانكيت

كان في اليزك علم الدين سليمان بن جندر • قد ظهر فيه واستظهر • فراسله العدو على أن يتحدث مع الملك العادل ويجمع به • وينزل على أربه ويعرب عن مطلبه • فاجتمعا يوم الخميس • على التأسيس • ثم تحدثا في الحوادث • وعواذي الحروب العوائث • وإن السلم متعبه • والسلام فيها متينه • والمصالحة مصلحة • والفائدة مترجه • قال وما جئنا إلا لأصراخ أهل الساحل • فوقنا في الشغل الشاغل • فان اصلحتهم واصطلحتهم •

استرحنا واسترحم * فقال له الملك العادل • ما الذي فيه تحاول وله تحاول * فقال رد
البلاء برد البلاد • وسلوك مسلك الاسعاف والاسعاد * فقال العادل هذا لامطعم فيه •
وهذا رسم باطل حقنا معفيه • ودون حدود البلاد حدود الحداد • وخطب القتام وخرط
القتاد • وصرف عنان صرف العناء إلى المتصرفين بالعناد • وأدركه حكم الحمية والحفيظة •
وعلى مرجل غيرته في الكلمات الكلمات الغليظة • وكان الترجمان بينهما، هنفري بن هنفري
فلما سمع ملك الانكتير ما راعه • ما استطاع سماعه • وثار ثورة المنقح المحرق • وآل
اجتماعهما إلى التفرق *

وقعة ارسوف

لما عرف السلطان من أخيه الملك العادل ما جرى بينهما وبين ذلك الطاغية • وأنه مصر
على تلك المباغى الباغية * جمع يوم الجمعة وقت الاصبح الاحباب * واستحضر من أسد
قابه من غاب * وأمر برحيل الاقبال * وأقام في رعيال الرجال • وركب في عجم نجاب •
وعرب على عراب * وكرد على جرد • وكل سابق ورد على سابق ورد • على خيل
من سبها آثار الطعن * وعلى جبهتها أنوار اليمين • باكباد غلاظ على العداء • ورقاق حداد
على الطلي • ونبل مصية لبان المصمم • ورماح لدن لذنبا ضغ الضيغم المعلم • فأقام العدو
بسواد قومه بياض يومه • وبات وقد فارق جفنيه غرارا فصله ونومه • فلما أسفر صباح
السبت رابع عشر شعبان • ركب العدو على صوب ارسوف وقد ضم الرجال والفرسان •
وهوساثر في ليل حالك • وسيل سالك * وخيل طالك * وحزب الشيطان وحرب الايمان *
وأصحاب الجحيم • وأقطاب الضلال الهمم * وخطاب الخطوب * وإنداب التدوب •
وكفأة الكفاح * وصفاء الصفاح * وأجناس الكفار * وإنجاس الداوية وأرجاس
الاستبار * وكل غيران غيروان * وأفعوان معقل أفعوان * وكل أرقم في جلد أرقم * وكل
أزرق أشقر على أدهم • فأخذت به أحلاف عساكرنا لإحداق الآثار بالهلقاء * وقتلت
بنسور ضوامرها الأرض إلى السماء * وخاضت الغمرات * وأفاضت الجمرات * وأفاظت
المهجات * وشبت نيران الهنديات * وأهبت رياح العربيات * وأهبت شعل اليمانيه *
وأهت بها مقل الفرنجيه • وجال عليهم في الجاليش * الترك على الاكاديش * وأحدثت
سهاهما كالأهداب بالأحداق • وبرزت بيضا لمعاقة الاعتاق • ولمع شرار النصال في دخان

العجاج * وخرقت بنات الحنايا الحرق حجاب الحجاج * وأفضي فيض ينابيع السبع إلى
 إجمال الاعلاج * فان الفرغ أغدوا في سيرهم وجدوا * واحتدموا واحتدوا وامتدوا *
 وقربت منهم الاطلاب * واختلط بهم الاصحاب * وتماقت الرقاق والرقاب * وأخرج
 القوم وقطعت بهم الاسباب * وقربوا من أرسوف * وقد لاقوا منا الخوف والخسوف *
 وضاق خناقهم * وحاق بهم إرهابهم * ونشبت الجاليدشية فيهم بالنشاب * وشبت نيران
 المرفة في أولئك الاوشاب ، فاحتلموا في جلودهم الجرح ، ومن أجلادهم الطرح ، ووجدوا الموت
 العالمي مسترخصا ، وأهتوا بالدمار ولم يجدوا مخلصا ، وعرفوا أن البلاء عليهم متصلة غير منفصلة ، وان
 قواهم لما فوق ما لقوه من التكاية غير محتملة * فحملوا على الاطلاب المتصورة حلة واحدة زحزحتها
 عن مواضعها * وكادت تحلها شوارع القنطاريات عن مشارعها * لكنها تحيزت الى القلب
 المنصور * وقازت من وجوه النصر بالصفور * واستشهد في تلك الفورة الثائرة * والثورة
 الفائرة * سعداء استقبلوا بالاسنة الاسنة * وأجابوا دعوة الله بان لهم الجنة * فما صرعوا
 حتى صرعوا * ولما أشرعت اليهم الراح أشرعوا * ثم كرت عليهم نجب الرجال كرة
 اردتهم وردتهم * وصدقهم عن الاستئان في جدد تلك الحملة وصدقهم * وفرست منهم
 فوارس * واتعست معاطس * وفرشت بالعراء لهم أشلاء * وأثخنوهم طعانا ورماء *
 فنزلوا في أرسوف وقد كسروا وخسروا * وقتل قوم منهم وأسروا * وفي ذلك اليوم
 ثبت على صدمة القوم الملك العادل سيف الدين * وحل في أصحابه أسد العرين * وسدد
 إلى نخورهم الشوارع ، وقلع منهم قلائع * وثبت عسكر الموصل * وكذلك قايماز
 التجمي في موضعه الأول * وكانت العساكر في شعراء أشبه * وشجراء مثشبه * فلما
 رأي العدو اندفاع المسلمين قدامهم * لم يأمن رجسهم وإقدامهم * فبادر وعبر أرسوف
 ونزل قرب آ من الماء * وبات السلطان تلك الليلة على نهر العوجاء ، وأقام العدويوم الاحد
 في موضعه * منكوبا بتبع تبعه * ثم رحل يوم الاثنين سائرا إلى ياقا * ليستدرك بها
 رطله ويتلافى * ونازلتهم العساكر بالنوازل إلى أن نزلوا * وقطعوا طرقاتهم حتى وصلوا *

فصل من كتاب السلطان الي الديوان العزيز

يشتمل على ذكر الوقائع المذكورة بعد الرحيل من عكا

روا في مواضع ما ليزك عليهم فيها - ميل . ولا لقداح القراع في مجالها جيل . وعساكرنا

نضايقتهم في كل مضيق . ونطرقهم بالبلاء بل الثنايا في كل طريق . وهم على البحر لا يفارقونه . ومن المورد الى المورد في كل مرحلة لا يتجاوزونه . فان المياه قريب بعضها من بعض ومسيرهم بمقدار مسافة مابين المنهلين . واذا لزوا لم يبعدوا بين المنهلين * وكانت لنا الى هذه الغاية معهم في كل بقعة . وقعه . وفي كل مرحلة . ومقله * وفي كل منزله . منازلهم . وأوردناهم الردي في كل مورد . وقصدناهم بالشدائد في كل مقصد وسبلنا حماهم للحمام في كل سبيل ، وساء صباحهم منا في كل مفدي ومقيل . وطريقهم على البحر كلها مضايق وأجم ورمال . ومواضع لا يتسع فيها بحال ولا يتأبأ قتال . وكلا وجدنا فسحة ضايقناهم . وأرهقنا حدود الغزائم والصوارم وأرهقناهم . وحجرت معهم عدة وقعات كاد الكفر فيها يبور . ودائرة السوء على أهله بنا تدور . وماء أهل النار يفيض بأسنا عليهم يغور . ولولا ان الله تعالى قد أخر مواعده في لصر أوليائه . وقهر أعدائه ، لوقع الفراغ من شغلهم . وشملت نعمته لنا بتبديد شملهم * فنها يوم رحيلهم عن عكاء أرحقتهم اليزكية الزكية * ونكأت فيها منهم الرمية بل المية . وكان الولد الافضل يومئذ متولى اليزك . فتولى أسرار لبب المعتزك . ووقف لهم في المضيق على الطريق * وبأشر جمعهم بالتفريق . وقطع آخرهم عن أولهم * وعاق الساقة عن الوصول الى منزلهم . وبتر وبناك . وقتك وهتك ، وقتل وسفك ، وطلب وأدرك . وعبر الفرج نهر حيفا لما دهمهم من الامر * واحتماوا بالمنزل الوعر * ووصل عسكرنا وقد تمنعوا بالنزول . وتجمعوا في الوغور عن السهول . ولم يبق اليهم نهج للوصول * وأقام الفرج في تلك المنزلة أياما * وقد نالت معاطسهم أرقاما ، حتى استجدوا عددا ، واستجدوا مددا . واستجدوا بمن وراءهم عددا * وأحكموا التدبير . واستأنفوا المسير * ومنها يوم انفصلهم عن قيسارية . بارتهم الرماة وبرتهم بالمبرية . وأخذت اليهم رسل المية . وقتلت منهم مقتلة جيدة . ولم تزل السهام الى مقاتلهم مصوبة مسددة * الى ان احتماوا بالنزول وحلوا عقد تلك البلية عنهم بالحلول . وقد قتل من خيلهم عدة ألف رأس . لم ينفصل راكمها الا وهو من ثوب التجيع كاس . ثم كانت المياه في طريقهم متقاربة المناهل * والمسافات غير متباعدة المنازل ، فاذا لزوا بالمنازل . ارتزوا الى المنزلة . ولانوا وهم أهل النار بلما ، * وقادهم العجز عن الاحتمال الى الاحتماء . ثم استقلوا منتصف شعبان سائرنا على البحر بعداتهم وعاديتهم . شاكين في ذمتهم متمعين بشوكهم وشكيتهم .

والخيل تجري بهم جريان السيل ، والراجل يلتف عليهم في مثل سواد الليل ، والمساكر
الاسلامية جائلة في عراضهم ، مائلة الى اعتراضهم . موقفة في مرامها . موقفة لسهامها .
محركة أهل الجحيم بضرامها ، ولما نشب فيهم النشاب واعجزهم وازعجهم واخرجهم
بكثرة الشكاية فيهم وارهبهم . كابروا وصابروا الى ان وصلوا ارسوف . وقد شارفوا
الحسوف وقاربوا الختوف . فحملوا بحملتهم حلة واحدة ، وجاؤا كالسحاب بارقة وراعه .
واندفعت الاطلاب الاسلامية امامها ، ولم تثبت قدامها . حتي ابعدوا بحملتهم في حملتهم .
وقردوا بحركتهم في مجرتهم ، وظنها السلطان هزيمة . وبانت بالمقابلة انها كانت هزيمة
فان القلب المنصور ثبت قلة للمتخير ، وموثلا للمتفرز التحرز . ووقف الاخ العادل
ثابتاً قلبه . ثابتاً طلبه . وكر عليهم في حربه ذوي الحمية . والاتف والايه ، والهمم
العلية ، كرهة ردتهم واردتهم . وصدفهم عن بلوغ الغاية وصدتهم ، فاستدركت ما فرط في
الذوبة من التوبة . واستمسكت بما استأنفت في العزيمة من القوة . وقتلت منهم كندا
كبيرا وعددا كثيرا . وعاد نظم هامهم بالعراء شيرا . ونزلوا بارسوف ، راغمي الانوف
قد قل جندهم . وقتل كندهم . وهذا طاغوتهم الهالك بسيف سيف الدين . كان
مطاع اولئك الملاعين . وابليس تلك الشياطين . والمعروف بسير جاك . واستمر حكمه
قبل وصول ملوك الامراك . ومحت حكمه عدة كثيرة من القوامص والبارونية . وفقد
امره على الداوية والاسبتارية . وكان من عظم شانه . وثقامة مكانه . انه يوم صرع قاتل
دونه جماعة من المقدمين المحتشمين فاقتل حتي قتلوا . ولا يذل روحه حتي بذلوا . وجزع
ملك الانكتير لمصرعه . وفزع من ورود مشرعه . ونزلت المساكر الاسلامية على الماء
وهو بعيد من عجم الكفار . وخيمت عليه بحكم الاضطراب . ثم رحلوا وقصدهم العسكر
فصادفهم بقرب يافا . وكل منهم استدرك بقصده لياها تلفه وتلافى . فجال دونهم لقدح
منونهم مجيلا . ومن جمعهم بقصمهم مديلا . وعلى قومهم بوقهم مجيلا . حتي باسطهم في
مياطينها . وخالطهم في يساينها ورباطهم بالاسود في عرينها . واسري الحين الى سراجينها .
فا وصلوا المدينة إلا وقد نخطفوا من حولها . واستولى الرعب على قلوبهم من بأس
الحرب وهولها . وخافوا من فريضة مسألة الشكاية وعولها . وما صدقوا كيف نجوا
وأفقتوا . وسكنوا فيها بنية الاستيطان وتبتوا . وعلموا أنهم إن خرجوا أخرجوا وإن
سلخوا هلكوا . وزعموا أنهم إذا صبروا ملكوا .

ذكر ما اعتمده السلطان بعد دخول القرنج الى يافا

رحل السلطان يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان ونزل بالرملة . واجتمعت الاتقال كلها به في تلك الرحلة . ورحل ليلا وأصبح على يني . وجاوزها إلى نهر أمر أن الحيام به تنبى . وزرنا بيني قبر أبي هريرة رضوان الله عليه . وتبادر الناس للتيمن به اليه * ورحل ونزل بظاهر عسقلان بعد العصر . وشرع فيها عزم عليه من الامر .

ذكر خراب عسقلان

لما نزل بالرملة أحضر عنده أخاه العادل وأكار الأمراء . وشاور في أمر عسقلان ذوى الآراء . فأشار علم الدين سليمان بن جندر بحرابها * للمعجز عن حفظها على ما بها . ووافق الجماعة . وقالوا قد ضاقت عن صونها الاستطاعة . فان هذه يافا وقد نزلوا بها وسكنوا فيها مدينة بين القدس وعسقلان متوسطة ولا سبيل إلى حفظ المدينتين . ولا تقي الحال بحماية البلدين . فان كل واحد منهما يحتاج في حفظه إلى عشرين ألف مقاتل . وإلى الاستكثار لاجل ذخائره من كل حاصل . فانظر إلى أصوب الرأيين فقدمه * وأبصر أخطر الداء بن قاحسه . واعمد إلى أشرف الموضعين فحصه وأحكمه . وتيقن أن عسقلان إذا وصلوا اليها وهي سالمة تسلموها . واستظفروا بها وأحكموها * وتقووا بها على سواها . وبلغوا من بشيتهم وبشيتهم إلى منهاها * واقتضت الآراء اقامة الملك العادل بقرب يافا مع عشرة من الأمراء . حتى إذا تحرك العدو كانوا منه على علم . ومن قصده على عزم . ووصل السلطان إلى عسقلان * وشرع في هدمها بكرة يوم الخميس تاسع عشر شعبان . ولو حفظت لكان حفظها متيقنا . وصونها يمكننا * لكن وجد كل له متجنبنا متجنبنا . وقد راعهم نوبة عكاء وحفظها ثلاث سنين . وعادت بعد ذلك بمضرة المسلمين . وقال من تملل واعتذر عن دخولها . وحل عقد عزمه عن خلولها . تدخلها أنت أو أحد أولادك * فدخلها أتباعا لمرادك . فحينئذ لم يجد بدا من قرض أسوارها . وغض أنوارها * وفض سوارها * وتنفية آثارها * وتطفيه ناراها * ولو كان وقع الاعتناء بابتائها * مذيوم قحها واقتنائها * لمبا تطرق إلى أيدها خلل * ولا إلى يدها شلل * ول إلى حدها فلل * ولا إلى ودعها ملل * وقد كنت ركبت اليها وطبقها * واستحسنتها واستلطفتها . ورأيت سورها قبل فضم سواره . ونورها قبل ذبول نواره . فما رأيت

أحسن منها ولا أحسن • ولا أحكم من مكانها ولا أمكن • وسكانها كانوا في رفاهيه •
 فانتقلوا منها على كراهيه • وباعوا أنفسهم الأعراف بالبحس الأمان • ونجموا بالاطوار والاطوان •
 وساعت أسواؤها • ونأت أنواؤها • وأناخت لأواؤها • وباخت أضواؤها • وسمع غناء
 المعاول في مغانيها المعوله • ورثت دائرة الزلزال في دورها المتزلزله • وناحت تلك
 النواحي • ومسحتها المساحي • وجرفت الجارف • وأخافها المخاوف • ونكرتها المعارف •
 وبهرجت الصيارف • ولتها التواعب • ونابتها الثواب • ونزلها التوازل • وغالها
 القوائل • وسقتها السوافي • وعفها العوافي • وخلت مدارس آياتها من التلاوه • وتخلت
 مجالس مكرماتها عن الطلاوه • وصوحت بجاني مبانيها • وطوحت معاني مغانيها •
 ودجت بجالي معاليها • وعادت مقاوى مقاريها • ووقفت على طولها واستوقفت • وأسيت
 عليها وأسفت • وتلتهت وتلهفت • وشاهدتها وقد حسرت وحفيت • وعفى سنا محاسنها
 وخفيت • وبكيت تلك الربوع • وأهدبت لسقياها الدموع • فلقد أصيب الاسلام بعروسها •
 وعبست الوجوه لمبوسها • حين نازق بوسها • فلما خلت مساكنها من سكانها •
 وتخلت بالبيوت رماد نيرانها • رحل السلطان يوم الثلاثاء ثاني شهر رمضان ونزل على
 يثي • بعد أن ترك سور عسقلان وقد تعذر أن يثي • ونزل يوم الأربعاء ثالث الشهر
 بالرملة • وتفصيل جميله باد على التفصيل والجله • وامر بتخريب حصنها وتخريب لد •
 وبذل كل في ذلك الجهد • وركب جريده إلى البيت المقدس وأنه يوم الخميس • وأعاد
 إليه رسم التأسيس • وخرج منه يوم الاثنين ثامن شهر رمضان بعد الظهر وبات في بيت
 نويه • وقد نال بما رتبته من مصالح القدس المثويه • وعاد إلى الحميم يوم الثلاثاء ضحوه •
 وقد أكل من كل ما رآه حظوه • وفي يوم الاثنين ثامن شهر رمضان وصل صاحب
 ملطية مزر الدين قيصر شاه بن قليج أرسلان • ملتجئا من أخيه وأبيه إلى السلطان •
 فلقاه الملك العادل • وجاءته منه الفواضل • وأقام في الخدمة السلطانية مده • واستجد
 بها جده • وقوة وشده • واستظهر بالمصاهر • وقوى منها بالمضاهر • فانه تزوج بابنة
 العادل • وعاد بتاريخ مستهل ذي القعدة تاجع الوسائل • *

وفي هذا التاريخ وهو الاثنين خرج ملك الانكثير في خيائه • شكرا • ليكون
 لحشاشه لهم وحطابة مخفرا • فخرج عليه الكمين • ونشب به اللين • وجري قتال
 عظيم • وكان لأصحابنا موقف كريم • وكاد الملك يؤخذ ويوقد • والطن في لبتة ينفذ •

فقداء فارس من أصحابه بنفسه . وشغل طاعته بما عليه من حسن لبسه . فاشتغل به وأسرته . وأقلت الدين وأخفى أثره ، وقتل وأسر من خياله جماعة . وانهزموا من أمر تلك الكرة الحاسرة وقلوبهم مرتاعه ، وجرت أيضاً يوم الجمعة ثاني عشر الشهر . حرب بين الزكية وبين أهل الكفر سفرت لنا بها وجوه النصر * وقتل مقدم لهم معروف . بالشجاعة موصوف . ورحل السلطان يوم السبت ثالث عشره ونزل على تل طال عند الطرون . وهي قلعة منيعة معجبة للغلثون والعيون . قامر بعدها وهدمها . وقتل غربها وتلها . وأشاع بها الاقامة . وأفاض فيها على السكر الكرم والكرامة . وتمكن الناس هناك من الاحتياط على الأتقال . وإنقاذ الجمال لنقل الازواد والنفال *

﴿ فصل من كتاب الى الديوان العزيز في وصف مطاولة ﴾

الحروب والجراح وفناء الخيل والعدد والسلاح ﴿

قد نهك السكر طول اليكار * وإنضاء قتال الكفار بالليل والنهار * لاسيا في هذه السنين الأربع . فانه لم يرج فيها عن مباشرة الحروب ومقاهرة الكروب على مصيف ولا مريع . ولا شتا ولا صاف . إلا حيث صف العدو وصاف . وقد تكررت عليه الزخوف . وتعثرت به الختوف . وتقلت منه السيوف . وتحلحلت به الصفوف . وتمحضت بأحاده الألوف . وتمحضت لحني يرضه وسمره من ورق الحديد الاخضر القطوف . حتى سئم ومل . وضجر وكل . وكم عقد عزمه وحل . وأهل فصله من دم الكفار وعمل . وأمل النصر فقال عبي ولعل . وأما خيوله فقد أجهدها الجهاد . وأنفذا الطراد . وقرى جلودها الجلاذ . وعزت منها لكثرة الجراح الحيات . وأعادت شهبها كئنا حدود البيض الحداد . وحيث داخلها الرعب من خروج الجروخ للجروح . وتقريق السهام منها بين الجسم والروح . صارت تنفر من رنة الحية . واة المبرية . كان عندها للاوتار أوتارا . ولطائرات التصال في لباتها أوكارا * أو كانها لما وأتاتها تباريا في المطار * ونجاريا في المضار * ثارت لادراك الثار * وهذا سبب ما حدث من الثغار . وما عادت الآن تدخل على راجل الكفار * وأما العدد فقد قعدت بالكلية وعدمت . وتكسرت وتحطمت . فتقصفت وقصبت وقصبت * وقتلت قبل القتال

بها وفي يد من استشهد استشهدت * وأما الشباب فاته قد فني * بعد أن أخذه من أخشابه جميع ما وجد واقني * وقد عدت أشجاره في منابها * وأعوزت أخشابه من منابها * وقضت الكنائس * وانقضت منه ومن كل ما يذخر الخرائن * وما تبحر الصناعات في الممالك بمصر والشام * وما يجري معها من بلاد الاسلام * يرون ويريشون * ويصلون ويعملون * ويكلمون ويحملون * واحتيج في هذه السنين التي استمر فيها القتال * إلى أعمال كثيرة لا يفي بها الصناعات ولا يرضها العمال * وحسبها أن نصلها أعدمت من حديدتها المعادن * وحات من دخايرها الاماكن * هذا والحلاد قائم باداء هذا الفرض وحده * مستهدف في قطع دابر المشركين غرضه وحده * وما استمر على مساعدته * وموازرته ومعاقبته * إلا صاحب الموصل وسنجار * وكلاهما عن سنن الاسعاف والاسعاد ما جار * فهو يحضر تارة بنفسه وآونة بولده * ويستمر من جدد الموازرة على جده * ويواظب بصدده وعدده * ومدده في مطاولة مدده *

﴿ ذكر ما تجدد ملك الانكثير من المراسلة والرغبة في المواصلة ﴾

وصلت رسل ملك الانكثير الى العادل بالمصافحة على المصافاة * والمواتاة في الموافاة * وموالاته الاستمرار على الموالات * والاخذ بالمهاداة * والترك للمهاداة * والمظاهره * بالمصاهره * وترددت الرسل أياما * وقصد الثاماة * وكاذت تحدث انتظاماً * وأستقر تزوج الملك العادل بأخت ملك الانكثير * وان يمولى عليهما من الجانبين في التدبير * على أن يحكم العادل في البلاد * ويجري فيها الامر على السداد * وتكون الامراة في القدس مقبلة مع زوجها * وشسها من قبوله في أوجها * ورضي العادل مقدي القرنج والداوية والاسبتار ببعض القرى * ولا يمكنهم من الحصون التي في الترا * ولا يقيم معها في القدس الا قسيسون وراهبان * ولهم من الأمان وإحسان * واستدعاني العادل والقاضي بهاء الدين بن شداد * وجماعة من الامراء من أهل الرأي والساد * وهم علم الدين سليمان بن جندر وسابق الدين عثمان وعز الدين بن المقدم وحسام الدين بشارة وقال لنا تمضون الى السلطان * وتخبرونه عن هذا الشأن * وتسألونه أن يحكم في هذه البلاد * وأنا ابذل فيها ما في وسع الاجتهاد * فلما جئنا الى السلطان عرف الصواب * وما آخر الجواب * وشهدنا عليه بالرضاء * وحسبنا أنه كل الفرض وإقضى * وذلك في يوم الاثنين تاسع عشرين رمضان وطاد

الرسول الى ملك الانكثير لفصل أمر الوصله • واراحة الجمله وازاحة العله • واعتقدنا ان هذا أمر قد تم • ونشر انضم • وصالح عم • وصلح أذم • وحكم مضي • واستحكم به الرضا • وإن الانثى تميل إلى الذكر • وتزول وساوس الفكر • وإن بركوب الفحل • النزول عن الدحل • وإن الشكر يجلب الشكر • ويبدل بالعرف الثكر • وإن الوقاع يؤمن من الوقائع • وإن القراع ينقضي باقتضاض القارح الفارح • وإن الحرب بكسر الحاء وحذف الباء سلم • وإن غرم العرس في السر يسر وغنم • وإن هذا الاخ لتلك الاخت كفو • وإن هذا القدر لاخرق المتسع رفو • وإن الكدر يقبه صفو • وإن الترويح ترويح • وتقوم لما فيه توييح • وشاع الذكر • وضاع النثر • وذاع السر • وبلغ الخبر إلى مقدمهم ورؤوسهم • فقصوه على قسوسهم • وعسروا على عروسهم • فجهبوا بالعذل والذع • ونجسوها بالقدرع والقذع • وقالوا لها كيف فجبجتنا بافجع ملم مؤلم • وتسلمين بضحك لمياضعة مسلم • فإن تنصر تبصر • وإن تسرع فأسرع • وإن أنى أيتناه • وإن أنى أيتناه • وإن خالف خلفناه • وإن حالف حالفناه • وأي وجه ههنا للاختلاف ، ونحن لاختلاف الدين ندين بالاختلاف • فرهبت بمد مارغبت • وبطلت بعد ما طلبت • وسلت بعد ما سألت • ونزت بعد ما نزلت • وكرهت وكانت شرهت • وكانتا كنتحت فودت أنها مرهت ، فأرسلت إلى الرسول وأقبلت عليه بالقبول • ثم تعلبت في القسم وأقسمت بالصليب ، أنها مجيئة إلى التقريب والتقريب • وإنما مساعة إلى التمكن ، لكن بشرط الموافقة في الدين • فأثف العادل وعدل عن استئناف الحديث • وأبى الله أن يجمع بين الطيب والحيث • واعتذر الملك بامتناع أخته ، وأنه في معالجتها وتعرف رضاها في وقته ، وكان قد استقر مع تمام العهد • وانتظام العقد ، مفادة كل أسير بأسير • كبير بكبير وصغير بصغير • وبشر أولياء الطاغوت بصليب الصابوت • فبطل التدبير • وعطل التقدير • وذلك ثاني يوم العيد •

وفي يوم العيد وهو الثلاثاء أعد السلطان من الليل خلع الأكبر حتى سارت إليهم بكره ، وأحدث بحسن احتيائه لكل عين وقلب قرة ومسرة ، ثم استدعاهم إلى مناهط • ونشر لهم بساط نشاطه • وجلس الملك معز الدين قيصر شاه بن قليج أرسلان عن يمينه • وأمنه بتقريبه وتمكينه • وإليه حسام الدين خضر أخو صاحب الموصل • ولهم منزلته دنو المنزل • وعلاء الدين ابن تايك الموصل عن يساره • وهو يؤثر باختصاصه

ويخصه بآثاره • ومجاهد الدين برهتس مقدم عسكر سنجار جالس • والا كابر كلهم هناك في منزله منافس • ثم تفرق الناس بأئس جامع • وعرف شائع • وعرف ضائع • ذكر نزول السلطان جريدة بالرملة ليقرب من العدو ومواقفته له في كل يوم تواتر الخبر بأن الفرنج على عزم الخروج • وانهم على الاجتماع في ذلك المروج • فسار يوم الاثنين سابع شوال • وقد اركب العسكر للقتال • فلما بلغ قبلى كنيسة الرملة جيل الحال حالي الجملة • خيم وبات • ونوى البيات والنبات • وجاء الخبر في غد • بأنه خرج العدو الى يازور في أوفر مدد • وتسارع العسكر اليهم • وتكاثروا عليهم • وقربوا من خيامهم • وأخذوا عليهم من ورائهم وأمامهم • وناسب يوم بالنشاب • وكثروهم بالابواب والاشواب • فركب الفرنج اليهم ركبة • أوجبت رهبة • وحلوا على الناس جملة واحدة • وحلت محاجة عليهم فاقدة • فاندفعوا بين أيديهم • فادركوا ضعافا طمعوا فيهم • وفقد من المسلمين ثلاثة بالشهادة • وكانت مسماهم الى السعادة • وكذلك في كل يوم يركب السلطان ما يخلو من وقعه • ولا بد للكفار فيها من صرعه •

ذكر وقعة الكمين

وفي ليلة الاربعاء سادس عشر شوال امر السلطان رجال الحلقة المنصورة • بأن يكمنوا في جهة عنها في المواضع المستورة • فكمنوا وامنوا وصبروا وانتظروا • وخرجت الفرنج للاحتشاش • وباشروا عثار انحصارهم في الاحجار بالانتماش • ولقيتهم اعراب على عراب • بصوارم في ايمانهم كلها بروق في سحاب • فركبت اليها من الخيام • ورجبت في ترجيب صدورها بصدور الحام • فاندفعت العرب امامها • وحقت اهزامها • وما قدرت على قصدموضع الكمين • لانسداد الطريق بالآساد الشم المرائين دون العرين • فرت العرب في جانب والكمين في جانب • والحبل تركض يسالب من سالب وناهب من ناهب • ونجا العرب • وفاهم الطلب • وحضروا بأسارى ونهاب • واقراس واسلاب • فأما اصحابنا في الكمين فاهم ابصروا الفرنج ناهضين وفي المترك را كنهين • بخرجوا على ظن انهم على قصدهم • فلما بصروا بهم نشبوا بردهم عن وردهم • وركضوا اليهم على بهد • فاتبوا الحيل بما جدوا فيه من احضار وشد • ووصلوا الى الفرنج والحياد قد رزحت • والقوى قد رزحت • فاضطروا الى القتال وقاتلوا على الاضطرار • وقتلوا

جماعة من كفاة الكفار . واستشهد ثلاثة من اللهاليك الخواص الكبار . وهم اياز المهرابي وجاولي القيدي وصارو * وسروا في جنات النعيم بما اليه صاروا * واسر من الفرنج فارسان ، عروقان . واحضرا عند السلطان * وافصلت الحرب وقت الظهور * وعاد حزب الاسلام عن حزب الكفر * وجلس السلطان والقلائع تعرض عليه * والحيل تقاد اليه * والاسارى يحضرون بين يديه . واخوه العادل عنده جالس * وكلاهما لأخيه مؤالس *

ذكر اجتماع العادل بملك الانكتير

وفي يوم الجمعة ثامن عشر شوال ضرب الملك العادل بقرب البرك لاجل ملك الانكتير ثلاث خيام * واعد فيها كل ما يراد من فاكهة وحلاوة وطعام . وحضر ملك الانكتير وطالت بينهما المحادثة * ودامت المناقاة والمناقاة * ثم افترقا عن موافقة اظهراها ومصادقة قرارها * ومضى الملك واستصحب معه الكاتب العادلي المعروف بالهنيعة ليفقد الاسارى الذين بيافا * ويتدارك امرهم ويثلافي * وكان قد وصل صاحب صيداء من صور برسالة المركيس * وانه يرغب في سلوك نهج التأيس . وان يكون للسلطان مصالحا * وله على الطاعة مصالحا * حتى يقوى يده على ملك الانكتير . وينفرد هو بالملك والتدبير * وعرف ملك الانكتير بالخال * فوصل رسوله أيضاً بالاحفاء بالسؤال . ومضى العادل مع صاحب صيداء الى المركيس على شرائط قررت . ونسخ أيمان حررت . وأما مراسلة الملك فلم تسفر عن المقصود . ولم يجز من تلونه الا على اليهود . وكلما أبرم عهداً نقضه ونكثه . وكلما قوم أمراً عكسه وعثته . وكلما قال قولاً رجح عنه . وكلما استودع سرّاً لم يصنه . وكلما قلنا بغي خان . وإذا خلنا انه يزين شان . وعن كل خزي أبان . وفي يوم الاحد سابع عشر شوال عاد السلطان الى الخيم بالثمن بالثبات والسكون . وفي يوم الخميس مستهل ذي القعدة سار ابن قليج ارسلان صاحب ملطيه مودعا وركب السلطان وسار معه مشيعا * وعقد له على ابنة الملك العادل بصدائق مائة ألف دينار . ومضى وقد حصل على ذخائر من استبشار واقتنار * واستبصار واستتار * ويسر ويسار ورحل الفرنج يوم السبت ثالث ذي القعدة وتقدموا الى الرملة ونزلوا بها * وخيموا في أقطارها وسهوبها . ولم لشك في أنهم على قصد القدس . بأهل الرجز والزجس .

وأقام السلطان وفي كل يوم له سرايا * للكفر منها رزايا • ولنا في كل يوم وقعة شديدة
وقصة بالكفر ميده • وما يخلو يوم من أسرى تقلد • وغنائم تستفاد • ثم توالى الأمطار •
وتوعرت السهول • وتوحلت الاوعار • فزم على الرحيل • وأمر بالتحويل •

﴿ ذكر الرحيل الى القدس يوم الجمعة الثالث والعشرين ذى القعدة ﴾

وركب السلطان يوم الجمعة والغيث نازل • والنصر شامل • وفضل الله متواصل •
ونحن معه سائرون • ومن بركة الجهاد الى بركة القدس صائرون • والقاضي بهاء الدين
ابن شداد يسائري • وفي مسألة من الخلاف يباحثني ويناطرنى • حتى وصلنا الى القدس
قبل العصر • وقد نشر للسلطان لواء النصر • ونزل بدار الاقصاء المجاورة لكنيسة قمامه •
ونوي بها الاقامة • وشرع في تحصين المدينة • لتحصيل السكينة • وصلى يوم الجمعة مستهل
ذى الحجة في قبة الصخرة • وضجت الالسة في الدعاء له بالنصر •

وفي يوم الاحد ثالث ذى الحجة وصل حسام الدين أبو الهيجاء من مصر • بعسكر
مجر • وتبعته بعد ذلك العساكر المصرية ووصل الخبر ب نزول الفرنج بالطرون • وأذن
ذلك بزاحم الافكار وتراجم القتون وترايل السكون • وجرت يوم الخميس سابع الشهر
وقمه • تم على المدور بها صرعه • فان السلطان نفذ تلك الليلة الى اليزك قريب بيت نوبه •
عدة من الفرسان مجرة لم يستصحبوا إلا حصنهم الجنوبي • فوقعوا على سرية للفرنج
فاستأصلوها • وأسروها وقتلوا • ووصلوا بزهاء خمسين اسير الى القدس • وعاد ذلك
منا يرد القلب وطيب النفس • وكانت بشرى عظيمة • ولحي كريمة • وحسن عيمه •
وكذلك سابق الدين صاحب شيز • ومن معه من العسكر واقعهم يوم العيد فقتل من
مقدمهم ستة واسر أربعة • وترك بالمركة منهم مصرعه • وحكسب منهم خيالا •
وكسبهم ويلا •

﴿ يوم عيد الاضحى بالقدس ﴾

كانت الوقفة بمكة يوم الجمعة في هذه السنة • وتضاعفت للحجيج الحسنة على الحسنه •
غير أن العيد بالقدس كان يوم الاحد • فلم ير ليلة الخميس الهلال أحد • ونصب السلطان
خارج قبة الصخرة الحركة الخاص • وصلى الناس في القبة العيد وملأوا حواشيها العراس •
ثم انصرف السلطان وقد بر عمله • ودر أمله • ووفر أجره • وأسفر فجره •

﴿ وقعة ﴾

في يوم الجمعة خامس عشر ذى الحجة اغار على طريق الفرنج بالرملة سيف الدين ياز كوج وعلم الدين قيصر • وكلاهما بجيد في الجهاد ولا بقصر • وأخذ غنائم وأموالا • وساقا خيلا وبغالاً • وكسبا احمالا وأثقالا • وأسرا ممن كان مع القافلة ثلاثين • ووقفوا بين يدي السلطان على ركب الدلجائين ، وتوالى على الفرنج النهوض والنهوب • وكسرت وكثرت منهم الكسوب • واستمرت فيهم الحروب • وزادت الكروب • وضاعت عليهم الارض • واستولى على عقود عزائمهم التقص • ورأوا أنهم قهروا فقهمقروا • وأحاط بهم البلاء من الجوانب فما صبروا ، ورحلوا الى الرملة عائدین ، وبالسهمول من الحزبون عائدین • فان التلوج دامت على أولئك الملوج ، وصدتهم عن الدخول والخروج • ونزلت بهمم التوازل في تلك المنازل • قفروا راحلين الى السواحل • وذلك في يوم الخميس الثامن والعشرين من ذى الحجة • فطابت قلوبنا بما وضع في النصر من المحبة • وثبت للحق على الباطل من الحجة *

﴿ ذكر ما اعتمده السلطان في عمارة القدس وحفر خندقه ﴾

﴿ وتجديد سورة واعادة رونقه ﴾

وفي هذا اليوم وصل من الموصل جماعة من الحجارين • وعندهم خمسون رجلا • اذا اجتمعوا قطعوا جيلا • وقد سيرهم صاحب الموصل الى القدس للعمل في الخندق وتسميق الحفر • والقطع في الصخر • وقد سفرهم بنفقة • وجعلهم من الاحسان على قس • واحصهم بمض خجابه • ونداهم بندي سحابه • وسير مع المتدوب مالا يفرقه عليهم في رأس كل شهر • وتعاهدهم في كل يوم بتفقد بر ، فاقاموا نصف سنة • وأتوا في صنعتهم بكل حسنة ، وصمم السلطان على حفر خندق جديد عميق • وانشاء سور ونيق • واحضر من اسارى الفرنج قريب الفين • ورتبهم في السماتين • وجدد أبراجا حربية من باب العمود الى باب المهراب • واتفق عليها من المال ما خرج عن الحساب • وبناها بالاحجار الكبار الثقال • فجاءت أرسى وأرسخ من الحيال • وكان الحجر الذي يقطع من الخندق يستعمل في بناء السور • واذا تكملت العمارة على ما رتبته للقدس المعمور • كان آمناً من قصد العدو المدحور • وفي عصمة الله من الخوف المذخور • وقسم بناء السور

في مواضعه على أولاده وأخيه الملك العادل وأمرائه . وصار يركب كل يوم ويحضر على بناءه * ويخرج الناس لمواقفته على حمل الحجر الى مواضع البناء * ويتولى ذلك بنفسه ويجماعة خواصه والأمراء * ويجمع لذلك العلماء والقضاة والصوفية * وخواص المسكر والاتباع والرعية والسوقية * وكنت أركب في غلماني وأتباعي * واحفظ قلب السلطان في نقل الحجر وأراعي ، فبني في أقرب مدة ما تمدر بناؤه في سنين * وبذل جهده في التحصين لتأمين المؤمنين *

﴿ ذكر من توفي من الأَكابر والمُروفين في هذه السنة ﴾

وفاة تقي الدين

توفي الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ابن أخي السلطان * يوم الجمعة تاسع عشر شهر رمضان . وهو على حصار ميلاز كرد من عمل أرمينية وقد سبق ذكر مسيره الى بلاد الجزيرة . لاستمداد الأمداد الكثيره * واستجداد الأنجاد . والاستجداد بالأنجاد . والجمع من جميع الجهات للجهاد * والموود سريماً بالجهود الجامعة والجموع الحاشده * والحيوش المترددة المتوافده * والجنود المتوافده * والقواضب القاصلة . والهواضب الهاطلة . وللمصالحين بالصفاح . والمختالين في اعطاف المراح بآطراف الرماح : والحاملين الجبال على الرياح * والمتعطشين الى أنجاع النجيع لارواء الأرواح . ومكث السلطان على انتظاره . متوجساً لأخباره . مستوخشاً من إبطائه . متمطشاً الى إنبائه * منتظراً لوفائه ، فلما أخذ الفرنج عكاه نسب ذلك اليه . واحتسب الله عليه *

فاما تقي الدين فانه عن له أن يمضي الى ميافارقين * واستمع بها عسكر ماوردين * ونفذ الى السويداء وانزعها من أيدي أمهاتها * واستحوذ على جميع ما بها . وحاصر مدينة حاني فتملكها * وكانت له مقاصد في ديار بكر فادركها * واقطع بلاداً من ولاية ابن قرا ارسلان وأقطعها * وأرعب القلوب بما ابتدأ به وابتدعه وروعهما . وتأخرت عنا بسبب ذلك عساكر ديار بكر * وحصلت منه على عذر وذمه * وراعت هيئته * وهبت روعته . ودبت الى الحواطر مخافة اخطاره * وشبت في القلوب لوافع ناره * وارتجت تلك الآجام من زاره * وأزورت من مزاره * ولبيت تلك البلاد بيلائه * وهابت الأعداء هبة أعدائه * وزلت الأقدام لافدائه * وانخفضت الاعلام لأعلامه . ولقي

عدله من جيلجور جيلة الجور * وأذهب بذهابه إليها فوران الفتة على الفور * ودخل
 قلب قلب * وحكم في عداتها القلب القضب * وقصد عسكره عسكر بكثر فكسره * ثم
 مروح بالاحسان وأطلق من أسره * فغار بكثر واشتمل ثار الانق أفعه * واعتلق بأذن الشف
 شفه * واتخذت حميته * وحيت نخوته * وغيره غيرته * وغيرته رعيته * وأودعته الهم حمة * وحركته
 حزمته * فاجتمعت جماعته وأمنه أمته * وما أرجأ له نجيح رجائه رجاله * وما أبطل له عن
 اعانته ابطاله * واجناه ثمر الطاعة اجناده * وانجاه بمجهد الاستطاعة انجاده * وجبر عسكراً
 مجراً * وساق الى الحرب مجراً * وارقد بالجمع جراً * وجلب بيضاً وسمرًا * ودهما وشقراً *
 وصوارم بترًا * وصواهل ضمراً * واتهض كنه وكناه * وحشد رعيته ورعاه * وذوي
 حميته وحفاه * وساكني ولايته وولائه * ونسوره وبفائه * وسباه وغنائه * ومثاه ورنائه *
 وشباعه وغرائه * وجاء في سواد اسود منه الجو * وانسد بظلامه الضوق * ونحلي بنجومه
 ليل المعجاج * ونحلي بسفوره صبح الهياج * واربق وارعد * ونحدر وتصدد * وسار
 بين الآكام بالآكام * وضاهي الاعلام بالاعلام * واذكي مذاكيه الحياذ * واجرى
 ضوامره وهوادها قد ملأت الوهاد * وأدني الى الآساد الآساد * وأغرى بالجلاد
 الاجلاد * وجذب الجلاح عرانه * وجلب الكفاح رطاه * وأشرع المراح رماحه *
 وأطلع في سني الصباح صفاحه * وماجت غدران دروعه * وهاجت غران جوعه *
 ومالت المران * وجالت الاقران * وسال المرات * ومرت السيول * وتسملت الوعور *
 وتوعرت السهول * وانقض القضاء * وانقض القضاء * واشتكت الارض من الخوافر
 الخوافر وقما * فأنارت لفرط تألمها على شرط نظلمها الى السماء نقماً * وحشت في وجه
 الفلك تراباً * وحشت الارباب الارباب طعاناً وضرباً * وخاف على خللاط واختلط
 من الخفاة * فقصر الى الملك المظفر طول المسافة * فله اعرف اصهار خادره * وانتشار
 بوادره * وانهاض قوادمه * وارتكاض صلادمه * وانقضاض شهب قواضيه * وانفضاض
 دهم سلاحيه * اصطف له بمن اصطفاه من الانجاد الانجاد * وفض على القضاء سبحانه
 الصحاب * وبسط على البسيطة رداء الردي * وأعدى بملوه على السدا * وبركب في كل
 ضرب يمد الضرب ضرباً من الضرب * وكل بطل لحق المبطل محق الطلب * وكل باسل
 سالب من كباش الاقران القرون * وكل حاسل بماسل يعين يلقي ويعون النون * وكل
 شجاع أشاجه وصائل القواطع * وكل قدام قوادمه عوائق الوقائع * وكل طائر بأجنحة

السوابق * زائر بأسلحة البوائق * حلق بخوافي الخوائق * مطرق لطارق الطوارق *
 وكل دمر مشيع ، بالذمار شجيح * وكل قاس قوسه طاطف * وكل راح لصله راعف *
 وكل صاد حزمه صادق * وكل رام لحظ سهمه الى المقاتل رامي * وأيد رجاء الرجال
 بأياديه . وقوى عزائم أوليائه لاضعاف أعديه . ورغب بالرغائب وأمل ضيوف الآمال .
 بفيوض أمواه المواهب * ونفى المتعنين * وأغلب المتعنين . وأقدم في كل مقدم مقدم .
 وضيق خروام * وهام هام * ومستقل أسمر برشف ظلم القلوب * ومشمول أبيض يكشف
 ظلم الحروب * وكل من يخال الطعن ضرب القداح والضرب بمجد السوام * وكل من
 ينال اعتزاز الجد بمجد الاعزاز * وكل من يمد ألقى البيض شقائق . ويصل بها اذا
 فارقت أعمادها للمرافق * وكل من عناه في يمين الجراح . وسنانه مرود عيون الجراح .
 وكل من ذبال سميره يلهب . وذباب مشرفه يضطرب . ووجوه صوارمه تبكي
 وتضحك * ويعون لماذمه قتلك وتبتك * ولحاظ سهامه عن حواجب قسيه ترمي *
 وسواعد سيوفه من أيدي الابد تمد وتدمي * وكل أشعث الهامة ذي همة * تشب صدع
 كل ملعة * وكل شهيم شيطمي . أباه حمي * مجرب محرب * مقرب على مقرب * مطهر
 على مطهر * جار بمرجم * بار بمخضم * ضار بارقم * جواد حلیم * محمد في الوغي
 جهلته * على جواد كريم * تدعو الى الردي سهلة * وكل بحر مستلئم بقدير ، وكل
 من عنده اذا لبس الحديد انه لابس حرير . فلما بصر عسكر خلاط بعسكره اختلط
 ودلو استدرك الغلط . وجاش وطاش ، ورام من عثرته الانتماش ، وولى هزيماً .
 ولوى هشياً . وأغم العسكر التقوى سلاحه وخيله . وجر على تراب الذلة ذيله . وظفر
 الملك المظفر بالملك ، وأسلم العدا الى الهلك . وقيد اليه أمراء أسروا ، وأحياء كسروا .
 فأطلق سراحيهم . واتهم بشرفاته جناحيهم ، ثم رحل من محراء موش . وساق الى
 خلاط الحيوش . ثم بدله من حصارها . فأقرها بسلب قرارها . وعرج على قلعة
 شميران فقشمر لها . وفتح مقفلها . وكان مجد الدين بن الموفق وزير خلاط بها عجبوا .
 ومن حياته يؤوساً . فخلصه واستخلصه . وكسر حق طار منه قصصه . وانه لمن أعجب
 القصص لو شرحت قصصه . ثم راح الى ميلاز كرد ونازلها بالتضييق . وقاتلها بالتجنيق
 وحشد اليها الامداد . وأورى فيها من عزائمه الزناد ، وجاءه عساكر ارض الروم منجدة
 من جده . موحدة لها من موحدة . تقدمها الملكة ماما خاتون بنت سلاط . كأنها في

الاهبة والايمة من ملوك سلجق . وفقد الى تقي الدين الجنود ، ووافقته السمود ، وخافه في غاباتها الاسود ، وضربت به العقول وعلقت به المقود . وتوطدت له البلاد وتوطأت . وتهيت وتهيات . واستدنته الممالك القاصيه . وأطاعته المقاصد العاصيه . وتشبثت له مسامع الاقطار بأقراط السمع والطاعة . وعم الاحمال تلك المحال ففض بما أفاضه من فواضله مجاعة الجماعة . ورجى وخشى . واعتنى وغشى . وامتلأت الطرق بالوفود والجنود . وتوالت اليه أمداد البأس والجود . فينا هو في غفلة من القدر . وغفوة من الكدر . وغرة من الغير ، وقد ألماه حديث الدنيا عن الحدث الداني ، وجني الحياة عن الموت الجاني . وزيادة الامل . عن زيارة الاجل ونزل المنى عن نوازل المنون ، وسكن الاتراب عن التراب المسكون . ظهر له سر الغيب المكتوم . وأدركه القضاء المحتوم . ومرض أياماً ثم قضى . وانقرض عهده واقضى . وكنم ولده الملك المنصور ناصر الدين محمد وفاته ، الى أن خرج من ذلك الاقليم وجارزه وفاته . وقمحت ميسلاز كردبها . وسلم الرب أربابها . وخرج ولد تقي الدين بمسكرو وماله سالماً . وجحد في مقام والده باظهار شماره قائماً . وجاءت رسله الى السلطان تسأله في إبقاء بلاد أبيه بيده . حتى يبقى مستمراً على جده . وطلب من السلطان . الميثاق له بأعلاظ الايمان . فلم يقبل الشرط واشتط فشط . وجلب له الشطط السخط . وأقام على التباعده ولم يتدارك بالوصول مامنه فرط . ونسبوه في استيحاشه الى العصيان ، وسعوا له في أسباب الحرمان * حتى انتخى له الملك العادل قضي لأحضاره . وجرى الامر على ايتاره . وسيأتى ذكر ذلك في حوادث سنة ثمان .

وتوفي في هذه السنة حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين

ابن أخت السلطان

توفي بدمشق ليلة الجمعة ناسع عشر شهر رمضان يوم وفاة تقي الدين فأصيب السلطان بابن أخيه وأخته في يوم واحد . وكلاهما له أقوي ساعد وأوقي مساعد ، فبأق من حسام أعمد . ومهام ألحد . وركن وهن . وكذب دفن ، وبجر غاض . ورزء هاض . وصبح كسف ، وبدر خسف . لقد غامت الايام لنفمه . وثكلته الدولة ثكل أمه . فانه كان واحدها . وعضدها ومعاضدها . وهو الذي فتح نابلس وأبغها السلطان معه .

وأبقى فيها من سنن العدل ما شرعه ، وقد سبق في الكرماء ذكره * وذكر في المسكارم سبقه وقرط حذقه . ووصفت مقاماته . وقت بصفاته . فان له مواقف في الجهاد مشكورة . ومقاطف لجني النصر مشهورة ، فقطع الاجل عليه طريق الامل . وأعاد حياة الزمان به الى الملل . وأوهن عقد شبابه الطري وحله . وثلم حد شباه الطير وفله . وما زال في غزواته مثيراً للتراب الى أن سكن عليه التراب وسكنه . وطالب النزي بحق خلقه معه فاسترحنه * وغارت عليه الأرض بانطلاق سموه الى السماء فاعتقلته . ووجدته في أوج الفلك في الثيرات فتقلته ، وما كان أذكاه وأذكاه ، وأجبهه وأجبهه . وأبهجه وأبهجه . وأضوعه وأضوعه . وأوعاه للفضائل وأحواه . ولقد فحمت به صديقاً صدوقاً . وشقيقاً شقيقاً . ورفيقاً رفيقاً . فلهي عليه من شهيم توطن التراب . وسهم أصيب بعد ما أصاب . وجواد بلا حساب لم يحط باليال من رزته حساب . لكل اجل كتاب .

وتوفي في هذه السنة علم الدين سليمان بن جندر وقد سبق ذكره في غزواته * ومواقفه ومقاماته * وكان في الخدمة مقبياً * والسلطان الى الانس به مستبياً * فرض له مرض استأذن لاجله في العود الى وطنه بحلب . وسمح له السلطان بحميم ما طلب . وتوجه من القدس سادس عشر ذى الحجة . واستقام على الحجة * وقضى حجه عند قبره من دمشق في قرية غباغب . وستر التراب منه المناقب * ووصل الخبر بوفاته الينا يوم الخميس ثامن عشرين الشهر *

وفي هذه السنة تلى بآتابك مظفر الدين قزل ارسلان ابن ايلدكز في همدان ليلة الاحد مستهل شعبان .

كان تولى الملك بعد وفاة أخيه المعروف بهلوان في سنة اثنتين وثمانين وخمسة ونبجحت ارادته * ورجحت سعادته * وصلحت طادته * وكان السلطان السلجوقي طغرل بن ارسلان تحت حكمه * وهو ابن أخيه لأمه * وله اسم السلطنة ولقزل حكمها * وله سموها ووسمها * قاتف السلطان من كونه تحت حجره . وبحكم نهيه وأمره . فانه لم يكن له صاحب ولا غلام الا من عنده . ولم يفرد منذ تولى بحله وعقده : فهرب وحسده تحت الليل * واتصل به بعد ذلك من انضم اليه من الخيل : ودام غالباً في نواحي داءقان مدة . واشتد مصابه وأصاب شدة . فاتصل به عدة من ممالك بهلوان الخواص * وساسكوا معه - نهج الاخلاص * وأعادوه الى سرير ملكه * واتسق أمره في سلكه * وقويت يده

وتأيدت قوته * واجتمعت كلمته * وتكلمت في الامر والنهي جماعته * ووجهه قزل ارسلان
ولازم ذعره * وأخذ منه حذره * وتنافس الامراء وممالك بهلوان الذين تبعوه * وأعلوا
شأنه ورفعوه * وسعى بعضهم ببعض * وقابلوا كل ابرام من مكرهم بنقض * وقالوا له
هؤلاء البهلوانية يقتلونك * وبالسوء ينالونك * قابضين بهم قبل أن يعطشوا * وعثرهم
قبل أن ينتعشوا * فسمع مقالهم * وتبع محالهم * وقتلهم بحضرة وهم غارون * وساءهم
باغتيالهم وهم بالمغلاة فيه سارون * فتفر منهم كل آفس * وحفظ نفسه كل منافس *
وزال بشره * وبقي بوجه عابس * وفارقه ذو البهلوان بجنائسه على ممالك أبيهم * ولقوه
بتأبهم * وقصده قزل ارسلان فأزعجه * وأخرجه من دار ملكه وأخرجه * وأجلس
سلطاناً آخر موضعه * وكدر عليه بالشوائب والنوائب مشرعه * وخطب لمز الدين
سنجر بن سليمان شاه وأطعمه وأطعمه * وأرضاه بالام * وأجراه على الرسم * وأكتب
سلطاناً وعقد له الصداقة بصدق الاعتقاد * وانتظمت بينهما اسباب الاتحاد * وكان
السلطان طفراً اذا خلت همدان من قزل ارسلان يعود اليها * ويستولي عليها * ثم اذا
عرف قربه بعد * واذا علم ببعده قعد * وشرع يقتل أصحابه بالهم * ويشدد في التهب لشدة
الهم * فقتل نحر الدين رئيس همدان * وبث العدوان * وقتل وزيره العزيز بن رضى
الدين المستوفي لاسر تومعه * ولخاطر لم يكشف مبهمة * فالحجأ الزمان الى الوصول الى
الامير حسن بن قفجاق * وشكا اليه من اهله وأصحابه الشقاق * فخرج معه وآزره
وضافره * وظاهره بعد أن صاهره * وزوج أخته منه * وحسى جانبه وذبح عنه * وراسل
سلطاناً قزل ارسلان حتى يصلحه * ويصالحه على الوفاء ويسامحه * وكاذ أن يتم الصلح *
ويسفر بعد ليل الفتنة الصبح * فلما تقارباً للمصالحة تحارباً * واتهم كل واحد منهما الآخر
فتوآباً * وأوقع قزل ارسلان به وبالتركان * وعادت الفتن ملتهباً للتيران * وساق السلطان
طفراً الى همدان * فضى وراءه قزل ارسلان * فخرج اليه ثقة بما سبق من الايمان *
فصرف عنه * وقبضه واعرض عنه واعترضه * وجسه في بعض القلاع * وأبعد عنه
وأثره عن الابصار والاسماع * فانسقت له المملكة * واستقر منه السكون والحركة *
وكانت أصفهان منذ توفي البهلوان قد اضطربت واحتربت * واقتربت الساعة بما وخرت *
وقتل في ثلاث اربع سنين منها في محاربة الدوام الوف * وتوالت بها حتوف وزخوف *
وكانت الشصن من جانب قزل على الشافيه * وقورا أيدي الترابية في تخريب المدرسة

التظاميه * فأحوجت الضرورة الى ان اصحابنا دعوا بشعار السلطان * ووجدوا القوة
 به امام قوته والامكان * فلما اعتقل طغرل * واستمر امر قزل * مضى الى
 اصفهان فأخذ رؤساء الاحباب في المحل * وأجرى عليهم القتل والاغتيال *
 ثم عاد الى همذان وقد قوى وروي * ونال ماهوى * ونشر من امره ما كان طوى *
 وجلس على سرير الملك وضرب الثوب الخس * ووجد بدم من يوحشه الانس * ولها
 ولعب * وشرب وطرب * وغفل عن القضاء المشقيه * ونام عن القدر المنقبه * واغتر بالعيش
 الرفه وحلم عن الخطب السفه * وبات في قصره * وقد غاب في سكره * وهو بين خدمه
 وحشمه * وعسسه * وحرسه * وعتقاه وارقاته * ومستخصيه * ومستخلصيه * فوجد
 على فراشه وهو قتل * ولم يذكر كيف قتل ولم يكن عليه سيدل * فلنسب قتله الى الاسماعيليه
 تارة والى الخاتون الابناخيه اخري * والله اعلم بما به حكمه اجرى * ولما أسمعوا
 قتلوا صاحب باب * وحل العقاب به دون اربابه * وجلس قتلغ اينانج بن البهلوان موضعه *
 وجمع له ملكه ومنعه * ومضى اخوه نصره الدين ابو بكر الى اذربيجان وارانيه سائقاً اليها
 واستولى عليها * واما السلطان قائم ايس منه * وسلامن كان يواليه عنه * فتصبت له امرأة
 متولى القلعة ودبرت في خلاصه * وهونت على زوجها امر استصماه واعتياصه * واستعانت
 بمن أطنها * وأعلنت باعلاء شأنها * ولما برز دخل مدينة تبريز * وكانما الكير اخرج
 الابرز * ثم جمع ومضى على سمت همذان * فلقى قتلغ اينانج وعسكره * بين أوه وزنجان *
 فكسره وهزمه * وقل حده وثلمه * ومضى الى همذان * وجلس على سرير ملكه
 وذلك في سنة ثمان * وسيأتى ذكر ذلك ان شاء الله *

وتوفى في هذه السنة بدمشق من المعروفين من اصحاب السلطان صفى الدين أبو الفتح
 ابن القابض وكانت وفاته في الثالث والعشرين من رجب ولقد كان سريراً * وبالحد
 حرياً * وفي حلبه المسكارم جرياً * ومن الحيانة في ولايته برياً * ومن المار صرياً * ولم يزل
 زند مضائاً ورياً * وكانت له سياسة ورياسة * ونفس وفاسه * ورأى وفراسه * وفطنة
 وكياسه * ومروءة وقوة * وثبات جنان وقوه * وكان قد خدم السلطان ايام عده * وهو
 في كفالة ابيه وعمه * فلما ملك مصر ارجه في امواله * وحكمه في اعمالها حتى نال المنى *
 ووجد الفنى * فقال له قد اكثفت واستغنيت * وان صرفت الآن ما باليت * فاصرفني عن
 العمل * فقد نلت غاية الامل * فعماش غنياً * ومات جشرباً * وورث السلطان بعض ماله *

وذلك ما فضل عن افضاله ، فانه فرق على ممالكه املاكه وماله . واخفى بعد وفاته بما بذله حاله . وفي هذه السنة في شهر ربيع الاول توفي الحكيم الموفق ابن مطران وكان بارعاً ظريفاً . لطيفاً عفيفاً . وفقه الله في بدايته لهداية الاسلام . ونال اسباب الاحترام . وتقدم عند السلطان . وما شانه كبر . وهو كبير الشأن . وكانت له دراية ودراسه . وذكاء وفراسه . ولم يزل متلطفاً في طبعه . متعلفاً بحبه . متحياً الى القلوب . متقبلاً من قبوله في المحبوب . صبيح البهجة فصيح اللهجة . صحيح الحجة بوضوح المحجة . ولم يزل له عند السلطان وذوى الجاه جاه . ولجده اتقا . ولدواؤه بالشفاء شفاء . حتى حان أجله . وخان اماله وبان عنه حلى حاله وبان عطاه . وكانت له عندي يد اذكروا واشكرها . وعارفة اصرفها ولا أنكرها . وذلك اني في ذي القعدة سنة ثمانين كنت متوجهاً في خدمة السلطان وفي صحبته متولياً للانشاء منفرداً بمرتبته . فلما وصلنا الى بعلبك انقطعت عندها لمرض عرض وشكا جوهرى المرض . واتمى اليه بدمشق ما ألم بي من الالم . فقسم فكره من خبر السقم . وركب ووصل في يومه حتى ادركني . ومرضني وماركني ودوائى حتى أبليت . وازال الله المحراف . مزاجي بطله فاعتسدت . ومحبني الى دمشق وسبق الى أوليائي بالبرسئ وشكرت الله على نعمي . وكذلك كان يطلب مرضاتي . في جميع مرضاتي . فلما مرض الطيب لم يجمع في مرضه الطب . وتوقاه الرب .

وفي آخر هذه السنة توفي الفقيه العالم الزاهد نجم الدين الجبوشاني بمصر وهو الذي بني المدرسة عند ضريح الامام الشافعي رضوان الله عليه وأجاسعار التوحيد . وبني أمره على التشديد والتسديد . وحفظ شمل الشافعية من التبديد . وكان السلطان محبباً له الى كل ما يستدعيه . ويقضي له من الخوائج ما يقتضيه . ووقف على المدرسة التي بناها وقوا وأعطاه في بنائها الوقا . فلما توفي طلب المدرسة جماعة من العلماء . فلقوا بالاباء . ثم شفع الملك العادل في صدر الدين على بن حمويه وهو شيخ الشيوخ . ويعرف في العلم والعمل بالرسوخ . فكتب بها له . ورتب بوقفها وتدريسها استقلاله . وذلك في أواخر سنة ثمان وثمانين ثم صرف بعد السلطان عن المدرسة ، وبدلت الوحشة من الالسة :

﴿ فصل كتب الى بعض الاكابر في الدخول الى القدس ﴾

اتفق دخول الشتاء ، وتواتر الانداء ، وتوافر الانواء ، وشح الارض وسح السماء ؟

واقطاع الجلب واتصال الفلاء • وبعد الراحة لقرب الاعداء • وملل الساكر لدوام الهيجاء • والمقارعة واللقاء وكانت مدينة القدس محتاجة الى توفر المهن على شحها بالرجال والميرة والقوة اولمدة والذخيرة ورأيناها من حسن المدن وأحصنا وأحكمها وأوجدناها جدتها بعد عدمها وربنا بناء سوارها على جوانب اودية وسفوح • متى تم لم يبق فيها لطمع من طموح • وهذا أمر لله وفي طاعته وحفظ بيته ولتصرة دينه ولاعلاء كلمته • ولحماية امته • وما لنا فيه الا السمسرة • وما رجاؤنا الا الاجر والمفقره • وما نصيب الا نصيب واحد من المسلمين المجدين • والمؤمنين المعدين للدين • فما أسعد من ساعد فيه • ووفي باسماف طافيه • وهذا والكفر قد اناخ بكلكله • وحفل بمجحفه • وبرز الى الاسلام بكلتيه • وعراء ببلتيه • وقامت قيامته لقيامته • ونار لئار قيامته • ورمى مهجته على الموت لمقبرته • والبيت المقدس الذي شرفه الله وكرمه • وعصمه كما عصم وحرّم حرمه • مقام الانبياء المرسلين • ومقر الاولياء والصديقين • وموضع معراج سيد المرسلين ورسول رب العالمين • وفيه نزل جبريل بالبراق • وصعد المصطفى صلى الله عليه وسلم • الى السبع الطباق • واهدى الله ليله الاسراء بحلول السراج النير فيه الاشراق الى الافاق • وهؤلاء الملاعين قد أغذوا لفصده • وأعدوا لورود وردة • وقد فرض في هذا الاوان رفض التواني • واستدعاء ذوى الحمية من الاقاصى والاداني • وان لم يتساعدوا في الربيع القابل • على انهاض الجحافل • صعب الامر واشتد • واحتدم الخطب واحتد •

﴿ فصل في شكر صاحب الموصل على انقاذ الجصاصين لحفر الخندق ﴾

قد اصبح البيت المقدس يقدس ويسبح • ويعرف عن فضيلة منجده ويفصح • فقد وصل الرجال الواصلون بالنتيج ارجاءه • الحامون بحفر خندقه ارجاءه • وماقيم الامن ابان عن حده • وابان مجده والان الشديد بشده • وتلم الحديد بشلم الصخر وهذه • وهذه لاشك مقدمة لما وراها من نتائج التجيدات • وجدوي سابقة للواحق في مناهج الجيدات • وعارفة معرفة في قم العداة باجراء العادات في انجاز العادات • وللمدوا انتظار لتجيدات بحرية وارقباب • وموضات جبر تحت رماد كيده يوشك ان يكون لها التهاب • والهمة السامية لا تقتصر في هذا الباعث الى باعث • وعند عزائم خديت كل حادث • وفي شهر ربيع الآخر من هذه السنة كتبت منشور حسام الدين سباروخ

النجي بولاية القدس

وكانت ولاية القدس مذ يسر الله فتحه * وحقق للامل فيه نجيحه * وأطلع ليل النصر
صبحه * الى الفقيه ضياء الدين عيسى مفوضه * وسماط أعماله وشباب أحواله بنصرة
آرأه ولصره آله مروضه * وقد استجاب فيه اخاه الظهير ظهيرا * ولم يزل رواؤه
وبهاؤه به شهيا شهيرا الى أن استشهد في شعبان سنة خمس وعشرين * وتوفي الفقيه عيسى
في ذى القعدة منها وانتقل الى عليين * فابقي السلطان نوابه من بعده * محافظة على عهده *
وكان الامير سياروخ بالقدس مقبلا * والنظر في مصالحه مستديما * وبضم من أمره ما يراه
منشورا * وكتبت له في التاريخ المذكور باستقلاله منشورا * الحمد لله الذي أقصى من
المسجد الأقصى من دناءة الكفر ودنسه * ونزه البيت المقدس من رجس أعدائه
المشركين بأبدي أوليائه الموحدين وطهره وقده * وانطلق محرابه ومنبره بتلاوة الذكر
المبين وأسكت الناقوس وأخرسه * نحمده على ما عصمه من الحوزة وخرسه * وفرجه من الشدة
ونفسه * ونسأله أن يصلي على نبيه محمد المصطفى الذي شرع الدين وشرحه ومهد الشرع
وأأسسه * وبطل الكفر وعطله وارغم الشرك واتسه * وعلى آله واصحابه الذين أعلى
الله بهم منار الحق واضفى ملبسه * واصفى مورده وازكى مغرسه * وبعد فانا مذ نتج
الله ثنائه المقدس وخفض باعلاء اعلامنا راية الكفر ونكس * وكسا بألمن أيا من وجه
الدين البشر من بعد ما كان تعبس * وخصنا بفضيلة فتحه وجعل لنا به الحظ الاجزل
الافضل الاكرم الانفس * ما نزال لطلب ولياً لله يكون له واليا * ويعود طاطله بتأثير
احسانه وحسن آثاره وايتاره حاليا * ويرجع بنظره الشافي وتديره الكافي ما انخفض
من منار الهدى حاليا * ولا يزال على بال منا أن نحجي به من رسوم الايمان ونجسد من
معالمه ما ظل بمقام اهل الضلال فيه دارساً باليا * وقد اختيرنا الامير حسام الدين فألفينا
لاهلية هذه الولاية جامعا * والى مضار السبق في هذه المكرمة مسارطا * ووجدناه
بأعباء الامانة ناهضا * ولزبد المناجحة والصحة فيه ما خضاً ما خضاً * فاستخرنا الله تعالى
وعولنا عليه في ولاية مدينة القدس وأعمالها * وعذقنا برأيه الراجح وسعيه التاجح مهام
اشغالها * وحكمتنا في تحصيل مصالحها * وتسهيل مناجحها * وسداد نفقها * وسداد
أمرها * ورعاية أمورها * وعمارة حريمها وسورها * وتطويل باع ساكنها * وتأهيل
رباع اماكنها * واسكان مواطنها * وتوطين مساكنها * وتظهيرها من أدناس أدني

الثاس • وتميرها بالعدة والعدة والشدة والقوة والباس • فليتول ذلك بقوة ناهضة ونهضة قوية • وروية مبصرة وبصيرة روية • وليستشر تقوى الله التي تقوى بها الزائم • وتوفر منها المحامد وتكمل المكارم • جارياً على مقتضى الشرع في كل ما يحله ويعقده • ويقدره ويعمده • ويصدره ويورده • وأقده عز وجل يوقفه ويسعده ويعضده •

ودخلت سنة ثمان وثمانين وخمسة والسلطان مقيم بالقدس في دار الافساء جوار قامه • واظهر بها لتقوية البلد الاقامه • وقد قميم سور البلد على أولاده • واخيه وأجناده • فشرعوا في انشاء سور جديد • محقق به مديد • وكان يركب كل يوم مصح • مشمس • مضح • فيقل الصخر على قبر بوس • سرجه • فيستن الاكابر والامراء في نقل الحجارات بنهجه • قلوا رأيت • وهو يحمل حجراً في حجره • لعرفت ان له قلباً كم حمل جبلا في فكره • ولقد جد في حماة الصخرة المقدسة حتى حمل لها الصخور • واتشرح صدره لانضمامها الى صدره حتى باشر صدور ممالكه بها الصدور • وما تفلو دار بينها في الجنة بتقل ججارتها • ليكون ملكا في دارها وقرأ في دارتها • وكل بناء قلت حجارتها • ووقفت عمارته • ركب وبكر اليه • وجمع الحجر بنفسه وأجناده عليه • فاذا اكتفى انتقل الى موضع آخر وقلع اليه الحجر • ولقد بني به في غرفات الجنات الحجر • وأثر روعة سيرته الحسنة منه الاثر • وما أعر احسانه واحسن ما عمر • ودوام البكور بالركوب وعرض وجهه الكريم للشحوب • والنزم الامر الزام الوجوب • ولان له الصخر ابن الحديد لداود • وجد في فض جدته واقاض الجود • وكان حجر الخندق سداً لا يتأني قطعه • ولا يتأكل آلة صدغه • فانتخذ من الفولاذ قطعاً • واخترع على الحدادين آلات • فأمكن الصلاد • ووهن الجلد • ويسر العصب • ولان الصلب • وصرخ الصخر • لما حاف الحفر • وضع الحديد لجلد الجلبود • وصفا قلب الصفا لاصاخة الصيخود • وأعولت الماويل • وجدلت الجنادل • وسمعت الصماء صوت السطو • وخرج جريح الاساءة اليها عن الاسو • وفلقت القطع وقطعت الفلق • واتسع الضيق وتعمق الخندق • وطاب العمل وطال الامل • وحز الحزم وحزن الحزن • وركنت القوة وقوي الركن • فلا ترى الاسوراً يعلو وحقداً يسفل • وبناء يسمو وحفراً ينزل • وبرجا يسقف • وبدنا يشرف • وحجارة تبني • وعمارة تبنى • وكلسا يحرق • وأسا يوثق • وطاqa يعقد • ورواقا يهد • وطلاقات تطلق • ومرامي تخرق • وستائر تمجر • وحفائر تعمير •

ومصاعده تهندس • وقواعد تؤسس • وهارج تسفح • ومخارج تفسح • ومواالج تسرب
ومسدارج ترقب • حتي أحكم المكان بكل مافي الامكان • واتصلت الابرار بالابدان
مشيدة الاركان • والسلطان يشرف في كل يوم • على عمل قوم • فيمدحهم باحسانهم
ويجازيهم باحسانه • ويعير جنان المتولي من قوة جناحه • ويدركه بما يستأنفه من عمله •
ويحلي بالفضل ما يبدو له من عطله • وكان ذلك دأبه مدة إقامته • وقد جد غرامه بفرامته
بل يرى أن كل مال ينفقه ذخير باق • وانه انفاق كريم فباتفاق • وما عنده خشية لملاق
بل يده جارية باطلاق جواز وأرزاق • وانه تنجى له أعماله الصالحة يوم يكشف عن
ساق • وان وفق الله واستمر مادبره في حفر الخندق وبناء السور • بقي بيت الله المقدس
مع الاسلام على ممر الدهور • ولا يبقى عليه لمسلم فرع • ولا فيه لكافر طمع • ولوطاش
بخت نصر لعرف مجزئه • وسلب عز الاسلام عزه • ورأى من المعجزات ما حيره • وقهر
عن البأس الذي إن ثبت له قهره • فسبحان الذي أقدر السلطان على ما أعجز عنه الملوك
وهدها من الفضل الي نهج ضلوا فيه السلوك •

﴿ ذكر الحوادث مع الفرنج في هذه السنة ﴾

رحل الفرنج يوم الثلاثاء ثالث الحرم من الرملة الى عسقلان ونزلوا يوم الاربعاء
بظاهرها • وتشاؤروا في اعادة عمارتها • وكان سيف الدين يازكوج وعلم الدين قيصر
والاسدية نازلين في بعض أعمالها • مجدين في نقل غلالها • وركب ملك الانكثير عصر
يوم الخميس • ومعه حزبه من جند إبليس • فشاهد دخاناً على البعد • وما عرف ماعنده
من المسكر المد • فساق متوجهاً الى تلك الجهة وجد • وتبعه عسكره وامتد • فاشعر
أصحابنا الا بالكسفة وقد بقت • فما ارتفعت قلوبهم بل ثبتت • وذلك وقت المغرب وهم
مجمعون على الأفطار • فارغة الافكار من شغل الكفار • وكانوا نازلين في موضعين •
مقيمين في منزلين • فلم ير العدو الا أحد القسمين فقصده بمجزئه • وأطلق عنه الحربه •
فعرف القسم الآخر هجوم العدو • فهجروا مهاد الهدو • وركبوا الى العدو فدفعوه حتي
ركب رفقائهم المقصودون • واجتمعوا وهم المسمودون • وردوا العدو شوطاً • وصبروا
عليه من عذاب القراع سوطاً • ثم تكاثر الفرنج عليهم • وتواصلوا وسبقوا اليهم • فاندفعوا
من بين أيديهم • والفرنج تبارهم • وساقوا أقاتلهم قدامهم • وقد ثبت حفظها على

الاندام أقدامهم . وما قد من أصحابنا ممن عرف الأوبه ؛ ونجا الباقون وخواطرهم
 لأجل أولئك متوزعة ، وكانت نوبة عظيمة دفع الله خطرهما ، وهون ضررها ،
 وبتاريخ الثلاثاء عاشر المحرم ركب السلطان على عادته في قفل الحجارة ، والحجد في العمارة ،
 ومعه الملوك أولاده والأمراء والقضاة والعلماء والصوفية والزهاد والاولياء . وخرج كل من
 بالبد . وجاء المدد بعد المدد . وهو قد حمل على سرجه . واستوي في نهجه . والناس
 يتقلون معه على خيولهم . في قفافهم وذبولهم . ولما دخل الظهر نزل في خيمة ضربها
 ولده الملك الظاهر بالصحراء . واحضر فيها السباط لمن يدعوه من الأمراء . فحضر على
 ذلك السباط . واحضر طعام مطابخه وبسطه على ذلك السباط . وكنت قد مضيت فردني*
 ويتقرب به امدني* فلما فرغ وفرغنا* وبلغ مراده وبلغنا . صلى هناك الظهر وركب
 طائدا الى داره* آيبا بآثاره وحسن آثاره* فانرا يسرور أسرارته وخير اختياره*

﴿ ذكر ثلث سرايا سرت وبرت وبرت ﴾

كان عز الدين جرديك تجرد في سرية سرية . بارية رقاب ذوي القلوب . من القل
 بربه . فاغارت يوم الاربعاء الحادى عشر من المحرم على يني* وفيها الفرنج بنية السكتي*
 فغمت اثني عشر اسيرا . وخيلا ودواب واثانا كثيرا*
 وفي يوم الثلاثاء ثاني سفر اغارت السرية وفيها جرديك . وعسكر القدس وجماعة من
 المماليك . على ظاهر عسقلان . واوفدت يتناصرها على الكفر الحذلان . وغمت ثلاثين
 اسيرا قيدت في الاغلال . سوى ما كبته من الحيل والبغال .

﴿ سرية فارس الدين ميمون القصري ﴾

بانت ليلة الاخذ رابع عشر صفر . بتل الجزر . وسرت حتى اصيبت على يني
 وكنت . وصبرت الى أن استرسلت الفرنج الى الطريق وأمنت . ثم ظهرت على قافلة
 للفرنج عبرت* فكبت وكسبت* وكسرت وأسرت* وأخفتها بأسرها مع رجالها*
 وبها وأحمالها واثالها* ثم أغارت على ياقا فقتلت وقتكت* وسفكت دما وهتكت ، وطادت
 بالفتية والسبايا ، واستنقت بنقودها عن النساء . وعجز جماعة من الاسارى عن المشى
 فضربت اعناقهم ، وأوجب ذلك للباقيين في المسير اعناقهم ، وطادت سالمة ساليه ، فاعمة غالبه*
 ﴿ ذكر خروج سيف الدين على بن أحمد المعروف بالمشطوب من الاسر ﴾

قرر على نفسه قطعة خمسين ألف دينار فأدى منها ثلثين * وأعطى رهاًن على عشرين ووصل الى القدس واجتمع بالسلطان يوم الخميس مستهل شهر ربيع الآخر * فقام اليه واعتقه وتلقاه بالوجه الباشر ، واقطعه نابلس واعمالها ، وحتى بيايته لها أحوالها ، وطاش الى آخر شوال من هذه السنة ، وتوفي الى رحمة الله بآعماله الحسنه ، فعين السلطان ثلث نابلس واعمالها لمصالح البيت المقدس . وتشيد ركن سورة للؤسس ، وأبقى باقيها على ولده * وتركه في تصرفه ويده .

﴿ نكتة ﴾

لما خرج المشطوب من الاسر * تلقاه ولده روي السرى قوي الازر * فوجده على زى أولاد الاتراك مضفور الشعر * فبدأ منه الانكار والاكبار * وقال ماللاكراد في شعورهم ، هذا الشمار * فقطع صغيره ، وقصر وفرته ، فطير الناس من قطع شعره على أبيه ، وقالوا هذا دليل مصابه الذى يأتيه *

﴿ هلاك الماركيس بصور ﴾

اضافة الاسقف بصور يوم الثلاثاء ثالث عشر ربيع الآخر فاستوفى رزقه لموافاة اجله ، ووصل الى الباب قاطعاً له ، وقد دعى الى جهنمه ، ومالك على انتظار مقدمه ، والجميع في ترقيبه ، والدرك الاسفل من النار في تلمبه والسعير في تسمره ، ولظلي في تلظها لتظره ، وقد قرب أن تكون الهاوية له حاويه ، والحامية عليه حاميه ، والزبانية في إسقاع العذاب به لمنزل الرجز يأتيه ، وقد فتحت اثار له أبوابها السبعة : وهى جالمة الى التهامه وهو ملته بالاكل يستوفي الشبمه ، فاكل وتقذى ، وما ذري أنه يتردى ، وأكل وشرب ، وشبع وطرب ، وخرج وركب ، فوثب عليه رجلان ؟ بل ذنبان أميطان . وسكنا حركته بالسكاكين ، ودكاه عند تلك الدكاكين ، وهرب أحدهما ودخل الكنيسة ، وقد أخرج النفس الحسيه ، وقال الماركيس وهو مجروح ؟ وفيه بقية روح ، احمقوني الى الكنيسة فحمله ، وظنوا أنهم حاطوه لما قالوه . فلما أبصره أحد الجارحين ؟ وثب اليه للاحين ، وزاده جرحاً على جرح ؟ وقرحاً على قرح ، فأخذ الفرنج الرقيقين ، فآلقوهما من القدائية الاسماعيليه مرتدين ، فسألوهما من وضعكما على تدبير هذا التدبير . فقالا ملك الانكثير ، وذكر عنهما أنهما تنصرا منذ ستة أشهر ، ودخلا في ترهب وتطهر : ولزما

البيع : والتزما الورع . وخدم أحدهما ابن بارزان والآخر صاحب صيداء لقربهما من
الركيس . واستحكما ملازمة أَسباب التآيس ، ثم علقا بركابه ، وقتكا به ؟ فقتلا شر
قتله ! وجهل عليهما أشد جهله ! فيألفه من كافرين سفكا دم كافر ! وفاجرين قسكا
بفاجر ! فلما ظل الركيس مركسا ! وفي جهنم منكبا منكسا ؟ تحكم ملك الانكتير في
صور ؟ وولاه الكند هري وعذق به الامور ! ودخل بالملكة زوجة الركيس في ليته !
وادعي انه أحق * بزوجه وكانت حاملا فلما منع الحمل من نكاحها وذلك أفضع من سفاحها ،
فقتل بعض رسلهم الى من ينسب الولد فقال يكون ولد الملكة . فانظر الى استباحة هذه الطائفة
المشركة ولم يصجنا قتل الركيس في هذه الحالة . وان كان من طواغيت الضلالة * لانه كان عدو
ملك الانكتير ، ومنازعه ، على الملك والسرير ، ومنافسه في القليل والكثير ، وهو يرسلنا
حق اساعده عليه ، وتنزع مأخذه من يديه وكلا سمع ملك الانكتير ان رسول الركيس
عند السلطان ممال الى المراسلة بالاستكانة والاذعان ، وأعاد الحديث في قرار الصلح ، وطمع
في ليل ضلاله بأسفار الصبح ، فلما قتل الركيس سكن روعه وروعه ، وذهب ضوره وضوعه ،
وطاب قلبه ، وآب له ، واستوى أمره ، واستقر شره ، وكان قد تعصب لمضادة الركيس
لاملك العتيق * فأظهر له ود الشفيق الشقيق * وولاه جزيرة قبرس وأعمالها وسدد
بسداده احتلالها . فلما هلك الركيس عرف انه قد اخطأ في تقويته * وخشى انه لا يسلم
من عاديته * ولا يأمن من خائفته * فلما عدم عدوه * وجد هدوه * وآب سكونه *
وتأب جنونه * وغاض غيظه * وحضه حظه * وقاض من منبع الشرك فظه * ومع هذا
لم يقطع محادثته * ولم يحدث مقاطعته * ومرى رسل مراسلته ورمى سهم محادثته
ومحادثته * ولم ينزل عن ادعاء صداقة الملك المادل وتصديق دعوته * وراسل في طلب
المنافسة على البلاد سوى القدس فانه يبق لنا بمدينته وقلعته * سوى كنيستهم المروفة بقمامه *
فانهم يمتقدونها لهم الدبابه * فأبى السلطان أن يقبل هذا القراز * وأبدي لهم الانكار
وسامهم ان ينزلوا عن يافا وعسقلان * ويأخذوا على ما يبيقي في أيديهم الآمان *

﴿ ذكر استيلاء الفرنج على قلعة الداروم ﴾

وهذه قلعة الداروم على حد مصر * وكانت منها مضرة كبيرة لما كانت مع الكفر
فلما فتحت حفظت وتركت وأقيمت وبالبره والذخائر والرجال ملئت * وخربت عسقلان

وغزة دونها * وتسلمها علم الدين يقصر على أن يصونها . فلما شرع الفرنج في
 احادة عمارة عسقلان ترددوا مراراً اليها * وداروا حولها وأشرفوا عليها . وأنفق
 السلطان في جماعة وقواها بها * وشدد بالنجدة قلوب أربابها * ثم نزل الفرنج عليها
 بقبضهم وقبضيتهم * وسمرمهم وببعضهم * وفارسهم وراجلهم * وصارمهم وذابلهم *
 وراصهم ونابلهم . واشتد زحفهم عليها * ونهوضهم اليها * عشية السبت تاسع جمادي
 الأولى بعد أن أخذوا فيها ثقباً وخرقوه * وحشوه وأحرقوه * وطلب أهلها
 الامان فلم يجدوا * وطلبوا من قيصر وجماعته النجدة فلم يجدوا . ولما عرف الوالى أنهم
 مأخوذون * وأنهم موقوفون موقودون * عمد الى الخيل والجمال والدواب فمركبها
 والى الذخائر فأضرمها وألهاها . وفتحوها بالسيف . وعرضوا أهلها على الخيف
 وأسروا منهم عدة يسيرة . وكانت هذه الثوبة على الاسلام كبيرة * ثم لم يلبثوا بها ولم
 يرغبوا فيها . ورحلوا عنها وتحوا عن نواحيها . ونزلوا على ماء يقال له الحسى . وقد
 طاش بهم الفي والبنى * وذلك في يوم الخميس رابع عشر الشهر . وقد أنسوا بما ظنوه
 من أسباب الغلبة والقهر . ثم تركوا خيامهم وساروا على قصد قلعة يقال لها مجدل الحباب *
 نخرجت عليهم أسد اليزكية المكنة من الغاب . فقاتلهم قتالا شديداً * وتركهم بمجدل
 الحديد بديداً . وفادرت حبل قصدهم الجديد جديداً . وكرت عليهم فكررت في ردهم
 عن جهتهم تردداً . وقتل منهم في جملة من قتل كند كبير . وآأأهم من مباريها لهم
 مير . وطادوا مفلولين مثوليين . مخذولين مهزومين . مثوليين مهزومين . ثم رحل
 الفرنج من الحسى يوم الاحد سابع عشر الشهر ونفروا فريحين وبهضم عاد الى عسقلان
 وبعضهم جاء الى بيت جبرين . فتقدم السلطان الى المساكر والامراء بأن يكونوا لهم
 مبارين . وفي يوم السبت الثالث والعشرين نزلوا بتل الصافية . بمجموعهم الوافرة الوافية .
 ونزلوا يوم الثلاثاء السادس والعشرين بالنطرون . فأرجفت الالسة بأنهم على قصد
 القدس على حسب تراجم الظنون * ثم ضربوا خيامهم يوم الاربعاء على بيت نوبه .
 واجتلبنا نيراتهم المشبوهة . وسرت منا اليهم السرايا * وتوالت عليهم البلايا * وأظهر
 السلطان مقامه بالقدس . لتبعد وحشة المقيم فيه من قربه بالانس . وفرق الابرار
 والابدان على الامراء والاجناد * وذوي القوة والاستعداد * وأمرهم بنقل الأزواد *
 ثم زال الرعب . وطاب القلب * وخرج الناس الى خيامهم يتخطفونهم . ويسفونهم

وتخيفونهم * وجرت وقعة بعد وقعة . وكبسنهم دفعة بعد دفعة . ومن ذلك أن بدر الدين لادرم كان في البركة ليلة الجمعة التاسع والعشرين . فبعث من أصحابه والعسكر الى طرفهم من يافا من لزم الكمين ، فجازت بهم فرسان من الفرنج . مستقيمون على النهج . فخرجوا عليهم وقتلوا وأسروا . وقازوا ونصروا . وفي يوم السبت نزل الناس إليهم وقتلهم في خيامهم * وألبوهم بضرامهم ، وركب العدو وساق الى قلونية وهي ضيعة من القدس على فرسخين . ثم عاد بأبد الشأن بادي الشين . وعساكرنا قدر كتبت أكتافه . وهي قطع أطرافه . وتمز أعطاف البيض لتحز أعطافه . وفي يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة ، خرج كيننا في طريق يافا على السابلة العسيرة . فظفروا وقازوا . وحووا وحازوا . وكسروا . وأسروا .

﴿ ذكر كبسة الفرنج عسكر مصر الواصل ﴾

كان السلطان يستحث عسكر مصر بكتبه ورسله * ويدعوه نجدة لاهل القدس على الكفر وأهله ، فضرب العسكر خيامه على بليس مدة حتى اجتمع الرفاق . وتها لمن تأخر عن السابق الاحاق * وانضم اليهم التجار * وحصل لهم بكثرتهم الاغترار * وللعديو لقدومهم الانتظار * وعنده بجواسيسه الاخبار * فجاء الخبر من البركة الى السلطان ليلة الاثنين التاسع من جمادى الآخرة ان العدو ملك الانكتير ركب في سبعمائة فارس وألف تركبول ومعه ألف راجل * وسار عصر يوم الاحد سير مخادع مخاتل . ولا يدري أى جانب قصد . ولاي نائب رصد . فجرد السلطان أمير آخر أسلم * خوفا على الواصل ليسلم . وندب معه العتبية وعدة من العادلية . وأمرهم بأن يأخذوا بالناس في طريق البرية . فعبروا على ماء الحصى . قبل وصول العدو اليه . واتصلوا بالقوم وأخبروهم بأنهم كشفوا الماء وليس أحده عليه * وكان مقدم العسكر المصري فلك الدين اخو العادل ولم يسأل عن المراحل والمنازل . وقصد أقرب الترك * وغفل عما يبرو من الفرق والفرق . وترك الاحمال على ترك اخرى سائر . ورأى الامنة ظاهرة واوجه السلامة سافره . وجاء ونزل على ماء يعرف بالحويلفة . والاماني تفره بالمواعيد الخفافه . ونادى تلك الليلة أنا حزنا مظان الخفافه * وفزنا بالسلامة من الآفة * فلا رحيل الى الصباح * فاهتز الناس بالنداء الصراح . وناموا مسترسلين . وباتوا متفلقين * فصبهم

المدو عند انشقاق الصبح بالصدمة الشاقة والحخدمة الحاقة • وعلق ابن ذكاه بأذكار بنت الداهية العاقبة • فجاءهم فجاءه • والصبح لم يبد أضاءه • والحيط الأبيض من الحيط الأسود لم يتبين • وهبوب الاعمين من هبوة الففوة لم يتعين • وكل غرار في جفنه قار • وكل قلب بأمنه سار • وكل جنب على فراش • وكل عاش له التماس فاش • فلما بقوا بهتوا • وطلبوا أن يفلتوا فما الفتوا • وركب كل منهم على وجهه • ورجا كركه • وفيهم من ركب بغير عدة حصانه • وأسلم اخوانه وغلماناه • وانهزموا نحو الاقال • فاقسوا المدو وهو وراءهم على الجبال والاحمال • فوقع المدو في سوابقها • واشتغل بها عن لواحقها • فتفرقت في البرية • وعاد معظمها الى الديار المصرية • ومنهم من عاج الى طريق الكرك • فلم يقع في الشرك • ولم يحصل في الدرك • فأخذ الكفار جمالا لا تعد • واحالا لا تحمد • وكانت هذه نكبة عظيمة • ونائبة عجيبة • ونوبة ذات نبوء • وكية ذات كيوه • ووقمة ذات روعة • وعولة ذات لوعة • فظنت الطنون • وأرجف المرجفون • وقالوا قد حصل للفرنج من الظاهر ما يملهم وينهضم • ومن المال ما يبطرهم ويحرضهم • ومن الآن يقابلهم • وبأي عسكري وعدة تقاناتهم • ووصل الجند مسلوين • متكويين متوئين • فسلامهم السلطان عن أموالهم • بما قوى من آمالهم • وحضهم على الحظ من الآخذ بشارهم • والجدي دمار القوم وبوارهم • ولها الملاعين بما ملأ العين من المال • عن القيل والقال والقتل والقتال • وحسلاهم ما حاولوه من الحال • وجرى هذا كله والملك الأفضل والملك العادل غائبان • وعساكر الموصل وسنجار وديار بكر متباطئة في الاتيان •

﴿ ذكر سبب غيبة العادل والأفضل وما جرى لهما من الاول ﴾

كان الملك الأفضل طلب من والده البلاد قاطع الفرات • ونزل عن جميع ماله من الولايات • وانه اذا عبر الى الرها وحران ملك تلك البلدان • وعنا له من بها من ملوك الاطراف ودان • ورحل من القدس في ثالث صفر وقد أزمع السفر • ووجه غزوه الماضي المضى • قد سفر • وأقام في دمشق حتى استمد • واستجدى من أبيه ما كمل به الخزانة واستجد • وأطلق له السلطان عشرين ألف دينار • سوى ما أحبهه برسم الخلع والتشريفات من مستعملات نياب ومصوغات نضار • ثم سار في بحر بحر سيل خيله جار ذيل نفعه على المجره • شاغل بالسير والسرى أسرار ذوي الاسره • بادبة على صفحات

صفاحه لضره التصرة * ووصل الى حلب * وقد مرى أفاويق التوفيق وحلب * واحتفل
 اخوه الملك الظاهر لقدمه * وقام له بستان الكرم ورسومه * ورحب للترحيب به صدره
 وجنايه * وسحب على روضه سحابه * وأحب فيض فضله محابه * ووقف لخدمته مائلا *
 وهز عطف الابهاج اليه مائلا * وأحضر له مفاتيح بلده * وقدم له كل ما في يده * ولم
 يبق من الجليل شيئاً الا عمله * ولا نوعاً من الفضيلة الا كله * وعرض عليه الحصن
 الراب * والتمحف والياب * وخلع على خواص أصحابه وعوام أجناده * وخصهم وعمهم
 من الجود بامداده * وعزل أن يسير معه الى الحجة التي يقصدها * ويساعده على الضالة
 التي يشدها * وسمع ناصر الدين بن تقي الدين بما أفلقه * ودفع منه الى ماله * وأرحقه *
 ووصل رسوله الى الملك العادل وهو بالقدس لاجيا الى ظله * راحياً لفضله * لاتذا بجنايه .
 فانذا بيباه * مستجيراً برباطه * مستجيباً لدعائه * مفوضاً ماحل به الى أنوار آرائه *
 مروضاً ماحل بانواء الآله . فاحتسب له واحتمله . وقوى على تقويته أمله * وخاطب السلطان
 في حقه واستطفه * وشفع في أمره واستشفعه . وقال انا امضي اليه وأستحضره . وأؤمنه
 بما يحذره . وتبقى هذه السنة عليه حران والرها . وتشهد من رجائه بذلك ما هو . وتمطيه
 في السنة الأخرى حماة والمرع . وتكفي للضررة والمرع . ثم قرر السلطان مع أخيه
 العادل ان يأخذ تلك البلاد ويحويها . وبذلك حوزتها ويحميها . ويكفيها .
 واستقر ان ينزل عن أقطاعاته بمصر ولصف خاصه . واذا أخذ تلك البلاد فما يحاوره
 يجتهد في استخلاصه . فايدي على الرضا بذلك وجه كراهيته واعتنايه . واستزاد قلعة
 جمبر . فتمنع الملك الظاهر من تسليمها حتى استظهر من أبيه بأضافها واستظهر . وقرر
 مسير الملك العادل في الشر الاول من جهادي الاولى وكتب السلطان بسود الملك الافضل
 خفا هذا راجعاً . وذهب ذاك مسارعا . ووصل الى حران والرها . ففاز من تدبيره
 بالنجح المشتهى . وباع من مراده الى أمد الأمل المنتهى . وعاد في آخر جهادي الآخرة
 وقد استمحب ابن تقي الدين . ووصل في هذا الشهر الى دمشق ابن صاحب الموصل
 علاء الدين وصاحب أمد ابن قرا ارسلان قطب الدين وعسكر صاحب سنجار ومقدمه
 مجاهد الدين يرتقش ؟ واجتمعت بدمشق في هذا الشهر عساكر بها الاسلام يأاس
 والكفر يستوحش ؟ وأقامت منظر مسير الملك العادل لتسير في خدمته * وتبجلى راياتها
 في مطلع رايته .

﴿ ذكر رحيل ملك الأنكتير صوب عكا، مظهر أنه على قصد ثغر بيروت ﴾

لما تعذر على الفرنج قصد القدس، وعرفوا أن مرضهم في التمسك، ورأوا أن ثغر بيروت قدر اهرام، وعراهم من القوة مامنه صراهم، وأنه قد قطع عليهم طريق البحر بمراكبه، وقد خفوا بمصائبه ونوابه فقالوا أخذ هذا البلد حين، وقصده متعين، وإذا حاصره جدينا السلطان وعساكره إلى جانبه وخلا القدس من جهة كتابه وجمرة مضاربه، فتبادر إليه من يافا وعسقلان، من يجد في تملكه الامكان، فلما عرف السلطان ما عزموا عليه من القصد، ودبروه من الكيد، أمر الملك الافضل بمباراة القوم في الرخيل، وقطعهم بكل سبيل عن تلك السبيل، وسبهم إلى مرج عيون، حتى اذا تبين من قصدهم المظنون، سبقت العساكر إلى بيروت ودخلتها، ونكت الفرنج ونكبتها وحولتها، وكتب السلطان إلى الساكر الواصلة إلى دمشق ان يكونوا مع ولده، وان يضموا أمدادهم إلى مدده، ونزل بمرج عيون والفرنج بعكا، بعد تجاوز ولم تعد.

﴿ ذكر نزول السلطان على مدينة يافا وفتحها ﴾

ولما رحل ملك الأنكتير وسار، وخلى وراءه الديار، ترك في مدينتي يافا وعسقلان، جمعا من منتخبي الرجال والفرسان، ووصاهم بالجلد، في حياة البلد، فانتز السلطان فرصة القية، وأوفد إلى مساعرجائهم غصة الحية، ونهض بمسكركه الحاضر، ولم يتجهل لانتظار الساكر، ووافي يافا ووافها بكيل المتجنق احجارا، واراق دماء، وساق دمارا، وزحف الناس، وحفز الباس، وفرغت المدينة، ورفعت منها السكينة، وقتل من بها ومسح، وأخذ ما بها وكسح، ووجدت الاحمال المأخوذة من قافلة مصر فأخذت وحملت، وعلت الأبدى والسيوف من الدماء والاموال ونهلت، ونقضت كنان، ولظفت خزان، واستخرجت دقان، وولجت مكان، وحصل استمتاعا بامتص، وانتفاعنا بكل منفعة، وامتلا البلد الكافر بالمسلمين، وبقيت القلعة وطلب حماها الامان ليكونوا لها مسلمين، وكان الناس قد سبقوا إليها، وقرب ان يستولوا عليها، وذلك يوم الجمعة العشرين من رجب، وقد شارف من فيها الشعب، فلما طلب الأمان رد الناس وكفوا فظن ان القنينة تصفوا، فانه خرج البطرك الكبير، ومعه جماعة من المقدمين الاكابر، على ان يدخلوا تحت حكم الاسار ويسلموا جميع المال والعدة والذخائر، على أن يطلق كل واحد منهم

بأسير، وبغدى صغير بصغير، وكبير بكبير. وشرعوا في الخروج آحادا وعشرات * وعصبا متفرقات في ساعات حتى دخل الليل فاستهلوا الى الصباح * وطالبوا واقترحوا من يقف لحفظهم فبذلنا لهم ما عينوه من الاقتراح * وما زال يخرج منهم من يستدعي زيادة التوثقه، وتسفيس خناقمهم بالمضايقات المرهقة * حتى وصل ملك الانكثير في البحر * في مراكب في سواد الليل بل ظلمة الكفر * ودخل هو القلعة من الجانب البحري ونادوا بشعار القدر، فاكفينا منهم بمن حصل في الاسر. وندنا كيف خرجت الاقمة من القم * ولا نفع بعد قوات القرصة للندم * ولو أن السلطان توقف في تأمينهم * واستمر على توهينهم، فلما تأسس تلك القلعة، ونقضت رقعة تلك البقعة * ولقد كان ذلك قبحاً عظيماً، فضلاً من الله عمنّا * فقد امتلأت الايدي بفنائم المدينة * ووهت اسباب قواهم المتينه * واستعيد ما نهوه من الكسبة المصرية * وفزنا بالفنائم السنيه * وقتل من أقام بالبلد وأسر * وكشط جلد تلك المدرّة وبشر * وحصل في اليد من مقدسى القلعة نيف وسبعون، وتركوا وهم بالنبور يدعون. وكان القصد في الاول رجوعهم عن قصد بيروت * وخشى على فرصة حفظها ان تقوت، فمن الله تعالى بمحصول المقصود * وفزنا بمجنى الجهاد بغير بذل المجهود، وجرى الامر على الوجه المحمود * وانما وقع التندم كيف لم يقع في أخذ القلعة التسرع والتقدم، فعاصت بعد الاذعان، وتمذرت بعد الامكان، وجمعت بعد الاصحاب * وجمعت بعد الاكتاب * وأقلت وقد وقعت في الحباله * واستقلت بعد المعثرة والاستقالة * وضعف الفرنج من تلك الكره * وأذن لنشاطهم بالفترة وما انتمشوا ولا انجبروا من تلك المعثرة والكسره * وعاد السلطان وخيم على التطرون * والعسكر قار القلوب قرير العيون وجاء اليه الملك الافضل ولده والملك العادل أخوه * وأسفرت بالसार الوجوه، وكان ولده الملك الظاهر أيضاً قد وصل * وفي هذه الفزاة خضر وبيها حصل * وكذلك كان قطب الدين سكرمان بن محمد بن قرا ارسلان حاضراً * وأخذ من السعادة حظاً وافراً، وحصل بيده جرج يش ان يؤسى * وظن تلك النعمة يؤسى * ثم اندمل جرحه * وفازت قداحه وحاز السقي قدحه وأقام السلطان حتى اجتمعت الساكر ولحقت أوائلها الأواخر * ووصل الملك المنصور ناصر الدين ابن تقيّه * في بيضه وسمره ومشرفيه وسمره * هذا والملك العادل متأخر في الحميم ؟ بسبب طارض السقم ولم الألم. ورجل السلطان ونزل بالرملة والساكر في عدد الرمل والاسلام قرير العين من اهله بجميع الشمل.

والفضاء قد امتلأ . والقضاء قد أجترأ ، والتقدير قد أسعد والسعيد قد قدر . والنصر قد أبدي الصفو وأذهب الكدر . وتلك البرية قد حوت البرية . وجمت العسكرية . وانكمت الجارية والكفاة الجربة . والاعراب والعرباب . والمحارب والحراب ، والاجاود والحياد * والاساود والآساد * والياض والسواد * والعدد والاعداد *

﴿ فصل في وصف الحال من كتاب الى الديوان العزيز ﴾

الخادم حاله على ما انتهاه غير مرة في مرابطة اهل الكفر مستمره . وأقارب النصر قد حفرها نارة وبكتها أخرى مستدره . والحرب سجال . وللإسلام في مضمار الظفر سجال . وقد تجاوزت القصة عن حد الانتهاء ، وكلما شارفت القضية الانتهاء ، طادت الى الابتداء ، والحادثة متصلة والواقعة مستقبله . والنعمة من الله في اجراء أولياته على أجل ماداته بأعجاز عداته في قمع عداته مؤمله ، وما ينقضى يوم الا عن نصرة تتجدد ، ولعمرة تتعهد . وجمع للعدو يتدد * وجمر لشكاية فيه يتوقد * وخد للسيف من حده بدم الشرك يتورد * وفتح بكر من الحرب العوان بلفاح البيض الذكور يتولد * وآخر ماتم في هذه الايام * من مرجحات الكفر ومهبجات الاسلام * حظوة حلوه . ونوبة ماله نوبة ، وهي أن الفرنج لما أعجزهم قصد البيت المقدس ، ولم يستقم لهم ما سولوه في الانفس . عكسوا زعمهم ، ونكسوا هزمهم . وطادوا خائبين * ونكسوا هائبين . واستأنفوا مكيدة أخرى * وشرعوا في شرخلف الشرك به يمرى ، واجمعوا على قصد مدينة بيروت ، وتآمر على الاتجاه نحوها اعداء الله اولياء الطاغوت * فسارت الساكر الاسلامية على مباراتهم . لمضايقتهم في مضايق طرقاتهم ، وتجرد الخادم في خواصه ووافي ياقا * موقناً من الله تعالى ان مدد نصره اليه يتوافى . وحمل اليها من معتقلى نبات الاسل ومشتعلى بنات الحلل الاسد والعربن * فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين ، فأخذها بالسيف عنوه ، وأعاد ضرام التيران بها حنح الليل فحوه ، وأثي القتل والتهب على من وجد فيها من الكفار * واستخرج ماله من الاموال والصدود والاذخار . وخلص من المسلمين من كان بها في الاسار ، وأفخت الفرنج فيها تبارى بالتأرب . وطلب من بالقلمة الامان على أن يسلموا ومن القتل ويستسلموا للأسر ، ونزل البطرق والقسطلان والمرشان وجماعة من المقدمين خرجوا ودخلوا تحت القهر . فينأهم مشغولون بالتزول . وينقطعون الى الوصول * جاءهم الفوت في البحر * وظهرت

منهم أمارة القدر * ورجع المدعو عن مقصده وردده الله وخذله * ونصر الاسلام وأخذ
له ، وسره بما يسره له وأجذله * ونال سيف الدمار من سيب دملهم عله ونهله * وكان
المقصود ردهم عن موردهم ، وصددهم عن مقصدهم ، فأراني ما قبضه الله من فتح الهدى
وحف المداعى الأرب ، واهتزت أعطاف اليض والسر المنتشية من كأس نعيمها الطرب .
والقوم الآن قد اشتغلوا بمصائبهم ، واجتمعوا لضم ما انتشر من أسبائهم ، وراسلوا في الصلح
على أن نخلي لهم عسقلان فما احببوا * وعلموا بجهلهم أنهم ما أصابوا فيما دبروه لادبارهم
فأصيبوا ؟ والساكر الاسلامية اليوم عليهم مجتمعه ، ومسالك المهالك لضافتهم ومضايقتهم
منسمة . وقد آن أن نحل ما قدمنا قلهم التي هي بمنته ؟ وكل ما يجده الله من علو يظهر . وعدو
يقهر ، ولنصر يزهر . واصل بالظفر يشور ، فهو ببركات الاستمسك بطاعة المواقب الشريفة
الامامية الناصرية وبحمد الله وبعين أيامها وفضل العامها دلالات النصر ظاهره ، وأسباب
الظهور متناصرة . ووجود الآمال بنشر نجاحها ويسر ما في اقتراحها سافره *

﴿ ذكر الهدنة العامة ﴾

لما عرف ملك الانكثير ان الساكر قد اجتمع . والخرق عليه قد اتسع ؟ وان
القدس قد امتنع . وان العذاب به وقع . خضع وخشع . وقصر الطمع . وعلم أنه لا قبل
له بمن أقبل ، ولا ثبات مع الجحفل وقد حفل ، فظهر أنه أن لم يهادن أقام واستقتل .
وللشر استقبال ، وانه عازم على العود الى بلاده . لأمور مردها يعود الى مراده ، والبحر
قد آن ان يمتع راكبه ، ويسم بالامواج غواربه ، فان هادئ وطاوعم تبعه هواى ،
وان حاربه وعصيم القيت همناعصاي واستقرت نواي ، وقد كل الفريقان ، ومل الرفيقان ،
وقد زلت عن القدس وأزل عن عسقلان ، ولا تفتروا بهذه الساكر المجتمعة من
الجهات . فان جمعنا في الشتاء الى الشتاء ، ونحن اذا أقنا على الشقاق والشقاء ، رمينا
أنفسنا على البلاء ، فاجبوا رغبتى ، وأسيبوا محبتي ، وأودعوني السهد ودعوني .
ووادعوني وودعوني ، فاحضر السلطان امرأه المشاورين وشاورهم في الأمر ، وأظهرهم
على السر ، واستطلع ما عندهم من الرأى ، وسرد لهم الحديث من المبادئ الى الفاي ؛
وقال لهم نحن بحمد الله في قوة ، وفي رقب نصرة مرجوء ، فأنصارتنا المهاجرون لنا
ذوو دين وكرم ومروء ، وقد ألفنا الجهاد ، وألفينا به المراد ، والفطام عن المألوف

صعب ، وما تصدع الى اليوم بتأييد الله لنا شعب ، وما لنا شغل ولا مفزي الا الفرو ، وما نحن ممن يشوقه اللعاب ويسوقه اللهو ، واذا تركنا هذا العمل فما العمل ، واذا صرفنا عنهم الأمل فقيم الامل ، وأخشى ان يأتي في حالة بطالتي الاجل ، ومن الف الحلية كيف يألوه المظل ، ورأي ان أخلف رأي الهدنة ورأيي ، وأقدم بتقديم الجهاد اعترازي واليه اعترائي * وما أنا بطالب البطالة * فأرغب عن استحالة هذه الحالة * وقد وزقت من هذا الشيء فأنا أئزمه * ولى بتأييد الله من الامر أجزءه وأخزمه . فقالوا له الامر على ما تذكره . والتدبير ما تراه والرأي ما تدبره * ولا يستمر الا ما تممه من الامر * ولا يستقر الا ما تقرر . وان التوفيق معك في كل ما تمقده ونحله وتورده وتصدره * غير انك لظفرت في حق نفسك من عادة السعادة * وارادة العباد * واقتناء الفضيلة الراجحة * والاعتناء بالوسيلة الناجحة * والانتف من المظلة * والمزوف للزله * وانك تجبد من نفسك القوة والاستمسك . ويعينك يعرفك بالاماني الادراك * فانظر الي أحوال البلاد فانها خربت وتشتعت * والرعايا فانها تمكست وتعلنت . والاجناد فانها لصبت ووصبت * والحياد فانها عطلت وعطبت * وقد أعوزت الملوقات * وهزت الاقوات ، وبسدت عنا العمارات * وغلت الفسلات * ولا جلب الا من الديار المصرية * مع ركوب الاخطار المهلكة في البرية * وهذا الاجتماع مظنة التفريق * ولا يدوم هذا الاتساع مع هذا الضيق فان المواد منقطعة * والحواد ممتممة . والمترب قد ترب . والمعمد قد عطب * والثبن اعمن من الثبر ، والشعير ليته وجد وان كان غالي السعر * وهؤلاء الفرنج اذا يتسوا من الهدنة بذلوا وسعهم في استفراغ المكنة واستنفاد المنة * وصبروا على المنية في طريق الامنية * وأبوا في الاقبال على دينهم قبول الدنية * والصواب ان نقبل من الله الآية التي أنزلها وهي قوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها * وحينئذ تعود الى البلاد سكانها وعمارها * وتكثر في مدة الهدنة غلاتها واثمارها * وتستجد الاجناد غدتها . وتستريح زمان السلم ومدتها فاذا عادت أيام الحرب عدنا . وقد استظهرنا وزدنا * ووجدنا القوت واللف * وعدنا المشاق والسكف * ففي أيام السلم نستمد للحرب * ونستجد أدوات الطعن والضرب * وليس ذلك تركا للمبادء * وانما هو للاستجداء والاستجداد والاستجداء * على ان الفرنج لا يخون * وعلى عهدهم لا يقفون * فاعقد الهدنة لجماعتهم لينحلوا ويتفرقوا * وقد شقوا بما لقوا * وما يقيم لهم بالساحل من يقدر على مقاومه ، ويستقل بالملأزمة . وما

زال الجماعة بالسلطان حتى رضي • وأجاب الى ما اقتضى • وكانت قد بقيت بين المسكرين منزلة واحد • والمعاجبات على الطلائع متعاقده • فلورحلتنا رحلتهم • وعلى الهلاك أحتلهم • لكن مباداة غلب • وأحيب ملك الانكثير من الصالح الى ما طلب • فحضرت لانشاء عقد الهدنة • وكنت نسختها ، وعينت مدتها • وعينت قضيتها ، وذلك في يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين للوافق لاول ايلول لمدة ثلث سنين وثمانية أشهر ، وحسبوا أن وقت الاتفاق يوافق وصولهم من البحر ، وتتصل أمدادهم على الحشد والحشر ، وعقدت هدنة طامة في البر والبحر ، والسهل والوعر والبدو والحضر • وجعل لهم من يافا الى قيسارية الى عكا الى صور • وأبدوا بما تركوه من البلاد التي كانت معهم القبطة والسرور • وأدخلوا في الصلح طرابلس وانطاكية • والاعمال الدانية والثانية •

﴿ فصل من كتاب الى الديوان العزيز في شرح نوبة يافا ﴾

﴿ ثم إفضاء الامر الى عقد الهدنة ﴾

قد سبقت مطالعة الحادى باتهاء حاله • وما هو لا يزال مستمراً عليه من جهاد العدو وقتاله • وما كان عليه الكفر من الجمع الملتهم والجهر الملتب • والحشر والحشد المضطرم المضطرب • وانهم قد اجتمعوا على قصد البيت المقدس • وهزموا على بذل المصونين من الثغالب والافنس • وسلكوا في القصد كل طريق • وتوافوا وتوافدوا من كل فج عميق • ودنوا على ظن ان جنى الفتح لهم دان ، وان شبا الختف عنهم وان • ولما قربوا صرخوا أن المرمى بعيد المرام • وانهم لا يستطيعون مقاومة عسكر الاسلام • فكسوا على اعقابهم • ونكسوا ماضريه من آرائهم وآراهم • وعلموا عني ما جهلوه • وقطعوا من أسباب النزم ما وصلوه • ونكثوا من عقد القصد ما ابرموه • وشرعوا في امر آخر توهموه • ومضوا واستأنفوا الاستعداد • واستنفضوا الامداد ، وحصنوا بلادهم • وجمعوا فيها طرافهم وتلادهم • وشحنوا عسقلان ويافا بالقوة الجامعة • والعدة الناقمة ، والشوكة الرادعة • والشكة القاطمة • واستظفروا فيها بكل ما قدروا عليه من المنعة الحامية • ورجال الصبر على النار الحامية • ثم ساروا بمحشودهم المجموعة وجوعهم المحشودة • وظلال الضلال الممدودة • وبلال الصلاد المقودة • مستطرى شايب الانايب • مستفري سراحين المراحيب ، وتوجهوا على سمت نهر بيروت بنية الحصر • وغفلوا عما اجراه

الله لاوليائه على أعدائه من عوائد النصر * ولما نفي خبرهم * وطار شرهم * وخيف
 ضرهم * أنهض الخادم الساكر المتصورة الي مقابلتهم * ومباراتهم ومقاتلتهم * ونزل في ماليكة
 وخواصه * ورجال الأقدام ذوى استخلاصه * على مدينة يافا فآخذها بالسيف عنوه *
 وجب بها من سنام الكفر ذروه * وحل منه بنزوته البها عروه * واستكمل للاسلام *
 بتملكها حظوه * وقتل كل من حوته وسبي * وتاب المشركين بما بني مجده ومضى حده
 فيه وما نبا * وغنم من أموالها المسلمون ما خف وتقل * وأسر من وجد فيها وقتل *
 ونهب من آلات الحصر ما خرج عن الحصر * وابتدل كل ماصين من الغلال والعدد
 والمال الدر للذخر * وطلب أهل القلعة الامان من القتل خاصة دون الاسر * وشرطوا
 انهم لا يمكنون من الدخول اليهم من جاءهم للنجدة من البحر * وأخرجوا على سبيل
 الرهينة مائة رجل من محشمهم * وكنودهم ومقدمهم * مثل البطرك الكبير والقبطان
 والمرشان ومن يجرى مجراهم من الفرسان * فلما أصبحوا جاءهم ملكهم في البحر
 ففدروا * وامتعوا بعد اتيادهم للعبز حين قدروا * وخيم العدو هناك في جوعه *
 وندب الى عسكره من يأمره برجوعه * ووافى في البر جحافل حافله * وتواردت في
 الاسراع الي الصرخ ظلما نجا فافله * فأجرى الخادم على الرهائن حكم الاسترقاق *
 وسيرهم الى دمشق في أقياد الوثاق * ورجع الى اقنوم فزهمهم وردهم الى عكا * بعد
 ما نكس فيهم وأضحك من دماهم البيض وابكى * وعاد الى العدو ونزل عليه * وكدر
 الموارد لديه حين زحف اليه * واجتمعت من أهل الاسلام الساكر * واتسعت على المشركين
 في المضايقة الدوائر * ورجا المؤمن وخاب الكافر * وجالت بأوجالها الضمائر لما جالت
 عليهم الضواوير * وعابنوا العذاب الواقع * وعدموا الدافع * وشاهدوا المصارع * فازالت
 رسلهم تتردد بالضراعه * وبذل الطاعة * والنزول عن الاشتطاط * والدخول تحت الاشتراط *
 والقبطة بما هن له الاسلام عطف الاغتيال * واحتوى عليه بيد الاحتياط * وكانوا لا يجابون
 الا بالاباء * ولا تلقى رسلهم الا بتصميم عزم اللقاء * حتى حضر أكابر الدولة وامراؤها *
 واولياء الطاعة والباؤها * وشاروا بمقد الهدنة * والانتهاز فيها لفرصة المكنة * واستقرت
 المهامنة على ما أعزله للاسلام الانوف وأذل من الكفر الرقاب * ورجع وأتجج من أهل
 الايمان الآراء والآراب * بعد ان نزلوا عن البلاد والمعاقل التي تملكوها * وبعدوا عن
 الطرق التي سلكوها * وسألوا الامان على الاماني التي استدركوها وما أدركوها *

وسلموا عسقلان وغزة والداروم وبنى ولد وتل الصافيه • وغير ذلك من الاعمال
والاما كن الوافرة الوافيه • واقتسموا بياقا وعكاه وصور • واستبدلوا من اطفالهم
وقدرتهم المجز والقصور • ورأوا عزهم في ذلهم • وصونهم في بذلهم • وسلامتهم في
سلمهم • وغناهم في عدمهم • ولا نوا بمد الاشتداد • ودانوا للاختياد • وهانوا بمد
الاعتزاز وهابوا بمد الاغترار • وأقروا بمد الانكار لتمود جفونهم الى الفرار • وأمورهم
الى القرار • وخلوا ديارهم وأخلوها • وما سألوا عن حب الاوطان والاطوار وسلموها •
ومدة الهدنة التي أخذوا بها اليد وأعطوا الجين • ثلاث سنين وثمانية أشهر أولها أول
أيلول يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من شبان سنة ثمان وثمانين • ووضعت الحرب
أوزارها • ورخصت بماء السلم أوزارها • وأخذت من أهل النار نارها • وقصبت
الفرنج من وراء البحر ديارها • ولا شك أنهم يستعدون في هذه المدة • ويستمدون
ما يستعينونه من القوة والمدة • ويستجدون عزمة الموده • وقد شرع الخادم في تحصين
الثغور • وإمرار الامور • وإرام مقاعد المعادل • واحكام قواعد الحق بتغية آثار
الباطل • وإتمام اسوار القدس وخنادق • حتى يبقى على الدهر آمنا من طروف العدو
وطوارقه • وإعادة الاعمال والاحوال الى عادة عمارتها • وحلية نصارتها • وإجسام
المساكر واراحتها • ليوم تمها الذي هو عين راحتها • ولقد كان الخادم للسلم متكرها •
ولا يرى أن يكون كشيء ملوك العصر عن الفوز مرفها • لكنه أجمع من عنده من
الامراء وذوي الآراء على أن المصلحة في المصلحة راجحه • وان صفقة الكفر فيها
خاسرة و صفقة الاسلام راجحه • وان في اطفاء هذه الجمره وقد قدت سكونا عاما • وأما
ناما • وتقريرا لجمع الكفار لشل النصر عليهم ضاما • فهي سلم أنكى من الحرب فيهم •
وانها تقصيم من هذه الديار بل تفهم • والى متى تجتمع هذه الاعداد الهائلة لهؤلاء
الاعداء • وتتفق هذه الاعداد المتواصلة من أهل النار في الماء • وما صبح لهم هذا الجمع
على التكسير الا في خمسين سنين • وما وافي اليهم مدد من أولفه سوى مئين • وكل
ما كان لهم من أموالهم في بلادهم تفلوه وافقوه • وأيقنوا ان مرامهم صعب وتحققوه •
ففي أفضوا أفضوا وقد أن ان رفضوا ويرفضوا • والى ان يتفق مثل هذه الجموع • ويمزم
ذاهبهم على الرجوع • يكون الاسلام قد استظهر بقوة • واستكثر من نجاته ومن جدته •
فراى موافقة الاجماع • وقيل مناصحة الاشياخ • وتفرق جمع الكفر وبخ جرم • وأمن

نكره . ومكره . وانشرح صدر الاسلام وتضوع تشمره . وتوضع بسنى النصر فخره .

﴿ذكر ما جرى بعد الصلح﴾

عاد السلطان الى القدس وعادت عادة سعادته . واشتغل بأتمام السور والحدق . وتكميل عمارته . وفسح للفرنج كافة في زيارة قمامه * فجأؤا ووجدوا الامن والسلامة * وزاروا ورازوا * ولما عجزوا أن يحتازوا سألوا أن يحتازوا * ففسح لفرنج من بمدفرق * وتوافوا في طريق وراء طريق ، وقالوا انما كنا نقاتل على هذا الذى وجدناه مع الصلح ومازلنا سائرين في ليل القصدحق وصلنا الى الصبح . وكان ملك الانكيتير راسل السلطان وسأل من الفرنج من الزيارة الامن وصل معه كتابه أو رسوله * ورغب في أن يحاج سؤاله في ذلك ويصاب سوله * فقيل مقصوده أنهم يرجعون الى بلادهم على حسرة الزيارة . فيقولون على الاستنفار والاستتار * ومن زار برد قلبه * وتنفس كربه * ولم يبق له في مشقة العود أرب . ولم يتصل له بهذه الديار سبب * فكان الامر كما حسب ، فاعتذر اليه في الجواب الذى كتب . وقيل له انت أولى بمنعمهم . وردهم بردهم * فأنهم يصلون لنا وافدين * ولزيارة الكنيسة قاصدين . وما يقتضى كرمنا ان نرد الوفود * ولا نباغ من بقصدنا المقصود * ومرض ملك الانكيتير مرضاً ألهاه عما اشتباه . ولم يبلغ في هذا الغرض الى منتهاه . وركب البحر وأقلع * وعجل في مفارقه وأسرع * وسلم الامر الى من يليه * وهو الكند هرى ابن أخيه من أمه وهو ابن أخت ملك أفرنيس من أبيه وتبعه فرنج الجزائر * ولم يبق الاول منهم على الآخر *

﴿ذكر ما عزم عليه السلطان﴾

عزم على الحج وصمم . وكتب الى مصر واليمن بما عليه عزم * رأسه بان يحمل له في المراكب كل ما يحتاج اليه من الازواد والثفقات * والياب والكسوات . فقيل له لو كتبت الى أمير المؤمنين وأعلمته بحجك وعرفته بهجك . حتى لا يظن بك أمر أنت منه برى . ويعلم أن قصدك في المضي مضى . والوقت قد ضاق ويباغ الحبر الآفاق . ثم هذه البلاد اذ تركتها على ما بها من الشعب . لم تبرم مرور حبلها المتشكك . وهذه المعاقل التي في الثغور ، حفظها من أهم الامور * ولا يتر بقصد الهدنة ، فان القوم على رقب المكنة * والقدردأبهم . وملّ النبي اهابهم * فزال الجماعة بالسلطان حتى حلوا من العزم ما عقد . وأطفأوا من

نار جده فيه ما وقرده ، فشرع في ترتيب قاعدة القدس في ولايته وعمارته * وتهذيب عمله
ومعاملته * وكان الولى بالقدس حسام الدين سياروخ * وهو تركي شتدي به في زهادته وحسن
سيرته الشيوخ * وكان فيه دين ولين * وجبله في الخير متين * ولم يزل مستوفياً لحق الامانه *
مستغنياً من الولاية لطلب الصيانة * فانصرف حميداً أثره * كريماً مورده ومصدره * وفوض
السلطان ولاية القدس الى عز الدين جرديك * وقال تهديك في الامور بفنيك عن ان
تهديك * وانما اعتمدنا عليك لاجتماع خلال الكفاية والشهامة والديانة فيك * قول آخذاً
بالحزم في شبتك وتأنيك * وترويك وتأنيك * وولى علم الدين قيصر اعمال الخليل وعسقلان
وغزة والداروم وما والاها ، فخرج اليها وتولاها ، وامر بنقل الغلات من البلقاء لتقوية
الفلاحين * واعانة للمقطعين ، وكذلك امر بنقل الغلات من مصر الى اعمال عسقلان *
ليعيد اليها الزراعة والعمران * وسأل الصوفية عن احوالهم وآذن سؤاله عنها باجابة
سؤلهم وسؤلهم * فانه كان وقف دار البطرك مجاورة قمامه لهم رباطاً وجعل لهم كل
يوم فيه سباطا * وزاد في الوقوف * وحكمهم في الانفاق بالمعروف * وكان قد جعل كنيسة
صندحنا عذاب الاسباط للفقهاء الشافعية مدرسه * وردھا بنية على التقوي مؤسسه *
وزاد في أوقافها * ووفر مواد تلادها وطرافها * وأمر بان تجعل الكنيسة المجاورة لدار
الاستبار بقرب قامة بيمارستان للمرضى * واتخذ فيها بيوتاً فيها حاجات اصحاب الامراض
على اختلافها تقضى ، ووقف مواضع عليها * وسير أدوية وعقاقير عزيزة الوجود اليها *
وفوض القضاء والنظر في هذه الوقوف الى القاضي بها . الدين يوسف ابن رافع بن تميم *
وعول منه على امين كريم *

﴿ ذكر خروج السلطان على عزم دمشق من القدس وعبوره على الحصون ﴾

خرج السلطان من القدس فحوة الخميس خامس شوال . وقد در الاحوال * واقام
بمدله الاعتدال . وافاض الفضل والافضال ، وجاوز ناحية البيرة . وقد جلا جلاله سفي
راياته للتبر . وبات على بركة لداويه * بالهمة الروية والعزيمة القوية . ونزل على نابلس
فحوة يوم الجمعة ، وجمع شتات ، صالحها المتوزعة . وكثرت الاستقانات على سيف الدين
على المشعلوب صاحبها . وانه قد طرق الزلق الى مشاربها . وزاد في رسومها ونواصبها *
فاقام بها الى ظهر يوم السبت حتى كشف مظلماها * وانحج بالمدل والاحسان مباسمها ،

واسقط رسومها الجائرة • وأمات سننها الضائرة • وأصفى بها شرعة الشريعة • وأضفى
 ظلال الرماية للرعية في مراعيها المربية • ورحلنا بعد الظهر • وبقنا ليلة الأحد عند عقبة
 ظهر حمار بموضع يعرف بالفريديسه • ورتلنا في مروجها الأنيسه • وأصبحتنا وأحلبنا •
 ونزلنا نخموة على جبينين • وهناك ودعنا المشطوب وداع الأبد • فانه انتقل بعد أيام الى
 رحمة الواحد الصمد • وكانت وقته يوم الخميس السادس والعشرين من شوال • ورحلنا
 يوم الاثنين وجئنا نخموة الى ييسان • وأزال حلول السلطان عنها البؤس وأشاع الاحسان •
 وصعد الى قلعتها المهجورة الخالية • فأبصر قلعتها المالية • وقال هذه اذا عمرت دامت في
 حضنة الحصانة • وكان جبلها لوثوقه مستودع الامانة • والصواب بناء هذه وتخريب قلعة
 كوكب • ولم يزل حتى بين كيفية بنائها ورتب • ووعد بأحكامها • وأعلى أعلامها • ثم
 ظهر ظهراً وبات على قلعة كوكب • وشاهدها وصعد نظر رأيها وصوب • ورحل
 عنها نخموة الثلاثاء • ونزل بظاهر طبرية وقت المشاء • وهناك لقينا بها الدين أقرأقوش
 وقد خرج من الاسر • وتلقيناه بالبشر والبر • وأقنا بها يوم الاربعاء لتوافر الانداء •
 وتواتر الانواء • ورحلنا بكرة الخميس ونزلنا بقرب قلعة صفد تحت الجبل • وصعد
 السلطان اليها وامر بتسديد ما فيها من الخلل • ثم سار يوم الجمعة على طريق جبل عاملة ونزل
 ضحوة بضعة يقال لها الجش • وهي عامرة محتوية على سكانها • كأنها المش • وسرنا منها
 وخيمنا على مرج تبين • وبقنا بأحوال قلعتها • هتين • وأصبح السلطان حوالى حيطانها
 بأحوالها محيطاً • بمنطقاً قرا قلعتها ولاسيباب اختلالها محيطاً • ووصى الوالى بممارتها وجعل
 مصالحها بكفائته منوطة وسدادها بسدادها منوطاً • ثم رحلنا بكرة السبت وجزنا على
 قلعة هونين • ونزلنا من الجبل • وبقنا على عين الذهب واجتمعنا بالقل • ورحلنا يوم
 الأحد وخيمنا بمرج عيون • وجلس السلطان على عادته معنا في تدبير الممالك تلك الليلة
 وسهرت العيون • ورحلنا عصر يوم الاثنين ووصلنا السير بالسرى • وقطعنا في الطريق
 الوعر الوهاد والذرا • وعبرنا بين عمل سيدها يسرة وعمل وادى التيم يمنة على الضياع
 والقرى • وعمرسنا على مرج تلقيناً مقابل مرج القنبة • ودفننا الى سوك المسالك الصمبة •
 ثم أصبحنا يوم الثلاثاء على الرخيل الى البقاع من تلقيناً تخيمنا على جسر كامد • والسلطان
 مشغول في طريقه من تقرير الممارات ومحريز سنن الحسنات باقتناء الحامد • ثم غدونا
 يوم الاربعاء وخيمنا بناحية قب الياس وقد اصحمرنا الى الغضاء • وأقنا ذلك النهار رابعين

من الفواضل السلطانية في التعماء . ولما جن الليل جمعنا بالحضرة السلطانية الانوار . وسرت اسباعتنا منه اسماء رجال الفضل والكرم وسنهم لا الاسبار . ودخل السلطان يوم الخميس الى بيروت . وانجز بالوصول اليها وعنده الموقوفات . ونزلت الاثقال على مرج قلميطية بالبقاع . واقامت خمسة ايام على الاستراحة والاياداع *

﴿ ذكر وصول السلطان الى بيروت ودخول يميند الابرنس صاحب انطاكية عليه والاستجاره به و ذكر أسامه ﴾

ولما وصل السلطان الى بيروت تلقاه واليها عن الدين أسامه * بكل ماتوفرت به الكرامه * واستقبل الامحاب بصدر رحيب وظل خصيب * وسباحة اريب وسجاجة ليب * وفتحت الامراء على غلاء الغلات بالثغر ورفع أغلاقها * وسبلها وما قيداطلاقها وقرى وأضاف * وأدني القطاف * وأصنى العطف * وتلطف في الهدايا واحدي الاطاف * وفرق على الصغير والكبير التحف * وأحضر للسلطان ولكل من معه للطرف . واغني واقني . واعدم في الجود الموجود واقني * واعطي الخيل والممالك والجواري والملابس ، وبذل التفائس * وزف على أكفاء المحامد من أبكار المناقب العرائس . واطهر في مكان الشدة الرخاء . وفي مظنة الضن السخاء . واهب في اعصار الاعسار لرجال الرجاء من سماء السباح الرخاء ، واحضر كل ما عنده مما كسبه في الفتيمة ، جريا على كرم الشيمه . من الجيوخ الافرنجية والثياب البندقيه . والهنابات الفضية والاكواب اللعينية . والسروج والهجم * والاكسية والحزم . والمهاميز والملايطو والغفابير . والمروض والدراهم والدنانير . ففرق من ذلك ما جمعه ؟ وزف الى كل منه ما اسمي قدره ورفقه . وما انفصل عنه الا كل مواصل بشكره . مساجل امثاله بذكره . مضوع كل ناد للكرام بنشره . وقام بالسلطان وبكل من محبه مدة مقامه ، واعجب واعجز ما صدق من اهتمامه *

﴿ ذكر وصول الابرنس يميند ودخوله على السلطان ﴾

ولما أراد السلطان عن بيروت الانفصال * وذلك في يوم السبت الحادى والعشرين من شوال . قيل له أن الابرنس الانطاكي قد وصل الى خدمه . مستمسكا بمحمل الصمصمه . داخلا حكم الدمه . فتني عنانه ونزل واقام وما أرتحل . واذن للابرنس في

الدخول • وشرفه في حضرته بالثول • وقربه وآله • ورفع مجلسه • وأظهر له البشاشة
والهشاشة • وسكن من روعه الحشاشه • وكان معه من مقدمي فرسانه أربعة عشر
بارونيا • وذهب كل منهم تشريفاً سرى • وأجزل له ولهم العطاء • وأبدى بهم الاعتناء •
وكتب له من مناصفات انطاكية مميثة بمبلغ عشرين ألف دينار • وخص أصحابه بمبار •
واعجبه استرساله اليه ودخوله عليه بغير أمان • فلا جرم تلقاه بكل أحسان • وودعه يوم
الاحد وفارقه • ووافق مراد السلطان أنه بمراد • وافقه • وانصرف المذكور مسروراً •
بين امرته المذكوراً • محبوا بالتمتع والمنن محبوراً •

﴿ ذكر وصول السلطان الى دمشق ﴾

ما خرج السلطان من بيروت يوم الاحد بات بالحجم على البقاغ • واحضرنا تلك الليلة
في نادي فضله للمؤامسة والامتناع • ونجاذبنا اطراف الآراء • وهزنا منه اعطاف الآلاء •
واستدینا قطاف النعماء • وقد قرب الدخول الى البلد • والوصول الى الابل والولد • وكل
يقترح مقصوداً • ويقصد اقتراحاً • ويظهر الى سكنه ومسكنه اوتياحاً والتياحاً • فرحلتنا يوم
الاثنين وعبرنا عين الجرب وبنا على خرج يبوس • وقد شرح الله الصدر واطاب النفوس •
ووصل الينا من اعيان دمشق من سبق للتقى والاستقبال • وظهروا بقدمونا اسباب
الاحتفاء والاحتفال • وجاءتنا فوا كه دمشق واطايبها • وابتغصت بالواصلين الينا مسالكها
ومناهبها • ورحلتنا يوم الثلاثاء وبقنا بالمراده • وحجري المتأقون في التحفي بالتحف على
العاده • واصبحنا يوم الاربعاء ودخلنا الى دمشق وقد أخرجت اطفالها • وبرزت بساءها
ورجالها • وكان يوم الزينة • وخرج كل من بلادينه • وحشر الناس ضحى • واشاءوا
استبشاراً وفرحاً • وكانت غيبة السلطان عن دمشق اربع سنين في الجهاد طالت • فاهتزت
بقدمومه واحتالت • وقرت بفنائله الاعين • واقرت بفواضله الالسن • وذاعت اسرار
السرور • ورقت خبرات الجهور • وطابت الانفس • وغابت الابدوس • وانجملت المكارم
وتجلت المكارم • واقترت للباسم وهيت بموسمه المواسم • وتموديت التهاني • وهديت
الاماني • وغنت المناني • ولذت المجاني • وسفرت الجمالي • وظفرت الممالي • وتجلت الاحوال •
وتملت الآمال • وراج الرجاء • وارجت الارجاء • وفاض الجود • واستفاضت السعود • وعم
العدل • وتم الفضل • وانشرت الآفاق • وافاق الاشراق • وكرم الفضلاء • وفضل الكرماء •

وحل في القلعة حلول الشمس في برجها * وقد جلت أوجه السمود بأوجها * واخذت بحار
 سماحه في موحها * وسلك المناجح في نهجها * وجاءت المناخ في فجها بفوجها * وصفت
 شرعة الشرع لواردها * وضفت حلة الكرامة على واقدها * وقمحت مرجحات ابواب
 الآلاء لمريجها * واستجدت عادات انجاز عادات الجوائز لمستجديها * ويسر اليسار لاسراف
 العافي، ونمت على ألسن الانام أوصاف الصافي * وجلس السلطان في دار العدل فأعدي
 المستمدي * ولبي المستدي * وأجاب وأجار * وأمال وأثار، وجاد وأجاد * وبدأ وأعاد *
 وفي هذا الشهر * خلع بهاء الدين قراقوش من الاسر * وأجتمع بنا يوم وصلنا
 الى طبرية * ولقي من السلطان اللطاف الحفيه * ووصل منه الى دمشق وأقام الى أن
 خلع أصحابه من الاسر * وتوجه الى مصر * وقد صان نفسه ببرئله ماله * وأخرج روثه
 ودخل في إغلاله * وخرجت السنّة والسلطان في أسنى سذائه * وأبهى حلاله واحلى بهائه *
 والناس رااهون في رياض لعمائه ورسد الممالك الغربية والشرقية عنده يخطبونه ويطلبونه *
 ويتظرون عزمه ويرقبونه * وهو يقدم بالبحار الشتاء وانكساره * وانقسام ثمر الربيع
 واقتراره * والهاب زهر ازهاره * وانتهاب سرح اسحاره * وانقباه عيون بهاره * وانطلاق
 غرار صهاره واشتلاق انواء نواره ، وانطلاق نواظر غماره ، ولصطفائى اوراق اشجاره ، وانفتاح
 كمامه وانساق اظامه وانتثار منظومه وانتظام مشوره . وانفجار صبح اسفاره وانفراج وجه
 سفوره . واجتماع لفيف اعشابه * واستماع حفيف اقصاصه * والتماع بريق سحابه ، واتساع
 طريق محابه . وانشقاق شقائقه . والعناق عفاقه * واشتغال شائله * واقتبال قبائله ، وتأرج
 صبا صباحه . وتبليج صبا صباحه ، وتورد وجنات جناته * وتوقد جرات ثمراته * وتبسم ثغور
 أقحوانه * وتسم ضمير ضميراته * وتصور خدود تفاحه * وتدور نهود رمانه * واخضرار
 آس عذاره * واحمرار خد جنائزه * وتشتف أقطار النادى باقراط قطار الندى * وتغوف
 حافات الوادى بالوشى الوشع من حوك الرباب حول الربا * فاذا طاب النسيم ولسم العليب *
 ودعا البليل ولبي الفندليب * وتطر غير الريح * وتصور الشقيق كأنه نحر من عجين
 النجيع * ووافق مراد المرعي من المراد المربع * وحللا الحني اللعجنى وحلى التضفير
 التضارى * وقبل العذار النفسجى واشتمل الحد الجنائرى الثارى * ونجم فى الروض النجم
 السباتى المائى * وابتم الثمر الاقاصى * وتسم الضوع الصباحى * وتحرك العرف السحري
 البشجى * وتأرج الثمر الروضى * وتبليج البشر الوضى * وانتشى الشأ الشمالى الشمولى *

وانتشت عثرات اعشاب الشهاب * وقابلت القبول خطيبة الفضل بفصل الخطاب *
وصبت الصبا في محل خطبة المحل بصوب الصواب * فحينئذ آل ججاج الاحباب الى
الاحباب * وصرفت اشاجع الشجبان وايمان اهل الايمان كل موج العنان رواج
السنان * ونزعت الزرائع الى الجلاب * ورشفت القواطع بشفاء الشفار ضرب الضراب *
واجتعت المساكر وعسكرت الجموع * وسرت الطلائع وسر الطلوع * ونهض اهل الجرد
وجدد النهوض * وفاضت المنابع ونبت الفيوض * وضرب السراقد السلطاني حيث
النصر ينزل * والسعد يقبل * واليمن يشمل * والنجم يسهل * والظفر يمتل * والامر
يتمل * والجدة يسمن والمزل يزول * والعزم يولي والولي يزول * وبعم العدل مع اعتدال
الزمان كل مكان * ولا ينفس الا بمحدث الطاعة من يحدث نفسه بهميان * واقنا على
هذا العزم الى آخر السنة * والاحفان مفضوضة على طيب السنة * وظل البرد الشديد
مديد * والجلد واهي والهواء جليد * وحد الشتاء في التشتيت جديد * والحيال قد اشتعلت
رؤسها شيئا * والتلوج قد زرت على أغناق اطوارها حياء * والجوفي نظم ونثر * والزرى
من الثرات مثر * والهتون ناكب ناكث * والهُتوف ساكن ساكت * والمزن مزين *
والحزن حزين * وللسماء سباط * وللنشاط نشاط * وللحساب حساب * وللابرق والزعد
اتحاء * واتحاب * وللبرد من ثلجه برد * وللمطر في نهجه طرد * وللغيث غيث * وللوحل
ريث * وكانون قد اكن الربا * وشباط قد شب الشبا * والثار محبوبة مشبوبة * وخدود
التكب مذكوبة * وخدود الترب مضروبة * والسلطان مشغول بالصيد والقنص * منهنز
في العمر للقرص * مبرز بالزاة والصقور * حشاشات الوحوش والطيور * بكل جار جارح *
وطائر طارح * يدنى أجل الحجل وحام الحمام * كانه ضربهم لها لاهى الفرام * وكل شهم
يتقضى اقتضاض السهم * ويبط بطن البط بالحزم * وأكثر الجلوس بدشقي في دار العدل *
واغزر لمتجعيه در الفضل * وحكم وقضى * واستخط بالحق وارضى * ووقف وأمضى *
وما منع بل أعطى * واساب وما أخطا * وجاد وأجاد * وأبدى وأعاد * وأوفد وأفاد *
واحسن وزاد * وأغنى واقني واجدى واسدى * وأولى وولى * وأجار واجاز * وحاز وقاز *
وقرب العلماء * واكرم الفضلاء * وفضل الكرماء * وتكلموا عنه في المسائل الشرعيه * وظفروا
من جوده بالوسائل المريعيه * وما كان أحسن الى الحق اصغاه * واسرع للباطل إلفاه *
ولكل ذي فضل منه حظ * ولكل ذي حفظ منه حفظ * ولكل محروم منه رزق * ولكل سرزوق

الى حمده سبق * ولكل فهم عنده سوق * ولكل سهم عنده فوق * ولكل أدب لديه
 داب * ولكل عاتب عدم من جوده عتاب * ولكل مكرمة عنده باب * ولكل دعوة عاف
 من اسماقه جواب * ولكل مستجد اجده * ولكل مستهد اهداه * ولكل سائل نائل *
 ولكل ماحل وابل * ولكل ظام ري * ولكل حاتم ورد هني * فأسح مزنه * وما أصح
 وزنه * وما أسمع يده * وما أوضح جده * وما أعلى جده * وما أجده علاه * وما أجدي
 كفه * وما أكفى جده * وما أكثر حياه * وأغزر حياه * وأرج رياه * وأبلغ بحياه *
 ومن توفي في هذه السنة من الملوك سلطان الروم قليج أرسلان بن مسعود بن قايچ

أرسلان * وكانت وفاته يوم الخميس منتصف شعبان

كان له عشرة من البنين فولى كلا منهم اقليبا * وقصد به لمئاد أمر ذلك الجانب
 . قويا * فقوى كل منهم في ثمره * واستقل بأمره * ودب في طبعه حب الاستيلاء
 والاستبداد * ومد عينه الى ما في يد صاحبه من البلاد * وكان أكبر بنه قطب الدين
 ملكشاه قد استحسنت قواه واستطاع هواه * وهو حينئذ متولي سيواس * فأطاع في
 التملك على أبيه ملكه الوسواس * وسى الى ان أبعد من عند والده اختيار الدين حسن
 ابن عفراس * وصور له أنه يريد ان يستولي على الملك * وينفرد بانتهاج المسلك وانظام
 الملك * وساعده صاحب أرزنكان وأمن اختيار الدين الى المذكور واحتاره * واستأذن
 السلطان ان يقصد دياره * ويقم عنده الي ان يصلح أمره مع أولاده * ويأذن له في العود
 الى بلاده * فاستصحبه صاحب أرزنكان * وأوقع عليه في الطريق التركان * فقتلوه شر
 قتله * ومتلوا به وبولده أقيح منله * فلما عرف ملكشاه ان وجه والده خلا * وأنه عن
 حسن بن عفراس سلا * ساق اليه * وأخفى عليه * ودخل قونية دار مملكته * واستبد
 بحوزة * وقوى بهزته * وعزز بقوته * وقال لوالده أنا بين يديك * أشفق عليك *
 وانفذ أوامرك * واوفر مآترك * وقتل أمراء كانوا لأبيه * وألزم خدمته من لا يشبهه *
 فبقى معه كالمقتل * يظن حالياً وهو في العطل * واستكتبه انه ولي عهد * والقائم
 بالسلطة معه ومن بعده * وتصرف في خزائنه وملك أقسرا * وقرع وفري * وقرع
 وقرا * وقطع ويرى * وقد مضى حديث ملك الامسان في ذلك الاوان * وكيف وصل
 وعبر الى الشام * وكيف قوى بهم في وهن الاسلام * واستصحب معه والده الى قيسارية
 لقمس أخيه نور الدين سلطان شاه وحصره * واظهر انه بأمر والده وأنه شاد ظهره *

وخرج عسكر البلد وصف * ووقف وكف * ورأى قليج ارسلان * أن ولده عنه مشغول • وان عقد حراسته له محلول ، فخرج من الصف مفارقا للولد • وساق ودخل الى البلد * فأضافه الولد الآخر وأكرمه * وبره واحترمه • وانفصل ملكشاه الى قونية وملك تلك الامكنه • وقد استبد بالسلطنة • وبقي قليج ارسلان يتردد في بلاده • وفي ضيافة أولاده • ينتقل من بلد الى بلد * ومن ولد الى ولد * وكلهم يضجر منه • ويمرض عنه • حتي حصل عند ولده غياث الدين كيخسرو صاحب برغلو فتواء وآزره • وضافره • وظامره • وجمع وحشده • وأخذله وما أخذله وجاء به الى قونية فدخلها * وحل به عطلها ، وخرج ليأخذ أقسرا قتمذرت وتمعت عليه وتمسرت • واسترغب الاوجيه • وجمع السكريه * فرض نجاء به وقد توفي الى قونية في محفه * ونزل يمشي قدامها ويظهر انه من المرض الثقيل في خفه • حتى دخل المدينة وقلعتها • واجتازها واحتاز مملكته * واستدعى الاعيان * فاستحلفهم * واستألمهم وتألفهم * ثم أظهر لهم وفاة أبيه وأنه وارث ملكه ومتولي • وقوي على قطب الدين ملكشاه أخيه •

وتوفي في هذه السنة القاضي شمس الدين محمد بن محمد بن موسى المعروف بابن الفرائش كان من أهل الفضل • والرياسة والتبيل * وهو قاضي المسكر الحاكم المحكم • والكريم المكرم * والسلطان يعول عليه في المهام • وفي الامور العظام • ويؤمله للرسائل وأخذ المواسيق والمعهود • وتولى الولايات والمعقود • ولما أخذ شهرزور سلمها اليه * وعول فيها عليه • وما برح بها حتى أنعم بها على صاحب اربل مظفر الدين فساد القاضي شمس الدين فأرسله السلطان الى قليج ارسلان وأولاده • ليصلح بينهم ويعيد أمرهم الي سداده ، فتردد بينهم سنه * ولم تزل مساعييه مستجيحة مستحسنة * وعاد ووصل الى ملطيه • وقد استكمل من عمره لله المعطيه • وتوفي بها في شهر ربيع الآخر من السنه • وانتقل الى الله بأعماله الحسنه •

ودخلت سنة تسع وثمانين وخمسمائة والسلطان مقيم بدمشق في داره • وممالك الآفاق في انتظاره • والايام مشرقه بمطالع أنواره * واليالي بمتربة صباحها لا سفاره * ورسل الامصار مجتمعون على بابيه • منتظرون لجوابه • والوافدون قاطفو حني جنباه • والضيوف في فيوض العامه حاثمون وبفروض حقوقه قائمون * والفقراء في رياض صدقاته راتعون * وفي كلاء كلامه راعون وادعون ، ودار العدل بالفضل داره • واسرار المني بالمناجس ساره • والسلطان

يجلس في كل يوم ويلة لاسداء الجوده وأبداء العود، وبث المكارم، وكشف المظالم، وتنفيذ للرسم
وامضاء العزائم • وتشديد الذعائم • وتقرير العظم • والاهتمام بمصالح الاسلام • ومناجح
الأئام • والاعتناء للمسلمين بما يتم في بلادهم من الخطوب • ويتم من الصكروب •
ومجالسه العلماء • ومساجلة الفضلاء • وموالة الاولياء • ومصافاة الاصفياء • واعداء
المملوه • واسداء المعروف • ومل • لازمة البلد • وخرج عن حكم الجلاء • وبرز الى
الصيد شرقي دمشق بزاد خمسة عشر يوما • واوسع من لم يوافق على الخروج لوما •
واستصحب معه اخاه العادل وأبسدوا في البريه • وظهروا عن ضمير ضمير الى الحيلة
الشرقيه • وطابت له الفرص • ووافق مراده القنص • ثم عاد يوم الاثنين حادي عشر
صفر • ووجه بشره قد بفر • ووافق ذلك عود الحاج الشامي فخرج للتقي • وسعادته
في الترقى • ولما اتى الحاجاج استعبرت عيناه • كيف فاته من الحج ماتمناه • وسألهم عن أحوال
مكة وديرها واهلها • وخصبها ومحلها • وكم وصلهم من غلات مصر وصدقائها • وعن
المجاورين والفقراء وروايات واداراتها • وسر يسلاية الحاج • ووضوح ذلك المنهاج •
ووصل من اليمن وله اخيه سيف الاسلام • قتلناه بالاكرام واتزله في كنف الاهتمام •

﴿ ذكر وفاة السلطان رحمه الله بدمشق ﴾

جلس ليلة السبت سادس عشر صفر في مجلس عاده • ومجلى سعادته • ونحن عنده
في اتم اغتباط • واتم لشاط • حتى مضى من الليل ثلثه • وهو يحمدنا ونحن نحمده •
ثم صلى به وبنا امامه • وحان قيامه • وانفصلنا باحسنه مقتبطين • وباتنائه مرتبطين •
واصبحتنا يوم السبت وجلسنا في الايوان • نتظر خروجه لوضع الخوان • فخرج بعض
بعض الخدام • وأمر الملك الافضل ان يجلس موضعه على الطعام • فجاء • وتصدر وترجع
في دسته • وجلس بسمته وسمته • وتعلمنا من تلك الحال وتعلمنا بحمد ذلك الفال •
ودخلنا اليه ليلة الاحد للعيادة • ومرضه في الزيادة • وتوفي بكرة الاربعاء السابع والعشرين •
وقله الله في دسته العالي الى اعلى عليين • ومات بموته رجاء الزجال • واظلم بغروب
شمسه فضاء الافضال • وغاضت الايادي • وقاضت الاعادي • وانقطعت الارزاق •
وادلهمت الآفاق • وخاب الراجون • وغاب اللاجون • وخاف الآمن وخاب الآمل •
وقط السائل وشحط النائل • وطردت الضيوف • ونكر المعروف • ودفن بالقلمة في

داره • ونجح الزمان بانواره • وعدمت الايام صباحها • والآمال نجاحها • ودفن معه
 الكرم • وغاب بعد وجوده • وجوده العدم والمدم • وبقيت تلك الايام لأفراق بين
 الدجى والضجى • ولا أجعد قلبي من سقم الهم وسكره صبح ولا صبحا • وحالت حالي •
 وزال ادلالي • وزاد بلبالي • وبطل حقي • واتسع خريقي • وتنازل جامي • وتنازق
 أشباهي • وأعضلت ادواء الدوامي • وبقيت المعارف متكره • والمطالع مكفهره • والعيون
 شاخصه • والظلال قاصه • والايدي يابسه • والوجوه عابسه • وعادت أبكار خواطري
 حانس • ونجوم قرائني وشواردها الآتية خائسة كانس • وبقي باب كل سرنجي
 مرتجأ • ومنهج كل معروف منهجاً • وظن النقي عني • واختلف في ضن الاخلاف بي
 ظني • حتى تولى الملك الافضل بدمشق مقام أبيه • وقام بالامر بمزم تأنيه وحزم تأنيه
 وعز تأنيه • ففرق افتقاره الى معرفتي وفقرتي • والى عطل الملك ومحل من غزارة حباب
 دري ونضارة حلي دري • فكثبت له • وخليت من الملك عطله • ووشيت الكتب
 ووشتها • وجليت الرتب ووسعتها • وهزنت البراءه • وأغرزت البراءه • وهجرت الجماعه •
 ولزمت القناعه •

﴿ ذكر الملوك من أولاد السلطان وذويه بعده ﴾

خلف السلطان صلاح الدين رحمه الله سبعة عشر ولداً ذكراً وابنة صغيرة • وأبقى
 له مآثر أميرة ومحاسن كثيرة • ولم يخلف في خزانته سوى دينار واحد وستة وثلاثين
 درهما • فانه كان باخراج ما يدخل من الاموال في المكرمات والقرامات مفرماً • وكان
 يجود بالمال قبل الحصول • ويقطعه عن خزانته بالحوالات عن الوصول • فاذا صرف
 بوصول حمل وقع عليه باضافه • وخص الآحاد من ذوى القضاء في الجهاد بالآلاف •
 ولا حبه أحداً بالرد اذا سأل • بل يطلع له كأنه استهله • فانه يقول ما عندنا شيء
 الساعة ومفهومه أنه يعطى وان كان يبغى • وانه يصيبه بالنوال ولا يخطي • وكان ولي
 عهده بالشام الملك الافضل نور الدين علي • وانه كاسمه سام علي • ونور فضله كسمته
 حلي • وهو الذى حضر وفاته • وقاز يملكه فسايقال حضر وفاته • وقام بسنة النزاه •
 وفرض الاقتصاد بأبيه في ايساء الآلاء واداء الاولياء • وخلع على الامائل
 والاسراء والافاضل والعلماء • وكان بالباب رسل ووفود وملوك • ورجال لهم في مسالك

الرجاء سلوك • غفبوا وغابوا وذهبوا وما أبوا

﴿ ذكر من تولى ممالكه بعده من أهله ﴾

تولى ولده الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان مصر وجميع أعمالها وأبقاها على اعتدالها ، وقفاها من شرائب اختلالها واعتلالها ، وأحيا سنى الجود والبأس • وثبت القواعد من حسن السياسة على الأساس • وأطلق كل ما كان يؤخذ من التجار وغيرهم باسم الزكاه • وضاعف ما كان يطلق برسم العفاء • وجاد وأجاد ، وأبدى الكرم وأما • وبسط وقبض • وأبرم ونقض • وحل وعقد • وبر واقتصد • ووضع ورفع • ومنع ومنع ، وأبصر وسمع وضر • وقع ، وقطع واقطع • وأصل وفرع • ووعد وأنجز • وأوعز • ببنى من أعوز • وبرز وأبرز • وجاهد وجيز • وعرض الكتائب • وفرض المواهب • وأجرى الصدقات • وتصدق بالجزايات • وأدر وأدار • وأجاز وأجار • وأغنى وأسعد • وأدنى وأبعد • وقدم أمر بيت الله المقدس • واعتمد في اعتماد الاشوس الابوس • وعجل له بمشرة آلاف دينار مضر به • لتصرف في وجوده ضروريه • ثم امد به بالحل • وأفاض عليه من الفضل • وقرر واليه عن الدين جردك على ولايته • وقوى يده برعايته ووالى حمل الغلات من مصر الى القدس وأبدل وحشته بقاء السلطان من وفاته بالانس • وجلس في دار العدل ففصل ووصل • وأحسن وعدل • وقضى وحكم ، وأمضى واحكم • واحضر نواب ديوانه في ايوانه • واستعرض منهم قوانين سلطانه • واستقرى الضياع والاقطاع • وعمم الاصطفاء والاصطناع • وحل اقطاع من اقام بالشام • والزم جند مصر بالخدمة والمقام • وما ابقى الا ما في يدي من الضباع • وصان حقوقي من الضياع • وأمر بتخليده • وأجد جدى بتجديده • فجاءني كتابه الكريم بكل كرم مكتوب • ومحبو به من الرفد محبوب • ورعي في عهد الوالد • وأضاف الطارف عندى من العرف الى التالذ • هذا وأنا غائب • وبرائى رائب • ولسواه كاتب ونائب • وما احوجني في التوال الى السؤال • وأغنائى استرساله في اغنائى عن الارسال • ولم تقتدر مقاصدى ووسائلى الى تسخير القصاد والرسائل • وما اضرب بدار فواضله لا حلول بدار الافاضل • ثم اشتفى من غدر الفرج في فسح الهدنه • فأني من نجهز العساكر الى البيت المقدس بكل ما في المكنه • ثم سمع بحركة المواصلة ومن بايهم • وتابعهم

وشايهم • قد خرجوا في أيامهم حاشين • ولقد أيمانهم ناكثين • نفيم بركة الحب • واستشار
امراء أهل الرأي واللب • وجهز جيشا جائشا • وبنّا لثمار الدولة ناعشا • في كل مقدم
مقدام • وهام هام • وضيق ضرام • وقزم ققام • فوصلوا إلى دمشق وقد فرغ العادل
من حرب القوم وسلمهم • ومنهم أعطاف الاستكانة له بمدحهم • فرأى أن الحمد
أعود • والمواد أحمد • وسياقي ذكر ذلك في مكانه • عند ذكر الملك العادل ومارفع الله من شأنه •

﴿ ذكر دمشق وما يجري معها ومن تولاه ﴾

وتولى الملك الأفضل نور الدين أبو الحسن على ولد السلطان دمشق والساحل
وما يجري مع ذلك من البلاد ونفذت في البلاد أوامره • ونفذت في الرجال ذخائره •
ورتب الأمور أجل ترتيب • وهذب الشؤون أكل تهذيب • وجلا السرير السلطاني
بنوره • وأسفر صباح الاقبال باقبال سفوره • وهدي هدأ • وملأ بالبشر المتبليج والفتن
المتأرج الملا • وهذب واذهب • ورغب وأرهب • ورتب وربت • وأصل وأصلت • وأثر
وارث • ولم الشمت • وأبهى وابهج • واجد المنهج المنهج • ورجح ونجح • ومن ومنح •
وأرسي وأرسخ • وبذ وبذخ • ووعد وأوعد • وجدد الجدد • وأذاع بحميته سر حمايته
وأعاذ • ووجد الملاذ من وجد منه الملاذ • وأمر وأمر • وفسر ونظر • وعز وأعز •
وحاز وحز • وساس وراس • وملك الباس والناس • وأشاع البر وأعاش • وأشبع الحياض
وروى المطاش • واستخلص ذوى الاختصاص • وأخص أهل الاخلاص • ونهض
واستنهض • وعرض واستعرض • وربط عزمه الرباط • واحاط علمه وحاط • وحفظ
أولى الحفائظ • ولا حظ العرف وعرف انه لا حظ لغيره الا لحظ • وصنع واصطنع •
وابدى وأبدع • ومد الغل واسبع • وسوى الفضل وسوخ • وأهمي العوارف • وأهمي
الروائع • وحقق الحقوق • ورتق الفتوق • وضم الملك • ونظم السلك • وجلس في
في دار العدل • وأتى بالحكم الفصل • وحزم وحزم • وعزم والترم • وزاد وزان • وأفاد
وأعان • وأبر أرباب الهوي • وأمر من أرباب التقوى القوي • وحمي النباه • ومحا
المكاره • وقاض بنزارة المطايا • واستفاض بطهارة السجيا • وآوي إليه اخوته • وضم
جماعته • وجهز آخاه الملك الظاهر مظفر الدين خضرا • واحبه عسكرا مجرا • وانهض
لأنجاد عمه الملك العادل • فانار في فضاء الفضائل • وسار بجحمله إلى الجحفل الحافل •

فالتزم الشروع ، وهزم الجوع ، وقارع القروم ، وكان الهازم والمدو المهزوم .
وكانت حصص والمتاظر والرحبة وبعلبك وما يجري معها في المملكة الافضلية داخله ،
وأمداد طاعات الولاة والاولياء بها متواصله . وصاحب حصص والرحبة الملك المجاهد أسد
الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه ابن ابن عم السلطان ، وهو أمير الشان آئيل المكان ،
فوصل الى دمشق مطيعا ، ولسر صدقه ونشر صداقته مديما مشيما ، فأحلى له الملك
الافضل جنى شيئا واحله جنابا وسيماء ، وعقد له حيا الحب ، وحياء بكل ماسفر عن
سفور مودة القلب ووفور مواد القرب ،

و كذلك وصل صاحب بعلبك الملك الاجد مجد الدين بهرامشاه بن فرخشاه بن
شاهنشاه بن ايوب طائفا ، وللامر الافضلي تابعا فقادناه واجناه ، وأحبه وحياء ، وأسناه
وأمناه ، وآوه وآساه . فأكدت بينهم القرابة المتشعبة ، وتشبكت اللحمة المتشعبة ،
وتمهدت الآصرة المتزججه ، وتفتحت ابواب الالفة المرتججه ، وتوافوا على التوافق ،
وتصادقوا على التصادق . وتماضدوا على الآخذ بالتساعد ، وتماقدوا على ترك التبعاد ،

﴿ ذكر حلب وما يجري معها ﴾

وتولى حلب واعمالها وحصونها ومعاقلها ، وكرائم السبلاد وعقائلها ، الملك الظاهر
غيث الدين ابو الفتح غازي . وهو برجاحته ومباحته للطود والجود الموازن الموازي ،
وتلك مملكة اقطارها واسعة . وامصارها شاسعه ، فخاها وحماها ، وبماء العدل رواها
وقواها ، واعز رجال الرجاء ، وهز اعطاف العطاء ، ورحب لوراده ورواده رحابه ،
وسحب بجيا الاحياء سحابه ، وابرت مبراته ، واثرت مآثراته ، وسبح وصح غيبه وغياته ،
ورعى رعيه فشبث ورويت ظمأؤه وضرائه ، وزخرت امواجه ، وزهرت بشواقب
المناقب ابراجه ، وصابت سماء مباحه ، وطابت صبا صباحه ، وعزت بسيرته كتب
التواريخ ، وعزى قلعه وسيفه الى عطارده والريخ ، وسعدت وفوده ، ووفدت سموده ،
وآثر من امره النفاذ ، وكثر بظله اللياذ ، وادنى الاربار ، واقصى الاشرار ، وخضع
الاعزة الخواص بالاعزاز . واوعز بما يمود به الى نصرة الفني المود الذي ذوي لذوي
الاعواز ، وتمهد لسلطانه الاساس ، واطرد لاحسانه القياس ، ووجد من عثر من ايد
يده الانتعاش ، وعشا الى جدواه المجتدي وطاش ، وفرض الفرس . ورفض الرخص .

وادي القروض ، وقضى القروض ، واستدني من المناجيح شاحطها • واستدرك من المصالح فارطها • وملك خلق التحفظ • وسلك طرق التيقظ • وفرق وجمع • وخرق وورق • وغلب وبانغ • ودمر أهل الكفر والتفاق ودمغ • وشقى واشتقى • وكفى واكتفى • وراع وراق • وقات وفاق • وطلب وادرك • وأخذ وترك • وقاض بالفضل • وراض بالعدل • وقدم الحزم • وصمم العزم • وأحيا السنن • وأولى المنن • ولها بالجعدن اللهو • وانتهى بالعدو الى اليأس المرو بالولي الى التائل الحلو • وأمر ونهى • وأوهن معاهد ذوي المكاييد وأوهي • ووفى لآلوف • وصفا للصفي • وأقر السيرة وأعمالها وما يجرى معها على أخيه الملك الزاهر بجير الدين داود • ولم يزل مقبولا أمره غير مردود • ودخل في أمره صاحب حماء • وأعزه وحماه • وهو ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر قتي الدين واتسع الملك • واتسق السلك • وكاتب الجوانب وراسل ، وفارق من رأي وواصل • وطال باعه • وأطاع أشياعه • وهمت همته بالزيادة • وسمت لسمت السيادة •

ذكر الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب أخى السلطان وما جرى له بعد وفاة أخيه •

كان الملك العادل مع السلطان في الصيد قبل وفاته • وكان موافقه ومرافقه في مقتنصاته • فلما عاد السلطان الى دمشق ودعه ومضى الى حصنه بالكرك للاستراحه • غير مطلع على سر الغيب في الأقضية المتاحه • فتابه التائب • ولم يحضر وقت احتضاره الاخ الغائب • فلما عرف وصل الى دمشق بعد أيام • ولم يمه لتنفيس كرب الحادث ولم يحدث نفسه بتمام • ولم يرم ثلاثا • ولم يرم لبانا • ورحل طالبا لبلاده بالجزيرة • حذرا عليها من أهل الجزيرة • وكان السلطان جمل له كل مافي شرقي الفرات • من البلاد والولايات • ومضى كما ومضى بارق • وتخوف أن يطرق بلده طارق • فلما وصل الى الفرات • وجد مما خافه دلائل الفترات • فأقام بقعة جعير • ولم يحشد ولم يستحضر المسكر • رغبة في السلم والسلامه • ومحبة للدعة المستدامة • وسير الى الولايات الولاه • ووحي برعاياه الرعا • واستتاب في مهابرين وخاني وسيساط وحران والرها • وشحنها بالشحن واستقام أمرها • وحسب أن الاعداء اذا سمعوا بسمعه • جمعوا لجمعه وتدفعوا لدفعه • وسكن وسكت • وتبين وتبين • وعلم العدا أنه في خف نخفوا • وعرضوا وصفوا • وما

كفاهم ما هم فيه فهموا وما كفوا ، وسافوا تراب الطمع وأسفوا * فحرت حركتهم
هلكتهم * وأذهب الله عند مجيئهم بركتهم .

﴿ ذكر أهل السمات وما قدر الله لجمعهم من الشتات ﴾

كان الأمير بكتمر صاحب خلاط . قد هجر الاحتياط ووصل النشاط * وضرب
البشار لوزء صلاح الدين . وظهر في الثوب الحسن بشمار السلاطين * وتلقب بالملك
الناصر * وحدث أمه بجر الساكر * وراسل صاحبي الموصل وسنجار . وطير اليهم
كتب الاستنفار * وضم اليه من ماردن ، ماردن ، وطار وطاش . وارتاش وانتاش .
وخلط من خلاط الأوباش . فيناه هو في أثم غرور * وأثم سرور * وأحب
حبور . وأشب سفور * وأرقد عين ، وأركد عين * وأغفل قلب . وأذهل لب *
وأطول أمل في أقصر أمد ، وأكثر مدد في أقل مدد . وقد خرج من الحمام * ولم
يدر أنه داخل الى مقتل الحمام ، استشهد على أيدي الاسماعيليه * ولمس الله غفرلة
ونقله بشهادته الى جنته عليه ، وذلك بخلاط يوم الاثنين رابع عشر جمادي الاول من هذه
السنة * وكان أيامه كانت أحلاما رأيت في السنة * وأول بادئ بالخروج متولى ماردن فانه مرد *
وحشد المدد ، ونزل على حصن الموزر ، بالعزم المزور والجبد المزور * وهذا الحصن كان
السلطان اقتطعه عن اعمال ماردن . حين كان أهله عليه ماردن * فلما صالحهم استبقاه
واستأه * وأضافه الى نائبه بالرها واعطاه * ثم تحرك عز الدين أتابك مسعود بن مودود بن
زنكي صاحب الموصل * وخرج في الجحفل الحفل * وأضافه أخوه عماد الدين زنكي بنصيين
وخرجوا لتداء اللقاء مجيئين * وقدموا الرسل الى الملك العادل سيف الدين * وقالوا
تخرج من بلادنا * وتدخل في مرادنا * فكتب الى بني أخيه يستجدهم ويستغفرهم ،
ويستصرخهم ويستصرمهم * فأنجدوه بالامداد * وأمدوه بالأنجاد * فجاءه من كل فج
ووافوه فوجا بعد فوج * وكان أنجاد حلب أقرب * ولدر الاساق أحلب * ولما عرف
الملك الافضل اغتم واهتم * وجمع عسكره وضم * وخص وعم * وكتب الى صاحبي
حصن وبعلبك * واستدعى عسكرها الترك * فسار أخوه الملك الظاهر مظفر الدين خضر .
وروض عسكره بورق الحديد الاخضر نصر * والملك العادل لقدمه . متظفر * واما
المواصلة فانهم ما أسرعوا بل إبطأوا ، وما أصابوا بل أخطأوا ، وسمعوا ان الامداد العادلية

الوافية متوافيه ، وان فتته كافة كافيته مكافيه * فجنبوا ونجّبوا وكانوا قد وصلوا الى رأس عين فاقاموا وسكنوا . والملك العادل محب بظاهر حران في جوعه وجنوده * واعلامه وينوده * ومساعديه وسعوده . وعزمه على اللقاء مصمم ، وقلبه بحب الظفر متهم * وجده غالب . وحده سالب . وجده لطباء النصر حالب . ولطيب الذكر جالب . وسيف سيف الدين بار وآثر . ولحظ الشمس من غبار خيله السائر قاتر . وتقارب المسكران حبي ان الطلائع تتواجه وتتجاهه . ورجال اليزك تتناجي وتتناجه . وكان من قضاء الله المحتوم ، وسر قدره المسكتوم . تقليل ضروب القوم وتقليلهم . وحار تأملهم وخارت أيلهم . وجفل وألمهم ورتع رعيهم . وذلك بمافدرة الله من مرض أنابك صاحب الموصل . ولم يطق الإقامة بالمتزل . واشفى على الخطر . وأشرف صفوحياته على السكدر . فماد الى الموصل في محفه . ورجا أن يتبدل ما ألم به من ثقل ألم بحفه . وقهر عماد الدين راجماً ولمن وثق به من اشياعه فاجماً . وتضرع صاحب مارددين وتذرع ، وتشفع بالامراء والاكابر وخضع . حتى وقع عنه الرضا . وصفح له عما مضى . وأجرى على القاعدة السلطانية معه . وكان قد ضاق به القضاء الربح لولا المفو عنه وما وسعه . ورأي عماد الدين أن القوم خانوا واستكانوا * وما رعو له المهدي كما كانوا . فاضطر الى الانكفاء . وكف عن اللقاء ، فخلا الحيو . وحلا الضو * وعلا النو * وأتى الملك العادل الخبر بوصول ابن أخيه الملك الظافر الى الفرات ، في عسكر دمشق أهل الثبات * فكاتبه بمنازلة سروج وهي من أعمال عماد الدين . وأمدّه بابن تقي الدين وابن المقدم عز الدين ليت المرين . فنزلوا على سروج يوم السبت ثامن رجب وفتحوها يوم الاحد تاسعه واستولوا على البلد وأما كنه ومواضعه . ورحل الملك العادل منتصف رجب الى الرقة وتسلمها في العشرين منه . وكانت اليد البيضاء فيها للملك الظافر على ما ذكر عنه . ثم رحل وتملك بلاد الحابور جميعه ، وعاد كل من عصاه من مقطعيه مطيعه . وجاء الى نصيبين ونزل بظاهرها * وشرع في ضم ذخائرها . فحاجات الرسل العمادية في طلب الصلح . واسفر ليل الحرب بسى السلم عن الصبح . ورحل ونزل دارا . وكان صاحبه دار مع القوم وما دارى . فبسط عذره . وقبض ذعره * وأثناء خبر وفاة صاحب الموصل وتسليم يده من بعده . الى نور الدين رسلان شاه ولده * وجرى بينه وبينهم صلح . وكان له في كل سفرة تجارة وريح * وكتب اليانا ان اهل خلاط كاتبوه . وعلى تأخره عنهم طمأنينه . وان كل صاحب حصن قد ضبط موضعه . وانتظر

مطلعه • فانه تولاهم بعد بكتسر المعروف بالهزارد يناري • فلم يرضوا ببايائه خللاط ولم يروه
كفوا لتلك الهدي • ثم أشرف العادل على خللاط • فوجد أهلها قد كملوا الاحتياط • ورأى
ان البرد يشتد • وأمد الحصر يمتد • فعاد الى حران والرها • وأعرض عن مخالطة خللاط
وتأخر الى الربيع امرها •

﴿ فصل في المعنى ﴾

﴿ أنشأته الى الديوان العزيز في آخر رجب عن الملك الأفضل ﴾

لاشك في احاطة العلم الاشرف بحال الذين حلوا عن الاتصاف بالاوصاف ومردوا
ومروا اخلاف الخلاف • وعادوا عن خلق التلاقي الى الاتلاف • وبددوا بالانتظام في سلك
القدر شمل الاتلاف • ونكثوا بعد ايمانهم • حتى قيل كفروا بعد ايمانهم • وباهوا في بشيم بغيرهم •
وابدوا قوتهم في وهمهم وزعموا انهم اذا عزموا نالوا فرصة • ووجدوا اذا جدوا في العزيمة
رخصة • وجاؤا الى البلاد التي للخدم من النعم امير المؤمنين صلوات الله عليه ليتملكوها •
واستهلوا سبل الضلالة بعد الهدي فسلكوها • واغترتوا بأعزازهم واعتروا باغترارهم •
واصيبوا اذ لم يصبوا يصائرهم وبصارهم • ودخلوا في دائرة السوء وخرجوا من ديارهم • واجتمع
صاحب الموصل واخوه صاحب سنجار وصاحب ماردين وحشدوا وحشدوا وما الظن بشر
الحاسدين الحاشدين • ووعدهم الشيطان وأحزابه فصدقوا كذب الواعدين • وكان المملك
العادل سيف الدين قد توجه الى تلك البلاد • لابقاء أمورها على السداد • وأتقأ منهم بالموأنيق •
محتفلا بالوقائق الحافل الاواقيق • وهو في خواصه • وذوي استخلاصه • لم ينتظم عسكره •
ولم ينضم اليه مشعره • ولم يصف لدفع الشوائب وردع التوائب مورده ومصدره • فلما
عرف نكرهم • وعلم في مكرهم مكرهم • توافقت اليه الجموع • وحنت على قلبه الضلوع •
وحنت الى أصله القروع • وتوافقت اليه بنو أخيه في الجنود • وتوافوا نجدة ساعدت
بالسعود • وأمد الأخ المملك الظاهر من حلب بالامداد المتظاهره • والانسار المتناصرة •
ونذب الخدام أخاه النظار خضرأ وأنهضه • وسار معه عسكره الذي بدمشق عرضه •
وسمع الأخ المملك العزيز خبر القوم • وانهم من حول ورد الردي على الحوم • فأخرج
المضارب وابرزها • وأنفق في المساكر وجهزها • وذكر عدة النجدة فأنجزها •
واهتبل فرصة الفريضة وأنهزها • وأقبل على ذخيرة الفضيله فأحرزها • ونحركات

السواكن • وثارت الكوامن • وهاجت الافطار • وماجت البحار ، وشابت الاكدار ،
وأصابت الأقدار • وأظهر الله قبل الاجتماع معجز آياته في أهل الشبات • وخص جمعهم
بالشتات وحلبهم بالبتات ، وحسن من تلك الثبات أجنحة الثبات ، وشغل كلا منهم بوباله
وباله ، وحطه من يفاع اعتلائه الى حضيض اعتلاله • وأعادهم على أعقابهم ناكسين ،
وبعقابهم ناكسين ، وفي آرائهم وآراهم ناقصين • وأظهر الله في كل واحد من أعداد
الاعداء آية للعادة خارقه • وقدرة لاقدار الاولياء للسعادة خالقه • وقتلهم وما قاتلوا ،
وقابلهم وما قابلوا • وغادر الغادرين عبرة للمعتبرين ، وعظة للمتفكرين • وعلم صاحب
ماردين انه أخطأ وما أصاب ، فأبان عن ندمه وأناب ، وتعرض للعفو عنه وتضرع ، وتشفع
بالامراء في أمره وتذرع ، فأبدت له صفحة الصفح ، وعادت له بمد عادية الخمر حادة
الريح ، وأجريت على القاعدة المستقرة له في عهد الوالد رحمة الله عليه ، فرضوا بما
فرضوه من الطاعة وثابوا اليه ، وكان الأخ الملك الظافر خضر قد وصل الى القرات ،
حين حكم الله لجموع أولئك بالشتات ، فمهر الى سروج يوم السبت ثامن رجب ، وقلب
العدو من الفتح الذي وجب وجب ، وفتحها يوم الاحد فحموه ، وجاءت هذه المنحة من
الله حظوه • ورحل الملك المادل بالمساكر الى الرقة ، لاسترجاع وديعتها المستحقة •
وهذه بيركات استمرار السعيد على طاعة المواقف المقدسة وبين الأثمار بأوامرها •
وسفور الوجوه لمواجهة سوافرها • وما السعادة الا لمن شملته سعودها ، وما الجدة الا
لمن وصله جودها ، وما الكرامة الا لمن كرمته عنده بالوفاء عهودها ، وما المصمة الا
لمن لزمته في حمده التعماء عقودها ،

﴿ ذكروا سيف الاسلام باليمن ﴾

ولقائم اليمن مستقر للملك ظهير الدين سيف الاسلام طغتكين بن أيوب أخى
السلطان ، وهو هناك سلطان عظيم الشأن ، مستول على جميع البلدان • مختص في مكانه
بالمكان • وكان قد وصل ولده مع الحاج قبل وفاة السلطان بأيام • فلم يظفر بمرام • ووصل
كتابه الى أخيه • وهو غير عالم بتوفيه • فلما استقر الملك الافضل على سرير أبيه كاتب
عنه سيف الاسلام بقمه • وهم في كتابه بما كتب الله من همه ، والكتاب بالثنائي
عن الملك الافضل يشتمل على شرح ما ألم ، وخص به الرزء وعم •

وهذا كتاب يشتمل على سيرته وكتبته جميعه وهو صدرت هذه المكنية معرفة
عن الثبا العظيم * والخطب الجسيم * والرزء العميم * والحادث الاليم * والكارت المقعد
المقيم * والثائب الباغت * والمصاب الساحت * والفجيعة الفاجيه * والنكبة الناكه *
والطارقة الطاربه * والملمة المؤلة والبلىة الباربه * والواقعة الرائمه * والصدمة الصادعه *
والخدمة اللاخفه * والروعة الفادحه * والقمة التى غامت بها الايام * وغم لها الآنام *
واعتل منها الاسلام * واحتل النظام * فقد عدمت المطالع ضباها * والمشارع صفاءها
والثغور سداده * والأأمور سداده ، والعيون قرنها والثغور قرارها * والقلوب ثباتها
والجنون غرارها * ، والأأيدي أبدها والوجوه سفورها * والصدور انشراحها *
والاسرار سرورها * فقد فقدت الدنيا بهجتها وضلت العالياه محجتها * واحتدى الضلال
الى الهدى * وأقوى نادي الندى * وأفقرت مغاني الفنى * واكفهرت مجالي السنى *
وأمرت مجاني المنى * وخفيت مناهج المناجيج ، وعطلت مناهل المنائج * وعميت مذاهب
المواهب * وأظلمت مطالع المطالب ، واربحت أبواب الفتوح ، ودجت أضواء الوضوح
ودرست معالم المعالي * وطمست زواجر الديالي * واضطربت الدهاء ، واضطربت الدهياء *
وبطلت مواسم الحق * وأبهمت مظالم الخلق * وانقطعت مسالك الجهاد * وتفتحت بممالك البلاد *
وأخلفت عدات الاعداء على الاعداء ، وانكسفت أنوار آمال الاولياء ، وذلك بما اجراه الله
من قضائه المحتوم * وأظهره من سر قدره المكتوم * بمصايب مولانا الملك الناصر روح
الله روحه * وروى في جنان رضوانه وغرفات غفرانه ضريحه * فقد عظم الخطب
وجل * وحل مرى الجلد حين حل * وتلم غرب الصبر وقل * وأجرى غرب الدموع *
وأزكى كرب الضلوع * وبث جبل اللاجين * وشت شمل الراحين * وأعلمنا أن الدنيا
الدنية حباها ربنا * وحباؤها غناث * وعقودها انكاث * وسهولها أرواث * وقصورها
أجدات * وسرورها غرور ومواهبها احداث * وسكونها قلق * وأمنها فرق * ومحجتها
سقم * وألمها ألم * وغبطها ندم * ووجودها عدم * وبقاؤها فناء * ولیمها بلاء *
وراحتها عناء * وملکها هلاك * وسهرها هتك * وأخذها ترك * وسلمها حرب وصلحها
قتك * ووقاؤها غدر * ووقاها مكر * وعرفها نكر * ووصلها حجر * وخيرها شر *
ونقمها ضر * وجبرها كسر * ومتاعها قليل * وباعها في الطاول طويل * ومالتارها
مقيل * ولا في ظلها مقيل * ولا ارب فيها لاريب * ولا الباب فيها لليب * فان ظلها

قالمس * وفضلها ناقص * وعمرها قصير * وغنيها فقير * وريها جرع * وزها خدع *
 وحلبها عطل * وسعيها زلل * واجداؤها اجذاب * واعطاؤها اعطاب * واصباحها
 اظلام * وارضاها ارقام * وسماحتها بخل * وسجاحتها حقل * وعقدها مفسوخ *
 وعهدتها منسوخ * وربحها خسار * وجرحها جبار * ويسارها اعسار * وخصبها اعمال *
 وجبها محال * وعمارتها شمت * وشيمتها عيث وعيث * وتراها تراث * ولا لمسكنها اساس
 ولا لساكنها اثاث * ولا كيدها في كيدها يد * ولا لمكرها في جد مكرها جدد * والسعيد
 من استمد في مماشه للمعاد * واستكثر مدة مقامه في الدنيا لسفر الآخرة من الازواد *
 ومن نظر اليها بمن القلى * وعرف انها دار البلاء والبلى * وتقوى فيها بالتقوى * وجد
 في الاعراض عن جدواها للفوز يوم المرض بالحدوى * ولقد كان السلطان السعيد
 قدس الله روحه بحقيقتها عارفا * واطريقها عازفا * ولزخرفها عافا * ومن ملكها آفا *
 وعن مالها متعففا * فاشتغل عن الدنيا بالدين * وخصه الله بتأييده في علم اليقين * واقتدى
 بسنة النبي صلوات الله عليه فما زاغ بصره وما طغى * (ونهي النفس عن الهوى فان الجنة
 هي المأوى) * ووقف حياته على احياء معالم الهدى * والاعلان بشمار التقي * واعلاء
 منار الجهاد * واشاعة سنن العدل والاحسان في البلاد والعباد * واقاضة سجال الفضل
 والافضال * حتي كفل جوده بفيض الارزاق ووفي بنجح الامال * واخلص لله عمله *
 ولا ملك ملكا ولا تمول مالا الا في سبيل الله أفقه وبذله * وكان كما قال النبي صلى الله
 عليه وسلم (من كان لله كان الله له) فلا جرم اذل الله له الملوك الاعزة * ووهب
 لاعطاف الدولة للتباهي بملكه الهزه * وملكه الاقاليم والامصار * وأجرى باقداره
 الادار * فازال عن مشاريع الشريعة الاكدار * وعطل البدعة بمصر واليمن
 والشام * وقع أعداء الاسلام * ومد الله في عمره حتى بلغ المراد * وفتح البلاد *
 ووفي في حق الجهاد الجهد والاجتهاد * وقدر على ما أعجز عنه الملوك * ونهج في نصرة
 الدين نهجا أعوز من قبله فيه السلوك * واخرج الفرنج عن الساحل وابادها *
 وملك عليها ديارها وبلادها * وأوى على الكفرة معاقب معاقلمها * وطال بحقه على
 باطلها * واقصى عن المسجد الأقصى مدلسيه * وأزال عنه أبدى غاصيه * وأضرخ
 الصخرة المطهرة وطهرها من الارجاس * وأبعد عنها اجناس الانجاس * وقهر الكفر
 وخذله * ولصر الايمان وأخذله * وأحيا للكرم كل سنة حسنه ، واستمرت محاسن أيامه

سنة بمد سنه • وتعدلت ببدله الجوانح • وتذلت ببأسه الجواح • ودانت ودنت له
 الممالك القاصيه • وأذعنت أذعنت لحكمه الاماني العاصيه • وملكت القلوب والقبول
 مهايته ومحبتة • وعمت الخواص والعوام عارفته وعاطفته • وفذت في الشرق والغرب
 مراسمه ، وقامت بالحمد والشكر مواسمه • ووفت بأمل الداني والقاصي والطائع
 والعاصي مكارمه • وأسعده الله وأمهله • حتى حقق في ذويه أمله • وولى في كل أقاليم
 من يعمل لله في العدل والاحسان عمله • ثم توفاه حميد الاثر • كريم الورد والصدر • ظافر
 الرجا رائج الظفر • صالح العمل • ناجح الامل • طاهر الفطره • ظاهر التصريح • كاسياً
 من الفخار • عارياً من العار • مرتدياً بثوب الثواب • مرتويماً من صوب الصواب •
 مبتهجاً بنضرة النعيم • متأرجحاً بعرف نسيم التسليم • وما كان أبهج الايام بأيامه • والاعصار
 بمزايته • والامصار بمحاسنه • والاسلام بسلطانه • والآفاق بسني إحسانه • وما كان
 أسعدنا بمجدوده • وأجدنا بسموده • وأغنانا ببدله وجوده • فقد فقد الصباح فلا سني •
 ودفن السباح فلا جدى ولا جنى • وغاض البحر فلا غنى • وهو الطود فلا ثبات • وذوي
 الروض فلا نبات • وهوى الركن فلا سند • وانتهى البين فلا جدد • وغلب السكد
 فلا جلد • وهزم الغزاة فلا عز • ولا قوة ولا عضد • أنا لله وأنا اليه راجعون • ولا سره تايهون
 ولحكمه طامعون • لا اراد لارادته • ولا صاد لمشيئته • ولا صادف لمصادف قضائه • ولا
 صارف لصرف بلائه • ولقد كادت الانوار تقرب • والانواء تعزب • والمنابع تنور • والصنائع
 تبور • والاحوال تحول • والاهوال تهول • وأضواء المعارف لا تضي • وأقياء العواطف
 لا تنفي • وزهر السماء لا تشرق • وأزهار الروض لا تؤلق • ومعاهد الاسلام تهى • وميامن
 الايام تنتهى • لولا أن الله تدارك الارماق بالطفاه • وتلافي الآمال بأسعافه • وجالوجه
 النعمى من خلال البؤس • وأهدى البشر بعد العبوس • وأزل السكينة عند الزلزال •
 على النفوس • وأجري الدولة على أحسن العوائد • وأرشد المقاصد وأثبت القواعد •
 من استمرارها على الالئم • واستقرارها في النظام • واستدرارها بأفوابيق الوفاق •
 وإهلال بدورها غب المحاق • وطلوع شمسها من الآفاق • وارتقاء فروعها في سماء السمو •
 وامتداد أصولها في منابت النبو • وانفتاح احداقها التواظر عن نور الابصار • وانفتاح حداثتها
 التواضر عن نوار الازهار • حتى اجتمعت الكلمة المتفرقة واتحدت • وانتظمت الالفه
 المتبددة وتأكدت • وسكنت القلوب الراجفة وألست • وسكنت الالسنه المرجفة وخرست •

وأثارت الحواطر المظلمة * وافاقت الظنون الراجة والافكار المتقسمة * وزاد الرونق *
 وزال الرنق * وانجلى الفسق * وتجلى الفلق * واستقامت الامور * واستقامت الى حفظها
 الثغور ، ووصلت الكتب العزیزة والظاهرية من مصر وحلب * بكل ما أنجح الارب ووصل
 السبب ومصرى در النصر وحلب * وبكل ما أظهر القوة وقوى الظهر * وشد الازر * وامر
 الامر ، وسر السر * ونصر الحق وحقق النصر * من الموافقة والمواقاة * والموالاة
 الفاضية من الحجة المنجدة بالموالاة * والمتابعة والمشايعفة في كل أمر يبرم * وكل حكم يحكم *
 وكل عزم في قمع العدا يصمم * وكل عقد في نصر الهدى يلزم ويتم * ووصل المولى
 الملك العادل قنولى أمر المملوك بكل ما وافق لإشاره ، وأشاع على حادة الوالد رحمه الله
 تعالى شعاره ورفع مناره * وأخلى من كل شاغل باله ورفع أسرار * وأراح أفكاره *
 وما في الجماعة الا من خطب الجمية وخطب في الجمع ، وأعرض عن الهوى للحق المتبع *
 فالكلمة متحدة وان كانت الانفس متعددة ، وما أخلفت هذه الدولة بل استمرت على
 تجدد الايام متجدده * وانما أشفقت في حال الصدمة الأولى وبدء الرزية العلولى على
 بيت الله المقدس ، ومن غدر الفرنج بقصدها فان القدر شيمة لهم في الانفس * فوق الله
 شيرهم * ودفع مكرهم * وأوهى أمرهم ؛ ولم يزل من قلوبهم الرعب * ولم يؤثر واعي
 الصلح الحرب * بل طالبوا بقاء السلامة بإبقاء السلم * وخطبوا لإجراءهم في الوفاء بعقد
 الهدنة على الرسم * وبركات نية المرحوم شملت له ووصاياه نفذت وكملت * وتوجه الملك
 العادل الى بلاده الجزرية - شرقي الفرات لاصلاح تلك الولايات * واخراس شقاق
 الهادرين بالارجاف من أهل الثمات * ليؤذن بهيبة الأسد جمع النقاد بالثقات * وليعيد
 الى الأس شارذ الولي الراشد * ويرد بالبناس مكابد الحاسد الحاشد * والحمد لله الذي
 أجد الأمن وقد عرت الخفافه * وأنزل الرآفة وقد خجأت الآفة * وأبقى الاسلام بمنزه
 والكفر بذله * وثبت قواعد الملك الناصرى بجمع شمل أهله * وأحياهم سنقي احسانه
 وعدله * وشيمتي افضاله وفضله * وفي دوام اقبال المجلس السامي دوام اقبالهم * ونظام
 أحوالهم * وسبوغ ظلالهم * وبلوغ آمالهم *

❖ ذكر ما افترضه الملك الافضل من خدمة دار الخلافة المعظمة

وانفاذ رسوله بمدة والده مع هدايا وتحف سنائيا ❖

لما استقر الملك الأفضل بدمشق في مقام والده . وشفع طارف ملكه بتالده *
وأضاف موروث الفضل الى مكتسبه * وأكرم نسبه بكرم حسبه . بدأ بالاهم الافرض ،
والاتم الاحض * فقدم الى الديوان العزيز النبوي نجابين بالكتب * وأنهى الحال فيما ألم
من الخطب . ثم نذب ضياء الدين القاسم ابن الشهرزوري في الرسالة ، الى منزل الرسالة
وموقف الجلالة * وأحبه عدة والده في الغزاء أو أن لقاء العداء . وسيفه ودرعته وحصانه
وأضاف الى ذلك من الهدايا والتحف والخيل العرب ما استنفد وسعه وامكانه فثابهاً
مسير الرسول الا في أواخر جمادي الآخرة . حتى حصل كل ما اراده من الهدايا
الفاخرة * وحق كاتب مصر وحلب وأعلم بمسير رسوله . حتى لا يظن انه انفرد بسوله .
وقصد مدارة اخوته . وفضل بفضل نخوته . وذلك بصدان جدد نقش الدينار والدرهم
بسمي أمير المؤمنين . وولى المهدي عدة الدين * وأمرني بالشاء الكتب وتحريرها .
وتقريب المقاصد فيها وتقريرها *

﴿ فصل من الكتاب الى الديوان العزيز بعد ذكر الدعاء ﴾

أصدر البعد هذه الخدمة وصدرة مشروح بالولاء . وقلبه معمور بالصفاء . وبده
مرفوعة الى السماء للابتهاج بالدعاء * ولسانه ناطق بشكر النعماء . وجنانه ثابت من المهابة
والحبة عن الخوف والرجاء . وطرفه مغض من الحياء . ووجهه مقبل نحو قبلة الاستجداء *
وممنه في السودة قارعة ذروة العلا . وهو للارض مقبل ، وللفرض متقبل * وبالطاعة
مائل * وللاستطاعة باذل . وللجهد والاخلاص . عارض ضارع . ولجحر نخره من
الصحة والمنامة صادق صادق . وهو يمت بما قدمه من الموات . وأسلفه من الخدمات
وذخره ذخراً الاوقات لهذه الاوقات . واتخذ عصمة من الثابثات . وعوذة من
الطارقات . وعدة عند الملهمات . وعمدة لدي الخطوب الكارثات ومصرفاً للصروف
الحادثات . ومؤلفاً للشمل عند شمول الشتات وعروة للاعتصام بها في أزم من الازمات
وسلوة من الاسي وأسوأ لجراح المصيبات . ولا خفاء بما أخافه . وقاض له من بحسر
البرج وضائه . وأغاض لظافه . وعاق أو أن رجاء جني التجاح قطافه . لولا أن الله
تداركه بفضل أولاده الطافه . فانه دمه ما هداه وخفاء ما نجاه . ويثقه من الرزء ما صد
عنه العيش وصدعه . ونابه ما رابه . وجرحه مصابه صابه . ووافاه من وفاة والده رحمه الله

ما كدر صفو الحياه • ومحا عن صفحة صبحه آية الآيه وألم بآلم الامل • وأحال الحلى الى المطال • وحلأ عن التهل والطل • وأذهب بهجة الايام • وأشمت الكفر بالاسلام وسر الشكر منه ماساء التوحيد • وقرب من اشفاق القلوب واشفاء الكروب البعيد • وعطل الجهاد وأراح الحديد • وشب حقوق المداة على انها ما شئت الا لتخمد • وشام حدود الفتاة على انها ما شئت الالتقم • وهذا الحادث ارجف المرجفون بمحدثه • وآثاروا كوامن النار وحركوا سوا كنى الاوتار بتأثيره وتأريثه • وأخرج أهل التفاق رؤسهم من كل نفق • وعاد ثبات ثباتهم الى فغار وقلق • ومن كان مستمكاً من ولاء الدار العزيزة بالعروة الوثقى • مستلباً من عدد أيامها ومدد انعامها بالدرع الاقوى الاوقى • فانه لا يحتفل بمقول أخلاق أهل الخلاف • ولا يتحمل طود حجاجه الراسى وحصاه الراسخ لعواصف ذوي الاحجاف • وقد أحاطت العلوم الشريفة بمجدها الله بأن الوالد السعيد • الشديد السديد • المبير للشرك المبيد • لم يزل أيام حياته • والى ساعة وفاته • مستقبها على جدد الجدد • مستقبها • في صون فريضة الجهاد الى يذل الجهد • مستفداً في كل ما يحوز به المراضى الشريفة وسعه • مستفرغاً طاقته في الشغل الدينى الذي يهدى بصره وسمعه • فكم قبض بدأ بسطها بالفتنة الفشة المادية • وكم فرض سنة أعلت سناها للمجتاهين وأحلت جنبها للمجتهدين الدعوة الهادية • ولكم أخرس دعاة الادعياء وحرس ولاية الاولياء وكانت بكتائبه وكتبه سيوفه واقلامه للاقاليم أقاليد • ولم تزل جنود الشيطان وجوع الطغيان في الممالك بممالك الدار العزيزة وعبيدها عبايد وأمطار بلاد الكفر من دماء أهلها شايب وأقام بها منار الاسلام ومنابر لما أناب عن اعوادها أنابيب وأسمرها من كآبة الوغى وحماة الورى بمساعير وانجدها بضوا من الضوا من الظفر بمضامير وهذه فتوحه فتوح بنشر النصر وتضوع • وعقوده تروق في سلك الملك وتروع ومصر بل الامصار باجتهاده في الجهاد شاهده والانجاد والاغوار في لظفر عزه واحد والبيت المقدس من فتوحاته • والملك العقيم من نتائج عزه • وتوفره على العبودية للملك رقه سيدنا امير المؤمنين اوفر حسنة • وكل ذلك في طاعته ومناجحته وبركاته • وما زال ظاهراً على العدا • ناصرراً للهدى • معلماً معالم العلى • محياً مواسم التقى • مسياً سنن الشرع وفروضه • مديماً بأعباء الطاعة بقدر الطاقه نهوضه • وهو الذى ملك ملوك الشرك وغل اعتاقها • واسر طواغيت الكفر وشد وثاقها • وقع عبدة الصليان وقسم اصلاها • وجمع كفة الايمان وعصم جنبها •

ولنظم اسبابها وسد الثغور ، وسدد الامور ، واذل للدار العزيزة كل عدو ، واخذ لها على يد كل ذي عتو ، واستمرت على الايام مساعيه في الخدمة ناجحه . ومعانيه على موازين الموازين راجحه ، وسيرته حسنة ، وحيثاته سائرة ، ومحاسنه ظاهره ، وسريته طاهره ، وختم الله له بالسعادة ، وتوفاه على الوفاء بالعبودية والعباده . وقضى وقد قضى من آرائه آرايه ووقدم بين يديه اعماله الصالحة ووفاه حسابيه ، وقبض وعدله مبسوط ، وامره محوط ؟ ووزره محطوط . وعمله بالصلاح منوط . وأمله بالنجاح مشروط . وملكه بحفظ الله وكلامه مضبوط . والمذاهب بهذه المراتب مرتبه * والاسباب بحكمة والاحكام مسبيه . والاحوال حاله . والاعمال راضيه . والمصالح مصونه . والمناجح مضمونه . والرعية مرعيه . والعوائد مرضيه . والقواعد متأمله . والمقاصد متحصلة . والثغور مسدوده . والخطوب مسدوده . واصول الدولة ثابتة . وفروع الدولة ثابتة . وما ترك أسرار بعده غير مستقيم ولا نهجا غير قويم . ولا خلف لمن خلفه ما يحتاج الى تقربه وتقريره . ولا أبقي لمن بقي له ما يقتدر الى تربيته وتدييره . وما خرج من الدنيا الا وهو في حكم الطاعة الامامية داخل . ويمتجرها الراجح الى دار المقامة راحل . ولم تكن له وصية الا بالاستمرار على جادتها . والاستكثار من مآثيها . والاستعداد بسعادتها . والاستعداد لعبادتها . والاستجارة بظلالها . والاستئارة بجلالها * والاستمادة بفضلها . والاستزادة من افضالها . وما بينت القواعد الاعلى أساس وصاياه . ولا امضيت العوائد الاعلى قياس سجاياه . ولا أبرم الاما عقده * ولا أحكم الا ما اكده * واقتضيت آثاره . واجتليت أنواره . واتبع اثاره . وأتمرت في اثاره الاوامر الشريفة اوامره . ومن كان في نصرة الدولة الامامية الناصرية فان الله ناصره * وما يقتخر العبد الا بمارئته في ولائها من الفخار * وبعثه من آلائها الفزار * ونشئه برفعه من العار . وعرفه بعرفه المبر المبار * ولا يتسم بالملك الا من يتساي به لانه لما مملوك * ولا يوصل الى السعادة الابدية الاسلك الى رضاها مملوك * ولئن مضى الوالد على طاعة امامه * فالما اليك اولاده واخوه في مقامه * والامر في كل مكان بالامن والسكون جار على نظامه * والكفر مغلول الغرب ، مخذول الحزب ، مجبول على الرعب مغلول بقيد السلم عن الحرب فان الله أجرى المشركين مع كثرتهم على حكم القله * وخصهم لبقاء عزه والثغور الاسلامية بالله ! وقد استمرت الحال الى الان على الهدى . وهم لا يؤمنون اذا احسوا بالمكنه فان العذر في طباعهم مذكور * والسوء في غرائزهم مذكور * والعبد آخذ بالحزم *

مأخذ بتأييد الله في العزم متيقظ الخوف غدرهم . متحفظ من مكر مكرهم . مستعد بكل إمكان *
 مستجد كل ما يفتقر إليه من نجدة وقوة بكل مكان * مستظهر بما تأكد له من ظاهرة
 المواقف المقدسة في أموره * مستبشر وجه وجهته منها بسفوره * ظاهر بقوة من
 أيدها وأيديها قوى بظهوره * مدل بما له من الموات الأكيدة * والسوابق الحليده *
 والشوافع المقبولة * والذرائع الموصولة * موقن ان الرماية تدركه * وان العناية تملكه *
 وان اختصاصه بفضيلة المانة القديمة يجده فضل الاختصاص * وان فائحة الحمد منه
 والاخلاص تفتح له باب الاحاد والاستخلاص * ولما قصر رجاءه على طوله بذلك الطول *
 وانه يزداد بما يزدان به من الاصطفاء والاصططاع حذن الحلية وقوة النصرة والحوال *
 عول على القاضي ضياء الدين في المتول بالخدمة الشريفة وانها حاله * والانهاء الى مناخج
 آماله * والسفارة فيما يسفر عن صبح المرشد * ونجح المقاصد ونصح العقائد * وشرح
 الاحوال في المصادر والموارد * وان بلاغته وفيه بالابلاغ * ملية باشباع القول في اعتفاء
 الطول الملى بالاسباغ * وقد فاضله فيما فوضه اليه ، واعتمد في استجازه واستجابه
 عليه ، لازالت أيادي الدار العزيزة دارة غزيره ، سارة أولياءها وباحياء موات مواتها
 جديده * ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر بعض مناقب السلطان رحمه الله ﴾

كان مشفقاً في سبيل الله بالانفاق ، موقوفاً عزمه في الاعداء باداء الآجال وفي
 الأولياء بأجراء الارزاق ، وما عقر في سبيل الله فرس أوجرح الا وعوض مالكة بمثله ،
 وزاده من فضله . وحسب ماوجه من الخيل الغراب والا كاديش الحياض ، لا حضرين معه
 في صف الجهاد ، مدة ثلث سنين ، منذ نزل الفرنج على عكا في رجب سنة خمس وثمانين
 الى يوم انفصالهم بالسلم في شعبان سنة ثمان وثمانين ، فكان تقديره اثني عشر ألف رأس
 من حصان وحجر ، واكديش طمر وذلك غير ما أطلقه من المال . في اثمان الخيل المصابة
 في القتال ، ولم يكن له فرس يركبه الا وهو موهوب أو موعود به ، وصاحبه ، ملازم في
 طلبه ، وما حضر اللقاء الا استعار فرسا فركبه وهجر حياده فاذا نزل جاء صاحبه فاستعاده ،
 فكلهم يركب خيله ، ويطلب خيره . وهو يستمر جواداً ، ويستمر في الجهاد اجتهداً ،
 اجتهداً ، وكان لا يلبس الا ما يلبس ، وتطيب به نفسه . فالكثتان والقطن والصوف ،

وكسوته يخرجها في اسداء المروية * وكانت محاضرة مصونة من الخطر * وخلواته مقدسة بالطهر * ومجالسه منزهة من الهزل * ومحافله خافلة أهلة باهل الفضل * وما سمعت له قط كلمة تسقط * ولا لفظة فظة تسخط * يفلظ على الكافرين الفاجرين ، ويلين للمؤمنين المتقين ، ويؤثر سماع الحديث بالاسانيد ، وتكلم العلماء عنده في العلم الشرعى المفيد ، وكان مداومة الكلام مع الفقهاء ، وشاركة القضاة في القضاء ، اعلم منهم بالاحكام الشرعيه ، والاسباب المرضية والادلة المرعيه ، وكان من جالسه لا يعلم انه جليس السلطان ، بل يعتقد انه جليس اخ من الاخوان . وكان حليما مقيلا للعثرات ، متجاوزا عن الهفوات ، نقياً نقيا ، وقيما صفيأ ، بغضى ولا يغضب ، ويبشر ولا ينقطب ، مارد سائلا ، ولا صد نائلا ، ولا اخجل قائلا ، ولا خيب آملا

ومن جملة مناقبه انه تأخر عنه في بعض سفراته ، الامير أيوب بن كنان مشتغلا بمهامه ، فلما وصل سألته عن سبب تخلفه ، وما الذى وقفه عن موقفه ، فذكر ان غرامه لجوا والخوا ، وخضوا باطلاقة وشخوا فاحضر واغرامه وتقبل الدين وتكفل بالدين * وأمرني بان أحيلهم على مصر فحسبتها وهي اثنا عشر ألف دينار مصرية وكسر . فقدم نوابه وفادها على الحمل لما صرفوا فيه من بغض صون المال وحب البذل للفضل

ولما كنا بالقندس في سنة ثمان وثمانين كتب اليه سيف الدولة بن منقذ من مصر وهو بها نائبه . وقد وضحت في الكفاية مذاهبه ان . واحدا ضمن معاملة بمبلغ فاسترض منها اثني دينار وتسحب . ورمما وصل الى الباب وتحيل وتمحل وخيل وكذب . فجاء الى السلطان من أخبره أن الرجل على الباب وخال انه اليه به تقرب . فقال قل له ان ابن منقذ يطلبك فأجهد أن لا تقع في عينه . فصحبنا من حلمه وكرمه بعد أن قلنا قدم الرجل بقدمه الى حينه . وعما أذكره له في أول سفرى معه الى مصر سنة اثنتين وسبعين . ووردت بهامن فضله المذهب المعين . انه حوسب صاحب ديوانه . عما تولا في زمانه . فكانت سياقة الحساب عليه سبعين ألف دينار باقية عليه فاطلبها ولا ذكرها . وأراء كانه ماصر فها على ان صاحب الديوان ما أكرها . وكان يرضى من الاعمال بما يحمل عفواً صفواً . ويحصل عذاباً حلوأ . وكله يخرج في الجود والجهاد . ورعاية الوفاة والقصاد . ثم لم يرض لصاحب ديوانه المذكور بالعطلة . ولم ير اتزواه في بيت العزله فولاه ديوان جيشه وأولاه مادنت له به مجاني جاهه وعيشه

ولما كنا بظاهر حران في سنة احدى وثمانين عم بصدقاته الفقراء والمساكين وكتب

الى نوابه في الولايات • باخراج الصدقات • وقال لي اكتب الى الصفي بدمشق ان يتصدق
بخمسة آلاف دينار صورية • فقلت له الذهب الذي عنده مصري قال فيصدق بخمسة آلاف
مصرية • واشفق من صرف المصري بالصوري فيكون حراما • ويرتكب في كذب الاجر
آثاما • فسمع ومنع وتاجر الله وربح • وسمعت بعد ذلك الصفي • وكان في الخير عجلى كل
• ضمار • يقول قد احصيت فقهاء المدارس بدمشق وكانوا ستمائة فاطلقت لهم ستمائة دينار
ولما عزم على الرحيل من حران • افاض بها الفضل وبت الاحسان • وقال لي يوم الرحيل
أظركم بى الباب من الوافدين أبناء السبيل • وهذه ثلثمائة دينار أقسمها عليهم بالقلم •
وفضل على اقدارهم في القسم • وكانوا عدة يسيرة لم تبلغ عشرة • ولم تجده • يسره • فبعثت
لكل اسم قميا • وعينت بهم خلفاء منى ورسما • فبلغ اربعمائة دينار • وقفت أفكر • واردت
النظر اليه • وأكرره • فسألني ما الذي عملت • وهل قسمت المبلغ وكنت • فقلت جري قلبي
بقسمة اربعمائة دينار فهل أنقص من كل اسم ربما • فقال أجرى ما جرى به القلم واحسن صنعا •
وكان رحمه الله اذا أطلق لمارف عارقه • وقلت له هذه ماتكفيه ردها مضاعفه • وكان
أصحاب المظالم وأرباب المطالب • والراغبون في الرغائب • والذاهبون في المذاهب • يحضرون
عندي • ويسرفون في انجاز أمرهم • وانجاح قصدهم بذل جهدي • فاكتب لهم توقعات
بموقعاتهم • وانتهى في الاملاء • بنهاية مأمولاتهم • فيجربها ويضيها • ويضع علاماته فيها ويرتضيها •
واذا أتني توقعا بخطي علم فيه • ولم يقف بثمنه على سر مطالوبه • ألفا بما ألفه من محبتي
ومناحتي • وكفاء للعلماء وكفاية للمهمات بكفايتي • وكان يأمرني بأجابة كتب الملوك
وأصحاب الاطراف عن كتبهم • في حالتي سلمهم وحرهم • وهي تشمل على أسباب متنوعة
وآراب متفرعة • بحسب الحوادث المتجددة • والبواعث المتعددة • فاذا قلت له بماذا أكتب
وما الذي اخاطب • فيقول أنت أصرف • وبحسب ما تعلم من حالنا تنصرف • فاكتب من
عندي بالاجابة • وتوافق منه الاصابه • فقد كنت مطلما على سره • مضطلعا بأمره • ما يخفى
عني مراده • وأنا أتيقن لمن ولاؤه • ووداده • قاتني بمدانة الاعراض • ومداداة الامراض
وموازنة الجواهر والاعراض • والتمييز بين أهل القبول وأهل الاعراض • فكلم
أصلح قلبي بينه وبين من عاداه • وراض الخلاج من سخطه وقاده الى مدى رضاه •
وكان يفض السكابر • ولا يفضى عن الصنائير • ويرشد الى الهدى ويهدي الى
الرشاد • ويسدد الامر ويأمر بالسداد • فكان بمالكه وخواصه بل امرائه وأجناده أعف

من الزهاد والعباد . ورأي يوما لي دواء . بالفضة محلاه * فأنكر حل الحليه * وادعى
حظر القنيه . فقلت على سبيل المدافعه . وطريق المناظرة والممانعه . أوليس تحمل حليه
السلاح . واستصحابه في الكفاح . فدواء دوائي أتجمع . ومدد مدادي أنفع . وبراغ
يراعى القصير أطول . وسلاح قلبي أجذ وأحد وأقتل . وما اجتمعت هذه
المساكر الاسلاميه الا بقلبي . ولا تفرقت جوع الكفر الا بكلمها من جوامع كلمي .
فقال ما هذا بدليل ولا يبيد تحريماً الى تحليل . حتى قلت له ان الشيخ ابا محمد والد
الامام أبي المظفر قد ذكر وجهاً في جوازه ونحن ننبه فلا وجه مع هذا الوجه المحلل
لمن يحظره ويحرمه . ثم لم أكتب بعدها عنده الا من ذوات الشبه . وتجنبت طرق الشبه
وتركت المحلاة بخلافه . وعادت الشبهة محتجبه بجنتاه . وكان محافظاً على الصلوات الخمس
في آوائل أوقاتها ، مواظباً على أداء مفروضاتها ومسنوناتها * فما رأيته صلى الا في جماعه
ولم يؤخر له صلاة من ساعة الى ساعه ،

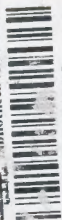
وكان له امام راتب ملازم مواظب . فان غاب يوما صلى به من حضره من أهل
العلم * اذ اعرفه متقياً متجنباً للانهم * وكنت للملازم اياه يقدمه في اماماً في الصلوات *
ومستشاراً في المشورات * وكان يأخذ بالشرع وبطريقه . وينفق من حل المال
وطيبه . ويجود بالموجود وبالمدوم في الحال رجاء الوجود * فما تتجدد جوده الا وبشوقها
انجاز الوعود . ولم يكن الى المنجم مصفياً . ولم يزل لقوله ملتفياً . فما عنده منجاً لمن جاء
ببين المنجمين . ولا قبول لمنطق المنطقين * فلا يفضل يوما على يوم ولا زماناً على زمان
الا بتفضل الشرع واستقصاء الدين في كل قاص ودان . ولا يتعسف ولا يتعير ولا يمين
وقتاً ولا بخير * بل اذا عزم توكل على الله * واقبل على حكم أمره وأعرض عن
مظان الاشتباه . فكفكم فل سفه ذى الفلسفه . ودل بمرورف على المعرفة . وما زال
ناصرراً للتوحيد . قاهراً جمع أهل البدع بالبديد . مستحلياً سنى السنه . مستحلياً حنى
الجنه * شافعي المذهب أصولاً وفروفاً . معتقداً له معقولا ومسموعاً يديني أهل التنزيه *
ويقصى أهل التشبيه * ويدبم استفادة فقه الفقيه . واستزادة نباهة النبيه . ووجهه الوجهه
فالعالون في عدله . والعالون في فضله * والبلاد في أمنه * والعباد في منته * والبريه في برسميه *
والاسلام في حياه حيه * والدين في اداله دولته . وشرعه الشرعيه صافيه بصفائه * وماده
الموده له وافية بوفائه * وقامت بسده طريره طريه . من المار صريه . وببر البريه من

الشائبات والشائبات بويه * وبالحرية حريه * وبسرور السر
 سرينه * فقد عزت وفضلت وظهرت بمنزها وأفضلها
 وظاهرها ونفرت بمفاخرها * ورويت بروايم آثار
 ماثرها * وتبلجت الآفاق وتارجت بحسن تباشرها
 وطيب بشارها . وبرزت الأرض في أزهارها
 والسماء في زواهرها والحمد لله مجري
 الأقدار ومعنى الأقدار * ومدير
 الليل والنهار * ومدير الإراد
 والأصدار * وسلم
 تسليماً كثيراً
 آمين
 ٣

ثم الفتح القدسي بحمد الله وعونه نسخ في تاسع عشر من صفر سنة احدى
 وستائه والحمد لله وحده وصلواته على خير خلقه محمد نبيه وآله وصحبه وأزواجه
 وسلم تسليماً كثيراً الى يوم الدين
 وكان تمام طبعه على ذمة مصطفى أفندي فهمي الكتي بمطبعة الموسوعات
 وذلك في شهر ذي الحجة سنة ١٣٢١ هجرية



Bibliotheca Alexandrina



0699016